غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٠٣) - جمادى الأولى ١٤١٤هـ (أكتوبر

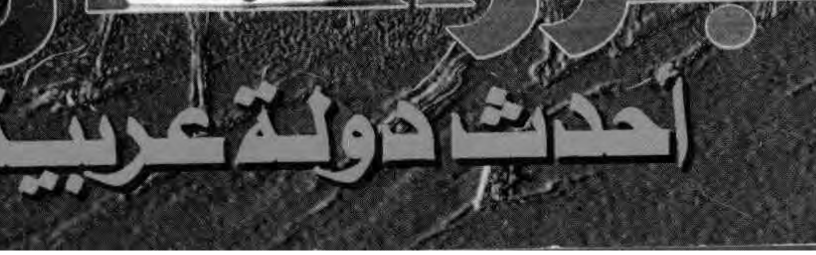
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (203) OCT. / NOV. 1993

العلماء في قفص الاتهام

بوابات القدس
روايات من التاريخ

الفراغ الروحي العالمي

التراث الإسلامي
فيما كان يُعرف بيوغوسلافيا



جزر القمر
أحدث دولة عربية



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم بك نستعين وعليك نتوكل سبحانك اللهم نحمدك على نعمك بجميع محامدك وأشهد أن لا اله الا الله محمدا عبدك ورسولك صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وعلى جميع اخوانه من التابعين اما بعد فهذا كتاب في اسماء الرجال مشتمل على بابين الباب الاول في ذكر الصحابة ذكرهم وأتباعهم ومن بعدهم من التابعين وغيرهم ممن له ذكرا ورواية في كتاب المشكوة مرتبا على حروف التهجي ومن اشتهر بكنيته بالكنية في حرف كنيته دون حرف اسمه مثل ابي هريرة اسمه عبد الله او عبد الرحمن اذكره في حرف الهاء لا في حرف العين والباب الثاني في ذكر من لهم الأصول من المذكورين في اول المشكوة وغيرهم وان لم نذكرهم في اولها رضوان الله عليهم اجمعين اجمعين

الباب الاول

في ذكر الصحابة ومن تابعهم وفيه فصول

حرف الهمزة

فصل في الصحابة

هو انس بن مالك بن النضر كنيته ابو حمزة الخزرجي خادم النبي صلى الله عليه وسلم أمه ام سليم بنت ملحان قدم النبي عليه السلام المدينة وهو ابن عشر سنين وانتقل الى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة ٩١ وله من العمر مائة وثلث سنين وقيل تسع وتسعون سنة قال ابن عبد البر وهو اصح يقال انه ولد له مائة ولد وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكرا واثنتان أنثى روى عنه خلق كثير هو انس بن مالك الكعبي كنيته ابو امامة أسند حديثا واحدا في صوم المسافر والـ...

وان ... | انس بن مالك | انس بن مالك الكعبي

والمرضع سكن البصرة روى عنه ابو قلابة هو انس بن النضر الانصاري النجاري وهو عم انس بن مالك قتل يوم أحد شهيدا ووجد فيه بضع وثمانون من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم وفيه نزلت من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا هو انس بن مرثد بن ابي مرثد واسم ابي مرثد كناز بن الحصين وقيل ان اسمه أنيس قال ابن عبد البر وهو اكثر ويقال شهد انيس هذا فتح مكة وحنينا قال ويقال انه الذي قال له النبي عليه السلام أغد يا أنيس الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها وقيل هو غيره والله اعلم مات سنة ٢٠ وله ولابيه وجده ولأخيه صحبة روى عنه سهل بن الحنظلة والحكم بن مسعود وكناز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاء المعجمة هو أسيد بن حضير الانصاري الاوسي كان ممن شهد العقبة الثانية وهو من النقباء ليلة العقبة وكان بين العقبتين سنة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة ٢٠ ودفن بالبقيع هو ابو اسيد بن مالك بن ربيعة الانصاري الساعدي شهد المشاهد كلها وهو مشهور بكنيته روى عنه خلق كثير مات سنة ستين وله ثمانون وسبعون سنة بعد أن ذهب بصره وهو آخر من مات من البدريين أسيد بضم الهمزة وفتح السين المهملة وسكون الياء هو اسلم وكنيته ابو رافع مولى النبي عليه السلام يجئ ذكره في حرف الراء هو اسمر بن مضرس الطائي صحابي عداده في اعراب البصرة مضرس بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء المكسورة هو الاشعث بن قيس بن معدي كرب كنيته ابو محمد الكندي قدم على النبي عليه السلام في وفد كندة وكان

انس بن النضر | انس بن مرثد | أسيد بن حضير | ابو أسيد | اسلم | اسمر | الاشعث بن قيس



خراسان نسبوا اليها على غير قياس فكل من هو منها يقال له البغوي وفي ذلك تغيير وابدال خارج عن القياس كما ترى وقيل هو اسم الولاية وقيل اسم المدينة بغ هو ابو الحسن رزين بن معوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين وخمسمائة هو ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الاثير صاحب كتاب جامع الاصول ومناقب الاخيار والنهاية كان عالما محدثا لغويا روى عن خلق من ائمة الكبار كان بالجزيرة وانتقل الى الموصل سنة ٥٦٥ ولم يزل بها الى ان قدم بغداد حاجا وعاد الى الموصل ومات بها يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان مولده سنة ٥١٥ ومات سنة ٥٩٧ هو ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النواوي امام اهل زمانه كان عالما فاضلا متورعا فقيها محدثا ثبتا حجة له مصنفات كثيرة مشهورة وتاليفات عجيبة مفيدة في الفقه مثل الروضة وفي الحديث مثل الرياض والاذكار وفي شرحه مثل شرح مسلم وغير ذلك من معرفة علوم الحديث واللغة سمع من المشائخ الكبار ومنه خلق كثير واجاز رواية شرح مسلم والاذكار لجميع المسلمين وكان من اهل نوى قرية من اعمال دمشق نشأ بها وحفظ القرآن وقدم دمشق في سنة ٦٥٠ وله ١٩ سنة فتفقه وبرع وكان خشن العيش قانعا بالقوت تاركا للشهوات صاحب عبادة و

رزين بن معوية العبدري | المبارك بن محمد الجزري | ابن الجوزي | الامام النووي

وخوف

٩١

وخوف وكان فوالا بالحق صغير الهامة كبير الشان كثير السهر مكبا على العلم والعمل مات في رجب سنة ٦٧٦ وقبره يزار بنوى عاش ٤٦ سنة قال المؤلف رحمه الله ووقع ذكره في آخر الكتاب كما وقع اسمه في آخر الحروف ثم اني ما اعتمدت في نقل ما اوردته الا على كتب الائمة الثقات مثل الاستيعاب لابن عبد البر وحلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني وجامع الاصول ومناقب الاخيار لابي السعادات الجزري والكاشف لابي عبد الله الذهبي الدمشقي وفرغت يوم الجمعة من عشرين رجب سنة ٧٤٠ من جمعه وتهذيبه وتنقيحه وانا اضعف العباد الراجي عفو الله تعالى وغفرانه محمد بن عبد الله الخطيب بن محمد بمعاونة شيخي ومولاي سلطان المفسرين وامام المحققين شرف الملة والدين حجة الله على المسلمين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي متعهم الله بطول بقائه ثم عرضته عليه كما عرضت المشكوة فاستحسنها كما استحسنها واستجادها والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد النبي الامي وعلى آله واصحابه اجمعين الطيبين الطاهرين امين

ل

نقلت هذا الكتاب من كتاب مولاي ... سلطان المحققين ... وفرغ ... بعون الله ...

نقلته من نسخة ... باسماء الرجال وقت ... الكبرى من يوم السبت ... سنة سبع عشر ... آخر الربيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢٠٣) - جمادى الأولى ١٤١٤هـ - السنة (١٧) - تشرين الأول (أكتوبر) تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣م

في هذا العدد

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤

فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

● أسعار بيع النسخ:

المملكة العربية السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات العربية المتحدة ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسا ـ سلطنة عمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ الجمهورية اليمنية ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعوديًا، ترسل قيمة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل».

● الاعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إطلالة

الوطن في عيون الآخرين

إن السعي لمعرفة الصّور الذهنية والآراء التي يكونها الآخرون عنا أمر جدير بالدراسة والبحث بعمق وتروٍ، وذلك لأن الخطط والاستراتيجيات الإعلامية والثقافية التي نضعها لتقديم بلادنا للعالم على أسس موضوعية تقوم على الحقائق ـ دون تضخيم للذات ـ ينبغي أن تُبنى على تلك المعرفة.

وفي هذا العصر ـ عصر ثورة الاتصالات ـ تتنوع أساليب الاتصال وفنونه، ومن ثم لا يعد مضمون الرّسالة وحده كافيًا للتعبير والتواصل مع الآخرين، وإنما يجب أن تسانده ـ أي المضمون ـ معرفة تامة وقدرة عظيمة على استخدام مفاتيح هذه الوسائل ومؤثراتها لتأتي الرسالة الموجهة بالمردود الإيجابي الذي خُطط له.

وتعد الرواية من أكثر الفنون قدرة على حمل الرسائل الإعلامية والإقناع بها، وفي هذا العصر صارت الرواية تتداخل مع فنون الاتصال الأخرى من خلال تحويلها إلى صور متحركة نابضة بالحياة سواء على شاشات السينما أو التلفاز أو المسرح. وهذا لا شك يزيد من قدراتها الإقناعية ووصولها لفئات كبيرة من الجمهور في أماكن متفرقة من المعمورة.

إن ما دعاني إلى التفكير مليًا في أمر الرواية وتأثيرها الفعال ــ إيجابًا أو سلبًا على المتلقي ـ محاضرة ضمن فعاليات ملتقى أبها الثقافي الرابع حملت عنوان «وطننا في عيون الروائيين العرب»، فهذه المحاضرة ـ دون تقويم لمستواها ـ تعني أننا على إدراك وفهم تامّين بأهمية الرواية وخطورتها باعتبارها فنا اتصاليا عظيم الشأن في إيصال الأفكار والتأثير على اتجاهات المتلقين وآرائهم، كذلك استرعى انتباهي أن المحاضرة عُنيت بآراء الروائيين العرب وصورهم الذهنية عنا بعكس ذلك الاهتمام العتيق بمطالعة صورنا في عيون الغرب.

ففي رأيي أننا أحوج ما نكون إلى إدراك وفهم الآراء التي تطرح عنا في محيطنا العربي ـ بمختلف وسائل الاتصال وفنونه ـ حتى يكون تعاطينا مع هذا المحيط الذي يموج بالتيارات الفكرية المتباينة مبنيًا على حقائق ومعلومات تستند إلى الواقع بعيدًا عن شعارات رنانة ومجاملات زائفة لا تُظهر وجه الحقيقة، وتصبغ ذلك الوجه بأصباغ تخفي ملامحها فتجعلها لا تبين.

والآراء المطروحة ـ بطبيعة الحال ــ لابد أن تكون ذات منحى إيجابي وآخر سلبي، وهذا ما يستدعي أساليب مختلفة في التعامل والتفاعل معها، فالآراء الإيجابية يمكن تدعيمها وتأكيدها بإبراز مواقف وحقائق نملكها وقد تغيب عن أصحاب هذه الآراء، ولكن ينبغي أن نتنبه إلى تلك الآراء التي تميل إلى المجاملة والمحاباة والتي قد تدخل في دائرة النفاق والتملق، فهذه الآراء غير مجدية، وضررها أكثر من نفعها، ونحن لسنا بحاجة إليها. فحاجتنا إلى آراء موضوعية تبني وتثري واقعنا وتفتح أمامه آفاق التقدم والرقي.

أما الآراء السلبية فهي نوعان، يحتاج التعامل معها إلى أسلوبين مختلفين، فهناك آراء سلبية ناجمة عن عدم وعي بالواقع الذي تعيشه بلادنا، وأصحابها قد يكونون تحت تأثير آراء واتجاهات مغرضة تلون الحقائق وتلوي أعناقها، ولذا فإن من السهل تغييرها وتعديل اتجاهات أصحابها من خلال الحوار الموضوعي وأساليب الإقناع الحضارية. أما الآراء السلبية المغرضة التي تأتي نتيجة اختلاف منطلقات أصحابها وتوجهاتهم عن منطلقات بلادنا وتوجهاتها المبنية على العقيدة الإسلامية، فهي تحتاج إلى وقفة حاسمة ورد صارم يفنّد الدعاوى التي يستندون إليها ويكشف أغراضهم ومراميهم التي لا تستهدف بلادنا بقدر ما تستهدف أصلا الإساءة إلى الإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ الذي تحمل لواءه هذه البلاد.

ويحضرني في هذا المقام ما كتبه مالك بن نبي ـ رحمه الله ــ عن الاستعمار والإشكال الحضاري، وما تعرض له الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من مؤامرات المستعمرين الذين رأوا في تبنيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خطرًا يهدد أطماعهم ويهز أركان امبراطورياتهم التي بنوها، حين غفل المسلمون عن تعاليم الإسلام الأصيلة وانتشرت بينهم أساليب الشرك والخرافات.

ويؤكد تحذيره دفاعًا عن دعوة الإصلاح هذه بالقول إن فكرة الوهابية كانت تبدو للاستعمار مليئة بالمخاوف؛ لأنها كانت تمثل في نظر هذا الاستعمار مركز الثقل في الصراع الفكري في البلاد العربية الإسلامية. وفي موقف آخر يقول: «آه . . إنهم يدبرون [يقصد المستعمرين] مؤامرة ضد عبد العزيز بن سعود ويحيكون مكيدة»، وذلك بمحاولتهم تحطيم الفكرة التي قام عليها مُلكه «وتأسست عليها الدولة السعودية الفتية» حسب تعبير مالك بن نبي. إن المكائد التي أثارت هذا المفكر لا تزال مستمرة، وهي ليست وقفًا على أعداء الإسلام التقليديين الذين نعرفهم اسما ورسما، بل يشاركهم في ذلك أولئك الذين صنعهم الاستعمار من بني جلدتنا، الذين سخرهم لتحقيق أهدافه التي لم يستطع الوصول إليها بنفسه، أو لأنه يتسامى عن القيام بها حتى لا يوصم بأنه غير متحضر، وهؤلاء هم الذين يحاولون أن يسلخوا الأمة من دينها وعقيدتها وتراثها وأصالتها بدعاوى العصرنة والعلمنة ـ هذه مصطلحاتهم ـ مستخدمين وسائل وأساليب متنوعة.

وقد نبّه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى خطرهم وجهلهم قبل اثنين وستين عامًا حين قال عنهم: «جهلوا تعاليم الإسلام الحقة وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر عن الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته؛ وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم؛ أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلاً، ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم».

إن علينا ـ وقد مرت بنا منذ أيام ذكرى اليوم الوطني لبلادنا ـ أن نتأمل هذه المواقف الرائعة لهذا الملك المؤسس رحمه الله، الذي أراد لهذه البلاد وللأمة العربية والإسلامية نهضة فتية ذات قواعد وأسس راسخة ترتكز إلى الإسلام ــ منهجًا ونبراسًا ـ وتقوم على العلم المقرون بالعمل، والأصالة التي لا تأبى سنن التقدم والرقي، وفي هذا يقول ــ رحمه الله ـ: «لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكان لغيرهم أيضا، فجاء الإسلام فأقرها»، إنها كلمات قليلة معبرة تنبيء عن فكر مستنير وفهم واع يدرك كيف يمزج بين الأصالة والمعاصرة لما فيه صالح تطور الأمة وتقدمها، وهي في الوقت نفسه تعد ردًا بليغًا على أولئك المتدثرين بأثواب العلمنة والعصرنة والذين يتيهون في صحارى الفكر مختالين، وهم في الحقيقة خاوية ألبابهم من كل فكر. فعلينا أن نكشف خواءهم ونقطع عليهم كل طريق لِبَثّ سمومهم. ونجاح مسعانا في هذا المجال مقرون بنجاحنا في توجيه قدراتنا الإبداعية للتعبير عن أفكارنا ورؤانا عبر وسائل الاتصال وفنونه المختلفة.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفراغ الرُّوحي العالمي



بقلم: د. حسن ظاظا

نقترب الآن من نهاية الألف الثاني من ميلاد المسيح، وقد كاد العالم المسيحي يقبض على زمام الحضارة المادية في العالم كله. والعالم المسيحي يتمثل بشكل واضح في الغرب، في أوروبا وأمريكا. ولكنهم هناك لم يصلوا إلى موقعهم هذا إلاّ بعد جهد جهيد، وبعد صراع عنيد مع باقي سكان هذا الكوكب الأرضي الذي يضم الناس جميعا. فالحروب وما تجره من فناء ودمار وعداوة بين البشر، والكوارث الطبيعية من جفاف وقحط، أو طوفان جارف، أو أوبئة وأمراض، أو زلازل وبراكين، وانبثاق نظم سياسة تقوم على إهدار حق الناس في العدل والمساواة، ومصادرة الحريات، واستباحة الممتلكات والأعراض، والسيطرة على أراضٍ أخرى بشعوبها بالقوة وإبادة من تسهل إبادته منهم، كل هذه الظواهر وغيرها قد صنعت تاريخ العالم، كما اقتضت بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام، لإقرار شرائع ونظم تكبح الاستبداد، وتردع العدوان، وتقيم حَكَمًا من الأخلاق والشعور بالأخوة الإنسانية، يقف حاجزا أمام ظلم الأقوياء للمستضعفين في الأرض، وذلك عن طريق إسناد القوة كلها إلى الله تعالى. وإذا تصورنا أن الإنسان قد بدأ يتدبّر الكون المحيط به، ويتصل من خلاله بخالقه، منذ مئات الملايين من السنين، وأنه شقّ الطريق نحو حضارة متوازنة ماديا وروحيا، على مدى هذه الأجيال الطويلة، ثم إذا تصورنا أنه اهتدى إلى معرفة الكتابة منذ سبعة آلاف عام على أوسع تقدير فقط تبين لنا أن الجزء الأكبر من تاريخه مجهول لدينا، وسيظل مجهولا إلى ما شاء الله.

ومع ذلك فإن الإنسان بما أوتي من مرونة في التفكير، وذكاء في الاستفادة من الحواسّ، ومهارة في ربط المعلوم بالمجهول بقصد الوصول إلى معرفته، مع جنوح إلى خلط الخير بالشر، والواقع بالوهم، قد جمع ركامًا يمتزج فيه المستقيم والمتناقض، والممكن والمستحيل. وبهذا قامت الحضارات في طريق طويل تكتنفه أشواك من الأوهام والأساطير وفنون السحر والشعوذة، وطقوس التطفل على نوافذ المجهول، علّه يكشف عن بعض سماته وملامحه. فظهرت الوثنية، والشعائر الوحشية، ومحاولات التحدث مع الملائكة والجن والشياطين، واختراق حجب الغيب بأية طريقة من الطرق، من العرافة والتنجيم، وصناعة التمائم والعزائم، واستقراء الحجارة والقواقع والذبائح وعظام الموتى، وما يراه بنو آدم في اليقظة والمنام.

وأصبحت هذه المعتقدات المنافس الخطير للأديان كلها، حتى الأديان السماوية التي أتى بها رسل وأنبياء كرام بأمر الله تعالى. وكثر البحث والتأليف في هذه الموضوعات، من زوايا كثيرة: المأثور الشعبي، الأساطير، تاريخ الحضارات، تاريخ الأديان، علم الاجتماع، علم النفس، التحليل النفسي، الطب، الحفائر والآثار، بل صدرت في بريطانيا منذ أكثر من نصف قرن موسوعة ضخمة متخصصة ودقيقة في جدّيتها يشرف عليها هاستِنْغز بعنوان «دائرة معارف الدين والأخلاق»، كما نشر عالم الاجتماع البريطاني إدوارد وِسْترمارك كتابا كبيرا من تأليفه بعنوان «أصل الأفكار الأخلاقية وتطورها»، هذا إلى ما لا يُحصى من الدراسات حول الفراسة والعرافة والتنجيم والكشف وتسخير الجنّ والتنبؤ بالغيب وحساب الكواكب والمنازل والبروج وتفسير الأحلام والتحصين بالأحجبة والأحراز واستحضار الأرواح وسؤال خانات الرمل والحَصَى وأوراق اللعب وقراءة الكف وغيرها من (الروحانيات) التي أدخلها الناس في علاج المرضى، ومعرفة مكان الغائب أو الأشياء المفقودة.

وقد حازت شعوب وقبائل كثيرة في العالم شهرة معيّنة في بعض تلك الممارسات أو كلها. فالمصريون القدماء والبابليون المعاصرون لهم اشتهروا بالسحر والطب الروحاني والنجوم، كما أتقن الهنود والصينيون والفرس والعرب وقدماء سكان أمريكا من الهنود الحمر صناعة صفر الطروس والتوليفات، وهي أشكال من الحليّ تقي من العين والمرض وتفتح أبواب الرزق وترد عادية الأعداء، وتعجل تزويج البنات، وتورث الرضا والقبول عند الحكّام. وظهر الكَتَبَة الذين يخطون على الجلد أو الورق ما يرجوه زبائنهم من البركات أو اللفتات لهم ولذويهم أو لأعدائهم. بل كتبوا ما يزعمون أنه يطرد العقارب والحيات والجرذان، ويقتل النمل والصراصير والبق والبراغيث، وزعموا أن بعض كتاباتهم إذ غسلت بالماء وشربها المصاب بالحمّى أو الصرع أو السعال المزمن أو الضعف الجنسي فإنه يبرأ فورًا بإذن الله! وانتشرت هذه البدع والخرافات في الغرب منذ أقدم العصور، وازدهرت مع الأوبئة والحروب وطغيان الحكّام وجهل القساوسة والكهّان والرهبان، وتفشّي الفقر والذل والأميّة والخوف بين الناس، حتى وجدت في كل عاصمة أوروبية في العصور الوسطى - أي منذ أكثر من ألف سنة - منطقة محددة تسمى (بلاط المعجزات).

الفراغ الرُّوحي العالمي

ويمثل بلاط المعجزات النظام التجاري لاستغلال الفراغ العقلي والديني والأخلاقي في الناس. إذ كان بلاط المعجزات (إمبراطورية) مستقلة محرّمة على رجال الشرطة، وفرق الأمن، مباحة للسحرة والمنجمين واللصوص والقتلة والمومسات، ومرضى السلّ والجذام والاستسقاء والسرطان والصرع والجنون، ومُباحة للقليل من رجال الدين. وكان بلاط المعجزات في باريس مثلاً يتكون من أربع ممالك هي: مملكة المصريين، ومملكة الغَجَر ـ البوهيميين ـ، ومملكة العرب، ومملكة اليونان. ولكل واحدة منها شيخ وحرس. وواضح أن هذا التقسيم أساسه أساليب السحر (مصر) والعلاج بالموسيقى والرقص (البوهيميين) والعلاج بالرقية والجسّ والطلاء بالمراهم والدهانات (العرب) والمداواة بالسفوف والزرور والمحاليل والأعشاب (اليونان) ـ ثم يشترك الجميع في إمبراطورية الخرافات الروحانية! كل هذا والبابوية جالسة على عرشها في روما تعلم عن ذلك الكثير، ولكنها تقف مكتوفة اليدين أمام هذه الكارثة الرهيبة التي يشارك فيها عدد كبير من رجال الدين!

كان هذا ـ كما قلت ـ منذ ما يزيد على ألف سنة، إذ كان الشرق ـ من المحيط الأطلنطي إلى المحيط الهادي يعيش الحضارة الإسلامية في ذروة بهائها وتحررها. وكانت سنة ألف الميلادية تقترب، وكان المشعوذون في أوروبا يتنبأون بأن سنة ألف هذه ستكون سنة فناء العالم، وانتشرت النبوءة (الألفية)، وزعم بعض المهاويس أنه بعد هذا الفناء ستنجو فئة واحدة فقط من المسيحيين الأتقياء الأنقياء، فيترك المسيح مكانه بجوار (أبيه) في السماء، ويهبط إلى الأرض فيحوّلها إلى جنة تتفيأ ظلالها هذه الفئة المنتصرة من النصارى، يحكمها المسيح لمدة ألف سنة أخرى! بعدها تقوم القيامة!

وانتظر المساكين في أوروبا هبوط المسيح دون جدوى. وشاء المهرّجون من الكهنة أن يقدّموا للناس سببا (وجيها) لهذا التأخير، فزعموا أن الأمر مؤجل ما دام قبر المسيح في بيت المقدس بفلسطين في أيدي المسلمين. وبدأت الحروب الصليبية بمتطوعين متعصبين، على صدورهم الصلبان وعلى راياتهم عبارة (هكذا أراد الله)، وانقضى قرنان من الزمن، يواجه فيهما المسلمون الحروب الصليبية، حملة بعد حملة، ولا ينقضي الصراع إلا بالفشل. والرأي العام الأوروبي يأمر بالصبر وانتظار المسيح، الذي لن يعود إلى الأرض إلا بعد انتصار الصليبيين. وانتهت الحروب الصليبية في الشام ومصر وتونس، ولم يأت المسيح، بل أتت إيزابيلا الكاثوليكية وفرديناندو زوجها فطردا المسلمين مما بقي لهم في الأندلس. وانتظر الغرب مجيء المسيح من جديد، فجاءهم الراهب (توركويمادا) بمحاكم التفتيش، التي تقضي على من لا يركع لها ويسجد بالإحراق حيّا في الساحات والميادين العامة، لا سيما إن كان من المسلمين أو اليهود، فهؤلاء كانوا يحرقون هم وكتبهم وكل تراثهم. وتلا ذلك ظهور الراهب (إغناطيوس دي لولولا) الذي نظم (جيشا) من الرهبان ينقسم إلى فرق على رأس كل فرقة (جنرال) أي قائد ماديّ وروحيّ في خدمة يسوع المسيح. وظهر هذا النظام (اليسوعي) التبشيري، واعتبر أن عدوّه المباشر هو نظام الرهبان الدومنيكان الذين كان شعارهم الوعظ والإرشاد والتبشير والتنصير، اليسوعيون بالتعليم والخدمة الاجتماعية، والدومنيكان بالخطابة البليغة والنشر والإعلام. كل هذا والمسيح لا ينزل من السماء! وفي انتظاره جاء الراهب الألماني مارتن لوثر محتجا على هذه الفوضى الروحية، والبذخ الكهنوتي المشبوه، وانشق على البابوية تحت اسم المحتجين (البروتستانت)، في حين أن المسيحية الشرقية استمرت تعدّ نفسها الأصل والدين المسيحي الحقيقي (الأرثوذكسي) في مواجهة المسيحية الشاملة (الكاثوليكية) والمحتجين (البروتستانت) المنشقين عليها. وانتقل النزاع من الدوائر اللاهوتية إلى الدوائر السياسية، فظهرت من البروتستنتية فرق أقر بها إلى الكاثوليكية المذهب الملكي البريطاني (الإنجليكاني)، وكانت أمريكا قد تمّ كشفها وامتلأت بالمغامرين من أوروبا



ديفيد كوريش ـ الذي ادعى بأنه المسيح على الأرض ـ مع أتباعه الذين ماتوا في انتحار جماعي في واكو بتكساس الأمريكية قبل ستة أشهر

أولا، والشرق الأقصى ثانيا، فكانت مصنعًا خرجت فيه مذاهب وفرق وشعب وأديان ما أنزل الله بها من سلطان، وما يزال الحبل على الغارب إلى الآن.

ونحن نقترب الآن من عام ألفين الميلادي، وكانت هذه فرصة لإحياء فكرة (الألفية) القديمة، والتنبؤ بفناء العالم مرة أخرى، لا سيما أن العالم المادي البحت الذي نعيش فيه يواجه فراغا روحيا يشجع المهرجين والمهاويس والمتعصبين والنصابين والمحتالين على استثمار هذه الفرصة بسرعة وعلى أوسع نطاق.

ولكن ما سرّ تهافت المصابين بالفراغ الروحي في العالم المسيحي على كل ما يظهر من الفِرَق والجماعات والشعب والفئات والحلقات والهيئات والتيارات في مسيحية الغرب، في أيامنا هذه على وجه التحديد؟ وهو موضوع يؤرق الباحثين

في أوروبا وأمريكا، شكلت لـه السلطات الدينيـة المسيحية في الغرب مجالس لدراستـه، وقام مثلها في وزارات الشـؤون الاجتماعية، أو المعارف أو الثقـافة أو الإعـلام، وقُدّمـت فيه بحـوث الـدكتوراه إلى الجامعـات، وأمـامي من الأعمال المنشورة قليل من كثير، أحد عشر كتابا ظهرت بين عام ١٩٧٠م وعام ١٩٩٠م في فرنسا وألمانيـا وإنجلترا والولايات المتحدة، غير ما ظهـر من الفِرق في العامين الأخيرين ومـا تزال مـادته ووثـائقه لـم تنشر إلاّ في المجلاّت المتخصصـة أو في أبواب المحاكمات والقضايا في الصحف.

ثم ما سر اهتمامي ببسط هذا الموضوع تحت نظر القارئ العربي؟ أتصور أن إدراك الفـراغ الروحي الـذي يخيم على الإنسـان الغـربي الآن، يعلن عن فرصـة لمساعـدته على الخروج من هـذا الفراغ، وبـالتالي لكسبـه نصيرا لقضايـا العرب والمسلمين، ليس عن محاولـة إدخالـه منهجيـا في الإسلام، بل خطبًـا لصداقتـه وتأييده لمواقفنا، في وقت نحن فيه في أشـد الحاجة لذلك، وهو عمل يحتاج إلى صبر طويـل، وإلى كياسة ودمـاثة في التعـامل مع ما ينجم مـن عقبات. وربما سأل الصديق القـارئ عن الأصل البعيد الذي دفع إلى هذا التفـرّق الطائفي في الغرب.

«في ظل الفراغ الرّوحي والغلاء تُعدّ التيارات الرّوحانية البديل للأندية والمقاهي والملاهي.»

نحن نعلم أن أوروبا قـد دخلت في النصرانية بالتدريج، من أواخـر القرن الأول المسيحي في بعض جزر البحر الأبيض المتوسط إلى القرن العاشر في جهات متطرفـة من روسيا وساحل بحر البلطيق. وأن المسيحيـة كانت على الأقل حتى القرن الرابع الميلادي ديانة أقلية بائسة اقتصاديًّا واجتماعيا، أتباعها مضطهدون أو منبوذون. ونعلم أيضا إنهم أهل كتاب، والكتاب الذي بأيديهم يضم كتاب اليهود (العهد القديم) وكتاب المسيحية (العهد الجديد)؛ ومن المهم أن نفهم أن كلمة (العهد) هنـا معناها الميثاق، وليس العصر والـزمن، لأن المسيحيين نقلوا عن المسيح أنه كان يؤكد أنه لا يسعى إلى إلغاء كتاب موسى وأنبياء بني إسرائيل بل يسعى إلى إكمالـه وتجديـده. لكن المسيحيـة لم يصل إليهـا كتـاب اليهـود إلا بعـد أن تنـاولتـه الأيـدي بـالانتقـاص والـزيـادة والتصحيف والتحريف، والترجمة عن فهم خاطىء أو مغرض، والتلاوة من الذاكرة، مع ما يتبعها من الخلط والخطأ والنسيـان. ثم إن اليهود كانـوا ـ قبل المسيح ـ قـد فُتنوا بعلوم (الباطن) فتفشت بينهم الخزعبـلات، لدرجة أن موسى عليـه السلام أمر بقتل السحرة. ومع ذلـك ظلّ فيهم هذا الداء من بعـده إلى يومنـا هذا، حيث نجـد أكثـر الـدجّالين ومحترفي الـروحـانيـات من اليهـود، حتى من يشتغلـون بحساب النجـوم اليومي في كثير من الصحف الأوروبيـة والأمريكية. ومـا تزال التوراة التي بأيديهم تنْسب إلى موسى توصيـات سحريّة عجيبة، أذكر منها على سبيل المثال هـذا النص (التوراة ـ سِفْـر العدد ٥ : ١١ وما بعدها) وكلّمَ الربّ مـوسى قائلا : مُـرْ بني إسرائيل وقُلْ لهم : أيُّما رجل انحـرفت زوجتـه وخانتـه خيـانـةً، فأتاهـا رجل إتيـانًـا جنسيًا، وأُخفـيَ ذلك على بعلها، ولـم يتأكّـد رجسها، ولا شاهـد عليها، ولـم تكن متلبسة، ثم أصـابته ريح الغيرة، أو غار على زوجته وهي لـم تتدنّس، فليأت ذلك الـرجل بامرأته إلى الكاهن، ويحضر عشر كيلات من دقيق الشعير قربانًا عنهـا، لا يصب عليه زيتًا، ولا يذرّ عليه بخورًا، لأنه تقدمة غيرة، وقربان تذكار يذكّر بالذنوب. فيقدمها الكاهن واقفة بين يدي الربّ، ويأخـذ الكاهن ماءً مقدسا في إناء خـزف، ويأخذ من الغبار



الفراغ الروحي يدفع بالشباب نحو الضياع

الذي في أرض المعبد فيلقيه في الماء. ويقيم الكـاهن المرأة أمام الرب، ويكشف رأسها ويضع على كفيها من قـربان التذكار مقدمـة الغيرة، وفي يد الكاهن الماء المرُّ الجالب للّعنة، ويُحلِّفُ الكاهن المرأة، ويقـول لها : إن لـم يأتِكِ رجل، ولم تنحازي إلى نجاسة مع غير بعلِكِ فأنت بـريئةٌ من هذا الماء المُرّ الجالب للّعنة.

أمـا إن كنت قد انحـرفتِ إلى غير زوجك، وتـدنّست به، وكـانت لغيره معك مضـاجعة، ويحلّف الكـاهن المرأة بيمين اللعنة قـائلا لها : يجعلك الرب لعنـة وعبرة لقَوْمِك : بـأن يُسْقِطَ الربّ فَخذَيْـك، ويُوَرّم بطنك، ويدخـل هذا الماء الجالب للّعنـة في أمعائك لتوريم البطـن وترهيل الفخـذ! فتقول المرأة : آمين، آمين! فيكتب الكاهن هـذه اللعنات في الكتاب ويمحوهـا بالماء المُرّ، ويسقي المرأة الماء المرّ الجالب للعنـة، فيتخللهـا الماء الجالب للّعنـة بـالمرارة! ويأخذ

الفراغ الرُّوحي العالمي

الكاهن من يدها تقدمة الغيرة، ويحركها أمام الرب، ويقدمها إلى المذبح، ثم يمسك الكاهن من التقدمة تذكارها ويحرقه على المذبح. وبعد ذلك يسقي المرأة الماء، فإذا سقاها الماء وكانت قد تدنست وخانت بعلها خيانة، خالطها ماء اللعنة للمرارة، فورم بطنها وتساقط فخذاها، وكانت لعنة بين قومها. وإن لم تكن المرأة قد تدنست، بل كانت طاهرة، فإنها تبرأ وتحمل بنين. هذه شريعة الغيرة! فأين شريعة القسامة والمباهلة واللعان في الفقه الإسلامي من هذه الخرافات؟!

> ”يمكننا إخراج الإنسان الغربي من الفراغ الروحي الذي يعانيه وكسبه نصيرًا لقضايانا.“

ومثل هذه الطقوس كثير في الكتابات اليهودية، خاضت فيه مئات المجلدات، فإذا خرجنا من توراتهم إلى ما ألصقوا بأنبيائهم وكهنتهم وأحبارهم، وقعنا على أمور مدهشة لا ينقضي منها العجب. فمن صحيفة تطير في السماء فيقرؤها أحدهم على الأرض، ومن أشباح تتحرك على جدران قصر فيخاطبها آخر ويعرف منها ما يخفيه الغيب، ومن ثالث (أو ثالثة) تنادي نبيا بين الأموات، فيصعد من تحت الأرض ويتكلم، ويتنبأ بما سيكون، ثم يعود إلى قبره. وعندما نترك (العهد القديم) اليهودي إلى التلمود أو المدراش أو التفاسير السرية في كتب (القبالة) أو (الزوهر) أي الإشراق، أو (البهير) أي المتألّق، دخلنا في عالم وراء العقل والمنطق والأخلاق، لدرجة أن القديس بولس الذي آمن بالمسيح عليه السلام بعد صعوده إلى السماء كتب إلى أحد تلاميذه واسمه (تيتوس) يقول: ولا يُصْغوا إلى الخرافات اليهودية، وإلى وصايا قوم يُعرضون عن الحق (رسالة بولس إلى تيتوس ١ : ١٤)، وبولس هذا كان قبل تنصّره من علماء اليهود وكهنتهم، وكان اسمه شاءول، ورسائله في (العهد الجديد) من النصوص الشرعية لها في التلاوة والعبادة منزلة الإنجيل.

فليس عجيبا أن يتسرب إلى العالم المسيحي هذا الداء اليهودي المزمن، حتى رأى الإنسان المسيحي نفسه اليوم، وفي الغرب على الخصوص، في حيرة من أمره، ضائعًا أمام الثورات والانقلابات التي يواجهها ويعيش في نظمها السياسية، ثم يشهد انهيارها أمام عينيه، ويرى الناس من حوله يعيش أكثرهم في حالة طلاق من دينه، ويشهد الهيئات المسيحية الرسمية تتعدد وتكثر عددا ومالا وتقل أثرا وجدوى، ثم يعيش في مجتمع ضيق الحدود جدا، اختفت منه عواطف القومية بل العشيرة بل الأسرة، وسيطرت المادة على النفوس والأرواح، واستعبدت الآلة بني آدم فإذا بالواحد منهم مضغوط في قالب من مطالب الحياة العاجلة، ومبرمج على نحو قلّ فيه السرور، وضعفت صلات البشر بعضهم ببعض، يعيش الواحد منهم بين ملايين من بني جنسه لا يكاد يشعر بأحد أو يشعر به أحد. حتى أصبح من المألوف أن يمرض إنسان وحيد في مسكنه، ويموت، فلا يتنبّه الجيران إلا برائحته عندما يتعفن.

في هذا الفراغ الروحي والإنساني يبحث الناس عن الاستئناس بغيرهم، في الأندية، وفي المقاهي والملاهي ونحوها، ولكن هذه تتطلب من الكثيرين نفقات مالية لا يقدرون عليها. فبدأت التيارات الروحانية تكثر، ويتزاحم عليها الناس لما فيها من فرص للقاء والمؤانسة والارتباط. فظهر (شهود يهوه) بعقائدهم وكتبهم ودعاتهم في أمريكا منذ عام ١٨٧٤م، ثم في جميع أنحاء العالم بما في ذلك الكثير من بلاد المسلمين، حتى بلغ عدد دُعاتهم عام ١٩٨٨م أكثر من ثلاثة ملايين ونصف. وقاعدتهم الأصلية في بروكلين (نيويورك) ولهم مجلة يسمونها (الحقيقة نحو حياة أبدية) وهي شهرية، تطبع مائة مليون نسخة من كل عدد، مترجمة إلى مائة لغة ولهجة في العالم!

وعرف الغرب كنيسة جديدة يتزعمها (مايتريا المسيح) الذي اشتهر في بلده (كوريا الجنوبية) باسم (يُون ميونغ مُون) وهو من الأفاقين العالميين، دخل السُّجون في كوريا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرهما مرارا، للاحتيال والتهرب من الضرائب والدعاية السياسية الهدّامة والعلاقات الجنسية الإجرامية، ومع ذلك فهو يعيش اليوم في رغد، وله أساطيل ومصانع وأموال تحسبها الحكومات بالمليارات من الدولارات، ولا تكاد تحصى، ووصل عدد (المؤمنين) به في العالم إلى أكثر من مائتي مليون!

وهناك فرق (ألفية) ظهرت مع اقتراب عام ٢٠٠٠ الميلادي، تبشر بالخلاص، وبالجنة الأرضية، وبالزمن الجديد، مثل فرقة (نور الحق) وفرق أخرى توفق بين الأديان السماوية وأديان آسيا البوذية مثل فرقة (كريشنا) وفرقة (البهائية)، كما ظهرت فرق لشفاء المرضى، مثل (الماهيكاري) وأتباع مسيح (مونفا فيل)، وفرق أخرى للتربية والتعليم بعيدا عن معتقدات العوام، مثل فرقة (أبناء الله) وأتباع (ظل المسيح على الأرض) الذي ظهر أخيرا في (واكو) بالولايات المتحدة ويسمونه (الداووديين) نسبة إلى داود الملك. وفي أقرب فرصة أعرض لهذه الفرق بالتفصيل. وأقتصر هنا على أن هذا الفراغ الروحي في الغالب يوجب علينا نحن الشرقيين ألاّ نترك أبناءنا للضياع في هذه الطوائف، وأن نحاول (استقطاب) الغربيين إلى قضايانا، وكما قلت، بعيدا عن المحاولة السافرة لإدخالهم في الإسلام، فإلى لقاء حول هذا الموضوع.

فلسفة التاريخ عند شبنجلر

إسماعيل نوري الربيعي

تمخض عن التطورات التي شهدتها أوروبا، بروز العديد من الاتجاهات الفكرية، التي وجهت عنايتها نحو دراسة القوى المؤثرة في حركة وصيرورة الحضارة الإنسانية. وعني الفلاسفة والمفكرون بالتفكير في المسالك التي يتجهون إليها لبلوغ الحدود المعقولة التي تتيح لهم راحة للضمير واستقرارا للميول والأهواء والاتجاهات. وما كادت الحضارة الصناعية تمسك بخطوط سماتها المميزة حتى برزت للعيان دراسات وجهت جلّ عنايتها نحو استشراف المستقبل، مستنيرة بهدى تضاعف الثروات التي هيأتها الرأسمالية الغربية، من خلال الغزو الذي عمدت إليه لاكتساح الأرض بجهتيها الشرقية والغربية، بفعالية استعمارية أفصحت عن الميول الإفرادية التي قامت عليها حضارة الغرب الأوروبية. وقد تأثر أشد أنصار هذا الاتجاه بالمتغيرات التي أفرزتها والتحولات الكبيرة التي طرأت على طبيعة الحياة الإنسانية من حيث التطور الهائل الذي شمل مكافحة الأمراض والأوبئة والرفاهية التي تسللت إلى حياة الناس، حتى غدت سمة ملازمة لسنن التطور التي أصرّ عليها المتفائلون، على الرغم من محدودية الفئات المستفيدة من هذه المتغيرات. وعلى هذا، صار من الطبيعي أن يصار إلى التركيز على الجهد الذي يمكن أن يبذله الإنسان «الفرد» لبلوغ الأفضل ما دامت الطبيعة تحت تصرفه، وهي الخاضعة لإرادته. وبالتالي فإن «حضارة الصناعة» كفيلة بتوفير ما يمكن أن يستهلكه الإنسان. وكان من أبرز النتائج التي ترتبت على هذا الاتجاه بروز نزعة التجديد، إلى الحد الذي بات الاحتفاء بكل ما هو جديد يأخذ شكلاً من السطحية الملبّدة (بدوغمائية) شديدة التبلد المفتقرة إلى الحس بالواقع. وإلى جانب حالة التفاؤل هذه، ظهرت نزعة متشائمة، كثّفت توجهاتها نحو الأثر الذي يمكن أن تحدثه «حضارة الصناعة» في الضغط على الروح الإنسانية [1].

اجتهد المهتمون بالتاريخ في البحث عن مفهوم فلسفي له يحدد الأطر والمسارات العامة له من خلال دراسة «القوى العامة» المؤثرة فيه. حيث لم يعد التاريخ مجرد سرد حكاية تتحدث عن العصور التي مرت بالبشرية. وقد استطاع بعض المهتمين بفلسفة التاريخ الارتقاء بموضوع التاريخ إلى مستوى «العقل ــ الفكرة»، والتعبير عنه وفق صياغات منطقية؛ الغرض منها بلوغ حدود معقولة من التفسير المقنع لحركة التاريخ. حيث ركز بعض منهم، على مسؤولية الخالق «الله» في تدبير شؤون الخليقة، واضعين الربط الجدلي ما بين الدين والعلم والفن لبلوغ الحركة المثالية للتاريخ، وخير تعبير عن هذا الاتجاه كان للفيلسوف الألماني **«هيجل»**، في حين أن اتجاهًا آخر، تمكن من بلوغ مكانةٍ وسَعَةِ تأثير، عبّر عن الاتجاه المادي للتاريخ، من خلال التأكيد على عناصر الإنتاج في حركة التاريخ، وقد تبنى هذا المنحى **«كارل ماركس»**.

بالإضافة إلى اتجاهات عديدة كثيرة ومتنوعة. وإزاء هذه التعددية في المذاهب التفسيرية، غدا التاريخ ساحة صراع بين **«اليوتوبيا والايديولوجيا»**، **«السماء والأرض»**، **«المثل والماديات»**، حتى تفرعت اتجاهات وتفاسير جديدة، ركزت غرضها في البحث عن الدالة المؤثرة في نشوء الحضارات وموتها. فكان مَنْ أرجع النشوء والانحطاط إلى عوامل بيولوجية، ومنهم من تعمّق إلى الحد الذي أخذ فيه بالجانب المورفولوجي [2] كنظير موضوعي لدراسة الحضارة [3].

من بين الاتجاهات والمذاهب العديدة، برز في مطلع القرن العشرين، المؤرخ الألماني **أوزوالد شبنجلر** [4]، الذي أخذ بالمنهج البيولوجي في دراسته للحضارة، من خلال اعتباره الحضارة تخضع لسنن التطور الطبيعي كما تسري على الكائنات العضوية [5]. وقد ركز جهوده في تقصي سبع حضارات، تتقارب في معطياتها العامة من حيث بروز وتحكم وسيطرة نوع معين من رجال الدين ورجال الجيش والمفكرين. وقد وجد أن الأمثلة الحضارية المنتقاة مرت جميعها بدورة **«النشوء، النمو، النضج، الانحطاط»** حتى إنها متشابهة في عوامل السقوط. وقد أدرج العامل الرئيس في سقوطها إلى «هرم الأمة» وبلوغها مرحلة الكهولة والشيخوخة، وبذلك لا تستطيع أن تواصل مسيرة الحياة.

وقد جرّته هذه الفكرة إلى اعتبار الحضارة مثل الكائن الحي يسري عليها ما يسري عليه، واقعًا في لبس عدم التفريق ما بين الظاهرة البيولوجية والظاهرة الاجتماعية. ولا يمكن لفيلسوف ومؤرخ كشبنجلر أن يقع في مثل هذا الوهم، إلا أنه كان تحت وطأة الخيبة التي كان يمر بها الشعب الألماني، جراء خسارته الحرب العالمية الأولى. ويمكن استشفاف حالة المرارة من خلال استخدامه، مثلاً، لمصطلح الروح، الخاص بالكائن الحي [6].

ولم يفت عليه أن يضع تشريحًا مقارنًا بين التاريخ والطبيعة، ناسخًا الشيء بالشيء، فتارة كان يضع الحضارة تحت منظار التاريخ، ليضع كل أفكاره وتصوراته حول ذلك. وتارة أخرى تحت منظار الطبيعة ليستخلص بالتالي القوانين العامة المحركة والمؤثرة في صيرورة الحضارة [7]. ولم يقف عند حدود المقارنة فقط، بل أسبغ على الحضارة سمات وخصائص تهم الطبيعة «النبات، الحيوان»، حتى إنه أخذ بهذه الخصائص وجعلها لازمة للحضارة بشكل مفرط الحساسية، إلى المستوى الذي جعله يتحدث عن الولادة والشباب والموت، ليلبس كل تفاصيل العملية البيولوجية بفكرة الحضارة. وقدريته الملزمة تلك، جعلت منه يرى في الإنسان عنصرًا مهملاً، واقعًا تحت وطأة المصير المحتوم للحضارة. وهو بذلك يلغي أي دور للإنسان في صنع الحضارة، بل يرى أن الحضارة هي الموجّه للإنسان، وهي التي تدخله في مباهج

فلسفة التاريخ عند شبنجلر

المجد والانتصار، لتسلبه بالتالي كل أكاليل الغار وتُحط منه، ولتجعله منقاداً لتقبّل قدره في الاضمحلال والنهاية (٨).

على أية حال فإن شبنجلر قد أيقظ هاجس الشك، وحذر في كتاباته من الخطر المحدق بالحضارة الغربية. وقال وجهة نظره بشكل مباشر وصريح (٩)، وهو لا يخرج بفكره وفلسفته عن النطاق الحلقي للحضارة. حيث يرى، أن كل حضارة ليست إلاّ حلقة مغلقة، تبدأ بالنشوء، لتنتهي حيث تنطبق الحلقة، «بالاضمحلال». **وعلى هذا فإنه يرصد أربع مراحل تمر بها كل الحضارات الإنسانية؛ «التكوين، النمو، الجمود، فالانحلال»**، وهذا الاتجاه الحلقي في حتمية موت الحضارة وأنماطها الدورية، ما هو إلاّ استعارة من حالات الكائن الحي وأطواره حيث يبدأ بالولادة لينتهي إلى الموت(١٠).

ولم يكتف بهذا الجانب، بل أولج في دراسته العلاقة التبادلية القائمة ما بين الحضارات المختلفة، الناضجة والمتخلفة، حيث عمل على سد الثغرة التي أهملها العديد من المهتمين بدراسة الحضارة، فهو يفصل ما بين التصور العام للتاريخ بوصفه فكرة، والمؤثرات الخارجية التي تدخل على الثقافة وتُـؤَسَّسُ في ضوئها حياة الإنسان الحضارية. وهنا يتم التركيز على الثقافة باعتبارها السمة الأكثر تحديدا للحضارة والأهم تشكيلاً لها، وفق مسار مميّز خاص. ولفهم التاريخ العام أكد **شبنجلر** ضرورة تبسيط الثقافة مع تقدير النظام وإجلاله، للارتقاء بالثقافة إلى مستويات ناضجة. وعلى هذا الأساس، أشار إلى أن التبادل الثقافي المنظم ما بين الحضارات يمثل الدخول الناضج في مرحلة التاريخ. إلا أن هذا التبادل لم يكن يحدث. وعليه يخلص إلى القول بأن هذا العصر هو عصر الضحالة والتفسخ والتدهور، لأنه العصر الذي تصاعدت فيه حمى المنافسة إلى الحد الذي بلغت فيه الأنظمة المختلفة حمى بلوغ المرامي والغايات على حساب الحضارات الأخرى (١١).

إلى جانب كل هذا، رصد شبنجلر الأخطاء العظيمة التي تدمغ التصورات، إزاء أنواع الثقافات التي حملت بين ثناياها موقفها إزاء العالم. وكان هذا الأمر حقيقة كافية للحضارات القديمة وعمق تأثيراتها وبشكل قوي، أعمق بكثير من أية حضارة في هذه الأيام. مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الاعتبارات الشخصية «الإفرادية»، تنقص عادة قدرة التأقلم والتكيف مع البيئة والمحيط. وقد وضع **شبنجلر** نصب عينيه الثقافة الغربية والتي أطلق عليها **«الروح الفاوستية»**، مسقطًا من حساباته اتجاهات المعارضين، واضعًا إصبعه على بعض الديناميكية والتفجر، التي تمثل وشائج الثقافة وتعطيها النمو والتجدد والابتكار (١٢). إلا أن هذا التجدد منوط بميكانيكية الحضارة الغربية، والتي يعتبرها حسب تعبيره من العلامات المنادية بموت الحضارة الغربية المعاصرة. وهو في عرضه لأية حضارة إنسانية، كان يوجّه نقده إليها جميعًا، حيث يشير إلى أن ضعف الحضارة وحتمية موتها، تنبع من ترهل عنصر القوة الرئيس الذي يدفعها لإتمام دورتها الحضارية (١٣).

عني شبنجلر بدراسة الحضارة بصورتها الكاملة، حيث ركز جهده على السمات الكلية للمجتمعات، وجعل منها الوحدات الرئيسة للدراسة التاريخية. ولم يغب عن باله التعادل القيمي للحضارات المدروسة، أي إنه لم يتحيز إلى حضارة دون أخرى ولم يميز بينها، إذ اعتبرها جميعًا ذات أثر واحد في صيرورة وتكوين الحضارة البشرية. وكان شغله الشاغل منحصرا في حالة النمو والتطور التي شهدتها المجتمعات من بدائية سكونية راكدة حتى دخولها في مراحل النشوء والرقي والنضج (١٤). وهي لديه ظاهرة «اجتماعية» يشترك فيها الناس الذين يؤلفون الوحدة الاجتماعية الكبرى. لاعتبارات روحية ونفسية مميزة يتلخص فيها التشكيل الحضاري، من فن ودين وفكر وسياسة وعلوم، لتبرز الخصائص وفق تحديد خاص للمظاهر الحضارية. وعلى هذا فلا توجد حضارة تشبه الحضارة الأخرى، إنما يمكن أن تتعاصر حضارتان. وهو إذ يدرج السمات العامة لكل حضارة على حدة، فإنه يعبّر عن رصد دقيق وحاذق، مبتدئًا بالوصف العام للحضارة، أي البصمة المتفردة لها، من خلال متابعة خصائصها على أساس المظاهر العامة. إذ يطلق وضعًا شاملاً للحضارة اليونانية حين يدعوها بالأبولونية.

ويصف الحضارة الإسلامية بالسحرية، والغربية بالفاوستية. ومنطلقه الرئيس في وضع هذه التصانيف والأوصاف، نابع من تحديد الروح العامة للجماعة البشرية، مع تحديد السمات الأساسية التي تنفرد بها كل حضارة عن الأخرى، حيث تتخذ كل حضارة مسارها في نمطها الدوري بمعزل عن تأثير الحضارة السابقة لها. أما أن تقوم على أنماطها ومظاهرها فهذا خطل لا يمكن الخوض فيه. ويورد **الدكتور أحمد محمود صبحي** مثالاً حول انتقال أحد عناصر الحضارة إلى إحدى الحضارات المختلفة. فحين انتقلت الديانة البوذية من الهند إلى الصين، استوعبتها الثانية بما يتلاءم والقيم السائدة في مجتمعها، بحيث كيّفتها وفق المعايير والمفاهيم السائدة لدى الحضارة الصينية، فأسبغت عليها الروح الصينية (١٥).

لقد آمن شبنجلر بقوة في المكونات الثقافية الخاصة بكل حضارة لاعتبارات روحية، تتعلق بسمات وخصوصية المجتمع الذي أنتجها. وهو يربط بين عناصر التكوين الثقافية التي يعتبرها الثقل الرئيس في إنتاج المعطيات الموضوعية للحضارة وعناصر النهاية، وفق صياغات المذهب الدوري (١٦). ونظرته المتشائمة جاءت عبر نبوءاته التي توصل إليها عن طريق تحليل عناصر الحضارة، ووضع لذلك الأدلة والبراهين. وفي خضم دراسته، أعلن عن ضرورة إحداث ثورة «كوبرنيكية» (١٧) للانطلاق في دراسة جديدة لتاريخ الحضارات. وقد استعار هذا المصطلح، للتعبير عن فكرة ألحت عليه، تمثلت في **أنه لا توجد حضارة مركزية تدور في فلكها الحضارات الأخرى. ولا يمكن الشروع في دراسة أية واحدة منها، وفق اعتبارات سابقة وتصورات جاهزة. بل إن كل حضارة تحتل الأهمية والدور بشكلٍ مساوٍ للأخريات.**

وأكد ضرورة الخروج من الإطار التقليدي الذي انشغل به المتابعون لدراسة التاريخ العام والاعتقاد الراسخ حول تقسيمه إلى: قديم ووسيط وحديث. ولقد تشكلت لديه هذه الرؤية من خلال المذهب الطبيعي الذي آمن به وعمل وفق هداه. ورفض التأويل السائد والشائع لدى فلاسفة الغرب حول التاريخ. وقد وجد أنه من السذاجة بمكان الانشغال بتوجهات المذاهب وتطلعاتها «رجعية - تقدمية». حيث نادى باحترام الجانب الموضوعي من التاريخ، ولم يعتقد بالتحديدات النهائية للحضارة[١٨]. واستل الصفات الفيزيائية والبيولوجية للطبيعة ليعقد قياسًا تمثيليًا لديناميكية الحضارة. مؤكدًا تصوير الثقافة «بعقل كبير الحجم واسع الأبعاد»، كونه يمثل مجموع عقول الناس «عنصر الحضارة ومادتها»، وعلى هذا يخلص إلى القول إنه من العسير على أصحاب ثقافة ما فهم ثقافة حضارة أخرى. ويشير ويدجري إلى التناقض الذي وقع فيه شبنجلر، من حيث اعترافه بتأثر ثقافة أية حضارة لاحقة بالحضارات السابقة لها [١٩].

إن لازمة التأثر بالعامل الخارجي، تعد من

”
يمكن أن تتعاصر حضارتان ولكن لا يمكن أن تتشابها
“

السمات الرئيسة لفلسفة شبنجلر حول الحضارة، فلا تبرز وتتسق حركتها ما لم يكن كل ما حولها يتخبط في الفوضى والارتباك. وهي في نظره نسق روحي يفرض النظام ويترك على ما حوله بصمته المميزة. وعلى هذا فإن تفجر عناصر الإبداع الحضارية «لغة، دين، علوم، فنون» هي الكفيلة بسيادة الحضارة وبروزها. وعادة ما تكون «القوة» هي الوسيلة الرئيسة في تحقيق هذا الغرض، كونها مستمدة من انسجام الوحدات الحضارية.وتناغم عملها وفق أداء تصاعدي، يكفل لها التفوق على كل ما حولها [٢٠]. ولا تكون إشاراته محدودة على الوسط المتخلف فقط، بل يتعداه إلى سيطرة حضارة قوية ناشطة حيوية شابة، على أخرى أكثر عراقة منها. إلا أنها هزمت أمامها. وهذه الهزيمة في رأيه لا تعني الموت النهائي للحضارة، بقدر ما هي حالة من التكيف، فرضتها عوامل القوة المتاحة للحضارة الجديدة لتواصل الحضارة المهزومة دورة حياتها في كنف ثقافة المنتصر. إلا أن عناصر التشكيل الرئيسة لها ومقومات الإبداع تبقى كامنة فيها. فعلى سبيل المثال، بقيت الثقافة الشرق أوسطية تعبر عن ذاتها، وفق رؤاها الخاصة، لا سيما في مجال الدين، حيث ظهر التصور الخاص بالروح الشرقية كما ساد من اعتقاد لدى الكنيسة الغربية في أوروبا[٢١].

حالة التناظر قائمة في فلسفة شبنجلر، وهي تسري على جميع الحضارات وفي مختلف العناصر الحضارية. وهو يعمد إلى المقارنة بين الحضارات المختلفة لتوكيد ما يرمي إليه، ما دام يخضع التاريخ للتفسير البيولوجي. ويشير إلى أهمية التناظر في أنه يحقق الكشف عن المعلومات عن طريق «إعادة تركيب الماضي» ومن خلاله يمكن تحديد التنبؤ العلمي والدقيق للمستقبل، كما يوفر الاستعداد الكامل، لاستقبال الأحداث المهمة الكبرى في مسيرة الحضارة المعاصرة[٢٢].

الهوامش

(١) روي بورتر، تاريخ الزمان، مستشار التحرير، كولن ولسن، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة، ١٥٩، آذار، الكويت ١٩٩٢م، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) المورفولوجيا: فرع من علم الأحياء يأخذ بدراسة بنية الكائن الحي وشكله.

(٣) أقدم فيكو على تشبيه الحضارة بالكائن الحي من خلال رد أسباب القيام والانحطاط إلى عوامل بيولوجية وكذلك العالم العربي المسلم ابن خلدون ونيكولاي دانيليفسكي ١٨١٢ - ١٨٨٥م، ولامبرخت صاحب مذهب التحليل الحضاري.

(٤) أوزوالد شبنجلر ١٨٨٠ - ١٩٣٦م، ولد في بيانكبورك الألمانية، ويعد من الباحثين المجددين في مجال فلسفة التاريخ، درس في جامعات ميونخ، برلين، وهالة، حيث تلقى دروس العلوم الطبيعية والرياضيات، وبذل جهدًا واسعًا في الاطلاع على التاريخ والآثار الأدبية. وقد حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٠٤م في موضوع هيراقليطس. وبدأ العمل بالتدريس في مدرسة عالية. عام ١٩١١ هجر التعليم ليتخلص من معاناة الفقر خلال تدريسه في مدارس ميونخ الفقيرة. عمله الأهم «تدهور الحضارة الغربية» أخذ شكله بصورة تدريجية، حيث عثر على جزئه الأول عام ١٩١٨م، خلال الخيبة التي نالت بلاده في نهاية الحرب العالمية الأولى. وكان عمله ضاجًا بالاستنتاجات المتشائمة، وكانت خير تعبير عن الموجة السائدة في تلك المرحلة. وقد عاش حياة قصيرة من الشهرة له ولمؤلفه، انظر:

Encyclopedia Society

(٥) وجهة النظر هذه تقارب ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون، إلا أنه حصر نطاق دراسته في الحضارة الإسلامية.

(٦) د. حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، مجلة عالم الفكر، المجلد ٥، العدد الأول ١٩٧٥، ص ١٠٣.

(٧) د. عبد العزيز الدوري، فلسفة التاريخ، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢، العدد الثاني ١٩٧١م، ص ٣٧٩.

(٨) بويس، مستقبل الحضارة، ترجمة لمعي المطيعي، القاهرة ١٩٦١م، ص ٨٠.

(٩) Patrick Gardiner, The Nature of Historical Exploration, Oxford 1968 - P. 57.

(١٠) محمد الطالبي، التاريخ ومشاكل اليوم والغد، مجلة عالم الفكر، المجلد ٥، العدد الأول ١٩٧٥م، ص ٣٥.

انظر أيضًا:

Sidrey Hook, The Hero in History, Boston 1969, P.P. 138 - 139.

(١١) Z William Debbins, Essay in the philosophy of Hisotry R.G. Collingewood, Tesal 1966. P.66.

(١٢) Halrudan Kaht, Drarring Forces in History, Harvard 1964. P. 20.

(١٣) ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٠٦.

(١٤) منح خوري، التاريخ الحضاري عند توينبي، بيروت ١٩٦٠م، ص ١٠٣.

(١٥) **د. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، منشورات الجامعة** الليبية، د.م.و.ت، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(١٦) David L. Sills, International Encyclopedia Social Services, vol. 15. London 1972. P. 128.

(١٧) نسبة إلى عالم الفلك الهولندي كوبر نيكوس.

(١٨) Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards, V. 7, London 1972. P 528.

(١٩) ويدجري، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

(٢٠) Karl Popper, The Poverty of History, London 1961, PP. 110-111.

(٢١) Northop, Ideologic Differences and World Order, Studies in the Philosophy and Science of the Worlds Cultures, U.S.A. 1963, P.P. 430-431.

(٢٢) د. أحمد محمود صبحي، المصدر السابق، ص ص ٢٥٠ - ٢٥١.

خُطورة الصِّياغة القوميّة الإقليميّة للتاريخ

بقلم: د. زكريا سليمان بيومي

على الـرغم من الحرص الذي قـد يبدو على بعض كتـابـات المفكرين والمؤرخين في المشرق العـربي حول تأكيـد الترابط بين الشعوب العربيـة والإسلامية، إلا أن الصياغـات القومية الإقليمية لتـاريخ وثقافة كل إقليم على حدة والتي تـرسخها مناهج التعليم في كل إقليم أو قطر من الأقطار العربية قد أسهمت ـ وما زالت تسهم ـ في أن تجعل من ذلك الترابط أمرًا بعيـد المنال. بل إن بعض هذه الصياغات، وما نتج عنها من تمزق الموروث الثقافي الموحد، قد أصبحت عقبـة أمام تحقيق أي لون من ألوان التلاقي أو التوحد، وبالتـالي أصبحت تمثل جزءًا مهمًا من أزمة التكوين الثقافي للعقل العربي بهويته العربيـة القومية أو هويته الإسلامية، كما أن المحاولات المتعاقبـة لتعميق الأطر القومية تاريخيا كانت على حساب الفترات التـاريخية التي عاشتها شعوب المنطقة في إطار الدولة الواحدة وبهويتها الإسلامية.

ولا شك أن لذلك مردودًا عكسيًا على فكرة الوحدة وإطار الانتماء، فضلا عن أن اختـلاف المنظور الفكـري الذي تصـاغ بـه المناهج القـومية بين الـدول والكيانـات السياسيـة العربيـة والإسلاميـة قد أدى ــ وما زال يـؤدي ـ إلى أثـر يعاكس فكرة الـوحدة ببعدها العربي أو الإسلامي، وكذلـك يندر احتواء هذه الصياغـات على ما يسـاعد على التعرف على حيـاة وقضايـا الشعوب العـربية والإسلامية، ولـم يعد حتى المثقف العربي يعرف من أخبار هذا العالم سوى ما تسمح به وسائل الإعلام ومن خلال التعليق على بعض الأحداث الطارئة، **فلم تكن أفغـانستان أو البـوسنة والهرسـك أو أذربيجان وطـاجكستان وغيرهـا من الدول الإسلامية معروفة لكثير من المثقفين أو حتى المتخصصين في العالم العربي إلا في أعقاب الأحـداث السياسيـة الأخيرة ووفق توجهـات وتوجيهـات وسائل الإعـلام، وما زالت الكثير مـن الدول والقـوى والأقليـات الإسلاميـة بل وربما العربية مثل جيبـوتي وأرتريا وجزر القمـر وموريتانيا مجهولـة لأصحـاب الثقافة العربية والإسلامية الموجهة.** وإذا كان الغلّو القومي في الأطر الإقليمية العربية المحدودة له تأثيره على الإطـار القومي العربي العام، فإن الغلـو القومي العربي كان وما زال له تأثيره على الإطار الإسـلامي حيث أسهم في إيجاد نزعة العصبية التي أوجـدت العداء بـالشكل الذي نـراه اليوم بين العـرب وإيران، والعـرب وتركيا، وإيران وتركيا وغير ذلك.

ولعل من أبرز الأمثلة الدالـة على أثر الصياغـة القومية للتاريخ تناول بعض المؤرخين ـ الليبراليين واليساريين على السواء ــ لعصر محمد علي في مطلع القرن التاسع عشر، فقـد جعلوا من هذا العصر بـداية مـرحلة جديـدة من التطور أو التنـوير لارتبـاطه بـالحضارة الغـربية وسعيـه للاستفـادة من معطياتها والأخـذ بأسبابها في تحديـث المجتمع المصري، كما فسر هذا البعض من المؤرخين تـوليه ولايـة مصر بنـاء على ترشيـح مشايخ الأزهـر لـه بأنـه كـان تعبيرا عن النضج السياسي الذي أسهمت في إيجاده الحملـة الفرنسية، بل وإبرازًا لشخصية مصر القـومية. ولــم يحاول أي من هـؤلاء المؤرخين مع اختـلاف منظورهم الفكـري إدراك ـ أو توضيح ـ البعد الصليبي العدائي للحملة الفرنسية على مصر والشرق الإسلامـي، وطبيعة الدور الـذي أداه محمد علي، وأبعـاد المخطط الاستعماري الذي أسهـم في إيجاده ثم في مساندتـه، ودور المحفل الماسوني الـذي أُسّس في مصر على يد قادة الحملة الفرنسيـة ونجاحه في تحريك الأحداث. وقد دعتهم هذه الصياغـة التي اعتبروها دربا من دروب ترسيخ البعـد القومي في مصر إلى إهمال اعتداءات «محمـد علي» على الدعوة السلفيـة في الجزيرة العـربية، بل إن بعضهم قد علّل هذا الموقف بتعليل أكثر خطـورة في أثره، وهو أن «محمد علي» كـان ينفذ أوامـر الخليفة العثماني دون تـوضيح تـوافق هذا مع أبعـاد السياسـة البريطانية الصليبيـة الماسونية بكل أطماعها ــ والتي شكلت أطماعُه الشخصية جزءا منها ـ في المنطقة.

وعلى الجانب الآخر يبدو التباين واضحًـا في كتابات المؤرخين السعوديين ـ ومعهم بعض أتباع الاتجاه الإسـلامي ـ تجاه هـذه الفترة، فتعتبر مقاومـة هجوم «محمد علي» ــ بما يمثله من عـداء للإسلام والمسلمين ــ من أبرز مـراحل البناء الـوطني للدولـة السعـودية، كما يعـد الذين ضحـوا بأنفسهم في هذه المرحلـة شهداء بالبعد الإسلامي الذي تمثله الدعوة السلفية والبعد الوطني في بناء الدولة السعودية.

ولكم هـو منافٍ للحقيقــة وبعيـد عن الموضـوعية أن يحكم بعض هـؤلاء المؤرخين على دور «محمد علي» بمصر فيصف جيشـه بالجيش المصري. في حين كان هذا الجيش في الغالـب فرنسي القيادة، إنجليزي التسلح، نصرانيّ ويهودي

الهوية، استعماري الهدف وبالشكل الذي يتفق مع وصف بعضهم له بأنه كان حملة صليبية ضد قوة إسلامية ناهضة. وإذا كان القصد من وراء ربط دور «محمد علي» بمصر يرمي إلى إثارة العداء بين الشعب المسلم في كل من مصر والسعودية على المدى البعيد فإن السذاجة أو سوء القصد قد دفع ببعض كتبة التاريخ - ولا أقول المؤرخين - إلى صياغة هذا الدور في إطار من التباهي العرقي المستفز مما كان - وما زال - له الأثر السيىء في عوامل التلاقي والترابط الذي تمثله الهوية الإسلامية، بل إن بعض هؤلاء الكتاب - وبتحدٍ وافتراء على الحقيقة - قد وصفوا دور «محمد علي» بأنه كان محاولة لتكوين وحدة عربية دون أن يتصوروا ما كانت ستصبح عليه قوة الكيان الإسلامي لو اتحد مع القوة الإسلامية في جزيرة العرب، وسعى إلى تقوية دولة الخلافة بدلا من محاربتها وإضعافها وتمزيقها، ووقف الجميع أمام الأطماع الاستعمارية، بل ودون إدراك أن المنطقة كانت موحدة قبل وجوده وأنه هو - ومن خلال دوره - الذي مزقها وفتتها وهيأها للاستعمار الغربي، بل إنه يعتبر في هذه المحاولة التي قصد بها - وساعده أو دفعه إليها الاستعمار - إضعاف الهوية الإسلامية وإحلال الهوية العربية القومية مكانها آثما حيث كان في ذلك لا يعبر عن رغبة أو مصالح شعوب المنطقة، ولا حتى عن الرغبة في إيجاد وحدة في أي إطار بقدر ما كان يعبر عن أطماع شخصية.

وهناك أمثلة أخرى تؤكد تجاوزات الصياغة القومية الإقليمية للتاريخ في الأقطار العربية، فتركز أغلب هذه الصياغات على زعامات محلية في إطار سعيها لفرض الهوية القومية دون التعرف على زعامات عربية أو إسلامية في أقطار أخرى، **فنادرا ما يعرف الدارسون من غير بعض المتخصصين شيئا عن حركة الجهاد الإسلامي التي قام بها الأَخَوَان «خير الدين» بربروسا وأخوه «عروج» ضد الهجوم الصليبي البرتغالي الأسباني في البحر المتوسط في مطلع القرن** السادس عشر، بل إن ما يعرفه - أو يتناقله - بعض من المتخصصين حول هذا الدور ينطوي على تشويه له، حيث عُرِف هذان الأخوان بالقراصنة. وهي صفة أطلقها عليهما المؤرخون الأوروبيون تشويها لدورهما. وفي الوقت نفسه يعتبر المؤرخون الجزائريون أن دور هذين الأخوين يعد جزءا مهما في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ومع أن هذه الصياغات في أغلبها لا تعطي هذه الحركة قدرها الحقيقي بمعايير موضوعية إلا أن قصر دورهما على كونهما قراصنة في نظر بعضهم، أو مجرد زعماء وطنيين في نظر بعضهم الآخر يعد تشويها لطبيعة الدور وحقيقة الهوية، **فالأخوان كانا من مسلمي العثمانيين في جزر الأرخبيل وكانت أهدافهما هي الدفاع عن الإسلام والمسلمين بشكل عام، وبالتالي فهو دور لكل المسلمين ولا يخص إقليما أو قطرا بعينه، وهويتهما الحقيقية هي الهوية الإسلامية وليست هوية قومية أو وطنية فقط.**

وعلى جانب آخر فإن **دور القواسم في الخليج الإسلامي (العربي) كان يمثل في كثير من فتراته حركة جهاد إسلامي ضد الأطماع الاستعمارية في الخليج، وبخاصة بعد أن انضموا إلى الدعوة السلفية في جزيرة العرب.** ويندر وجود هذا الدور في المناهج التعليمية أو غيرها من وسائل التثقيف أو التعليم في الأقطار العربية التي أصبح أغلبها يبتعد عن دعائم الهوية الإسلامية، كما أن معرفة بعض المتخصصين لها يربط هذا الدور برأس الخيمة والتاريخ القومي لدولة

○ الكتابات عن حرب الخليج أكدت حقيقة مايعانيه العقل العربي من فقدان الهوية

الإمارات العربية، وفي هذا تقليل من حقيقته، **فرأس الخيمة كانت محطة الانطلاق، والدرعية وما حولها كانت مراكز الإمداد بالمجاهدين، وبالتالي فإن هذا الدور يعد رصيدا تاريخيا لكل العالم الإسلامي** وليس من الموضوعية حصره في إطار صياغة قومية إقليمية.

ومن الأمثلة التي تشير إلى قدر التجاوزات للصياغات القومية الإقليمية كذلك تناول هذه الصياغات لقضية فلسطين، فعلى الرغم من التعاطف والحماسة اللذين يبدوان حول هذه القضية، والإعلان عن أنها قضية العرب والمسلمين الأولى، فإن الكثيرين من أبناء الشعوب العربية الإسلامية مازالوا يجهلون دور كثير من الشهداء والمجاهدين من أجل هذه القضية مثل الشيخ «**عز الدين القسام**» الذي ولد في سوريا وتعلم في مصر واستشهد في فلسطين، في حين تهتم بعض الصياغات التاريخية بشخصيات وعناصر كانت تعمل لحساب المخططات الماسونية اليهودية، بل إن بعض هؤلاء الكتاب قد جعلوا من هذه الشخصيات - تحت قناع شعارات مغرضة ومزيفة - مفكرين وطنيين بارزين مثل أديب إسحاق وسليم نقاش ويعقوب صنوع وغيرهم. والأدهى من ذلك أن بعض كتبة التاريخ في بعض الأقطار العربية قد انساقوا وراء ما روّج له بعض المؤرخين اليهود والأوروبيين من أن أبناء الشعب الفلسطيني قد باعوا أرضهم لليهود وأنفقوا ثمنها في أماكن اللهو ودور البغاء دون أن يقدموا دلائل تؤكد صحة ما ذهبوا إليه، والحقيقة أن بعض الحالات التي تشير إليها الوثائق في هذا الجانب كانت حالات فردية محدودة، وأنها حدثت بسبب تعرض أصحابها لضغوط وتضييق السلطات الاستعمارية والعصابات اليهودية، ولم تشكل هذه الحالات ظاهرة عامة في أي منطقة من الأرض الفلسطينية ولا أي فترة من فترات التاريخ الفلسطيني.

كما أن بعض الصياغات القومية حين تتعرض لموقفها القومي تجاه القضية الفلسطينية تحاول أن تضعها في قالب المواقف البطولية والوطنية أكثر من اعتبارها واجبا مقدسا تفرضه وحدة الهوية. كما أنها في تعرضها لمواقف الشعب الفلسطيني ضد الدولة اليهودية تحاول أن تملأ فراغ موقفها بشعارات ونداءات الإدانة أو التأييد النظرية التي قد تقل عن مواقف قوى أخرى خارجية، وهو أمر له تأثيره على البعد الثقافي وتمزيق الهوية.

والذي يراجع معالجة الصياغات القومية لمشكلات الحدود بين أقطار المشرق العربي الإسلامي يدرك مدى ضعف الإطار العربي وتمزق الهوية. ولكون الحدود السياسية من صنع الاستعمار الأوروبي وحده حيث لم تكن موجودة في

خطورة الصياغة القومية الإقليمية للتاريخ

ظل الدولة الإسلامية الواحدة حتى الخلافة العثمانية، فإن الدول الاستعمارية بالتالي تملك فتيل الحرب من خلال تحكمها وتملكها لوثائق الحدود التي يسعى إليها الطرفان المتنازعان، ولا شك أن الحرص على الوثائق رغم إدراك مصدرها، والسعي لتأكيد الحق وفقها وبالشكل الذي قد ينذر بقيام حرب يؤكد - إلى جانب التبعية واللاوعي - غلبة القومية الإقليمية المحدودة على طبيعة الهوية ببعدها العربي الإسلامي.

كما أن تناول الصياغات القومية الإقليمية لقضية الوحدة وتحديد الهوية قد تركت أثرا عكسيا بدءا من تناولها بفترة الجامعة الإسلامية وحتى سقوط الخلافة الإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر حيث انساقت وراء آراء المؤرخين الأوروبيين الذين فرضوا الصياغة القومية للفكرة ففسروها بأنها كانت تعبر عن رغبة الخليفة في إخضاع الشعوب الإسلامية للهيمنة التركية وحكمه الاستبدادي وغير ذلك من محاولات التشويه. ومرورا على تجارب الوحدة التي تمت بشكل محدود بين بعض الأقطار العربية كوحدة مصر وسوريا، ووحدة مصر وسوريا وليبيا، ومصر والسودان وغير ذلك، وتركت هذه الصياغات - التي ركزت على صراع الأنظمة السياسية ودعاة السلطة دون مراعاة رغبات ومصالح الشعب - رصيدا أدعى إلى التشاؤم منه إلى إمكان الإقدام على تجارب أخرى مما يسهم في الانغماس في مزيد من الإقليمية القومية على حساب مساعي الوحدة وتحديد الهوية.

وكانت النظرة للموارد الاقتصادية العربية قومية إقليمية محدودة خلت من طرح ما يعين على إطار عربي عام للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وخلفت هذه النظرة ما أسهم في إثارة الأحقاد نتيجة للتعصب القومي الضيق، مما أدى إلى الاندفاع نحو التبعية للقوى الخارجية والمعاناة من المديونية لهذه القوى، والاكتفاء بالحصول على ما أمكن من وسائل التحديث أو الترفيه البعيد عن الوعي. وإذا كانت حرب الخليج نتيجة من نتائج الغلوّ القومي المحدود فإن تناول الكتّاب لها من نفس المنظور قد أكد حقيقة ما يعانيه العقل العربي من التمزق وفقدان الهوية، بل إن نتاج هذا التناول بالقطع سيسهم مستقبلا في زيادة الانغلاق القومي الإقليمي على حساب الهوية العربية القومية مهما كان حجم المنظور الفكري أو الأبعاد الاستراتيجية المحلية أو الدولية التي أحاطت بهذا الحدث أو غيره من أحداث مماثلة بدءًا بالدور المصري في اليمن، ولا شك أن ذلك يفرض - أو يهيء المناخ - لمحاولات العودة للهوية الإسلامية التي يلجأ إليها الزعماء القوميون حين يتعرضون لهزات سياسية طمعا في تأييد الشعوب.

وبشكل عام فإن الأبحاث التاريخية في أغلب الأقطار العربية قد اتخذت مسارا غريبا في السنوات الأخيرة، فتحت غطاء التخصصية الدقيقة، وأمام كثرة أعداد الباحثين، وما تفرضه لوائح وأنظمة فرضت من خلال المؤسسات التعليمية، ابتعدت أغلب هذه الأبحاث عن روح المنهج العلمي، وخضعت لتوجهات وتوجيهات فكرية وسياسية، بوعي أو بغير وعي، نتج عنها تأثير معاكس على البعد الثقافي العربي كمقوم مهم من مقومات التلاقي، وأسهمت كذلك في تمزيق مقومات الهوية ببعدها العربي الإسلامي.

فعلى سبيل المثال ظهر العديد من الأبحاث عن عصور الوحدة الإسلامية أو سيادة الهوية الإسلامية بعناوين مختلفة لا تعكس الواقع الموضوعي التطبيقي الملزم لباحث التاريخ، فحملت هذه الأبحاث عناوين مثل «العراقيون في مصر في عصر ....، المصريون في العراق في عصر ....، المغاربة في مصر ....، دور البربر ....، العرب والبربر في ....، حضارة العرب في الأندلس، العلماء الحجازيون، مصر للمصريين، مقاومة العرب للصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي، فتح العرب للأندلس، وغير ذلك. ولا شك أن مثل هذه الأبحاث والدراسات تسهم في إثارة نعرة قومية محدودة في محاولة لفرض الهوية القومية على عصور خلت من أي مقومات لهذه الهوية، فلم يكن هناك في عصر الدولة الإسلامية الواحدة حتى نهاية الخلافة العثمانية ما يمكن وصفه بالعراقي أو المصري أو البربري أو الحجازي أو المغربي أو حتى العربي بشكل عام، وكان التنقل والتزاوج والتملك والإقامة والعمل والاستقرار أمورًا لا تحدها ضوابط على المسلمين أو على الأقليات غير الإسلامية على السواء كما أن التحديد الجنسي بين العربي والبربري والتركي والفارسي وغير ذلك قد أذابته مبادئ الإسلام والهجرات والتنقلات حتى على غير المسلمين، وبالتالي فإنه من غير الصواب استخدام هذه التحديدات في أبحاث تاريخية موضوعية، فالذين دخلوا مصر فاتحين هم المسلمون وليسوا العرب، وليس أقباط مصر هم النصارى وحدهم بل هم المسلمون أيضا، والذين فتحوا الأندلس هم المسلمون وليسوا العرب، وصلاح الدين الأيوبي لم يكن زعيما عربيا بل كان زعيما مسلما ولد في كردستان وغير ذلك، ومثل هذه الأبحاث غير الموضوعية هي تعبير عن الوعي المغرض واللاوعي المؤسف وفقدان الهوية الذي جاء نتيجة - مقصودة - للصياغات القومية.

وما زال الاهتمام بالوثائق والمراجع الأجنبية قبل - أو فوق - غيرها من الوثائق والمصادر في معالجة قضايا التاريخ العربي الإسلامي يمثل الصنم الأكبر في معبد الدراسات التاريخية الملحد، وإن كان هذا لا ينفي تقدم وسائل البحث ومناهجه في الدول الأجنبية وبشكل لا يوجد له مثيل حتى الآن في الأقطار العربية الإسلامية، وكذلك لا يعني إهمال الأخذ بها ولكن في إطار من الحذر والحيطة الكاملة في تحليل أبعادها والتأكد من صحتها وهدفها وتوجهاتها.

وتجدر الإشارة إلى جانب مهم يتصل بانتقال الباحثين من إطار الثقافة الموسوعية إلى الثقافة التخصصية الضيقة كجزء من الصياغة — أو النظرة - الإقليمية القومية للدراسات الإنسانية، فعلى الرغم من الآثار الإيجابية الهائلة التي نتجت عن التخصص الدقيق في فروع المعرفة كافة وهو ما تتسم به حركة التقدم في إطار العلوم التجريبية وما صحبها من تقدم واضح وتغير مذهل، إلا أن ذلك قد جاء بمردود مغاير في إطار بعض العلوم الإنسانية وبخاصة في أقطار الشعوب العربية الإسلامية.

فعلى سبيل المثال ما زال الكثير من المتخصصين في فروع اللغة العربية مبهورين بالمعجم العربي «**محيط المحيط**» الذي أعده **بطرس البستاني** والذي

لابد من منهج علمي قويم يستوعب قضايا العصر وتغيراته للحاق بالركب الحضاري

أمضى فيه سنوات عديدة، ولا شك أنه يستحق الإعجاب والتقدير، إلا أن النظرة الثقافية الشاملة تفرض ضرورة الإلمام بالظروف التي أحاطت بإعداده والهدف منه، فالبستاني كان من نصارى لبنان الذين درسوا في الأديرة ووفق توجهاتها، وأكمل تعليمه من خلال الإرساليات التنصيرية وبخاصة الإرساليات الأمريكية التي لم تكن تقتصر مهمتها على التعليم فقط، وقد رمى بعمله هذا، وكذلك إسهامه في بعض أعداد دائرة المعارف العربية، إلى إثارة النعرة القومية العربية التي قصدت بها المحافل الماسونية ـ التي كانت هذه الإرساليات جزءا منها، وكان البستاني أحد المنتمين إليها ـ تمزيق الإطار الإسلامي الموحد الذي كانت تمثله الدولة العثمانية.

وكذلك فإن شعر **محمود سامي البارودي** الذي التزم وحدة القافية في شعره وانتصر للغة العربية الفصحى بعد أن بدأ العديد من محاولات الدعوة إلى العامية التي رأى فيها بعضهم وسيلة لإثارة الجماهير ضد النفوذ الأجنبي، واتساع نطاق الحركة الوطنية متأثرين في ذلك بما لمسوه في أوروبا من التمرد على اللاتينية لصالح اللهجات المحلية التي أصبحت لغات قومية. وقد لقي هذا الاتجاه من البارودي استحسانا من الدارسين لانتصاره للغة القرآن إلى جانب الصورة البلاغية وحسن اختيار الألفاظ وسلاسة التعبير التي اتسمت بها قصائده. ولكن نظرة شمولية للبارودي توضح انتماءه للمحافل الماسونية، وأنه بشعره كان يخدم أهم أهدافها وهو إثارة النعرة القومية العربية التي كانت ضرورية لفصم عرى الترابط الإسلامي، وكانت الدعوة إلى العامية بما تعنيه من زيادة التمزق إلى كيانات قومية إقليمية أصغر خطوة لاحقة لفصل العرب عن الترك وضرب دولة الخلافة.

وعلى نفس القدر كان **عبد الله النديم** الذي مازال كثير من المتخصصين القوميين يرونه على أنه خطيب الثورة العرابية وصاحب الصوت المؤثر والقلم القوي في إثارة الجماهير خلف عرابي وضد النفوذ الأجنبي في مصر، ولا يستطيع أحد أن ينكر عليه هذا الدور الوطني، إلا أن انتماءه إلى المحافل الماسونية وتأثره بتوجيهها الداعي لتجسيد البعد القومي ـ لا الوطني ـ ومن خلال ثقافات مغرضة من خلال مسرحيات مترجمة مثل **«زعيط ومعيط»** و **«الشيخ متلوف»** وصحف ممولة وتركيز على العامية وغير ذلك كلها أمور ما زالت تستوجب إعادة تقويم.

وعلى نفس النسق ينبغي إعادة النظر في أمور كثيرة حوتها الصياغات القومية للكثير من العلوم النظرية وحول بعض المفكرين من أمثال **عبد الرحمن الكواكبي وشكيب أرسلان وأحمد شوقي** أمير الشعراء **وطه حسين** وغيرهم ممن أسهمت في إبرازهم المحافل الماسونية كجزء من الحملة على التراث الإسلامي والسعي لربط الشرق بالحضارة الأوروبية بعد أن يفقد الثقة في رصيده وقدرته الحضارية، كما أن ذلك كان على حساب إغفال كتاب ومفكرين لم يسايروا الركب الموجه الذي يسيطر على وسائل التأثير سياسية كانت أم فكرية.

وتبع الاتجاه إلى الصياغات الإقليمية التركيز على دراسات وتخصصات جديدة تمثلت في فروع دراسة الآثار المتعلقة بالحضارات القديمة، وعلى الرغم من إمكان الإفادة من هذه الدراسات وبخاصة إذا ما عنيت بالكشف عن أساليب وسبل التقدم الحضاري والجوانب العمرانية وأساليب حياة الإنسان وما يحيطها من أمور، إلا أن المنهج الذي يتناول به الدارسون هذه التخصصات، وفي ظل نزعة قومية تشمل الصياغة والهدف والتوجه وغير ذلك، هذا المنهج يسعى إلى تحديد أو فرض هوية جديدة للشعوب الإسلامية تكون على حساب الهوية الإسلامية أو حتى العربية. ومن هنا يمكن تفسير عناية القوى الغربية المعادية للعالم الإسلامي بهذه الدراسات والآثار القديمة، فقد كانت محل عناية الحملة الفرنسية على مصر والشرق الإسلامي حيث اهتم علماؤها بالآثار المصرية واللغة المصرية القديمة وحاولوا الترويج لها. وكانت هذه الدراسات المحور الرئيسي للبعثات المرسلة من الشرق الإسلامي منذ **رفاعة الطهطاوي** وحتى تاريخنا المعاصر.

وبشكل عام فإن عجز الأنظمة القومية العربية، ومن خلال هذه الصياغات، عن الحفاظ على الوحدة الثقافية التي ظلت تربط بين شعوب المنطقة طوال العصور التي تسيّدتها الخلافة الإسلامية والتي كانت وما زالت تشكل عاملاً مهماً من عوامل ترابط هذه الشعوب، قد دعا الكثير من دعاة التيار الإسلامي إلى الدعوة إلى ضرورة العودة إلى الهوية الإسلامية التي لا تشترط ـ وفقا للضرورة أو بالضرورة ـ نظاما موحدًا للحكم، ولفظ الهوية القومية بكل أطرها العامة والمحدودة، ورأى الكثير من المفكرين المسلمين أن التمزق الثقافي الذي لحق بالميراث الحضاري العظيم للأمة الإسلامية من جراء النزعات العرقية الإقليمية وما تبعها من صياغات ثقافية عرقية قد تسبب في خلاف وتمزق بين الورثة الذين وصلوا في خلافاتهم إلى حد إمكان هدم ذلك البناء، **وأصبح من اللازم البحث عن صيغة أو صياغة جديدة تسهم في إعادة ذلك الترابط الثقافي الذي يحافظ على سلامة البناء ويدعم جسور التكتل في عصر التكتلات، ولا شك أن العودة لاستلهام مقومات الهوية الإسلامية هو السبيل الذي يلتقي مع مصالح الشعوب الإسلامية وميولها و إراداتها.**

وفي الوقت نفسه أصبح من الضروري على دعاة الفكر الإسلامي المستنير وغيرهم العمل على صياغة منهج علمي قويم يستوعب قضايا العصر وتغيراته كافة، وتعاد من خلاله صياغة الكثير من الدراسات سعيا لإبراز الحقيقة وتحديد المعالم المتطورة لهوية شعوب المنطقة والمستمدة من تراثها القيمي والتي ستكون نقطة الانطلاق الصحيحة للحاق بالركب الحضاري المعاصر والتفاعل معه.

نسبُ اليهودِ المعاصرينَ ليعقوبَ والأسباط حقيقة أم خيال ؟

بقلم: د. سعيد عبد السلام العكش

يرى اليهود والصهاينة أنهم ورثة أسباط إسرائيل الاثني عشر انحدروا سلالياً من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ويرون أنهم يكوّنون شعباً واحداً يربطه رباط عرقي منذ بداية تاريخهم، وأنهم لم يختلطوا بغيرهم وإنما حافظوا عبر تاريخهم على نقاء عنصرهم عن طريق التزاوج فيما بينهم.

وقد أعلن الصهاينة عن هذه الدعاوى في كتاباتهم وأقوالهم في مناسبات شتى، فنذكر على سبيل المثال ما ذكره موسى هيس (١٨١٢ ــ ١٨٧٥م) في كتابه «روما والقدس» الذي نشره عام ١٨٦٢م بأن «الجنس» اليهودي من أقدم وأعرق الأجناس البشرية وإليه ترجع وحدة اليهود، لأن «الجنس» اليهودي حفظ صفاءه عبر القرون (١). وقال الكاتب اليهودي ج. ب. شتيرن: «إن مظهرنا وتكويننا الجسماني والأنف الأقنى الذي نتميز به هي أدلة كافية لإثبات كوننا من عنصر آخر»(٢). وكان الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل يستخدم كثيراً عبارة «الجنس اليهودي» كما أنه كان يفكر في تميز اليهود عن غيرهم على أساس بيولوجي (٣).

ويستند الصهاينة في هذا الادعاء على التشريع اليهودي الذي يحرم الزواج بين اليهود وغيرهم من الشعوب فتقول التوراة في سفر التثنية (٧/ ٣): «ولا تصاهرهم (أي غير اليهود)، لا تعط بنتك لابنه ولا تأخذ بنته لابنك» والخطاب هنا للاسرائيلي. وتقول في سفر الخروج (٣٤/ ١٥ ــ ١٦): «احترز من أن تقطع عهداً من سكان الأرض وتأخذ من بناتهم لبنيك. . . » فاليهود والصهاينة يستندون على هذا التشريع في التدليل على أن اليهود حافظوا على النسب اليعقوبي أو الإسرائيلي دون أن تختلط دماؤهم بدماء غيرهم من الأجناس.

ولكي يمكننا البحث في مصداقية هذا الاعتقاد يجب علينا أن نوضح أولاً:

هل التزم اليهود بتطبيق هذا التشريع على مدى عصورهم؟ هذا ما سنحاول مناقشته فيما يلي.

يتضح من الإشارات المتفرقة في أسفار «العهد القديم» أن المانع الديني في تحريم الزواج المختلط لم يَحُلْ دون حدوث حالات تزاوج كثيرة بين الإسرائيليين وجيرانهم من الشعوب الأخرى، فاليهود منذ بداية ظهورهم كانوا خليطاً من سلالات كثيرة، ولا يمكننا أن نتصور، كما يقول ول ديورانت، أن يوجد جنس نقي في الشرق الأوسط وسط الآلاف من التيارات الجنسية التي تتلاطم فيه(٤).

ولو حاولنا ــ جدلاً ــ أن نطبق المفهوم الإسرائيلي عن هوية اليهودي ــ وهو الذي تلده امرأة يهودية (٥) ــ على أغلب أسباط اسرائيل لأخرجناهم من الهوية الإسرائيلية؛ لأن أياً منهم لم تلده امرأة اسرائيلية بالمعنى التوراتي للكلمة. فسفر التكوين في (٣٥/ ٢٢ ــ ٢٦) يخبرنا أن يعقوب أنجب اثني عشر ولداً من الذكور وأنثى واحدة هي دينه، ولم يقل أحد إن هؤلاء الأبناء الاثني عشر جلبوا لهم زوجات من أرض الرافدين كما فعل أبواهم يعقوب وإسحاق فمن أين اتخذوا زوجاتهم إذن ؟

فيما يتصل بيهوذا ذكرت أسفار «العهد القديم» أنه اتخذ امرأة كنعانية زوجة (تكوين ٣٨/ ٢) كما تزوج شمعون الابن الثاني ليعقوب من كنعانية أيضاً (تكوين ٤٦/ ١٠) أما سائر إخوته عدا يوسف الذي حملته السيارة إلى مصر وهو فتى فقد أغفلت أسفار «العهد القديم» هوية النسوة اللواتي اتخذوهن زوجات، والراجح أنهن لسن من بني إسرائيل فلم يكن أمام بني يعقوب (إسرائيل) إلا أن يتزوجوا من بنات الكنعانيين، وإلا فلا يمكن أن نفهم كيف تكاثروا وصاروا سبعين نفساً كما ورد في سفر التكوين (٤٦/ ٢٧). أما يوسف فقد اتخذ زوجة مصرية هي «أسنات» بنت «فوطي فارع» كاهن اون (عين شمس الحالية) (تكوين ٤١/ ٤٥) وولدت له «منسى وافرايم»، وقد تزوج كل منهما بالتأكيد من مصريات أيضاً بحكم انتساب أمهما إلى الكاهن الأكبر. ولم يكن هناك مانع من زواج إخوة يوسف من مصريات أيضاً فلا يمكن أن يحافظ هذا العدد القليل الذي جاء إلى مصر ولم يتجاوز السبعين على بقائه مئات السنين (تكوين ٤٦/ ٨).

ونطوي مشاهد كثيرة من إقامة بني اسرائيل في مصر حتى نصل إلى موسى الذي ذكرت أسفار «العهد القديم» أنه اتخذ صفورة بنت يثرون الكاهن المدياني زوجة ثم اتخذ زوجة اخرى كوشية (اثيوبية) وذلك كما ورد في سفر الخروج (٢/ ١٦، ٢١). كما تؤكد آراء الباحثين أن الجماعات التي خرجت مع موسى من مصر بعيدة الصلة عن بني إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر وذابوا في البيئة المصرية، فيقول غوستاف لوبون: أنه لحق ببني إسرائيل عدد من المصريين والساخطين ومن العبيد المتمردين، ولما جاوزوا البحر بَدَوْا عشيرة أي جماعة مصرة على الظهور بأنها نسل رجل واحد وإن كانت فاتحة صفوفها لجميع الفُرّار المستعدين لانتحال اسمها وتقاليدها ومعبوداتها الأهلية (٦).

وبعد موسى اتخذ يشوع بن نون ــ خليفة موسى ــ زوجة تدعى «راحاب» الكنعانية التي قيل إنها أسهمت إسهاماً ضخماً في إنجاب داود أشهر أنبياء وملوك بني إسرائيل (سفر يشوع، الاصحاح الثاني).

وتؤكد أسفار «العهد القديم» في كثير من المواضع أن بني إسرائيل لم يستطيعوا طرد الشعوب التي وجدوها في كنعان من أراضيهم وإنما سكنوا معهم، وكان من نتيجة ذلك أن اليهود اختلطوا بهذه الشعوب التي ظلت

تعيش بينهم وصاهروها فزوجوا بنيهم من بناتها وزوجوا بناتهم من بنيها، فقد ورد في سفر القضاة (٣/ ٥ ـ ٦) : «فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثّين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم . . .» . وطيلة عهد القضاة (٧) ظل بنو إسرائيل يصاهرون الوثنيين، وكان القضاة أنفسهم يفعلون ذلك، فيروي سفر القضاة (١٢/ ٧ ـ ٩) أن شمشون أحد قضاة بني إسرائيل تزوج من إحدى بنات الفلسطينيين (٨) كما يقص أنه أحب بعد ذلك امرأة فلسطينية أخرى اسمها دليلة، وقد خانته وسلمته للفلسطينيين فاستعبدوه وأذلوه (سفر القضاة ١٦/ ٤ ـ ٢١) ويسجل سفر القضاة أيضاً أنه كان لجدعون (أحد القضاة) محظية تقيم في شكيم (نابلس الحالية)، وأنه أنجب منها ابنه أبيمالك (سفر القضاة ٨/ ٣١).

وتتعدد أمثلة الزيجات المختلطة في فترة القضاة ولكن أبرزها ما ورد في سفر راعوث إذ تزوج رجلان اسرائيليان يدعيان محلون وكليون من امرأتين موآبيتين اسم إحداهما «عرفه» واسم الأخرى «راعوث» . وراعوث هذه هي أم جدة الملك داود، وبالتالي فإن الملك داود لا يعتبر يهودياً فيما يتصل بنسله من النساء، فإذا كان منحدراً من رجال فهو ليس يهودياً أيضاً، لأن زواج أجداده لم يكن صحيحاً حسب الشريعة اليهودية . وأبعد منه عن «العرق» اليهودي كان ابنه سليمان فقد جاء سليمان نتيجة لزواج داود بالمرأة الحثية «بتشبع» أرملة اوريا الحثي (سفر صموئيل ثاني ١٢/ ٢٤).

وتذكر أسفار «العهد القديم» أن داود أقدم على الزواج من الأجنبيات حتى إننا نجد أن ابشالوم وهو ابن لأميرة سورية هو الوريث المعترف به للعرش (سفر صموئيل ثاني ٢٥/ ٣) . وفي عصر سليمان بدأ أيضاً التزاوج بين الإسرائيليين من جهة والفينيقيين والشعوب غير الاسرائيلية من جهة أخرى في الانتشار، فسليمان نفسه كان قد أحب وعاشر النساء الأجنبيات وأفرد لهن مكاناً فسيحاً في بلاطه، فقد صاهر سليمان فرعون ملك مصر وأتى بزوجته إلى مدينة داود (سفر ملوك أول الاصحاح الثالث)، كما تزوج معها العديد من النساء الأجنبيات من أديان وأصول عرقية عديدة، ذلك أنّ مملكة داود وسليمان كانت في بلد ضم شعوباً متعددة أشرع بابه لأمم أجنبية عديدة بدياناتها المختلفة، فقد ورد في سفر الملوك الأول (١١/ ١ ـ ٣) أن سليمان أحب نساء غريبة مع ابنة فرعون، من الموآبيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحثيين ومن الأمم التي قال الرب لبني إسرائيل لا تختلطوا بهم، فتعلق بهن سليمان، وكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية (٩) . وقد أنجب ابنه رحبعام الذي خلفه في الملك من امرأة عمونية اسمها نعمة (ونود هنا أن نشير إلى أننا ننقل ما جاء عن سليمان في سفر الملوك الأول والعهد في ذلك على الرواة الدينيين اليهود، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على سليمان في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ [سورة البقرة/ الآية ١٠٢].

وقد تزوج آحاب (٨٧٥ ـ ٨٥٣ ق . م) سابع ملوك مملكة إسرائيل الشمالية (١٠) من إيزابيل ابنة اتبعل ملك صيدون (ملوك أول ١٦/ ٣٠) . وتزوج يهورام ابن يهوشافاط ملك يهوذا من ابنة ايزابيل (ملوك ثاني ٨/ ١٦ ـ ١٨)، وكان احزيا ملك يهوذا هو ابن عثليا ابنة ايزابيل (ملوك ثاني ٨/ ١٦ ـ ٣٠).

وحينما أجلى الملك الآشوري سرجون الثاني السبايا الإسرائيليات من مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢١ ق . م إلى شمال العراق وسوريا (ملوك ثاني ١٧/ ٦) اندمجوا في المجتمع وتزوجوا وانصهروا مع سكان هذه المناطق، وامتزج الباقون من السبي مع القبائل العربية التي نقلها إليهم الآشوريون (١١) . كما أنه عندما أجلى الملك البابلي نبوخذ نصر المنفيين من مملكة يهوذا الجنوبية عام ٥٨٦ ق . م . إلى بابل (العراق حالياً) عاشوا حياة عادية واختلطوا وتزاوجوا مع البابليين حتى إنهم نسوا أنسابهم، وحاول النبي حزقيال أن يحول دون اندماجهم التام في الدم البابلي ولكن دون جدوى (١٢).

ويبدو من سفري عزرا ونحميا ـ اللذين يتحدثان عن تاريخ اليهود بعد السبي في العصر الفارسي ـ أن الشريعة اليهودية قد أهملت وأن قوانين الزواج لم تكن ذات أهمية، وليس ضرورياً اتباعها، وأن الزواج وإقامة العلاقات الأسرية مع الأجنبيات قد تفشى بصورة عامة، وتعداه إلى الكهنة، وسرت بينهم عدوى الزواج من غير اليهوديات (سفر عزرا الاصحاح التاسع، سفر نحميا الاصحاح الثالث عشر).

وعندما خضع اليهود بعد ذلك لليونانيين (٣٣١ ق . م .) اختلطوا بهم وصاهروهم وعشق كثيرون منهم ديانتهم واتبعوا عاداتهم وتقاليدهم (سفر المكابيين ١/ ٤٣ ـ ٥٦) كما استمر أيضاً تجاهلهم للشريعة حينما خضعوا للرومان (٦٣ ق . م .) خاصة وأن الرومان أقاموا هيرودس الكبير ملكاً عليهم (٣٩ق . م .) وهو ينتمي أصلاً إلى الأدوميين الذين فرض عليهم المكابيون (١٣) اليهودية في العصر اليوناني . ثم إنه حينما طرد الرومان المتمردين اليهود عام ١٣٥م اندمجوا بين سكان البلاد التي تفرقوا فيها وعمدوا إلى نشر اليهودية هناك، فقد استطاع رجال الدين من اليهود أن ينشروا تعاليمهم بين كثير من الأشراف الرومانيين وزوجاتهم وغيرهم من الأفراد، فمن الملوك المتهودين الملك «مونابار» وأمه المتهودة أيضاً «هيلانه» وكانا يحكمان قبل تهودهما مقاطعة «ديابين» في بلاد الأكراد شمال شرقي سوريا . كما تهود كثير من الشعوب بعد ذلك كمملكة الخزر الذين يفترض أنهم من الجنس التركي، وأيضاً يهود «التاميل» وهم يهود سمر البشرة من الهند، وأيضاً يهود «الفلاشاه» في أثيوبيا الذين من المحتمل أن يكونوا قد اعتنقوا اليهودية على يد بعض التجار اليمنيين اليهود قبل دخول المسيحية الحبشة، أو لعلهم من سلالة جالية تجارية يهودية استوطنت هناك وتغيرت معالمها البدنية عن طريق التزاوج (١٤).

وهناك كثير من الشواهد التاريخية التي تؤيد حقيقة اختلاط اليهود وامتزاجهم بالشعوب التي عاشوا بينها . ففي فجر المسيحية صدرت قوانين من قبل السلطات المسيحية تحرم الزواج بين المسيحيين واليهود، فقد أصدر الامبراطور المسيحي «كونستانتيوس» عام ٣٣٩م قانوناً بتحريم هذا الزواج، وأقرت المجالس الكنسية في أغلب دول العالم هذا التحريم فيما بعد وذلك كما فعل مجلس «توليدو» عامي ٥٣٨م و٥٨٩م ومجلس روما عام ٧٤٣م (١٥) . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الزواج بين المسيحيين واليهود كان أمراً شائعاً، الأمر الذي دعا إلى فرض القيود على الزواج المختلط.

ومع هذا لم تُراع القوانين الكنسية التي حرمت الزواج المختلط، ونجد رئيس أساقفة المجر يشكو في عام ١٢٢٩م من أن تحولات تتم بالآلاف من المسيحية إلى اليهودية . وأصبح الزواج المختلط في منتصف القرن الخامس عشر ظاهرة عادية في حياة اليهود، واتسع نطاقه في القرن التاسع عشر عندما أقرت أغلب الدول الزواج المدني (١٦).

نسبُ اليهودِ المعاصرينَ ليعقوبَ والأسباط
حقيقةٌ أم خيال؟

ومن خلال الإحصاءات التي وصلتنا عن حالات الزواج المختلط في بعض المجتمعات اليهودية الحديثة يتضح أن الزيجات المختلطة كانت شائعة في معظم أنحاء العالم بنسب كبيرة خاصة بعد ظهور حركة «الاستنارة اليهودية» (١٧) التي قل معها الإحساس بالانفصال، وزاد التزاوج المختلط بين اليهود والمسيحيين، ففي كوبنهاجن بالدانمارك على سبيل المثال خلال الفترة من ١٨٨٠ ـ ١٩٠٥م كان هناك ٣٩٥ عقداً بين أزواج من اليهود مقابل ٢٧٢ عقداً بين أزواج مختلطين، أي إن نسبة الزيجات المختلطة ٦٨,٩٪ من الزيجات اليهودية الخالصة. وفي تريست ـ وهو مجتمع يهودي صغير آخر في الدانمارك ـ كان هناك ١٥٦٨ عقداً بين أزواج من اليهود بين عامي ١٨٦٩ ـ ١٩٢٢م مقابل ٧٢١ عقداً بين أزواج مختلطين. ووصلت نسبة الزيجات المختلطة في ألمانيا إلى نسب كبيرة فقد كان من بين كل ١٠٠ عقد زواج يهودي خلال الفترة الواقعة بين ١٩٢١ ــ ١٩٢٥م، ٥٨ عقداً بين أزواج من اليهود و٤٢ عقداً بين أزواج مختلطين، وكان عدد عقود زواج اليهود في برلين وحدها عام ١٩٢٦م، ٨٦١ عقداً بين أزواج من اليهود مقابل ٥٥٤ عقداً مختلطاً (١٨). وهذه الأرقام لها دلالة خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ذلك العدد الكبير من الأزواج الذين اعتنقوا اليهودية ديناً على الرغم من أنه لا علاقة لهم إطلاقاً بالسامية من حيث الأصل أو العرق.

يتضح مما سبق أن «الدم اليهودي» لم يكن في أغلب مراحل تاريخ اليهود دماً خالصاً بل اختلط بدم الشعوب الأخرى من كل جنس. وهل بعد هذا سنقبل تلك الدعوى القائلة بأن روابط العنصر أو روابط الدم هي التي تؤلف الطوائف اليهودية، وأن نسب هذه الطوائف يتصل بأولئك الذين سكنوا أرض فلسطين قديماً؟

من البدهي أن الادعاء بأن جميع يهود العالم يلتقون بالجنس في وحدة عضوية تنتهي عند يعقوب والأسباط كان يقتضي على أقل تقدير أن يكون يهود العالم أجمع في حالة تشابه في الخلقة أو يكون التشابه على الأقل عظيماً بحيث تتفق الأشكال والسمات الخَلْقِية، فأبسط قوانين الوراثة تقضي بأن يتشابه الفرع بالأصل وتتشابه الفروع فيما بينها تشابهاً شديداً.

ومن الثابت طبقاً للأبحاث والدراسات الانثروبولوجية (علم الأجناس) وجود فوارق وتباين واضح في المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة في أنحاء العالم، فمن خلال النظرة العامة لمختلف الأقليات اليهودية نجد أن نقاوة «الجنس اليهودي» أمر خيالي، حيث يظهر بين اليهود ـ كما يقول **جوان كوماس** ـ مختلف العناصر السلالية التي تتراوح من ناحية تركيب الجمجمة بين العنصر القصير الرأس والعريض الجمجمة وبين المستطيل الرأس والطويل الجمجمة، كما تتميز نسبة ذوي الشعر الأشقر والعيون الباهتة بعدم انتظام توزيعها بين المجموعات المختلفة لليهود (١٩).

ويعتبر وجود اليهود الكثيري الشبه بالأفارقة مثل يهود الفلاشاه وكذلك اليهود السود والهنود وغيرهم براهين على عدم وجود «جنس يهودي» لم يصبه التغيير منذ القدم، وكل الذي يجمع بين اليهود لا يتعدى رابطة الدين وحدها. وبالتالي فإننا لا نستطيع ـ كما يقول عالم الانثروبولوجيا السويسري يوجين بيتار ـ أن نعتبر اليهود الآن أعضاء في مجموعة بشرية متحدة العنصر، ولا حتى يهود فلسطين التي جلبت إليها الحركة الصهيونية إسرائيليين دون أي انتقاء. فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية انضمت إليها في جميع العصور أخلاط من أجناس مختلفة (٢٠).

نخلص من ذلك إلى القول بأن الشواهد التاريخية والعلمية تؤكد أن يهود العالم لا يتبعون أو ينحدرون من أحفاد العناصر البشرية اليهودية التي كانت تسكن فلسطين قديما بل ينحدرون من شعوب وسلالات متعددة ومتباينة، كما أنهم لا يؤلفون من وجهة النظر العلمية عنصراً أو كياناً جنسياً واحداً وفقاً للادعاء الصهيوني، ولذا فإن توهم بعض أعضاء الأقليات اليهودية في العالم بأن انتماءهم الديني هو انتماء عرقي هو وهم لا تسانده أية مقومات موضوعية.

الهوامش والمراجع:

(١) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م، ص ١٨.

(٢) سليمان ناجي، المفسدون في الأرض، العربي للنشر، دمشق ١٩٧٣م، ص ٤٦٤.

(٣) د. عبد الوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، القسم الأول، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٢م، ص ٢٨٩.

(٤) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٤٩م ص ٣٢٨.

(٥) إثبات صحة النسب في الشريعة اليهودية يكون عن طريق الأم، فمن يولد لأم يهودية وأب غير يهودي يعتبر يهودياً، أما الذي يولد لأب يهودي وأم غير يهودية فلا يعتبر يهودياً.

(٦) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ١٩٧٠ ص ٣٣.

(٧) عصر القضاة هو العصر الذي يسبق تكوين الملكية الاسرائيلية، وسمي بهذا الاسم لأن الزعماء الذين قادوا بني اسرائيل بعد يشوع خليفة موسى لقبوا بهذا الاسم. ويشمل تقريباً القرنين اللاحقين لاحتلال فلسطين في القرن الثاني عشر ق.م.

(٨) الفلستينيون قوم من أصل يوناني نزحوا إلى فلسطين من جزيرة كريت واحتلوا السهل الساحلي الغربي وقد اتخذت البلاد فيما بعد اسمها من اسمهم.

(٩) السرية زوجة شرعية وإن كانت في درجة أقل من درجة سيدة البيت.

(١٠) انقسمت مملكة إسرائيل بعد موت سليمان إلى مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب.

(١١) د. حسن محمود، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة ص ٣٧٣.

(١٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ص ٣٦٢.

(١٣) المكابيون أسرة من الكهنة/ الملوك حكمت اليهود في فلسطين وذلك بين عامي ١٦٧ ـ ٣٦ ق.م.

(١٤) د. حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، دار العلوم، بيروت ١٩٨٧ ص ١٠٤.

(١٥) دائرة المعارف اليهودية العامة، نيويورك ١٩٤٨م، مادة «الزواج المختلط».

(١٦) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ص ٢٥.

(١٧) حركة ظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر واستمرت حتى عام ١٨٨٠م بزعامة المفكر الألماني اليهودي موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦م) الذي دعا اليهود إلى الاندماج في العالم الحديث والخروج من قوقعة العنصرية. ورأى أن اليهودية دين فقط وليست جنسية، وأنه من الخطأ القول «يهودي انجليزي» أو «يهودي روسي»... الخ والأصح أن يقال انجليزي متدين باليهودية وروسي متدين بها (راجع د. حسن ظاظا، الفكر الديني الاسرائيلي، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧١م ص ٣١٤).

(١٨) دائرة المعارف اليهودية العامة، مادة الزواج المختلط.

(١٩) مصطفى عبد العزيز، إسرائيل ويهود العالم، مركز البحوث الفلسطينية، بيروت ١٩٦٩ ص ٤٤.

(٢٠) د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق ١٩٨٥م، ص ٣٥.

الواقعية الإسلامية في الأدب

إعداد: المجلة

كثرت الدراسات والبحوث الأدبية الإسلامية في السنوات الماضية، ودعا فيها أصحابها إلى مجابهة الغزو الفكري والثقافي والأدبي الذي أخذ يجتاح ساحتنا العربية الثقافية، وراح يستشري يومًا بعد يوم في كل مكان من مواقع المعرفة، ولم يقف إلى الآن ذلك النزيف المشوب بالصديد الكريه، مما أطلقوا عليه شتى النعوت والتسميات الأدبية الحديثة، ولم يجابه بأدب عربي إسلامي حديث مستمد من النصوص والتعاليم الإسلامية، بفيضها الرباني الذي يشع منه الصفاء والنور والسعادة في الدارين، مما يفتقده الكثير من الآداب الغربية، وما يمكن أن يطلق عليه بـ(الحلقة المفقودة في الفكر الأوربي).

لهذا أخذ الباحثون والدارسون الإسلاميون، يتلمسون الجوانب الحقة ـ في الأدب الإسلامي ويتعرفون مختلف خصائصه الفنية والموضوعية، عسى أن تتبلور صورته الواضحة في ذهن المبدع أولاً، والقارئ ثانيًا: وقد يختار الواحد من أولئك الدارسين موضوعًا خاصًّا أو مصطلحا يوليه أهميته من النظر والتعريف، ولكن في نهاية المطاف يصب في الموضوع الأساسي، وهو الأدب الإسلامي. وقد كثرت التسميات والمفردات من خلال التصور الإسلامي والمنظور الإسلامي والرؤية الإسلامية والواقعية الإسلامية. وغيرها، وكلها تسميات موظفة في خدمة الأدب الإسلامي وبلورته، وإبراز خصائصه ومعانيه وأهدافه.

كما أن غالبية أولئك الكتاب الإسلاميين وقفوا وقفات متشابهة من الإسلام، وأعدائه، ومن الأدب ومصطلحاته المعاصرة، ومدارسه وتاريخها وخصائصها؛ إذ كانت وقفاتهم تتفق والمنظور الإسلامي، أو التصور الإسلامي الذي لا يجد في تلك المدارس الأدبية رسوخًا وقواعد وحقائق ثابتة.. ومن ثمّ كان اتفاقًا في الرؤية الإسلامية حيال الفكر الأوروبي وما ورّدوه من آداب.

نماذج من الأدب الإسلامي

وأمامنا الآن عشرات الكتب الأدبية والنصوص الإسلامية التي تبحث وتبلور وترسم الصورة النهائية للأدب الإسلامي، بحثًا وإبداعا لأدباء ومبدعين عرب وإسلاميين يمثلون الصفوة الإسلامية المفكرة المبدعة في تاريخنا المعاصر. وكلها تتطلب الدراسة وتعريف القارئ العربي المسلم بها، وإن كانت لم تعد خافية على أحد. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: **شعر محمد إقبال**، وعشرات الشعراء الذين وردت نصوصهم المختارة في كتاب (**من الشعر الإسلامي الحديث مختارات رابطة الأدب الإسلامي**) وعلى رأسهم الشاعر **عمر بهاء الدين الأميري**، وشعر **عبد الله بلخير الملحمي**، وأعمال **نجيب الكيلاني وعبد الرزاق نوفل ويوسف العظم القصصية والروائية**، وأعمال **علي أحمد باكثير** النثرية وبخاصة (**ملحمة عمر**). والكثير ممن كتب أدبًا تاريخيًا في ملاحم وغزوات الرسول وعلى رأسهم **باشميل ومن الدراسات في الأدب الإسلامي وفكره**: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، والتصوير الفني في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين، الوحدة

الواقعية الإسلامية في الأدب

الإسلامية في الشعر العربي الحديث لعبد العزيز الثنيان، ونحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد لعبد الرحمن رأفت الباشا، ومنهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، ومقدمة لنظرية الأدب الإسلامي لعبد الباسط بدر، ومقدمة في دراسة الأدب الإسلامي لمصطفى عليان، ومدخل إلى الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني، ودراسة وتحليل لنصوص من أدب عصر الحروب الصليبية لعمر عبد الرحمن الساريسي، والأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته لعدنان النحوي، ونظرات في الأدب لأبي الحسن علي الحسني الندوي، وخصائص القصة الإسلامية لمأمون فريز جرار، والواقعية الإسلامية في الأدب والنقد لأحمد بسام ساعي وغيرها، فضلاً عن المقالات الكثيرة في موضوع الأدب الإسلامي التي نشرتها الدوريات العربية، وبخاصة السعودية[١].

أبعاد الواقعية الإسلامية

كل هؤلاء يحاولون ترسيخ الجذور في تربية الأدب الإسلامي كي تسمو أشجار هذا الأدب سامقة شامخة. ونحاول في هذه الدراسة أن نبسط معنى مصطلح (الواقعية الإسلامية في الأدب) لننتهي إلى تحديد أبعاد (الأدب الإسلامي) وجوهره.

لم تكن تلك الواقعية، في رأي الكثير من الباحثين، غير الرؤية الثاقبة للأدب بتصور إسلامي. فالإسلام ينظر للواقع ببعدين، بعده المادي، وبعده الروحي. فقيم الإنسان وشؤونه مقومان في عالمي المادة والروح، أي إن مشكلة الإنسان لا تنفصل عن عالم الأرض بماديته وعن عالم السماء بروحانيته؛ الإنسان المجبول بطين الأرض وأدرانه والتائق والمتطلع دوما إلى عظمة الله في السماء، المطهرة لأدران الإنسان. ومن هنا فإن تلك الواقعية الإسلامية تنطلق عبر اهتزاز الواقع المادي الإنساني الأرضي متشوقة إلى عالم الحقيقة السماوية العليا الثابتة. ولهذا فهي مختلفة عن الواقعية المادية في مدارس الأدب الأوروبية تلك التي ترفض أي اعتبار سماويّ علويّ غيبي، بينما تُصرُّ الواقعية الإسلامية على أن الإنسان من خلال واقعه الحقيقي – ليس عقلاً فحسب، أو قل ليس مادة خالصة، إنه روح ومادة، وعقل وما وراء العقل، وواقع وحقيقة. إن كلا الواقعين - الواقع الأرضي المادي - والحقيقة - الحقيقة السماوية العليا - يتعاضدان لقيام الواقعية الإسلامية في الأدب[٢].

وتقوم الواقعية في الإسلام على الموازنة والمعادلة الحكيمة المستمدة من حكمة السماء، فالإنسان في أرضه، كما قلنا، يعاني الضعف والضياع مع قوانينه وقواعده الموضوعة المضطربة، ويتوق إلى قوانين السماء وقواعدها وحقائقها **الثابتة الشامخة**. أي إن جذور الأرض وشجرة الإنسان لا يمكن أن تتسامق وتطول وهي مغروسة بأدران المادة النتنة في كثير من جوانبها إلا إذا اتصلت بالنور الرباني والتوهج السماوي المشعين في العقول إلا عقول الخارجين عن نظام الكون والسماء.

وهكذا فالواقعية الإسلامية هي المعادلة والموازنة بين عالم المادة وعالم الروح، كما قلنا، والأدب الإسلامي يقوم على تصوير ذلك الواقع المادي الأرضي الذي يرزح الإنسان تحت وطأته، كما يصور، في الوقت نفسه، عظمة الإنسان ونهوضه وسموه، واستعلاءه على مادياته، وصعوده إلى مراتب حزب الله. أليس هو خليفة الله في الأرض؟! ومن خلال هذه المزاوجة فالأدب الإسلامي يصور الإنسان في لحظات ضعفه ولحظات قوته، لحظات هبوطه ولحظات رفعته، اللحظات التي يلصق فيها بطين الأرض، واللحظات التي يشرق فيها بنور الله»[٣].

لهذا فإن تلك الواقعية الإسلامية كما تعبأ بعظمة الأبطال، في الأعمال الإبداعية، فإنها لا تغفل سقوط الأبطال. «فالبطل – إسلاميا – هو القدوة أو النموذج أو المثال الحي الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية، لكنها لا تغلق الباب أمام نماذج الضعف البشري، أو البطولة الناقصة التي تحتاج إلى تجربة ومعاناة وهي في طريقها إلى النمو والاكتمال»[٤].

دور الواقعية الإسلامية

من هنا يأتي دور الأدب القرآني في الأخذ بيد هؤلاء الضعفاء والمنحرفين، وتتبلور صورته، وتدعو الحاجة إليه كلما نأى الإنسان عن جادة الصواب والخير، واستغرق في بحور الرذيلة والفساد. عندها لابد لصوت الله أن يدوي في أعماقه، ويوقظه من غفوته، ولابد لنور الله أن يبدد ظلمات دربه ونفسه.

ويصبح الأدب القرآني واسطة بين الأرض والسماء، بين الواقع المادي وما يموج به من انحرافات وحقائق السماء وما تزخر به من إشعاعات ربانية كاشفة ومفيدة.

بهذا تتأتى من الرؤية السماوية للإنسان، كما وردت في القرآن، رؤية التغيير من الداخل و ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد١١. فيجيء دور الأدب القرآني مؤازرًا ومعاضدًا للإنسان، كي ينتشله من بؤرة فساده.. هذا الفساد المستشري في نفوس الكثير من العباد في هذا العصر.

إن استجابة هذا الإنسان للتغيير تتوقف على أسلوب هذا الأدب، وطريقة الأخذ بيده. وكلما وجدت الطريقة أو الأسلوب صدى وقبولاً وتأثيرًا في النفوس كان أدبًا جديرًا بأن يطلق عليه أدب قرآني، أو واقعية إسلامية، أو أدب إسلامي.

الصياغة في واقعية الأدب الإسلامي

وقفت الواقعية الإسلامية عند الأسلوب التعبيري التغييري بكل عناصره

واقعية الأدب الإسلامي معادلة بين المادة والرُّوح

الفنية من لغة وموسيقى وتصوير ورمز وإيحاء . . . وهي الصياغة الفنية التي تكسب أي أدب مرتبة عالية من التألق. وقد أفرد بعضهم كتابًا مجملاً لتلك القضية الفنية[٥]، أو فصولاً منه[٦]، وإن كان بعض المفكرين الإسلاميين لا يعيرون للجانب الفني أهمية إذا تعرض تصورهم الإسلامي للخدش من بعض المبدعين، فيما يظنونه خدشًا، فيكيلون التهم والأحكام القاسية بحقهم، رغم إبداعاتهم التي لها فضل كبير في مجال بناء الإنسان وتغيير نوازع المادية، والصعود به إلى ذرا الآفاق الروحية والإنسانية، مما تقوم عليه الواقعية الإسلامية كما رأينا، في تصعيد مادية الأرض إلى روحانية السماء، والموازنة والمعادلة بينهما؛ وهي الرؤية الإسلامية، أو الواقعية الإسلامية، في تقويم الأدب نثرًا وشعرًا، في شكله ومضمونه، في صراعه مع ثنائية الواقع والحقيقة، واقع الأرض الإنساني، وحقيقة السماء العليا، وإن كان ثمة تفاوت في الحكم بين الشعر والنثر «فعلاقتهما في الشعر أقرب إلى المتراجحة منها إلى المعادلة، إذ ترجح فيه كفة الحقيقة على كفة الواقع ـ من الناحية الفنية ـ ولكنهما من الناحية الفكرية متساويان أبدًا، معادلة حقيقية في كل الفنون الأدبية على السواء شعرًا ونثرًا»[٧].

أما الغرب فقد استبدلوا بالحقيقة الدينية الحقيقة الفنية، وكان الفن عندهم هو غاية الغايات.

كيف توفق الواقعية الإسلامية بين الفن والدين ؟

لا تنكر الواقعية الإسلامية الفن الإبداعي بل توظفه في سبيل الهدف الديني الإرشادي، فيصبح مفهوم الاتجاه الإسلامي، أو الأدب الإسلامي، أو الواقعية الإسلامية هو أن تتجه اتجاهاً فنياً إبداعياً، بل تتجه للإرشاد والتعليم في قالب فني إبداعي. . وإن كانت قضية (نفعية الفن) لم تحسم في تاريخ الحضارة والإبداع خلال المسيرة التاريخية الطويلة، إذ ظل الخلاف قائماً حول غاية الفن أو الشعر وفائدته: أيُعلم أو يُمنع أو يهزّ أوله غاية خلقية أو دينية. . . ؟!

على أنه آن الأوان، ومن خلال الدعوة إلى أدب قرآني جديد، أن يكون للفن هدف نفعي.

فما قيمة الفن إن لم يغزل لنا خيوطاً ذهبية، نقوى على أن ننسج منها دروعاً واقية لأنفسنا من غضب الله؟! وهذه ستقودنا إلى فكرة (التقوى) التي سنعرج عليها بعد قليل بشكل مستقل.

إن الصلة الروحية التي تربط المسلم بربه بالطاعة أو التقوى تحقق له من «المتعة والراحة والسكينة ما لا تقدمه أية صلة أخرى للإنسان بعناصر هذا الكون. وهكذا يتحول الواقع الأرضي في الإسلام إلى واقع مثالي، ما دام متصلاً بذلك المنبع النوراني القدسي المستمر الفيضان عن العالم[٨]. فالواقعية الإسلامية، هي واقعية مثالية لها جذورها في تاريخ العرب والمسلمين.

مم تستمد الواقعية الإسلامية مادتها ؟ !

تتخذ الواقعية الإسلامية من أبطال التاريخ والملاحم العربية والإسلامية والدينية التي تسكن في ذاكرة الشعوب عبر العصور موادَّ أدبية غنية . . فضلاً عن البطولات الفذة النادرة العظيمة في التاريخ الإسلامي التي استمدت عظمتها من العظمة الإلهية، ولا يقوى العقل على تفسيرها إلا في ضوء الواقع الإسلامي.

على أن الواقعية الإسلامية قد تنأى عن المواقف الفذة والأحداث الجسام، وتدنو من الأحداث الشعبية أو الاجتماعية، اليومية العادية، وتبث فيها روائع الفن والإبداع، والإيحاءات الموصلة إلى الأعماق مباشرة. . «إنها الواقعية الحقيقية أن تنقلب الحادثة اليومية التافهة بين يدي الشاعر إلى حقيقة أزلية كبيرة من حقائق الحياة والموت والحساب والخلود وعبادة الله، وتحقيق وحدانيته، من غير أن يوحي لنا الشاعر بأنه يحاول إرغامنا على النظر إلى الحياة بمنظاره، كما هو ـ للأسف ـ شأن معظم الأعمال الشعرية الإسلامية المعاصرة»[٩] ولهذا فعلى الواقعية الإسلامية، أو الأدب الإسلامي، أن يستمد مادته الأدبية من «الواقع الأرضي الذي لا ينفصل عن الواقع السماوي بحقيقته العليا وروحانيته وإعجازه وقدره. إنه الواقع الإسلامي الشامل لكل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة»[١٠].

الدعوة إلى أدب قرآني جديد

هي دعوة حق، وهي الدعوة التي عبر عنها الدكتور (أحمد بسام ساعي) بإعادة النظر في الفنون الأدبية القديمة والحديثة، الدعوة إلى فنون جديدة تتفق والعقيدة والعصر من خلال الرؤية الإسلامية الجديدة أو التصور الإسلامي الجديد أو الواقعية الإسلامية الجديدة، وذلك بأن «ننظر إليها نظرة إبداعية حرة من قيود الأمر الواقع، وبهذه النظرة الخلاقة وحدها نستطيع أن نجد لأنفسنا فنوننا الأدبية المميزة، فنوناً إسلامية كاملة، نقية من التشويه والتزييف والمسخ، ولم يكن الإسلام أبداً، وهو الذي أبدع بقدرة الله، النفوس البشرية الجديدة، ونقلها من طور إلى طور، عاجزاً عن إبداع أبدال أدبية لهذه النفوس تستجيب لندائها وتتفاعل مع حرارتها»[١١].

الواقعية الإسلامية في الأدب

عناصر الواقعية الإسلامية

من عناصر هذه الواقعية الصدق بشطريه الأخلاقي والفني، ذلك الصدق الذي يقوم على التوازن والتعادلية بين الواقع والخيال بمنأى عن المبالغة والوهم. وعن طريق تلك التعادلية يتحقق الفن الرفيع، والأدب الإسلامي المنشود. وقد تناول هذه القضية الكثير من دارسي الأدب الإسلامي، وبخاصة من استقرت دراستهم على توظيف التاريخ العربي والإسلامي في ملاحم أدبية وشعرية.

ولقد كان الشيخ أبو الحسن الندوي ينظر إلى الواقعية من خلال (الإخلاص والصدق) «وهما اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب، واللذان يهبان للأدب روحاً وقوة وحيوية، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة»[١٢]. كما وجد أن هذين العنصرين يشخصان في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وخاصة في (الدعاء والمناجاة)، واعتبرهما معجزة الأدب، واستشهد بنصوص منها: دعاء النبي في الطائف، وفي ميدان عرفات، وفي الاعتراف بعجزه وضعفه، وفي التمثيل الصادق الجامع للحوائج البشرية، وفي الراحة التي لا تنتهي والسرور الذي لا ينفد، وفي الحقائق الأخلاقية والدقائق النفسية، وفي التعبير عن القلب، وفي طلب السعة في الرزق عند كبر السن - وفي طلب صلاح آخر العمر وسعادته وفلاحه، وفي طلب فجأة الخير وسؤال النجاة من فجأة الشر، وفي الاستعاذة من زوال النعمة - بعد حصولها، وفي الاستعاذة من أرذل العمر، وفي الاستعاذة من نفس حريصة لا تشبع ومن علم عقيم لا ينفع، وفي بعض الحوائج الأساسية والجذرية في الحياة، وفي التعبير عن حاجات المسافر ومشاعره، وفي الدعاء عند إقبال الليل والنهار، وفي الاستعاذة من شر النفس، وفي طلب الخشية واليقين، وفي منطلق الشرور والمعاصي والاستعاذة منه، وفي حب الله الدواء الوحيد لكل داء، وفي طلب نصر الله وعونه وعطفه وكرمه، وأخيراً في شهادة القلب السليم. وكانت للندوي انطباعات رائعة متألقة حيال تلك الأدعية النبوية، «لأنها أفلاذ كبده، وقطع قلبه، ودموع عينيه.. وسوف تملك القلوب، وتبكي آلاف البشر قروناً طوالاً أما إذا كانت هذه الكلمات قد جرت على لسان تكرر عليه الوحي الإلهي، وامتلك ناصية البلاغة وعنان الفصاحة، فلا تسأل عن تأثيرها وإعجازها»[١٣]. ولئن ركز الندوي على عنصري الإخلاص والصدق في دعاء الرسول ومناجاته، فعسى أن يقتدي الأدب الإسلامي به، وإن كان يعتقد أن أدب الرسول لا يمكن أن يصل لمرتبته أي نوع من أنواع الأدب، لأن الداعي والمناجي رقيق القلب وجريح الكبد، وله كل نصيبه من القدرة على التعبير عن ألمه بأنواع الأساليب.

وإذا كان المبدع الإسلامي لا يرقى إلى مثل تلك الأساليب، وإن حقق قسطاً من الإخلاص والصدق في أعماله الأدبية، فعليه أن يوظفها في إبداعاته. وهي ضرورية في الواقعية الإسلامية والأدب الإسلامي، ضرورة توظيف النص القرآني وإيحاءاته في الإبداعات العربية والإسلامية. كل ذلك بقصد التأثير في وجدان القارئ، مثل توظيف قضية الموت في حياة الأبطال القصصية والروائية من المنظور الإسلامي، وما يعقب الموت من بعث وحساب، والزمن الفاصل بين الموت والبعث، وهي القضية التي تبلور فكرة (التقوى) الإسلامية التي على المبدعين أن يركزوا عليها، وهي أفضل وقاء يقي المؤمن من غضب الله. ومن خلالها تضمحل صراعات الأبطال الروائيين وهم يعيشون تلك القضية، وهي حقيقة تفسرها النصوص القرآنية، في حساب الزمن وفق المنطق الإلهي، لا المنطق البشري: ﴿وإنَّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ سورة الحج ٤٧ ومن ثمّ ستكون رقدة الأموات قصيرة ستعقبها اليقظة العاجلة. أي إن البعث والنشور والحساب سيعقب الموت مباشرة، وسيخضع الأموات للمنطق الإلهي في حساب مقدار الزمن. ومن تكون هذه هي رؤيته يخف كثيراً في الدنيا قبل أن يدركه الموت، وقبل أن يستغرقه الحساب السريع.. «عندها سيعرف الجميع - جميع الناس من كبير وصغير ووجيه وحقير وبريئ وظالم - أن ثمة حياة جديدة بعد ساعة أو يوم من مماتهم؛ كل واحد سينهض، سيحيا سريعاً، ليواجه المحكمة الكبرى التي لا ينجو منها الظالمون الأشرار.. كل الظالمين الأشرار! وإنها لحقيقة لا تقرها الديانات والأفكار القديمة، ولا تفطن لها العقول الحديثة.. ومثل هذه الأجواء والإيحاءات يمكن أن يعبر عنها من خلال الفن القصصي والروائي»[١٤].

حقائق ورؤى

ثمة حقائق ورؤى أخرى، مندرجة تحت مفهوم الواقعية، ومن صميم مفهوم الأدب الإسلامي، كالأصالة والتجديد، والمحافظة والتقليد.. وقد وجد **الدكتور أحمد بسام ساعي** أن الفنان أو الأديب المبدع يحق له أن يطور «القاعدة» وأن يضيف قواعد جديدة، وأن يغير «العرف»، الخصائص التعبيرية، وأن يضيف أعرافاً جديدة. فإذا تطاول على القاعدة فغيرها أو ألغاها عُدّ عمله «شذوذاً» وهو ساقط في حسابات الفن والإبداع، وإن أضاف إليها أو «طورها» وأضاف إلى الأعراف أو «غيرها» كان عمله «تفرداً».

لهذا يرى أحمد بسام ساعي «أن الإسلام لا يدعو إلى الجمود بل إلى الثبات، ولا يقبل التحول أو التغير ولكن يدعو إلى التطور أو التجود»[١٥]. ولذلك ينبه ويحذر من الخلط بين الأصالة والتقليد؛ لأن الأصالة هي الحفاظ على الشخصية، والتقليد هو جمود تلك الشخصية.

على أن التحذير أو التنبيه والإشارة يجب أن تنصب على قضية «المثاقفة»

الأدبُ الإسلاميُّ
يوظّف الفنَّ الإبداعي ولاينكره

تلك القضية التي يرى من خلالها كثير من المثاقفين العرب المعاصرين أن أية ثقافة فكرية أو أدبية أو نقدية خارجة عن ثقافة - التراث والأصالة هي التي يجب أن تحتذى، ويُتفيأ بظلالها.

وتطول الأفكار التي تندرج أو تكمل الواقعية الإسلامية مما له صلة بالفن والإبداع في العمل الأدبي.. ولكنها تصب كلها في النهاية في مفهوم الأدب الإسلامي أو القرآني.. هذا الأدب الذي أفاض فيه الدارسون الإسلاميون، واستخلصوا منه خصائص وقواعد ورؤى ملأت الأسفار؛ وما أحرانا بدراستها، وتعريف القارئ بمضامينها، كالتي ورد ذكر بعضها في هذه الدراسة ولم يتسع المجال لذكر أكثرها.

تعريف الأدب الإسلامي

ولنقتطف أخيراً بعض ما انتهوا إليه من تعريف الأدب الإسلامي. ويكاد يلتقي محمد قطب، وعبد الرحمن رأفت باشا، وعماد الدين خليل ومأمون فريز جرار، وعمر عبد الرحمن الساريسي عند تعريف واحد وهو بأنه «تعبير جمالي فني عن الحياة والكون والإنسان من خلال التصور الإسلامي». ويقول عبد الباسط بدر عن نظرية الأدب الإسلامي بأنها مجموعة حقائق موجودة، أو موجودة أصولها، وصياغة جديدة لمفهومات قائمة في الأذهان، وربما مبعثرة في صفحات متباعدة. ويقول مصطفى عليان عن الإسلامية في الأدب بأنه تصور فكري في تعبير أدبي لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بمعاني القرآن والحديث، وإنما نلمسها في التميز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير عن صدى القيم في النفس تعبيراً حيوياً منبثقاً من التصور الإسلامي.

ويقول عدنان النحوي عن القواعد الأساسية للأدب الإسلامي بأنها لا تصدر عن تصورات بشرية ولا تجارب مجردة، ولا تأملات فيلسوف ولا هوى أديب، إنما تصدر عن عقيدة ودين ووحي أمين ونبوّة أدت الأمانة وبلغت الرسالة، إنها قواعد تصدر عن قرآن وسنة، عن منهاج الله؛ ومنهاج الله وحده الحق المطلق الكامل لدى الإنسان. ويقول محمود رداوي عن الأدب القرآني الجديد: بأنه أدب يترك للمبدع الحرية والجولان في أجواء القرآن كي يستوحي ما يستوحي، ولا بأس إن جال في عالم الرسول وصحابته وغيرهم.. ولكن عبر مدرسة السماء الكبرى. ويقرن عبد العزيز الثنيان الأدب الإسلامي بالسياسة من خلال الشعر العربي الحديث فيرى أن الشعراء كانوا على اختلاف بيئاتهم وتباين مذاهبهم يدعون إلى الوحدة الإسلامية ويحضون المسلمين على التآزر ويذكرونهم بماضيهم المجيد، ويهاجمون قوى الشر والاحتلال، ويباركون للمجاهدين جهادهم.

خاتمة

إن الأدب الواقعي الإسلامي ليس مجرد تجربة مؤقتة، إنما هو أدب له تاريخه العريق وأصوله المتميزة ومصادره الغنية وأسلوبه الصادق وأبعاده المادية والروحية المتمازجة. وفوق ذلك كله هو أدب دعوة صادق يخرج بالإنسان من الظلمات إلى النور من خلال فن راق.

الهوامش

(١) منها على سبيل المثال لا الحصر مقال (ما هية الأدب الإسلامي) لعماد الدين خليل الذي نشر بالفيصل العدد (٧٨) ١٤٠٣هـ، و(دعوة إلى أدب قرآني جديد.. والفكر الأوربي والحلقة المفقودة) لمحمود رداوي، مخطوط، نشر منه حوالى عشرين مقالا في مجلة «اقرأ» بدءاً من العدد (٦٩٠) ١٠/٣/١٤٠٩هـ، فضلاً عن كتابي (عبد الله بلخير شاعر الأصالة، والملاحم العربية والإسلامية)، و (قضايا الأدب الإسلامي لها رؤية معاصرة) لمحمد صالح الشنطي، نشر على أربع حلقات في المجلة العربية بدءاً بالعدد (١٣٩) شعبان ١٤٠٩هـ.

(٢) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد. أحمد بسام ساعي - دار المنارة - جدة. ص ١٦.

(٣) منهج الفن الإسلامي - محمد قطب - دار الشرق - بيروت ص ٥٤.

(٤) مدخل إلى الأدب الإسلامي - نجيب الكيلاني - كتاب الأدب ص ٥٥.

(٥) محمد قطب وكتابه (منهج الفن الإسلامي)، وسيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن)

(٦) عدنان النحوي في فصليه (الصياغة الفنية، والأسلوب والشكل) من كتاب (الأدب الإسلامي - إنسانيته وعالميته).

(٧) الواقعية الإسلامية - أحمد بسام ساعي ص ١٧.

(٨) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد. أحمد بسام ساعي. دار المنارة - جدة ص ١٨.

(٩) المصدر السابق ص ٣٠.

(١٠) المصدر السابق ص ٣٣.

(١١) المصدر السابق ص ٣٦.

(١٢) نظرات في الأدب لأبي الحسن علي الحسني الندوي - دار القلم - دمشق، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية. ص ٣٦.

(١٣) المصدر السابق. ص ٣٧.

(١٤) دعوة إلى أدب قرآني جديد.. والفكر الأوربي والحلقة المفقودة - محمود رداوي - من مخطوط، نشر منه حلقات في مجلة «اقرأ» من العدد (٦٩٠) ١٠/٣/١٤٠٩هـ. وقد ركز فيها على نصوص قرآنية مناسبة تصور الحياة بعد الموت، سواء كان الموت الذي تعقبه الصحوة في الدنيا أم الموت الذي تعقبه الصحوة في الآخرة. مثل قول الله تعالى ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ البقرة ٢٥٩ و ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ سورة يونس ٤٥.

(١٥) الواقعية الإسلامية في الأدب. ص ٦٧.

زكي مبارك ولمحات نقدية

زكي مبارك



علاء الدين وحيد

تنافس الحاسة النقدية الحاسة العاطفية في تكوين شخصية زكي مبارك وإبداعه. وقد كتب أديبنا الكبير كثيرًا في النقد، بل كل سطوره النثرية بالذات نقدا ! والقليل منه هو الذي جمع في كتب يصور بدقة شخصية فناننا ومنهجه. وقد استوعب نقده الخالص الكثير مما أخرجت المطابع في أيامه خاصة في الثلاثينيات والأربعينيات. وتعرض هذه السطور آراء زكي مبارك النقدية لكتاب عصره في مؤلفات أغلبها لا تزال له شهرته وبعضها طواه النسيان.

ونقد زكي مبارك الذي يرتاد آفاقًا متنوعة، لا يفوته، لتوضيح بعض الجوانب ــ مع تنوع أصحاب الأقلام واتجاهاتهم، ــ أن يعرّف بالكاتب ورسالته. فالنقد عنده ينساق مع فطرته إزاء مسؤوليته، لا يعرف التصنع ـ الذي هو تكلف وإفساد ـ سواء في الشكل أو في المضمون. إن صدقه أولا، وفُنه ثانيا يتكفلان بالتعايش بينه وبين المتلقي، الذي يقود من ثم إلى إتمام عملية التأثير والتأثر؛ ولأن الكاتب الأصيل مهموم بقضايا أمته . . مشاكلها وأحلامها، يتنفس مجتمعه إلى الدرجة التي يستشرف فيها ما يحمل الغد قبل أن يقترب، فإن كتاباته تحمل نبض الحقيقة، الظاهر والباطن والجوهر. يكتب ناقدنا الكبير «الكاتب الحق يقتنص قلبك وعقلك في مهارة الصائد الختول الذي يرى الصيد ولا يراه الصيد. الكاتب الحق يروضك على تغيير ما بنفسك بنفسك، فلا تتوهم أن له يدا في نقلك من حال إلى أحوال، وإنما تشعر أنه يغير بالنيابة عنك، وإنك لو حملت القلم لكنت أقدر على الإبانة والإفصاح».

ولا يختلف الأمر إزاء الصنعة الفنية نفسها أو الأدوات أو الأسلوب، إنها أيضا لا تتعمل ولا تتصيد الإدهاش أو الإبهار؛ لأن ذلك صناعة الفقير في الموهبة، الذي يحول الإبداع إلى ألعاب بهلوانية فارغة. وإنما هي تستعين بأقرب الوسائل إلى روح كاتبها الأصيل المجبول على الفطرة النقية.

وهذه الفطرة ليست أو لا يجب أن تكون ساذجة؛ لأن الفن بطبيعته كائن ماكر، وإنما هي ذات دهاء تريد أن تتسلل إلى قلبك وهي تقنع في الوقت ذاته. تعرف أن الاقناع ليس أشبه بنظرية رياضية، بل هو عاطفة مفكرة عاقلة تبغي أن تضمك إلى صف ما يسوق صاحبها من فلسفة حياة وموقف. وهذا عمل ليس بالسهل إزاء ما عليه النفس أو العقل أو القلب من عوالم بعيدة الأغوار كثيرة الشعاب متعددة الاتجاهات. ولذلك فهو يحتاج إلى ثقافة ونضج ودربة، تمكن من إزالة العوائق وتعبيد الطرق واختصار المسافات، والوصول إلى الهدف بنجاح. يفسر أديبنا الكبير هذه العملية بقوله: «والوصول إلى هذه الغاية يحتاج إلى سياسة عالية، وتلك السياسة قد تستوجب أن يطوي عنك الكاتب ما يرمي إليه من مقاصد وأغراض، ليضمن غفوة عقلك عن مقاومة ما يدعو إليه. وقد تحار فيما يريد منك الكاتب، ثم تعرف بعد قليل أنه لم يرد لك غير ما تريد لنفسك، وهو في الواقع أصاب مقاتلك من حيث لا تشعر وكيف تشعر وقد استدرجك بأسلوب ألطف من اللطف وأخفى من الخفاء» ؟!

وهذا الالتفاف أو المحاورة والمداورة، بجانب الأسلوب المباشر في سبيل الاستحواذ على العاطفة والفكر، يجب أن يسلك مع عميق معاناة صاحب القلم في الفكرة واللغة، أسلوب السهل الممتنع. مسؤولية الكاتب الكاملة أن يجهد نفسه ويحيط بموضوعه، ويقدمه في أقل الصور تعقيدا أو إجهادا للقارئ، شرابا سائغا ! لا يدل ظاهره البسيط على داخله المركب، ولا بساطة لمساته على أغواره العميقة. «فالكتاب الكبار قد يشقون في تحبير ما يكتبون أعنف الشقاء، ولكنهم ينتهون إلى عرض آرائهم بأساليب هي الغاية في الوضوح والجلاء. فلا يتوهم متوهم أنهم عانوا عنت الإنشاء وقد هاموا على وجوههم في تجاليد الليالي».

ويؤكد زكي مبارك أن فن الكاتب كما هو مرتبط بمسؤولية صاحبه، فهو أيضا متصل أوثق اتصال بما يحمل من مبدأ. فالمثل العليا هي روح الفنان التي تمكنه من أن يتنفس ويبدع، وتشجعه على التماسك وسط كل عوامل الإحباط التي يجد في المناخ الفاسد. وهي بما تفرز من مبادئ رفيعة، تتيح لصاحبها أن يوصل القيم العظيمة في النفوس، وبذلك يجعل الخير والحق والعدل أكثر تماسكا، وقوى الشر أقل تأثيرا. «الكاتب الحق هو دائما من أصحاب المبادئ والعقائد، في حدود ما يتصور من المبادئ والعقائد، لا في حدود ما يتصور الناس. ومن هنا يجوز للكاتب أن يلقاك بما يحب وبما لا تحب، وهو حين يستفحل قد يزلزل رأيك في جميع الشؤون ولو حدثك عن مواقع هواك».

ويتصل بالمبدأ الدفاع عن المبدأ، ولا حياة للأول إلا بالثاني. إن المثل الأعلى ليس شيئا مجردا بل قيمة تتنفس، وهي إذ تفعل تثير ضدها قوى الشر والجمود والرجعية، وليس في الإمكان أبدع مما كان. التي استراحت طويلا إلى بسط نفوذها في عماء الظلام والجهل والنفعية. فإذا اليقظة تهب متمثلة في عُشَّاق

المبادئ الرفيعـة . . الـذين يقدمـون على معـركتهم وهم يـدركون جيـدا أنهم يعرضون أنفسهم لمختلف المخاطر، بقلوب ثابتة الجنان، وإرادات قوية وأرواح ظامئة إلى التطور والحرية والحق والعدالـة الاجتماعية وتأصيل الشخصية المصرية والعربية في الفكر والفن والأدب. يكتب زكي مبارك: «الكاتب الحق هو الذي لا تصرفـه الأكاذيب والأراجيف عما يجب عليه من الفناء في خدمة الواجب. هو الذي يستعذب الأذى في سبيل الشريعة الأدبيـة، والأدب من الشرائع هو الذي يرى أن لا بـأس عليه من الحرمـان في أبشع جوانبـه ونواحيه، مـا دام يؤمن بـأنه كاتب موهوب، لأنه يعرف أن نعمة الكتابة لا توهب لغير المصطفين من أذكياء الرجال. الكـاتب لا يستوحش زمانه إلا وهـو متكلف؛ لأنه يستفيد من الظلم أكثر مما يستفيد من العدل، ولأنه ينتفع بـالفوضى أكثر مما ينتفع بالنظام، ولأن الإسـاءة من أهل زمـانـه قـد تصيّره رجـلا لا يعتمـد على غير صـاحـب العـزة والجبروت».

وعنصر آخر في تكوين الكـاتب لا يقل أهمية إن لـم يزد، كـان زكي مبارك حريصـا على أن يبرزه ويؤكده، ويشير إلى ما يشكل من قيمـة كبيرة في الإبداع الأدبي، وهو إنسـانية المعالجة. وهـو عنصر كان يبدو وقتهـا في الربع الأول من القرن العشرين، وسط التحديات الكثيرة التـي تجابه أصحاب الأقلام، ليس في الأوليات!

كانت الـروح الأجنبية من نـاحية، والتراثية المنغلقـة من ناحيـة أخرى، هما اللتان تتنازعان الجمهور القارئ، بينما هـو لا يجد نفسه فيهما! وجاءت الدعوة إلى أدب مصري صميم، استجـابـة إلى هـذا الشـوق. وفي خضم المعـارك التي واجهتها الدعوة، تخففت ربما مضطرة مـن الإلحاح على الإنسانية، وبالذات في أدب التنظير والنقد. ولكـن أديبنا لـم يفعـل، واستحضر قيمتها دائما أمـامه. رافضًا كما يقول اكتفاء الكاتب بالمسحة المصرية الأقرب إلى التجريد فحسب، «وإنما أريد أن يكون إنسانا مصريا، إنسانـا تعينه الوشائج الإنسانية، ومصريا تعينه الأواصر المصرية».

تتلمذ زكي مبارك وتكون في عصر يعجب بالأسلوب الأدبي الجزل، وقد بلغ تمكن أبناء جيله العمالقـة ـ وهو منهم ـ من أن يكون لكل منهم أسلـوبه القوي المميز الخاص، الذي يعـد مدرسة بذاته. ولذلك كـان الأسلوب الذي لا يهتم بجماليـات الفن، يسقط اعتبـاره عنـد قـراء كثيرين وأولهم الأدبـاء أنفسهم، ويطلق عليـه سخـرية الأسـلوب العلمي أو (التلغـرافي)! وأشهـر كتاب هـذا اللون، أحمد أمين وسـلامة مـوسى. ولذا كـان من الطبيعي عندمـا يتناول زكي مبارك «فيض الخاطر» لأحمد أمين، أن يهاجم أسلـوبه «أسلوب أحمد أمين ليس بالأسلوب الرشيق، وأحمد أمين من «دهاقين الكلام» كما كان يعبر القدماء، ولا عبرة بـاعتـذاره بأن المهم هـو المعـاني، ولا قيمـة للغض من الـزخـرف والبريق والرواء، لأنها عنـاصر أساسيـة من الأسلوب الجميل. ولكن يجب الاعتراف أن أسلوب أحمد أمين لـه شخصية تتميز بالسهـولة والوضوح، فهو يعبر عن ذات نفسه تعبيرا صحيحا، وهو يقنع وإن كان لا يفتن، لأنه يبغي الاقنـاع ولا ينشد الفتون، وليس ما وصل إليه بالمغنم القليل»!

وليس معنى هذا أن زكي مبارك غير متطور أو أنه من عباد الأسلوبية، فهو



المازني



العقاد



البشري

ليس كذلك. فقد ظهر أديبنا الكبير في حياتنـا الفكرية واتخذ موقفه كثائر على المفاهيـم والأشكال العتيقـة للأجيال السـابقة. كما أنـه كان يعيـب على العقاد والمازني غرامهما في ذلك الوقت بالسجع والازدواج. ويتفق مع هذه النظرة رفضه للتقعر اللغـوي، قريـن الجمود، والذي يـرجع بـالقارئ القهقـري إلى عصور انحطاط الأدب، والذي يستعـرض عضلات ولا يقول شيئا حقيقيـا، رافضا في ذلك أن يساير حجة أصحابه المزعومـة في إحياء اللغة! ومن هنا هجومه الكبير على الشيخ عبد العزيز البشري: «كاتب يذكرك في كل سطر بأنه أديب يتصيد الأوابد من مجاهل القاموس واللسان والأساس، وتلك حال المنشئين المبتدئين، وهي حال ينكـرها أعلام البيان، لأنها تشهـد على أصحابها بالبعـد عن الاتسام بوسم الفن الرفيع»!

ولهذا يضيق زكي مبـارك ضيقا شـديـدا بنوعيـة الأدبـاء المتقعرين، الـذين يعيشون دنيا غير دنياهم ويحولـون اللغة التي هي روح العصر ونبضه إلى أشياء بائدة عتيقـة، انقطع العهـد بينها وبين الناس منـذ قرون، ولـم تعد تنـاسب أيامنا، ولا فائدة ترجى من إحيائها لأنها نتاج عصور مختلفة تماما، وأليق مكان لها هو المتحف. ونقد أديبنا الكبير الجارح لهذه النوعية إنها: عصابة أساءت إلى الأدب المصري حين صيرته متاحف وتهاويل، ومعارض وتزاويق. «والأخطر من ذلك في رأيـه، أنها تظهـر متمسحة في التراث، الحفـاظ عليـه وإحيـائه وبعث أمجاده! وهي واجهة كانت في العشرينيات والثـلاثينيات من هذا القرن، تغري الكثيرين بالاطمئنان إليها. والخطر منهـا وفيها، «إنها فرضت على الدولة وعلى الجمهور أن يفهمـوا أن هذا هـو الأدب الحق، وأن لا أدب سواه! «وفي النهـاية يطلق فناننا صيحته: أرجو أن يـدرك كتاب هذا العصر أننا مللنا من الحديث المعاد، وأننا نـود أن يكون لنا تاريخ جديد في الأدب العـربي، تاريخ ينطق بأننا عبرنا عما في نفـوسنا وقلوبنـا بصراحة وصدق، وإخـلاص، تاريخ يشهـد بأننا تغنينا صادقين بعواطف هذا الجيل، وتألمنا صادقين من مآثم هذا الجيل!».

وحين يخلص زكي مبارك لموضـوعيته، يأتي بأعمق التناول، لأنه يـوظف ما يملك، وهو كثير، في إقـامة صرحه النقـدي. وكذلك يفعل وهـو يعالج الجزء الأول من «الأيام» لطه حسين. هنـا يستجمع ناقدنا قواه الفكريـة والفنية جميعا متنـاولا هـذا الأثـر الأدبي المهم، فيحيط بكل عنـاصره ويتعمق معـالم السيرة الحافلـة، ويتوقف عند أبعادها الإنسانية التي تهزه هزا، «لقد أبكاني طه حسين وهـو يقص طفولتـه وصبـاه، أبكاني وأنـا خصم، فكيف يصنع إذا نفض هموم صدره إلى رجل يحمل بين جنبيه قلب الصديق الشفيق».

وإذا كان القـارئ يعرف في ناقـدنا شيمـة الصدق، فمن الطبيعي أن يعلي صاحبها من قيمتها ويجعلها المقيـاس الدقيق للأدب الأصيل، الذي يستجيب

زكي مبارك ولمحات نقدية



لمتطلبات الفن والواقع معـا. يقول عن «الأيام» أيضا: «إن الـدكتور طه حسين قد التزم الصدق التزاما تـاما في كتاب الأيام، وكان من آثاره ذلك أن يأسر جميع من قرأ مذكراته عن طفولته وصباه، لأن الصدق خلق نفيس، وهو يزيد الأديب جلالا أيّ جلال».

وحين ترتفع نبرة الصدق تصبح صراحة، ولـم يُعَرف زكي مبارك في أغلب أيـامه بـالـديبلـوماسيـة والكلمـة الرقيقـة والتربيت على الكتـف، بـل اشتهـر بالعكس! ولما كان صريحا وسريع الغضب، فلـم يكن من أمل يجعل لفظه مهما حاول أقل حدة وأكثر لينا! وقد عد الكثيرون هذا التكوين ميزة، وعده آخرون عيبـا كـان يجب أن يبرأ منـه الأديب الكبير! ولا شك أن المذاق الصريح أعطى كتابات نـاقدنا نكهة خاصـة طيبة، ظهرت أهميتها وضرورتها بالنسبـة للأجيال الجديدة في عهود تـالية كممت فيها الأفواه وأولهم أصحـاب الأقلام؛ ولأن زكي مبارك مثال للأديب الذي لا يقيم حاجـزا حقيقيا صفيقا أو مصطنعا بين حياته وما يسطر، ولا يكتم في نفسه إلا أقل القليل ــ مباذلـه الخاصة ــ ودون ذلك فهو مجال للتنفس الأدبي، فقد عرض الكثير من نبض روحه فيما يكتب.

ولما كان ناقدنـا الكبير يملك روحا ساخرة قوية، فقـد أصبحت السخرية من دعـائم أسلوبـه ونقده، تتفاوت شـدتها وتتراوح درجاتها بين المنـاسب وغير المنـاسب. فتطغى في كثير من الأحيـان لتكـون خنجـرا ينغـرس في اللحم الحي فيـدمي طويـلا. يستخـدم زكي مبارك هـذا السلاح الفتـاك في نقـده ومعاركـه الأدبية، في غير حرص ولأقل بادرة من الجانب الآخر!

ويكون نقد أديبنـا الكبير في أحسن مستوياته، عندمـا يربط بين شخصية صاحب القلم الذي يتناوله بالنقد وإبداعه الفني، وما يعكس الثاني من تكوين الأول، سواء سلبـا أو إيجابا، ومدى تأثير عنـاصر الطبع والأخلاق في الاتجاه أو الموقف الفكـري الذي يتخـذ. وبتحليل هـذا كله يجسم نـاقـدنا الكبير أبعـاد الشخصية وأدب صـاحبها. ومن أهم اللمسات التي تقدم هـذا المنهج، تَنَاوُلُ زكي مبارك لأحمد لطفي السيد في كتـابه «المنتخبات»: «كتابـات هذا الرجل لا تصور ما يملك من المواهب، لأن قلمه أضعف من روحه، ولأنه في سريرة نفسه يتهيب المجتمع، وإن اشتهـر بالثـورة على المجتمع. والحذر المأثـور عن لطفي السيد هو الذي قضى بأن تمر ثورتـه الفكرية بلا صخب، ولا ضجة، كما مرت ثـورة محمـد عبـده وثورة قـاسم أمين. هـو صـورة صحيحـة من صـور العقل الصحيح، لأنه أقام حياته على «الاعتدال» فلا يسرف في الحب ولا في البغض، ولا يجهل الوسط بين النشاط والجمود، ولا يغيب عنه أن اليوم لـه أعداء، وأن ما توجبه الساعة الحاضرة قـد يمتد وقته إلى عام أو عامين، فمن السخف أن يقتل الرجل نفسه ليقال إنه أنشط الـرجال «!» ومن هنا يتسم أسلوب لطفي السيد خاصة في بـداية حياته الفكرية التي تظهـر في «المنتخبات» بالتعمل والتكلف، «وهو يخرج كلامـه بتثاقل وإبطاء، ولولا البوارق الفكريـة التي تلمع في كلامه من وقت إلى وقت لعُدّ من المتخلفين. إن لطفي السيـد قد طبع أسلوبـه بطابع نفسه من التهيب والاحتراس، والمتخوف لا يكاد يبين»!

كلمات لزكي مبارك

□ والكاتب لايعرف أين هو ولا حاضره وماضيه لأنه مشدود إلى قافلة الوجود.

□ إن عـالم الفكـر غير عـالم الشهود، ولأن الإقامة في ظرف المكان لا تمنع القلب المتحرك من التجول في آفاق العقول والقلـوب والأحاسيس.

□ أضاع الله من ينسى أن رجال السياسـة يدينون لـرجال القلم أثقل الدين، فبفضل الأقـلام صار عنـدنا سياسـة وسياسيون، ولـو كره بعض الجاحدين!

□ البطء في التطور هو ما أسميه التماسك، لأن التطور السريع لا يخلو من ثورة على الشخصية الذاتية.

□ إن التشكي الكثير من نظـام الوجود ليس من عـلائم العافية، إلا حين يراد به خلق نظام جديد ميسور، لا أتخيل وجـودًا لـه إلاّ في أذهـان المتكلفين.

□ الكـاذب يسبق الصـادق إلى امتـلاك القلـوب الخواضع لخوادع الوداد.

□ الجهل يصـدنـا عن مـراعـاة الـواجب في معـاملـة الأصـدقـاء فنتـوهمهم يقبلـون منـا كل شيء ويغتفـرون لنـا جميع الـذنوب. ولـو عقلنا لأدركنا أن الصديق ينتظر منا ما يجب في كل وقت. ويـرجو أن نـرى سيئـاتـه أشرف من الحسنـات، وأن نعده أعظم مخلـوق جادت به الأرض على السماء.

ومن يسمـع الصـديق كلمـة اللطف إذا بخلنـا بها عليـه؟ ومـا حـاجة الصـديق إلينـا إذا صارحنـاه بعيـوبـه كما نصـارح الأعـداء؟ آفـة الصـداقـة أن نعـاملهـا كما نعـامل العداوة باسـم الحرص على الشجاعة الأدبية مع أن للصداقة حقوقا أيسرها التغاضي عن هفوات الصديق.

ونحن في الغالب نلاطف الأعداء ليصيروا أصـدقـاء ونتنـاسى حقـوق الأصـدقـاء لأن ودهم مضمـون، ثـم تكون النتيجـة أن يعدنـا الأعداء من أهل الريـاء وأن يعدنا الأصـدقاء من أهل العقوق.

□ فـالجمال الحقيقي هـو الجمال الإنساني، لأنه يفهم عنا ما نريد، أما جمال الطبيعـة فهـو جمال بليـد، ولا يكتفي بـالأنس بـه إلا الممتحنـون بالحرمَان!

□ إن الشاعر لا يفكر في إرضاء الناقدين، وإنما يفكر في تأدية الرسالة الموحاة إليه من عـالم الغيب، أو عالم الطبع، ولا يهمه بعد ذلك أن يقال إنه عرف شيئا وغابت عنه أشياء.

□ هل يطيب النثر الفني ويجود

وأداة أخرى يعتمد عليها زكي مبارك في معالجة ما ينقد، وهي ما وراء النص، التي لا تكتفي بالنص أو المادة المطبوعة وحدها التي يدفع بها الكاتب إلى القارئ، بل بكل العناصر الفعالة الأخرى التي تفاعلت في نفس صاحبها، فأظهرت الأثر الأدبي إلى الوجود بصورته النهائية وليس بألوان ثانية. وهذه العناصر متعددة تتصل بالأحداث الخاصة والعامة وعوامل الشقاء والسعادة والمناخ النفسي والاجتماعي والاقتصادي، إلى آخر ما يدخل من تفاصيل الحياة الإنسانية. ولزكي مبارك فيما وراء النص عبارة مشهورة هي: «من واجب النقد الأدبي أن يبحث عن الأسرار المطوية في ثنايا الحروف».

وقد ساعد أديبنا الكبير على الغوص في هذا المجال معاصرته لأغلب من يكتب عنهم وقربه الوثيق من أكثرهم. وأهمية المعاصرة أنها تحتفظ للأحداث بجدّتها وطراوتها وحضورها بعيد وقوعها، وللشخصيات بحيوية ملامحها الآنية في ذلك الزمن البعيد. كما تختزن للأجيال الجديدة الكثير من الدقائق المهمة التي تضيع في زحمة مرور السنوات. بجانب أنها تتيح لصاحب القلم المنغمس في الحياة الفكرية والثقافية مثل زكي مبارك، وهو نفسه أحد المعالم المهمة لهذه الحياة، أن يظهر على ما يخفى على غيره البعيد عن مسرحها، وهي جميعا تضيف الكثير من الأبعاد على ما يتناول، وتتضاعف فائدتها بالنسبة إلى قارئ اليوم. ويظهر أثر هذه المعاصرة الكبير في أغلب ما ينقد فناننا، خاصة لكتاب جيله وبالأخص طه حسين والعقاد وأحمد أمين.

والقلم الناريّ الذي يعالج به زكي مبارك قضاياه، يتحول في بعض الأحيان إلى قلم شديد الرقة.. ! ومبعث ذلك ما جبل عليه الأديب الكبير من عاطفية شديدة، تكاد تنسيه نفسه فتنأى به عن الموضوعية. فإذا كان عنيف القسوة على خصومه، فهو كثير الرفق بأصدقائه، كأنه هكذا دائما: كاتب مسالم لا يغضب بضراوة. في تناوله لكتاب «وحي الرسالة» لأحمد حسن الزيات ـ لا



طه حسين



أحمد لطفي السيد



أحمد أمين

أهمية لأن نقول إنه نشره في «الرسالة» لصاحبها الزيات ـ يكاد لا يجد فيها عيبا إلا أقل القليل وفي كلمات قلائل. أما بقية المقال فهي قصيدة مدح تلتمس كل ميزة ليرصع بها جبين الزيات! وهكذا يتخفف تماما من قوله المعروف «أنا لا أجامل أحدا على حساب الفكر والبيان».

وموقف ثالث يتخذه زكي مبارك في نقده،. ويفرضه عليه هذه المرة غير صلته بالصحاب أو الخصوم، تعاطفه مع من يتشابه به وتكوينه الشخصي وحدته وعنفه، فيضع صاحبه مؤقتا بذلك في عداد الأصدقاء وما هو منهم مثل: عباس محمود العقاد! وفي معالجة أديبنا لكتاب العقاد «مطالعات في الكتب والحياة»، تحليل قوي بارع، كأن ناقدنا الكبير يفسر أعماله هو نفسه! إن ملامح كثيرة بين الأديبين الكبيرين، ولذلك فإن عيوب العقاد تجد دفاعا حارا من زكي مبارك، كأنه هو أيضا يدافع عن عيوبه هو. يدافع عن اندفاع العقاد بقوله: «الرجولة الحقة تفرض الشجاعة الحقة، ولا تتم الشجاعة لرجل، إلا إذا جاز أن تصل به أحيانا إلى حد التهور والجنون، لأن ضبط النفس لا يتيسر في كل وقت، كما يتيسر لبعض من يفهمون أن الرجل «الصالح» للانتفاع بالمجتمع هو المخلوق «المصقول». وما قيمة القلم إن لم يجرح بسنانه عيون المتعالين والمتعالقين من حين إلى حين؟ وما حظ الأمة في أن يتخلق جميع أبنائها باللطف والظرف؟ أعاذنا الله من زيغ البصائر في هذا الزمن المخبول!».

إلا من الكتاب الذين كانوا في مطالع حياتهم شعراء؟

□ إن الكاتب الحق لا يخطر في باله حين يكتب أنه من أصحاب الأساليب؛ لأن الكاتب العظيم تصبح عنده الكتابة من وحي الفطرة والطبع، بحيث لا يشعر أن التأنق غرض مقصود، وإن أضافه الفن الجميل إلى طوائف المتأنقين.

□ الكاتب الحق هو الذي يشغلك بنفسك، ويوجهك إلى مصيرك المنشود، ويفرض عليك درس غرائزك وأهوائك، بدون أن يفكر في حملك على الإعجاب بخصائصه الإنشائية.

□ أنا بصريح العبارة أتهم أهل التكلف وأراهم أطفالا في دولة البيان.

□ هل سمعتم بالسمك الرعاد الذي لا يوجد في غير نهر النيل؟ هو سمك كسائر الأسماك، ولكن فيه قوة كهربائية، وكذلك الكلام البليغ، فهو كلام كسائر الكلام، ولكن فيه قوة كهربائية وصلت إليه من ثورة الروح أو فورة الوجدان.

□ إن الكتابة قلب يفصح وعقل يبين، وليست ألفاظا تضم إلى ألفاظ.

□ الكتابة قوة روحانية لا تتفق للكاتب إلا بموهبة سماوية، فمن أراد أن يكون كاتبا فليرحل من طبقات الأرض إلى أجواز السماء.

□ فالشاعر الإنساني يجد لعواطفه صدى في جميع البلاد، أما الشاعر «المحلي» فأفقه ضيق محدود.. وما أريد الغض من العواطف التي توجهها الأطوار المحلية، وإنما أريد أن يتغلغل الشاعر والكاتب في أعماق الأرواح والقلوب، بحيث يحدث قراءه عن آفاق روحية وعقلية لا يهتدون إليها إلا بوحي من العقل الملهم والقلم البليغ.

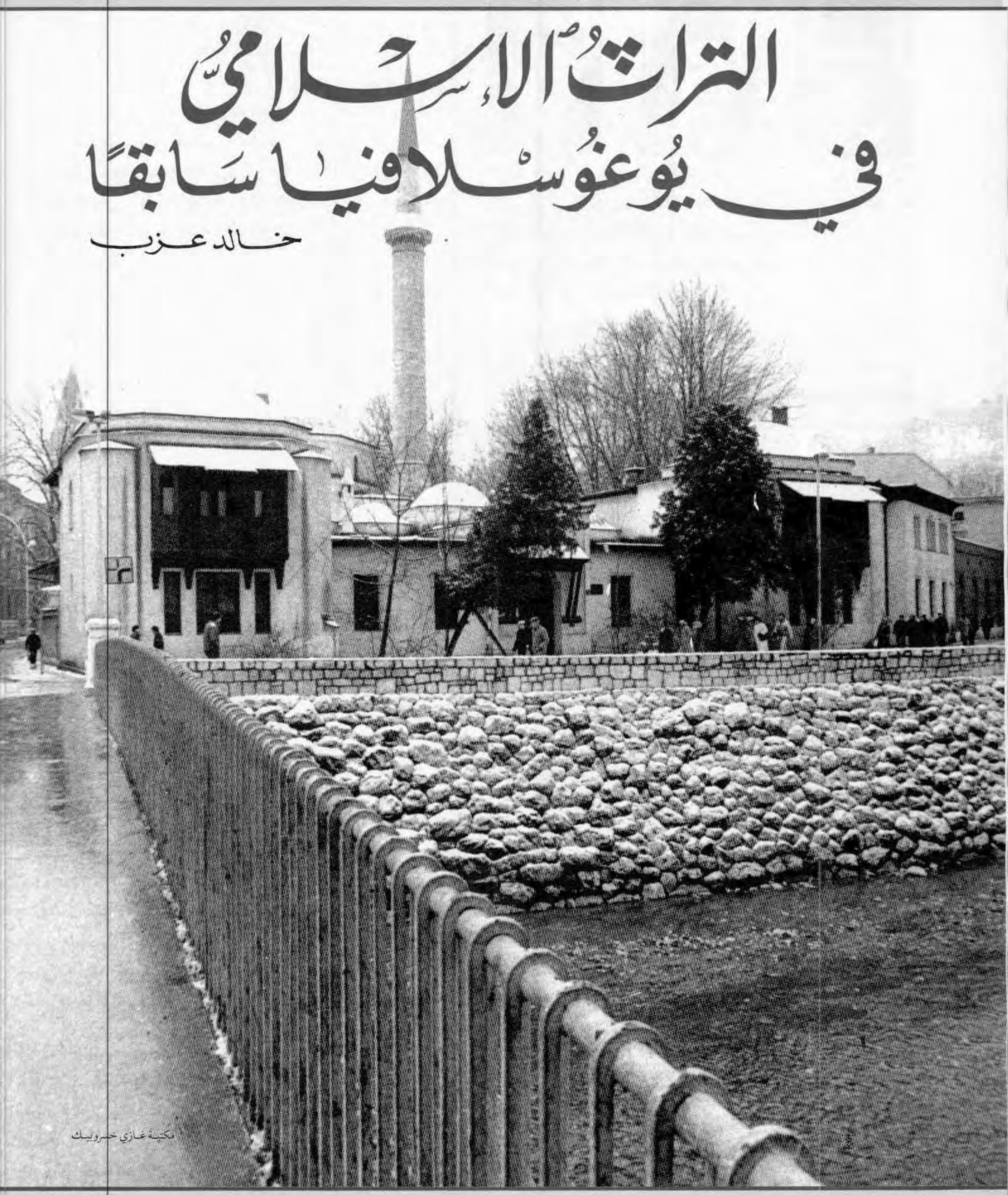
□ راضتني الأيام بعد الجموح، وانضممت كارهًا إلى العصابة التي تقول بأن الرياء سيد الأخلاق!

□ هل في الدنيا شريعة تفرض عليّ أن أنصف الناس وأظلم نفسي؟!

□ إنما أنكر التعميم في الأحكام النقدية. التعميم الذي يصم المجتمع في جميع طبقاته بالتفكك والانحلال مع أنه في الحقيقة لا يخلو من تماسك يضمن له البقاء. وإنما عددت هذا المذهب جريمة لأنه ينتهي إلى التعجيز والتيئيس، ولأن أثره في تقويم المجتمع أثر ضئيل.

التراث الإسلامي في يوغوسلافيا سابقًا

خالد عزب



مكتبة غازي خسروبيك



جامع خسرو بيك في سرايفو قبل تدميره

سراي بوسنة، موستار، بلغراد، سكوبيا، جورازدي، بانيالوقا، قوصوه، نوفي بازار، مدن إسلامية في يوغوسلافيا السابقة، تمثل جزءًا من تراث الأمة الإسلامية الحضاري. بعضها تحول إلى ذكريات لماضٍ تليد صنعه العثمانيون، فقد دمر على يد الصرب عند قيام ما يعرف بيوغوسلافيا، حتى غدت بلغراد الإسلامية فردوسًا أندلسيًا آخر نتغنى بما عرفته من أمجادٍ إسلامية. وهي اليوم أندلس أخرى، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

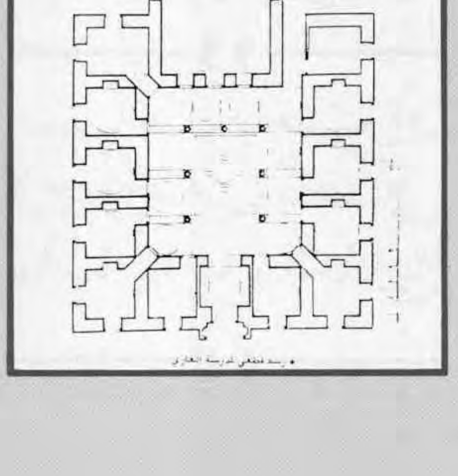
وللمسلمين في هذه البلاد تراث حضاري بعضه اندثر، وبعضه مازال باقيا. ومن واجبنا أن نحاول أن نتعرفه، وعبر الكلمات القليلة القادمة سنتجول بين صفحات الموروث الحضاري للأمة الإسلامية بهذه البلاد.

المدارس

اشتهرت هذه البلاد بكثرة عدد المدارس فيها، ولعل أشهر هذه المدارس **مدرسة الغازي خسروبك في سراي بوسنة** التي تعرف خطأً باسم سرايفو، ويرتبط اسم **الغازي خسروبك** بهذه المدينة فقد تولى مقاليد أمورها منذ النصف الأول من القرن السادس عشر (١٥٢١ ـ ١٥٤١م). وأقام مجموعة من المنشآت المدنية والتعليمية والاجتماعية والدينية. وخلال فترة حكمه نمت مدينة **سراي بوسنة** وتطورت بحيث أصبحت مدينة كبيرة ومركزًا لمنطقة **البوسنة والهرسك** من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. وأوقف **الغازي خسروبك** جميع أملاكه لمدينة سراي بوسنة، فقد ترك مطبخًا ومطعمًا عموميا وحمامًا وخانقاه وسوقا كبيرة وشبكة أنابيب لنقل المياه إلى أربعين صنبورًا عموميًا، وكثيرًا من المشروعات المرتبطة بالمشروع الأساسي كالمدرسة والمسجد والمكتبة. وترك وراءه أموالا كثيرة من أجل الإنفاق عليها والتكفل بها. **وقد تم الانتهاء من تشييد هذه المدرسة في عام ٩٤٤ هجرية الموافق ١٥٣٧ ـ ١٥٣٨م.**

والمدرسة من الناحية المعمارية، مشيدة على

مسقط أفقي لمدرسة الغازي خسروبك بسرايفو



نظام المدارس العثمانية التقليدية التي عادة ما تكون مستقلة ومغلقة. ولها فناء محاط من جميع الجهات بحجرات للتلاميذ والأساتذة وهناك عبارة منقوشة على مدخل مدرسة الغازي خسروبك ترحب بالزائرين والقادمين وتذكر أولئك الذين مروا عبر هذا المدخل منذ ما يزيد على أربعة قرون ونصف القرن، تقول: شُيد هذا المبنى من أجل أولئك الذين يطلبون العلم [١].

وبرزت أول مدرسة في بلغراد في السنوات الأولى للحكم العثماني، وهي مدرسة محمد باشا التي بناها محمد باشا في إطار جامعه الذي عُرف باسمه. وفيما بعد، استمر عدد المدارس في الارتفاع، ومن أشهرها **مدرسة السلطان محمود**. ونظرا للمستوى الرفيع الذي كان لهذه المدرسة فقد كان الأستاذ يتقاضى يوميا ستين أقجة، أي ما كان يتقاضاه الأساتذة في أشهر مدارس استنبول. وكان عدد الطلاب بالمدرسة في سنة (١٧٦٦م): ٢٧ طالبًا، ومن المدارس التي اشتهرت في بلغراد **مدرسة الصدر الأعظم سعيد حسن باشا، ومدرسة يحيى باشا خطيب زاده** [٢] وكانت هذه المدارس تدرس علوم اللغة وآدابها، والفقه والتفسير والحديث والعقائد .. إلخ. وغالبية نصوص هذه المواد كانت تدرس باللغة العربية.

الكتاتيب

انتشرت الكتاتيب بهذه البلاد وبصفة خاصة في **سراي بوسنة، وموستار** التي كان فيها ١٦ كُتّابًا أثناء الحكم العثماني لها، **أقدمها مكتب «كتاب» جامع كيوان كتخدا، ويعود تاريخ إنشائه إلى سنة ١٥٥٤م**، ويحتمل وجود كتاتيب قبل ذلك، ولكن ليس لدينا معلومات دقيقة عنها، **وأشهر الكتاتيب المعروفة بموستار في الفترة من ١٤٦٥م إلى ١٨٧٨م كتاتيب: قره كوزبيك، وكيوان بيك، ودرويش بيك، وبايزيد أغازاده، والحاج بالي، والحاج أحمد بيك، وسباهيتش** [٣].

الجوامع والمساجد

تنتشر المساجد في يوغوسلافيا السابقة، فقد كان في سراي بوسنة ٧٧ جامعًا و٩٣ مسجدًا، أكبرها جوامع: سلطان باشا، فرهاد باشا، خسرو

التراث الإسلامي في يوغوسلافيا سابقًا

باشا، غازي علي باشا، عيسى باشا. ومن أشهر جوامع بابيتش سه جامع سليمان خان بالقلعة. ومن جوامع بانيالوقا جامع فرهاد باشا وهو في فخامة جوامع السلاطين، ومن جوامع طاشليجة، جامع حسن باشا وجامع حاجي حسين أفندي، وجامع حاجي رضوان وجامع حاجي علي، وجامع أوضه باشى [4] ومعظمها إما أزيل أو تعرض لأضرار شديدة خلال الحرب الأخيرة، وقد كان ببلغراد مساجد وجوامع كثيرة أزيل معظمها على يد الصرب بعد الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، ومن هذه الجوامع: **جامع إبراهيم بك وهو من أقدم جوامع بلغراد. كان في الأصل مسجدا يعود تاريخه إلى ما بين ١٥٧٢ ـ ١٥٨٢م، جامع إبراهيم شلبي** وقد ذكره أوليا شلبي في وصفه لبلغراد سنة ١٦٦٠م، **جامع بيرم بك**، من أقدم الجوامع في بلغراد، إذ إن تاريخ بنائه يعود إلى سنوات ١٥٣٦ ــ ١٥٦٠م. وقد ورد ذكر هذا الجامع أيضًا في وصف أوليا شلبي لبلغراد سنة ١٦٦٠م. ويبدو أن بيرم بك كان من الشخصيات الكبيرة إذ بنى إلى جانب هذا الجامع مدرسةً وحمامًا وعمارة، . وبالإضافة إلى هذا كان في بلغراد محلة وسوق يحملان اسمه أيضا.

وقد أشاد بهذا الجامع الرحالة **أوكندورف** سنة ١٦٦٣م بوصفه من أكبر وأشهر الجوامع في بلغراد. وقد هدم هذا الجامع في السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر [5].

ومن جوامع بلغراد التي تحكي مأساتها جامع الدفتردار، وهو يعتبر الجامع الأصلي للمدينة، إذ يرجع تاريخه إلى نهاية القرن السادس عشر، أو بداية القرن السابع عشر، ورد ذكره لدى شلبي في وصفه لبلغراد مع محلة تحمل اسم الجامع. أصبح هذا الجامع كنيسة خلال الحكم النمساوي لبلغراد ١٧١٧ ـ ١٧٣٩م، وبعد عودة المدينة إلى العثمانيين قام دفتردار بلغراد **أحمد بن إبراهيم البلغرادي** بإصلاح وتجديد هذا الجامع وأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم **«جامع الدفتردار»**. وفيها بعد أصبح أحمد وزيرا وواليا لسالونيك ومصر في عهد السلطان عثمان الثالث الذي لقبه بـ **«الكامل»**، **ولذلك يرد الجامع باسم «كامل أحمد باشا»**. وقد دارت حول هذا الجامع إحدى المعارك الرئيسة في حوادث سنة ١٨٦٢، ومن المؤكد أنه قد تعرض لأضرار، وقد ظل مهجورًا عام ١٨٦٢م حتى هدم عام ١٨٨٠م [6] **وكان قد بقي في سكوبيا عاصمة مقدونيا ثلاثة عشر جامعًا صالحة للصلاة منها جامع عيسى بابا وجامع يحيى آغا وجامع محمد بيك**.. إلخ ولكن هذه الجوامع منعت السلطات اليوغوسلافية السابقة ترميمها، وكان هدفها من ذلك إزالة الهوية الإسلامية للمدينة.

وكان بمدينة موستار خمسة وأربعون جامعًا ومسجدًا دُمّر معظمها خلال الحرب الأخيرة، ومن هذه الجوامع، **جامع سنان باشا** (الجامع الضيق) بني سنة ١٤٧٦م، وهو أقدم جوامع موستار وأوسعها، هدّمه الشيوعيون سنة ١٩٤٩م، **جامع قره كوز محمد بيك** بني سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م، وهو من أجمل جوامع الهرسك، وهو من تصميم المعماري المشهور



جامع الدفتر دار في صورة فوتوغرافية نادرة تعود إلى سنة ١٨٧٦م

"مساجد بلغراد وجوامعها تحكي مأساتها عبر التاريخ"

سنان، ومع الأسف هدم في الحرب الأخيرة. **جامع نصوح آغا**، بني سنة ٩٣٥هـ ـ ١٥١٨م، وقبته ثالث أكبر قبة جامع في موستار بعد قبة **جامع قره كوز**، وقبة **جامع كوسكي محمد باشا**. وكان جامع نصوح آغا عامرا حتى دمره الصرب في نيسان/ أبريل ١٩٩٢م وأكمل تدميره الكروات خلال الحرب الأخيرة [7].

المكتبات

وبجانب المدارس والجوامع أنشئت المكتبات التي كان الجزء الأكبر من محتوياتها مكونًا من المخطوطات العربية، وكلما انتشر الإسلام، انتشرت أيضا وتزايدت هذه المؤسسات، وازداد عدد الكتب المحفوظة بها، ومن الممكن تقسيم المكتبات في هذه البلاد إلى ثلاثة أنواع هي:

١ ـ المكتبات الخاصة.

٢ ـ مكتبات الجوامع والزوايا والتكايا.

٣ ـ مكتبات المدارس، وهي في الحقيقة أهم هذه المكتبات؛ لأنها كانت من نوع المكتبات العامة لأن الأهالي كانوا يستطيعون استعارة الكتب منها لقراءتها أو نسخها.. ومن المعروف أن الكتب آنذاك كانت غالية الثمن؛ لأنها كانت مكتوبة باليد ومزينة بزخارف مختلفة. ومن وثائق الأوقاف المختلفة نرى أن المدرسين كانوا يعنون بهذه الكتب عندما تكون المكتبات صغيرة، ويعرف أمين المكتبة في الوقفيات بهذه البلاد بحافظ الكتب، وقد ورد ذكره لأول مرة في وقفية عيسى بك سنة ١٤٦٩م حيث نرى أن عمل حافظ الكتب كان حرفة ووظيفة، فقد أصبح يحصل على مرتب يومي مقابل عمله. **وتعتبر مكتبة إسحق بك التي تقع ضمن مدرسته في سكوبيا من أقدم المكتبات في هذه البلاد إذ أنشئت قبل سنة ١٤٥٥م**، وكانت تحتوي على مخطوطات جلها باللغة العربية، وتشمل علوم التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والفتاوى [8].

وتعتبر مكتبة الغازي خسروبك في سرايفو حاليا أكبر مكتبات هذه البلاد، فقد ازدادت ثروتها من الكتب الموقوفة من جانب أهل الخير والصلاح، وبكتب بعض المكتبات البوسنوية التي

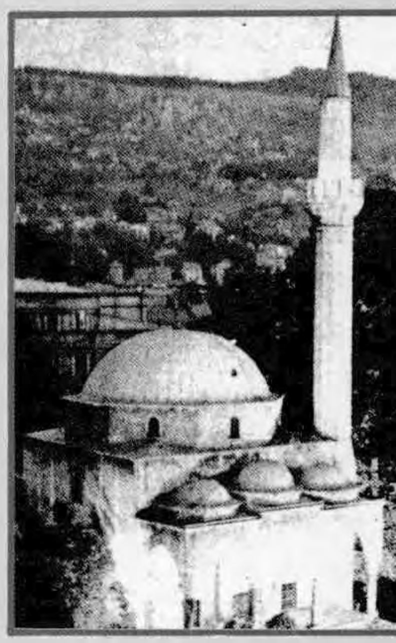
انضمت لهذه المكتبة من جانب آخر . ففي سنة ١٩٥٠م نقل إلى **مكتبة خسروبك** كثير من المكتبات الخاصة [٩] حتى أصبحت هذه المكتبة من أغنى مكتبات المخطوطات الشرقية في أوروبا . فعلى سبيل المثال نقل إليها في نفس العام ١٩٥٠م مخطوطات **مكتبتي قره كوزبيك ومكتبة الشهيد درويش باشا** (استشهد سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) بموستار [١٠].

المصاحف

وقبل أن نغادر مكتبات هذه البلاد لابد لنا من وقفة مع مصاحفها المخطوطة الرائعة ، **فمن حسن الحظ أن لدينا بسراييفو في مكتبة الغازي خسروبك ومكتبة معهد الدراسات الشرقية ، والمكتبة الشعبية العامة وخزينة الوثائق في سراييفو مجموعة لا بأس بها من المصاحف .**

ومن أروع هذه المصاحف **مصحف كتبه حسين البوسنوي** سنة ١٧٥٥م ويضم هذا المصحف ٧٣٣ صفحة من الحجم الصغير ١٦ × ١٠ سم ، بكل صفحة (١٥) سطرًا ، وبهذا المصحف تذهيب رائع لأوائل الحروف ونهايات الصفحات وأواخر الآيات وبداية كل سورة .

ومن هذه المصاحف **مصحف كتبه درويش عبد الحميد لسقويكلي** سنة ١٨٤١م/ ١٢٥٧هـ وقد استخدم في كتابة عناوين السور الحبر الأزرق والأحمر . ومن هذه المصاحف أيضا **مصحف كتبه حافظ إبراهيم السرائي** وقد انتهى من كتابته سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م ومقاس الصفحة ٢٧ ×



جامع علي باشا في سراييفو

٤٣سم . وهو مكتوب بالخط النسخ وزخارفه ملونة بالأزرق والأحمر والأبيض والذهبي . وحافظ إبراهيم السرائي كان إماما في مسجد السلطان بسراييفو، وقد كتب أكثر من ٣٠ مصحفا، وكان ينتهي من كتابة المصحف في أقل من سنة ، ومصاحفه هذه من أروع المصاحف من ناحية التذهيب والزخرفة .

ومن المصاحف النادرة مصحف باسم الوزير الكبير محمد باشا صقولوبك المتوفى سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م ؛ ومصحفه هذا يعد من أروع ما كتب، وهو يحتوي على ٢٢ جزءًا من القرآن ولسنا نعرف شيئًا عن الأجزاء الأخرى ، وكل جزء مجلد على حدة، ويمتاز كل جزء بتنوع زخارفه ، وكل منها عليها عنوان مذهب بشكل رائع ، أما فواتح السور فمزينة باللونين الذهبي والأبيض على أرضية زرقاء ، وكل جزء يفوق الآخر في تصميماته وزخارفه وتذهيبه .

وقد اشترك في كتابة هذه المصاحف مشاهير الخطاطين أمثال حافظ إبراهيم محمد السرائي ، ودرويش عبد الحميد لسقويكلي وحافظ مصطفى ابن عمر المستاري ومصطفى البوسنوي المعروف بالكتابي وحسين البوسنوي وحافظ حاجي نسيم زاده الاقحصاري وإبراهيم بن مصطفى وحسين بن علي . وهناك كثير غيرهم لم يسجلوا أسماءهم على أعمالهم تأدبا واحتراما . فكلام الله أكبر من الأسماء .

وإلى جانب هذه المصاحف في مدينة سراي بوسنة هناك مصاحف أخرى في سكوبيا (خزينة الوثائق لجمهورية مقدونيا) وزغرب (القسم الشرقي من المعهد التاريخي) وبلغراد (مكتبة الجامعة) وموستار (خزينة الوثائق لهذه المدينة) وغيرها من المدن [١١].

تلك كانت جولة سريعة بين صفحات الموروث الحضاري للأمة الإسلامية في هذه البلاد الذي يؤكد هويتها الإسلامية ، ويحتاج هذا الموروث إلى مجلدات لكي نعرّفه تعريفًا وافيًا وشافيًا ، غير أن ضيق مساحة النشر تدفعنا إلى تعريف القارئ به تعريفًا سريعًا ومركزًا راجيًا أن يكون هذا التعريف بداية لدعم المؤسسات الثقافية لإخراج عمل متكامل عن هذا الموروث الحضاري للأمة الإسلامية في يوغوسلافيا السابقة [١٢].

المراجع

(١) د . جمال الدين سيد محمد ، أقدم مدرسة إسلامية في يوغوسلافيا ، من ص ٨٢ إلى ص ٨٩ ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٣١١ ذو القعدة ١٤١٠هـ ، حزيران/ يونية ١٩٩٠م .

(٢) محمد موفاكو ، تاريخ بلغراد الإسلامية ، ص ٤٩ ، ٥٠ مكتة دار العروبة ـ الكويت ، ١٩٨٧م .

(٣) محمود السيد الدغيم ، جولة شاهد عيان في موستار ، الحياة ، العدد ١١١٢٠ ، ٢٥ تموز/ يوليو ١٩٩٣م ، ٦ صفر ١٤١٤هـ .

(٤) د . محمد حرب ، البوسنة والهرسك ، من الفتح إلى الكارثة . ص ١٦٧ ـ ١٦٩ . المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي ، القاهرة ١٩٩٣م .

(٥) محمد موفاكو ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٧) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

(٨) حسن قلشي ، المخطوطات العربية في يوغوسلافيا ، ص ٤ ، ٦ ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٢ ، الجزء ٢ ، شعبان ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(١٠) محمود السيد الدغيم ، المرجع السابق .

(١١) د . يوسف راميتش ، مخطوطات القرآن في يوغوسلافيا ، كتاب الأصالة ، ج ٤ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ، الجزائر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(١٢) ومن الأعمال التي كتبت عن البوسنة والهرسك وتستحق النشر «رحلة الصيف إلى بلاد البوسنة والهرسك» وهي رحلة قام بها الأمير محمد علي ولي عهد مصر الأسبق إلى هذه البلاد سنة ١٩٠٠م ودون فيها معلومات في غاية الأهمية عن هذه البلاد ، وقد أشرف على إخراجها الشيخ محمد سليم البشري .

ومما كُتب بصفة عامة عن التراث الحضاري للمسلمين في البلقان ، مقال العمارة الإسلامية في البلقان ، بقلم ميكل كيل وقد ترجمته نادية عبد السلام ونشر في مجلة الثقافة العالمية العدد ٤٣ ، السنة ٨ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٨م .

ويزمع مركز الثقافة والتاريخ والفنون الإسلامية باستنبول إخراج كتاب عن العمارة الإسلامية في البوسنة والهرسك للدكتور عامر لاسيتش ، وآمل لو تبنت منظمة العواصم والمدن الإسلامية إخراج كتاب عن الآثار الإسلامية في هذه البلاد وما تعرضت له من أضرار أثناء الحرب الأخيرة وذلك بالاستعانة بأحد المتخصصين في هذا النوع من الكتابات . وأن تتبنى المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إخراج كتاب شامل عن الحضارة الإسلامية في هذه البلاد .

صداع العقول

نَحْوُ السِّيْرافي مِنْ وَرَاءِ وَرَاءْ



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

النحو حذق لتركيب الكلام بالأسلوب الذي يتداوله فصحاء العرب سليقة ويؤدي مراداتهم بصيغة اشتركوا في فهم معانيها.

والنحو يعلل ويفلسف بالقدر الذي يكشف عن نكته وغاياته. بيد أنه دخل بعض مطولات النحو وشروحه تفلسف وتهويم كلامي يحلق في متاهات بعيدة كل البعد عن فهم النحو وتفهمه وتعليل أسراره.

ونموذج ذلك من مبحثين لأبي سعيد السيرافي من عشرات المباحث في شرحه لكتاب سيبويه. لقد تكلم سيبويه عن أنواع الفعل الثلاثة الماضي والحالي والمستقبل، وفعل الأمر داخل في المستقبل. فأثار السيرافي جدلاً كلاميًا عن هذه الأنواع أيها أقدم في الرتبة، أي في الوجود، فقال: «فإن سأل سائل فقال: أي الأفعال أقدم في الرتبة؟ فإن لأصحابه [أي أصحاب سيبويه] في ذلك قولين:

أحدهما: أن المستقبل أول الأفعال، ثم الحال، ثم الماضي. وهذا شيء كان يذهب إليه الزجّاج وغيره.

والحجة فيه أن الأفعال المستقبلية تقع بها العدات، ثم توجد بعد تقدم الميعاد وانتظار الموعود، فيكون حالاً. ثم يأتي عليه غير زمان وجوده فيكون ماضيًا. والقول الثاني: أن الحال هو أول الأفعال، ويكون الأقرب إليه في الترتيب المستقبل، وتاليه الماضي.

والحجة في ذلك أن الميعاد بما يستقبل لا يصح إلا بما عرف وشوهد حتى يتصوره الموعود، ويكون على ثقة مما وعد، وإلا فليس وراء العدة معنى يرغب فيه ولا يرهب منه؛ لأن القلب لا يتعلق منه برغبة ولا رهبة.

ويكون المستقبل أقرب إلى الحال من قِبَلِ أن المستقبل يجوز مصيره إلى الحال الذي هو أول، والماضي قد بَعُدَ حتى لا يجوز مساواته الحالَ في شيء من الأزمنة» (١).

قال أبو عبد الرحمن: للفعل اعتباران:

الاعتبار الأول: علاقته بقائله، فإذا قال زيد من الناس: كتب محمد، ويكتب محمد، وسيكتب محمد، واكتب يا محمد، فإن وجود صيغة الفعل يبدأ منذ نطق زيد بها. لا فرق بين ماض، وحال، ومستقبل.

والاعتبار الثاني: تحقق أداء الفعل من المخبر عنه في مثل: كتب محمد، أو المخاطب في: اكتب يا محمد.

فرتبة الفعل في الوجود منذ أدائه من قبل محمد، فإن كان الخبر لم يقع، أو المطلوب لم يوقع، فالفعل لا وجود له.

وإذن فلا فرق بين أنواع الفعل الثلاثة في أسبقية الرتبة، بل العبرة بالنطق بالصيغة إذا كان الاعتبار بقائلها.

والعبرة بأداء الحدث، إذ العبرة بصدوره عمن نسب إليه أو طلب منه.

وما ذكره السيرافي عن الزجّاج لا يعني أن الفعل المستقبل أقدم رتبة من الماضي، وإنما يعني أن الفعل المستقبل وحده وفي ذاته له ثلاث رتب من الوجود، فأول ذلك النطق بصيغته، ثم الوعد به، ثم وقوعه إن وقع.

وذلك بخلاف الفعل الماضي وحده وفي ذاته؛ لأن وقوعه إن كان الخبر عنه صادقًا أقدم من صيغته الإخبارية.

قال أبو عبد الرحمن: وبمثل هذا نحلل مذهب المخالفين للزجّاج مع غموض فيه، وبيانه أن الحال يكون ماضيا بعدم أدائه. كما أن فعل المستقبل عدة، والعدة لا تكون إلا بما عُرِفَ وشوهد.

قال أبو عبد الرحمن: بما أن الحال قبل الماضي؛ لأنه قبل أن يكون ماضيا كان حالاً، وبما أن ما شوهد وعرف أمر قد مضى: فلا بد أن يكون المستقبل بعد الماضي، وأن يكون الماضي بعد الحال.

وهذه النتيجة اللازمة من سياق كلام السيرافي تنافي ما صرح به من قوله: «ويكون المستقبل أقرب إلى الحال».

والفعل النحوي خبر عمن أسند إليه أو طلب منه، وقد يصدق الخبر، وقد يكذب، وقد يحقق المخاطب الفعل المطلوب منه وقد لا يحققه.

وتاريخ الفعل مرتبطًا بالمخبر أو الأمر هو تاريخ النطق به.

وتاريخ الفعل مرتبطًا بفاعله إن فعل له رتب أولها الماضي، ثم الحال، ثم المستقبل وهو فعل الأمر وبعض المضارع.

وليس المراد أول فعل وقع في الوجود، وإنما المراد فعل فاعل مرتبط بزمان حدده المتكلم مخبرًا أو طالبًا.

وتكلم سيبويه عن أنواع الكلم - فذكر الفعل قسيم الاسم والحرف.

وقد وقف أبو سعيد السيرافي عند تسمية أحد أنواع الكلام بالفعل، إذ أثار إشكالاً فقال: «للسائل أن يسأل فيقول: لِـمَ لقب هذا بالفعل وقد علمنا أن الأشياء كلها أفعال لله تعالى ولخلقه؟».

ثم أجاب عن الإشكال، ورأى أنه حله وأزاله بقوله: «فالجواب في ذلك أن الفعل في حقيقته ما فعله فاعله فأحدثه. وإنما لقب النحويون أشياء من ألفاظهم ليرتاض بها المتعلمون ويتناولوها من قرب.

وجعلوا لكل شيء مما خالف معناه معنى غيره من الألفاظ - من الألفاظ التي يحتاجون إلى استعمالها كثيرًا - لقبًا يرجع إليه لئلا تتسع عليهم الألفاظ - فيدخل الشيء في غير بابه احتياطًا، فلقبوا بالفعل كل ما دل لفظه على حدث مقترن بزمان ماض أو مستقبل أو مبهم في الاستقبال والحال لينماز مما لقبوه بالاسم والحرف» (٢).

قال أبو عبد الرحمن: هاهنا أمور تفسد الإشكال ذاته وتمنع من الحل الذي طرحه أبو سعيد.

فأول تلك الأمور: الخلط بين الفعل والمفعول في حقيقة الكلام لا مجازه، فالأشياء مفعولات فعلها الله، والله يفعل سبحانه بيده، وبأمره بلا واسطة، وبتمكينه بعض جنده وخلقه.

وإذن فالأشياء مفعولات لله أو لخلقه، ولا يقال أفعالٌ إلا تجوّزًا.

ونحن نشاهد مفعولات الله التي هي مخلوقاته، ولا نشاهد أفعاله سبحانه. فعلى سبيل المثال نشاهد مفعول الله عندما يولد الجنين، ويشاهد أهل العلم مفعوله في الرحم عندما يتخلق.

ولكننا لا نشاهد فعل الله المتدرج في النطفة إلى أن أصبحت جنينًا.

وثاني تلك الأمور: أن سيبويه لا يريد معنى المفعول، وإنما يريد معنى الفعل، فلا يدخل إلا ما دلّ على فعل إحداث ينتج عنه عادة المحدَث.

والفعل منسوب إلى من وقع منه الفعل، وليس المراد أول فعل حصل في الوجود يخبر عنه بيفعل وسيفعل وفعل.

وثالث تلك الأمور: أن السيرافي كرر قول سيبويه بعبارة أخرى، وبذلك يكون ردد الإشكال ولم يحله؛ لأن كون الأشياء أفعال الله يعني أنها مفعولاته، وهذا هو نفسه معنى قول السيرافي: «الفعل في حقيقته ما فعله فاعله فأحدثه».

ورابع تلك الأمور: من الفروق بين الفعل والمفعول أن فعل المخلوق يكون بحركات ينتج عنها أشياء.

فالأشياء الناتجة مفعولات، والحركات نفسها فعل. وقد يكون المفعول جميع الفعل، فاكتمال الثوب على الجسد مثلاً هو اللبس الذي هو اسم لا مصدر. والثوب ملبوس.

وتناول الثوب وإدخال الأعضاء فيه بحركات وتدرج حتى يقر الثوب على الجسد ويداخله هو ذاته الفعل الذي مصدره لُبْسٌ، والمصدر هم اسم الإحداث.

وخامس تلك الأمور: أن الله خالق أفعال العباد؛ لأنه أقدرهم؛ ولأنهم فعلوا بما خلقه الله لهم من قدرات.

وإنما يتحملون مسؤولية فعلهم فيما جعل الله لهم القدرة على فعله وفعل خلافه، ففعلوا المنهي عنه باختيارهم، وتركوا ما يقدرون على فعله من المأمور به لاختيارهم.

وكلا الفعلين فعلان لله إلا أن المنهي عنه لا يضاف إلى الله شرعًا لأنه لم يرضه ونهى عنه ولم يأمر به.

وإذا كان فعل العبد مفعولاً لله، فالنحو إنما ينظر إليه مضافًا إلى فاعله مباشرة. إننا ننظر للأداء حال تأديته فنسميه فعلاً، وننظر إلى المؤدىٰ فنسميه مفعولا، والله المستعان.

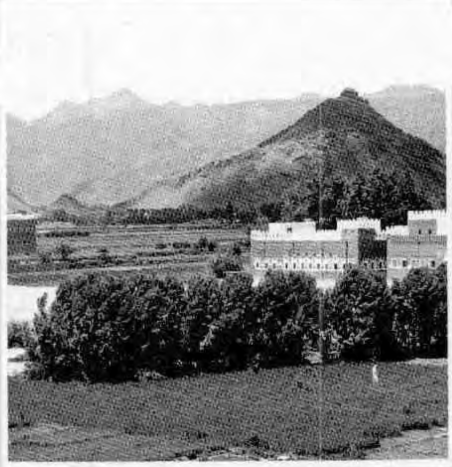
الهوامش

(١) شرح كتاب سيبويه ١/ ٥٤.

(٢) شرح كتاب سيبويه ١/ ٥٨-٥٩.

نجران وموكب العلم

شعر: محمود مفلح



هزّي نخيلك كي يسّاقط الرُطَبُ ... لولاكِ ما طرقوا بابًا ولا خطبوا

هزّي نخيلك فالأشواق مزهرةٌ ... وكلّنا يا عروسَ النخل نرتقب

لولا المليحة ما جاءت قصائدنا ... تروي عن المجد ما ضاقت به الكتب

انظر حواليْكَ تلقَ النخل مؤتلقًا ... والماءَ مثل عقود الدرّ ينسكب

انظر حواليْك كل الشاهقات هنا ... والشاهقون هنا، والوثبةُ العجب !

بالأمس قد كنت لا عطرٌ ولا ألَق ... إلا الرمالَ التي تسفي وتلتهب

بالأمس بالأمسِ كان الجهل منتصبًا ... والجاهلون إلى أطماعهم وثبوا

بالأمسِ لا أمنٌ ولا دَعة ... فاسأل إذا شئت مَن ضِيمُوا ومَن سُلبوا

إذا الرمال التي تغلي هنا قطعٌ ... من الجنان إليها الطير تنجذب

وصارت الناقة العجفاء طائرةً ... في الجوّ تجري وتجري تحتها السحبُ

الحمد لله حمدًا لا ضفافَ له ... له الثناء ومنه الفضل والسبب

الحمد لله رب الناس كلّهم ... سبحان من يُجزل النعمى ومن يهب

❋ ❋ ❋

«نجرانُ» إنَّ قطار العلم منطلق ... وكلُّهم في قطار العلم قد ركبوا

لولا مشاعل فكرٍ من بني وطني ... لظلّ في الغرب موجُ الجهل يصطخب

لولا نجوم الهدى من ها هنا انطلقتْ ... شرقًا وغربًا لما قالوا وما كتبوا

مِن زادِنا الوَفْرِ كلُّ الناس قد أكلوا ... ومن حلاوةِ هذا النبع قد شربوا

كم عالِم مُسلمٍ دانت له دُوَلٌ ... من العلوم وسارت إثره الشُهُبُ

واليومَ قالوا ـ ألا ساءت مقالتهم ـ ... العربُ ليس لهم فكرٌ ولا أَدَبُ

تنكَّروا ومذاق الشهد في فمهم ... ومن شهادتهم قد فاحت الرّيَبُ

فاسأل تُجبك الليالي وهي منصفة ... فينا النبوغ وفينا السَبقُ والقصب

العلم أول حرفٍ في عقيدتنا ... « وأول الغيث قطَرٌ ثم ينسكبُ »

❋ ❋ ❋



أرخبيل القمر
جُزُر الزهور والعطور

بقلم: أحمد منور

أربع جزر تسبح في المياه الدافئة للمحيط الهندي، تقع في المدخل الشمالي لقناة الموزمبيق، قبالة الساحل الأفريقي، بين خطي العرض ١١و١٣جنوبا، وخطي الطول ٤٣و٤٥ شرقا، وهو الموقع الجغرافي الذي يجعلها عرضة للأعاصير الاستوائية التي تلحق بها أضرارا بالغة في بعض الأحيان.

تبعد عن الأراضي التنزانية بحوالى مائتي ميل بحري شرقا، وعن جزيرة مدغشقر بمسافة مساوية تقريبا جهة الشمال. تسمى "جزر القمر" ، بفتح القاف والميم أو ضمهما، وتنطق باللغة المحلية "كومورو". وقد أشار إليها العديد من الجغرافيين والرحالين العرب في كتاباتهم، أمثال المسعودي، والإدريسي، والحموي، واختلط الأمر على بعضهم في التفريق بينها وبين جزيرة مدغشقر، وهذا ما نلاحظه مثلا في قول ياقوت الحموي «والقمر جزيرة وسط بحر الزنج، ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها».

والتسمية عربية، كما هو واضح، وكما يؤكد ذلك الباحثون المحدثون في تاريخ هذه الجزر. لكن لماذا سميت بهذا الاسم، وما العلاقة الموجودة بينها وبين القمر؟ هذا ما لم نعثر له على تفسير مقنع. وقد ذهب بعضهم إلى القول بأن أرضها بركانية وهي بسبب ذلك تشبه أرض القمر، ولعل التسمية جاءت من ذلك التشابه، لكن هذا التفسير ضعيف بسبب أن الناس قديما لم تكن لديهم معرفة كافية بطبيعة التكوين الجيولوجي للقمر تسمح لهم بإجراء مثل هذه المقارنة، وبسبب أن جزر القمر ليست البقعة الوحيدة البركانية على سطح الأرض، فلماذا تنفرد وحدها بهذا الاسم دون بقية الأراضي البركانية؟ ثم إن الجزر عظيمة الخصوبة، دائمة الخضرة وهو ما لا يتفق وطبيعة التربة القمرية.

* أعلنت جامعة الدول العربية في ٢٠ سبتمبر ١٩٩٣م موافقتها على انضمام جزر القمر إلى عضويتها، علما بأنها عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي منذ عام ١٩٧٦، وعضو في الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٥م.

يتكون أرخبيل القمر من جزيرة "القمر الكبرى"، وهي أكبر الجزر وأهمها من حيث المساحة والسكان (١١٤٧كم٢، وحوالى مائتى ألف نسمة) وبها توجد العاصمة "موروني"، و"أنجوان" وهي ثاني جزيرة من حيث الأهمية، تليها "مايوت"، ثم "موهيلي"، وتسمى باللغة المحلية على التوالي "نكازيجا" و"هنزواني" و"ماهوري" و "موهيللي"، وتشكل مساحة الجزر الأربعة مجتمعة ٢٢٣٥كم٢ ،

تقع العاصمة موروني في الجهة الغربية لجزيرة القمر الكبرى، وبها ميناء ومطاران أحدهما حديث وهو مطار "حاي حايا"، الذي يستقبل طائرات الجامبو، أما الثاني فهو المطار القديم القريب من الميناء ويستغل في الرحلات الداخلية بين الجزر، ويستقبل طائرات أقل حجما.

يقدر عدد سكان الأرخبيل حاليا بحوالى ثلاثة أرباع مليون نسمة، وهم مسلمون سنيون في أغلبيتهم الساحقة، ويتبعون المذهب الشافعي، ينحدرون من أصول زنجية وعربية (يمنية وعمانية)، وفيهم أقلية مسيحية أرثوذكسية وكاثوليكية تنحدر من أصول ملغاشية وأوربية (فرنسية)، وتتركز في جزيرة "مايوت" خاصة. وهناك أيضا جالية هندية مسلمة تشتغل بالتجارة، وهم من أتباع آغاخان.

كيف دخل إليها الإسلام ؟

تقول الحكاية الشعبية في هذا الموضوع - ونوردها هنا لمجرد العلم بما يعتقده السكان أو بعضهم - بأنه ظهر في قديم الزمان (؟) رجل أبيض البشرة بهي الطلعة في المكان المسمى "زندوني" حيث تحتمي قوارب الصيادين من العواصف، فأثار اهتمام السكان وفضولهم فسألوه عن اسمه فأجابهم: اسمي محمد، ثم قام يصلي. وفي اليوم التالي أرسى بحارة عرب قرب ذلك المكان وسألوا الأهالي : هل تعرفون محمدا؟ فأجابوا : نعم، لقد نزل هنا، وصلى في هذا المكان. فقالوا لهم إن ذلك هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومنذ ذلك الحين دخل سكان جزر القمر في الإسلام، وأطلقوا على ذلك المكان الذي يزعم أن النبي ظهر فيه اسم "مغارة النبي".

أما المؤرخون، فيذكرون أن الإسلام دخل إلى تلك الجزر حوالى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي عن طريق التجار المسلمين القادمين من اليمن وعمان خاصة، وقد انتشر بقوة بين أهالي البلد على إثر هجرة "الشيرازيين" إليها، وهم عرب سنيون، قدموا إليها بعد قيام حكم البويهيين في بلاد

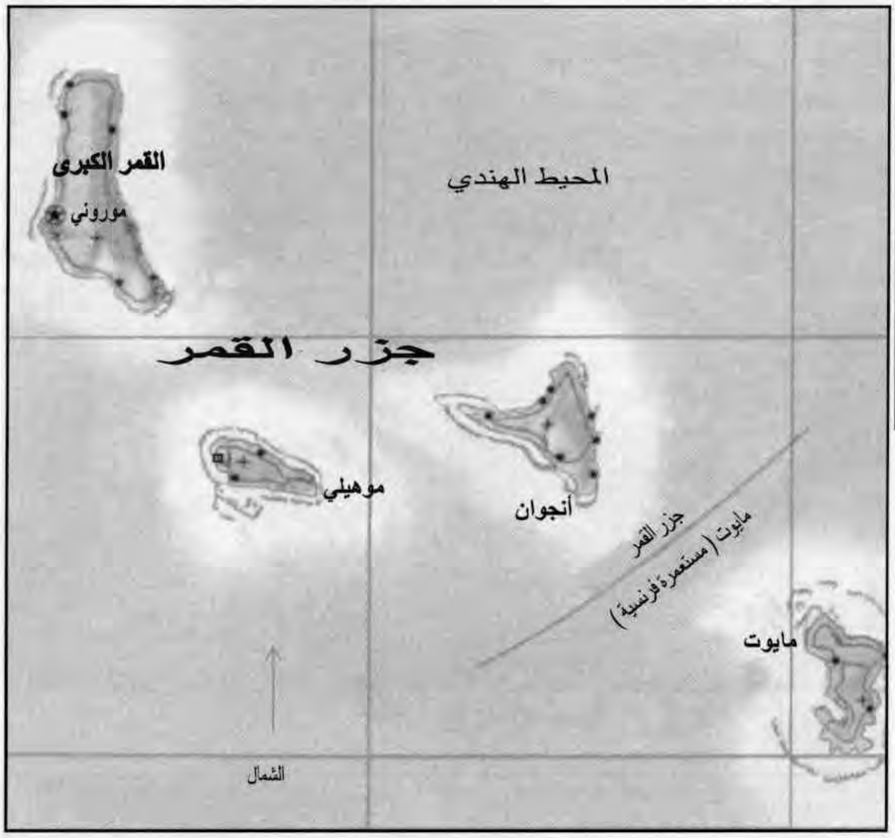


مسجد مدينة أيكوني بالقمر الكبرى، وهي من أقدم وأهم مدن هذه الجزيرة



جانب لأحد الأسواق الشعبية في العاصمة موروني





فارس، فاستقر بعضهم في زنجبار، ونزل بعضهم في شمال جزيرة القمر الكبرى. وقد أسس محمد بن عثمان الذي يعرف أيضا باسم محمد بن عيسى في بداية القرن السادس عشر الميلادي أول سلطنة بها، وبعث برفيقيه حسن وعثمان إلى "أنجوان" و"مايوت" ليحكماها من قبله، ولينشروا الإسلام بين أهاليها.

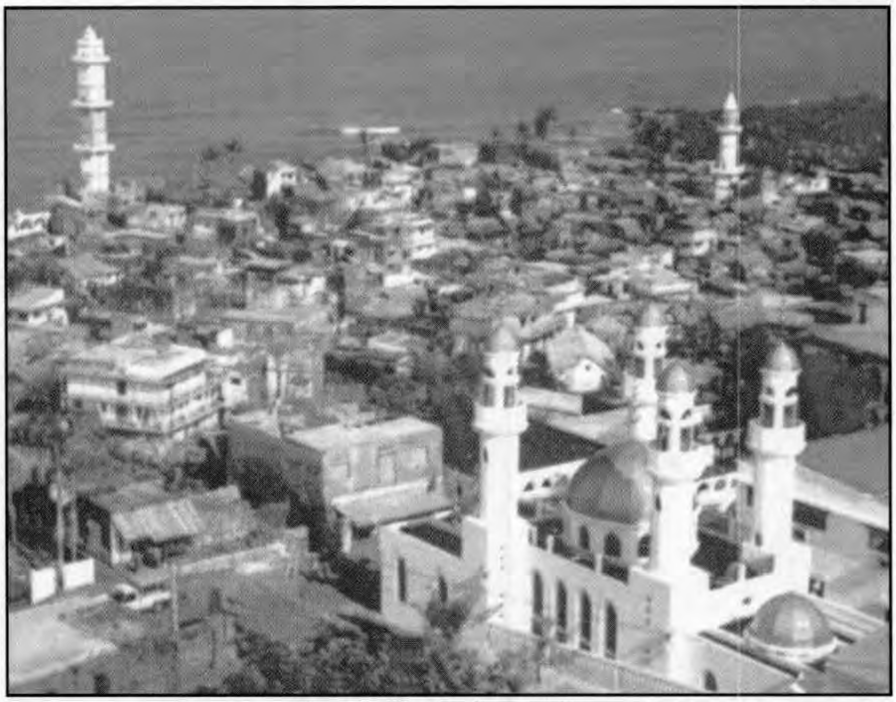
وقد انقسمت الدولة بعد ذلك إلى دويلات منعزلة ومتناحرة فيما بينها، فطمع فيها الطامعون، وأصبحت هدفا لغارات القراصنة الملغاشيين، ولأطماع القوى الأوربية الكبرى التي كانت تجوب مياه المحيط بالقرب منها بأساطيلها العسكرية والتجارية، وتتمركز في بعض الموانىء الأفريقية المقابلة لها، وهكذا تدخلت فرنسا سنة ١٨٤١م لتفرض حمايتها على جزيرة القمر الكبرى التي كان يحكمها اثنا عشر حاكما يطلقون على أنفسهم اسم "السلطان" ويستقل كل واحد منهم بسلطنة لاتتجاوز حدودها في أحسن الأحوال مدينة صغيرة وبضعة قرى تحيط بها. ثم فرضت فرنسا حمايتها على جزيرة أنجوان سنة ١٨٨٧م، بتواطؤ مع الإنجليز الذين كانوا يتمركزون في مدينة "موتسامودو"، بعد أن تخلى لهم الفرنسيون عن موقعهم في جزيرة "موريس". ثم ألغيت الحماية ليتحول الأرخبيل كله سنة ١٩١٢م إلى مستعمرة فرنسية.

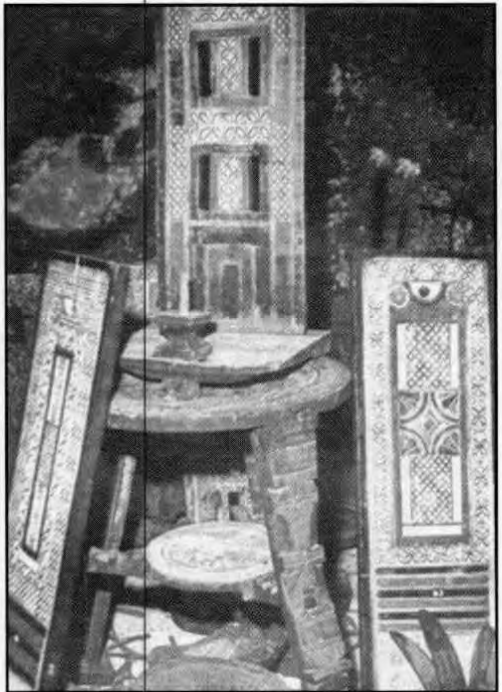
ولم تستعد جزر القمر استقلالها إلا سنة ١٩٧٥م، باستثناء جزيرة "مايوت" (٣٧٤ كلم٢) التي ما تزال حتى يومنا هذا تحت السيطرة الفرنسية. وتقف الأقلية المسيحية التي أشرنا إليها آنفا، والمتكونة من الملغاشيين وأسلاف المعمرين الفرنسيين، حجر عثرة في سبيل استقلال هذه الجزيرة، والتحاقها بأخواتها الثلاث، ففي استفتاء ٢٢ديسمبر ١٩٧٤م على سبيل المثال، صوت حوالى ٦٤٪ من سكان الجزيرة ضد الاستقلال، في الوقت الذي صوت فيه سكان الجزر الأخرى بنسبة ٩٥٪ لصالح الاستقلال.

شيء من التاريخ المعاصر

تعرضت جزر القمر في تاريخها القريب إلى العديد من المحن، أبرزها محنة حكم علي صواليح، الذي تميز بالظلم والتسلط، وهو أصلا مهندس زراعي، أطاح في انقلاب عسكري بالرئيس الشرعي أحمد عبد الله في الثالث من شهرأغسطس ١٩٧٥م بعد ٢٦ يوما من إعلان الاستقلال، بمساعدة من المرتزقة البيض. وكان علي صواليح متأثرا بأفكار الزعيم الصيني الشيوعي "ماوتسي تونغ" ومعجبا بثورته الثقافية، ولذلك أطلق العنان لجماعات من الشبان المراهقين يعيثون في الأرض فسادا، ويظلمون ويعتدون، وينزعون من الناس ممتلكاتهم، ويرغمونهم على ترك عاداتهم وتقاليدهم، ويضيقون عليهم في العبادة، ومنعوا النساء من ارتداء "الشيروماني"، وهو لباس تقليدي ترتديه المرأة ليستر كامل جسدها.

وعرف أرخبيل القمر محنة أخرى بعد انقلاب ١٣مايو ١٩٧٨م على نظام علي صواليح، ليست أقل من المحنة الأولى، وتتمثل في تسلط المرتزقة البيض الذين استعان بهم أحمد عبد الله نفسه في هذه المرة للإطاحة بعلي صواليح ، وكانوا بقيادة المغامر الفرنسي المشهور" بوب دونار"، صاحب السوابق في حرب كاتانغا، وبيافرا،


كثرة المساجد أحد ملامح العاصمة موروني


ورشة لصناعة الخشب التقليدية


تكوين صخري نادر يحتمي به الصيادون عندما يضطرب البحر

واليمن، وروديسيا، والانقلاب الفاشل في كوتونو سنة ١٩٧٦م. ادعى هذا المغامر بأنه أسلم، لكسب قلوب القمريين، مثل ما فعل سلفه نابليون في مصر، وسمى نفسه العقيد عصمان سعيد الشيخ، ثم راح يتصرف كحاكم مطلق، متخذا من الرئيس عبد الله رهينة بين يديه، وفي آخر المطاف قتله غيلة. وكان أكبر خطأ ارتكبه أحمد عبد الله في حياته حين استعان بهذا الرجل في استعادة حكمه، وهو يعلم حق العلم بأنه عديم الذمة والدين.

اقتصاد الأرخبيل

يعد أرخبيل القمر من أكثر البلدان فقرا في العالم ، وقد صنفته الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٧٦م في هذا الصنف من البلدان، حيث لا يتجاوز الدخل الفردي السنوي فيه ١٦٠دولاراً أمريكيّا، وتعتمد الحياة الاقتصادية أساسا على صيد السمك من جهة، وعلى الزراعة من جهة ثانية. وصيد السمك، رغم وفرة الأسماك وتنوعها، ورغم كثرة المشتغلين بالصيد، لا يتجاوز إنتاجه السنوي ٣٠٠٠طن، بحيث لا يكفي حتى لسد الاحتياج المحلي، وذلك نظرا للطابع التقليدي الذي ما زال يهيمن على هذا القطاع الحيوي، فمعظم الصيادين يستعملون زوارق صغيرة Pi-rogues منحوتة من جذوع الأشجار، لا

تتسع لأكثر من شخصين، يحفظون توازنها بخشبتين معترضتين، تمتدان إلى يمين الزورق ويساره، وتحولانه إلى ما يشبه الطائر المحلق.

والزراعة بدورها تقليدية، وتتمثل خاصة في "المانيوك" وهو يشبه البطاطس، والموز، والأرز، والذرة. وهناك زراعات خاصة توجه للتصدير، وهي زراعات مربحة ولكنها تحتاج إلى رأسمال كبير، ونقصد بها أشجار "الايلانق ايلانق" التي تستخرج منها أغلى العطور الباريسية، وأشجار الياسمين وكذلك القرنفل والفانيلا Vanille، علما بأن هذه المنتجات تشكل العمود الفقري لاقتصاد جزر القمر الموجه للتصدير، والذي يعود على البلد ببعض العملات الأجنبية. وما ينتج حاليا من هذه الزراعات الخاصة لا يشكل حتى الآن إلا النزر القليل مما يمكن أن ينتجه الأرخبيل منها.

الحياة الاجتماعية

تتمظهر الحياة الاجتماعية في مظاهر عديدة، مثل إحياء الجلسات الدينية، وإقامة الأفراح والمآتم، وكذا أصناف الأكل، واللباس، والمجاملات الاجتماعية، إلى غير ذلك. وما يلفت النظر في الحياة الاجتماعية في جزر القمر، هو احتفاء سكانها بإحياء المناسبات الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، والمولد النبوي الشريف، حيث تعم مظاهر البهجة والسرور، ويلبس الناس أغلى ما لديهم من اللباس، وخاصة الألبسة الفضفاضة المشكلة الألوان، ويوقدون الشموع، ويجتمعون في المساجد للصلاة، وللذكر والتسبيح. وفي بعض الأحيان يشكلون حلقات ذكر ويهللون فيها.

وتغُصُّ المساجد أيام الجمع وتضيق بالمصلين رغم كثرتها، إذ يوجد في الأرخبيل ما لا يقل عن ٦٠٠ مسجد. ويشكل المسجد الجامع في موروني بالقمر الكبرى، وفي موتسامودو بأنجوان مكان عبادة فخما لا يوازيه في فخامته وضخامته أي بناء.

والنساء من جهتهن يجتمعن في مثل هذه المناسبات في أماكن خاصة بهن، ويعتنين عناية فائقة باللباس والتطيب، وتزيين شعورهن بأزهار الياسمين، ولباسهن عامة لباس محتشم، يتماشى وتعاليم الإسلام في هذا الشأن، وقد حافظن على ارتداء اللباس المحتشم حتى بعد أن منع عليهن نظام علي صواليح لباس "الشيروماني" و "البوي بوي" التقليديين.

والمرأة القمرية متحررة، في غير ابتذال، تقوم بمختلف المهن والأعمال، وتشتغل نسبة كبيرة منهن في الزراعة وفي التجارة الصغيرة، بحيث يشكلن النسبة الكبيرة من مجموع التجار الصغار في الأسواق.

وتكثر في جزر القمر ظاهرة تعدد الزوجات، رغم الفقر المدقع، وسبب انتشار هذه الظاهرة - فيما يبدو - يرجع أساسا إلى قلة أعباء الزوج، إذ إن المرأة هي التي تتكفل ببناء بيت الزوجية، كما تتكلف بإعالة الأطفال إذا تخلى عنها الزوج لسبب من الأسباب، أو عجز عن الإنفاق عليها وعلى أطفالها، وهذا ما يفسر من جهة أخرى كثرة اشتغال النساء بالتجارة الصغيرة. وهناك من يذهب إلى القول بأن انتشار ظاهرة تعدد الزوجات بكثرة يعود إلى كثرة الإناث بالقياس إلى عدد الذكور، لكن لا شيء يثبت صحة هذا القول في غياب الإحصاء الدقيق



صيادون في قواربهم الصغيرة يتهيؤون للانطلاق طلبا للرزق

للسكان، ناهيك عن الإحصاء الدقيق لعدد الذكور والإناث.

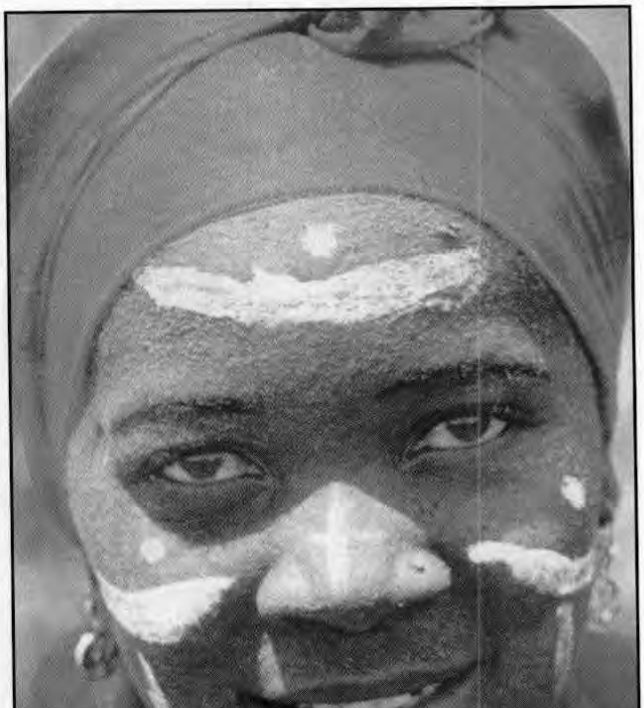
ورغم الفقر وقلة ذات اليد، فإن السرقة نادرة، والجرائم تكاد تكون منعدمة. ولا شك أن للتربية - ولا سيما التربية الدينية - أثرها المباشر في ذلك، إلا أن الطريقة الرادعة المتبعة عندهم في معاقبة السارق تساعد كثيرا، ولا شك، في القضاء على ظاهرة السرقة. فهم حينما يمسكون بالسارق، يقومون بحلق شعر رأسه، ويلبسونه كيسا حقيرا، ويعلقون في عنقه الأمتعة التي سرقها، ويطوفون به في الشوارع ذليلا، فيتلقى ما شاء الله له من الإهانات وأنواع السخرية، ثم ينفى من المدينة أو القرية التي ارتكب فيها جنحة السرقة. وأذكر بالمناسبة أنني شاهدت رجلا سرق بقرة وذبحها ليبيع لحمها، فألبسوه جلد البقرة، وعلقوا في عنقه قوائمها وبعضا من أحشائها، وراحوا يطوفون به في الأسواق.

الحياة الثقافية

الثقافة في جزر القمر ثقافة أفريقية محلية في الأساس، ولكنها مطبوعة بطابع إسلامي واضح موحد لها، باللغة والتعليم، وانتهاء بالرقص والموسيقى والهندسة المعمارية. والقمريون يدركون هذه الحقيقة إدراكا تاما، ويعتبرونها من أفضال الإسلام عليهم، الذي صهرهم في بوتقة واحدة، وجعلهم سواسية كأسنان المشط يتساوى فيها الأفريقي والعربي والهندي. فاللغة القمرية قريبة من اللغة السواحلية التي يتكلمها معظم سكان الساحل الأفريقي الشرقي، وكلا اللغتين متأثرة باللغة العربية، بحيث تشكل الألفاظ العربية في كل واحدة منهما ما بين ٣٥و٤٠٪، ويظهر ذلك خاصة في أسماء الأشياء، وفي عبارات المجاملة، وفي المعاملات التجارية، وفي الأمور الشرعية، وإلى وقت غير بعيد كانت كل العقود تكتب بالحروف العربية، وتعد اللغتان العربية والفرنسية اللغة الأساسية لشعب جزر القمر، وتقوم الحكومة حاليا بحملة تعريب لتكريس الانتماء الفكري والثقافي لهذا البلد. وهناك ساعات قليلة في برنامج التعليم الرسمي مخصصة لتعليم اللغة العربية، تقوم جامعة الدول العربية بدفع رواتب معلميها، إلا أنَ تلك الساعات القليلة غير قادرة على إحداث التأثير الذي يجعل اللغة العربية حاضرة بقوة في المجتمع القمري.

وتبلغ نسبة التعليم لدى الشعب القمري ٣١٪، ولا توجد في الجزر جامعة أو كلية، وإنما معاهد عليا ومتوسطة يقتصر التعليم فيها على العلوم الدينية واللغة العربية والعلوم الإدارية.

والتعليم القرآني في المساجد وفي الكتاتيب ضعيف، لضعف المعلمين أنفسهم في اللغة العربية، ولقلة المساعدات المالية التي يتلقاها هذا النوع من التعليم، إذ يعتمد أساسا على تبرعات ذوي البر والإحسان،



مساحيق مستخلصة من النباتات الطبيعية، تستعملها المرأة لتطرية بشرة الوجه

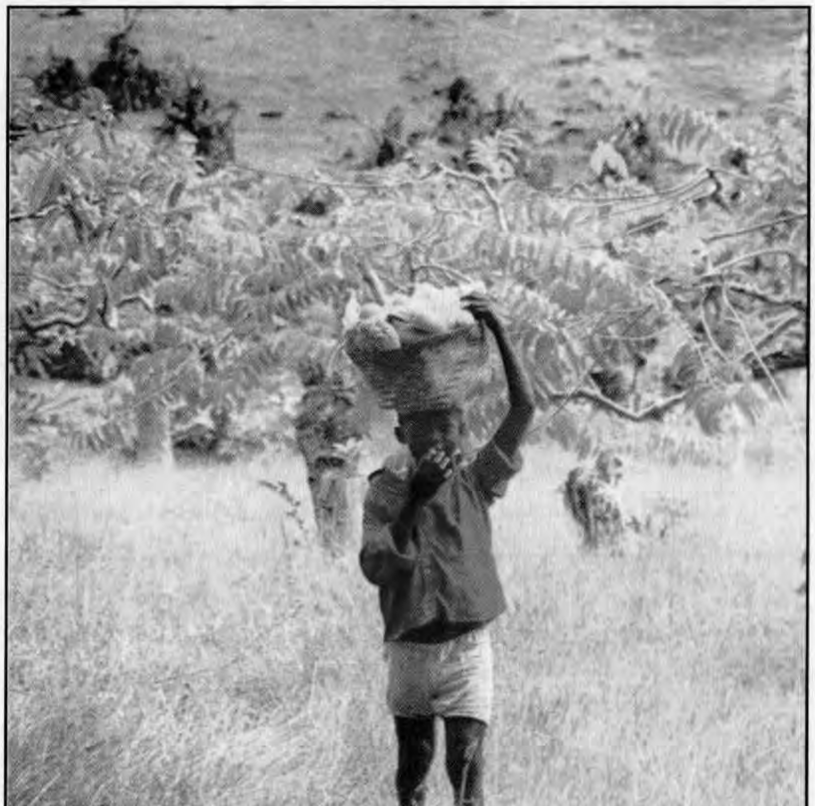


المرأة في جزر القمر: لباس محتشم، واشتغال بالتجارة

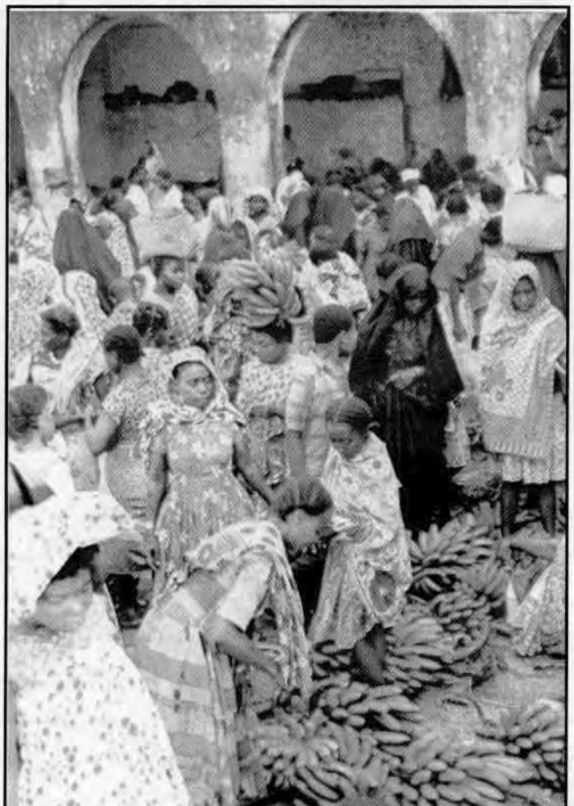
أضف إلى ذلك طرق التعليم التقليدية التي تعتمد أساسا على الحفظ ولا تعطي أهمية كبيرة للفهم. وقد سألتُ بعض الطلبة عن معاني بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي كانوا يرددونها عن ظهر قلب، فلم يقدموا إلا معاني تقريبية، وكانوا يستعينون في شرحهم لها باللغتين المحلية والفرنسية. ومع ذلك توجد بعض الاستثناءات، فقد قابلت في مدينة موتسامودو بأنجوان شابا في مقتبل العمر يدعى أحمد، يتحدث اللغة العربية بطلاقة، وحين سألته أين تعلم اللغة العربية قال لي إنه تعلمها في زنجبار. وقابلت في المدينة نفسها شيخا يعلم اللغة العربية والقرآن الكريم، يدعى الحاج عبد الرحمن – حسب ما أذكر – فسألته كيف تعلم العربية، فروى لي قصة لا تخلو من طرافة، ملخصها أنه ذهب لأداء فريضة الحج، ولم يكن يعرف اللغة العربية، فتحدث إلى أحد الباعة باللغة



نساء يهيئن أزهار العطر استعدادا لنقلها إلى معمل المعالجة الأولية



طفل يحمل قفة ملأى بثمار محلية، وتظهر من خلفه أشجار الايلانق ايلانق التي تقطر من أزهارها أفخر العطور الباريسية



سوق محلي لبيع الموز، ويلاحظ كثرة النساء البائعات والمشتريات



خروج المصلين من المسجد الجامع بموروني

الفرنسية، فغضب منه البائع وقال له كلاما لم يفقه ألفاظه ولكنه فهم معناه، وترجمه بقوله: ألا تخجل من نفسك يا رجل؟ كيف تعلمت - وأنت مسلم - لغة الكفار، ولم تتعلم لغة القرآن؟ ومنذ تلك اللحظة - كما يضيف - آليت على نفسي أن أتعلم اللغة العربية مهما كلفني الأمر، وقد تعلمتها، والحمد لله، وها أنا أعلم بها القرآن الكريم، عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وتظهر بعض الثقافات القمرية في بعض الصناعات التقليدية العريقة، مثل صناعة الأبواب والنوافذ المنحوتة والمزخرفة، وكذلك حمالات المصاحف ورفوف المصابيح الزيتية. وهذه الصناعات التقليدية هي الآن في طريقها إلى الزوال، حيث إننا لا نجد أثرها في الوقت الحاضر إلا في القصور والمساجد والبنايات القديمة.

والموسيقى والغناء والرقص مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية التي تتجلى من خلالها الشخصية القمرية بشكل بارز، ويعود منشؤها أولا إلى الأعمال الزراعية في الحقول، التي تصحب عادة بأغاني وأهازيج جماعية تعبر عن الفرحة بوفرة المحصول، وتشغل عن الإحساس بالتعب، وثانيا إلى حلقات الذكر لدى الطرق الصوفية، لكن هناك أنواعًا منها ارتبطت بالأفراح والمناسبات السعيدة، وأشهر الرقصات في أرخبيل القمر تلك التي يطلق عليها اسم "الزفافا" بكسر الزاي، وهي رقصة رجالية، وتوجد في كل الجزر، وتليها رقصة "الجاليكو" في القمر الكبرى، ورقصة "الرَّزاها" في أنجوان، وترقص كلها بالسيوف أو العصي، وتشارك فيها النساء بالزغاريد، يرسلنها من الشرفات أو الأجنحة المخصصة لهن.

ويُصاحِبُ الرقصَ ببعض الآلات الإيقاعية والوترية، مثل الطبل، وهو بأحجام وأنواع عديدة، و "القابوزي" وهو آلة وترية، و"تزومارا" وهو ناي صغير حاد النغمات، وهذه الآلات في طريقها إلى الزوال بدورها مثل الصناعات التقليدية، حيث راحت الآلات الأوربية الحديثة تحل محلها شيئا فشيئا، فينعكس ذلك على الأغاني والرقصات ويفقدها الكثير من أصالتها ونكهتها المحلية المميزة.

كانت هذه إطلالة قصيرة على بلد أفريقي جميل، وعلى شعب صغير مسلم، عريق في إسلامه وأصالته، وهو بلد وشعب يعاني من بعض العزلة والنسيان من إخوته العرب والمسلمين عامة، وهو في حاجة إلى دعم إخوته المادي والمعنوي، من أجل استكمال سيادته على كامل أراضيه، ومن أجل الخروج من عزلته والتخفيف من فقره، وخاصة أن الله قد حباه بطبيعة رائعة، وبأرض خصبة، وبأيد عاملة نشيطة وقنوعة.

المراجع

٠١ مروج الذهب للمسعودي
٠٢ معجم البلدان لياقوت الحموي

3 - Les Comores, de Bernard Gerard. Ed. Deboisse.France
4 - Les Commores Par H.Chagnoux Col. Que Sais-je. Paris 1980.

ظلّيني يا نخل

شعر: جميل حسن

وقف الشاعر على طريق مسافي في الإمارات العربية المتحدة. يستظل بظل نخلة على الطريق. وأمامه جبال عُمَان. فكان الشعر حواره الوحيد مع المشهد.

ظلّليني يا نخلُ ! هذي بلادي ... من قديم العهودِ والآبادِ
في ثراها أهلي وتاريخ قومي ... وعلى كل ربوةٍ أمجادي
أمنياتي ملء المدى، وحنيني ... لبلاد الآباء والأجدادِ
أيها النخلُ .. أنت ملء خيالي ... وخيال الصّغارِ من أولادي
نتملّى بألف شكلٍ وشكلٍ ... ونمنّي نُفوسنَا بازديادِ
موجة النور في الحجاز ونجدٍ ... والصحارى، وفي الذرا والوهادِ
يدفعُ النورُ ركبها من بلادٍ ... لبلادٍ .. إلى أقاصي البلادِ
«فالمثنى» و «آل شيبان» في الشرق وفي الغرب «طارقُ بن زيادِ»
ورعيلٌ في كلّ فجٍّ وصوبٍ ... يعمرون الدروب بالإنشادِ
رايةُ الله فوقهم، وصدى القرآن بشرى إلى نفوس العبادِ
يا لقومي الأُلى تواصوا بصَبْر ... وبحق؛ وآمنوا بالجهادِ
فأراحوا الإنسان من ربقة الكفر وقادوه في طريق الرشادِ
يا بلادي ! حنت لموردها الخيل وضجّت من ربقة الأصفادِ
كلُّ قيدٍ على الجيادِ ثقيلٌ ... ما لنا لا نفكُّ قيد الجيادِ ؟
ما نراها ترنو إلى كلّ أفق ... بعيون يقدحن مثل الزنادِ ؟
تعلك اللجم حسرةً وعنادًا ... ضلَّ سعيٌ بين الأسى والعنادِ
يا بلاد الخليج ! يومُك يومٌ ... في حياتي، ونبضهُ في فؤادي
عادت الذكريات، وانتفض الكبرُ بنفسي، فَصِحْتُ : يا أمجادي !
ما تزال الصحراء تُشرق بالوحي وتومي إلى غدي بازديادِ
والمروءات ما تزالُ عليها ... ورجال الصحراء ذخر بلادي
لحظةٌ من مباهج العمر هذي ... حملتني مع الرياح الشدادِ
ورمتني في عمق تاريخ قومي ... فكأني هناك في كل نادِ
وكأني أرى سيوف «علي» ... و «أبي حفص»، مشرعاتٍ صوادِ
وكأني أرى «الزبير» و «سعدًا» ... ورعيل الفتح الكريم الهادي
حسبي الآن ما أرى من أمانٍ ... هي بشرى الآباء للأولاد
هي نعمى ترفُّ في موْقِ الدّهر ربيعًا على رؤى الأحفادِ
يا بلادي .. صوتُ العروبة حيّ ... في ضميري، وفي صميم فؤادي
يا بلادي بين «الخليج» و «نجدٍ» ... و «عسير» .. ويا بني أجدادي
إنها دعوة الجريح يشدُّ الجُرْحَ سالت دماه فوق الضماد
نحنُ في زحمة الخطوب، وأنتم ... و «فلسطيننا» على ميعادِ

الحلقة الثانية

أنساب الأشراف للبلاذري



يكتبها: حمد الجاسر

تناول الشيخ الجاسر في الحلقة الأولى ـ مجملاً ـ بعض مؤلفات البلاذري، ثم فصّل في حديثه عن كتاب «أنساب الأشراف» مشيرًا إلى أنه عني بالتسمية كل من شرّف بخصلة حميدة. وفي هذه الحلقة يواصل عرضه للكتاب.

مباحث الكتاب

وقد نشر الدكتور محمد حميد الله عناوين ما تحويه مخطوطة رئيس الكتاب في اسطنبول في مقدمة الجزء الأول من مطبوعة «أنساب الأشراف» ومنها يتضح أن البلاذري فَرّع النسبَ النبوي الشريف من نوح عليه السلام حتى بلغ ذكر سيدنا محمد ﷺ فَفَصَّل سيرته التي وقعت من كتابه في مجلد ضخم [(١)].

ثم استرسل في ذكر فروع قريش الأقرب فالأقرب إلى الرسول ﷺ مفصلا أنسابها، مبتدئاً بآل أبي طالب، وأولهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وما وقع في عهده من الحوادث، ثم بأبنائه ثم بالعباس بن عبد المطلب، حيث فَصَّل أخبار الدولة العباسية حتى عهد هارون الرشيد. وعاد إلى ذكر بقية بني عبد المطلب، ثم بدأ بذكر بني عبد شمس، واسترسل في ذكر الدولة الأموية، وفي خلال ذلك تحدث عن سيرة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وبعد انتهائه من جميع فروع بني عبد شمس انتقل إلى بقية فروع قريش الأقرب فالأقرب، ومنهم بنو تَيْم، عشيرة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث ذكر سيرته، وأبناءه وأحفاده، ثم من يليهم في القرابة، حتى بلغ نسب بني عدي، فتحدث عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وآله مفصّلاً، ثم فروع بني لؤي بن غالب، فبني محارب بن فهر، وأتبع ذلك بنسب بني كنانة مُفَصّلاً الحديثَ عن جميع بطونهم، حتى انتهى بهم إلى نسب القارة، وبعد ذلك سار مستعرضًا بتفصيل أنساب بني أسد بن خزيمة بن مدركة، فهذيل بن مدركة، ثم ولد طابخة بن الياس، ثور وتَيْم وعديّ ومُزَينة وحُميس وضَبَّة، وأوفى الكلام عن قبيلة بني تميم بن مُرّ بن أد بن طابخة، حيث خصهم بمجلد ضخم، ثم شرع في ذكر قبائل قيس عيلان، فتحدث عن غَطَفَان وغَنِيّ وباهلة، وعدوان وفَهْم وسُلَيْم، وثقيف، وانقطع الكلام قبل أن يكمل الحديث عن بني ثقيف.

والبلاذري في ذكره لأنساب القبائل لا يكتفي بمجرد سرد تسلسل الآباء، ولكنه يُعْنَى عناية خاصة بإبراز المشاهير ممن يرد ذكرهم، فإذا كان أحدهم رجل دولة من الدول التي سبق أن تحدث عنها خليفة أو أميرًا أو قائدًا أو ثائرًا فَصَّل الكلام عنه عند ذكر صلته بدولته، وحين يمر ذكره بين قبيلته فقد يضيف معلومات أخرى عنه، وقد يكتفي بالإحالة إلى ما سبق ذكره، وهو في حديثه عن القبائل يتعرض لحوادثها قبل الإسلام، فيذكر أيامها المشهورة، وفرسانها وحكماءها بل مشاهيرها على وجه العموم.

ومن هنا يُعَدُّ ما كتب عن القبائل أوفى مصدر وصل إلينا، وحسب الباحث أن يدرك أن من أوفى كتب النسب مؤلَف هشام بن محمد الكلبي «جمهرة النسب» وهو في هذا الكتاب حين تحدث عن بني تميم لم يتجاوز

كلامه تسعين صفحة (٢)، بينما وقع نسبهم في كتاب البلاذري في مئة وسبعين صفحة كبيرة (٣).

ومع أن البلاذُرِيَّ اعتمد على ابن الكلبي في النسب الذي روى مؤلفاته عن ابنه عباس فكان يورد جميع نصوصه، إلاَّ أنه لم يكن يكتفي بها، بل كان يضيف إليها معلومات أوفى منها بكثير، ومنها ما نقله عن أبي اليقظان، وهو سحيم أو عامر بن حفص، وهو عالم بالأنساب، متقدم على ابن الكلبي، حيث توفي سنة تسعين ومئة، قبل ابن الكلبي ببضع عشرة سنة أو أكثر، وصفه صاحب كتاب «الفهرست» (٤) بأنه كان عالمًا بالأخبار والأنساب، والمآثر والمثالب، وثِقَةً فيما يرويه، وتوفي سنة سبعين ومئة (٥)، وله من الكتب «حلف تميم» و «أخبار تميم» وكتاب «نسب خندف وأخبارها» وكتاب «النسب الكبير» وغيرها من المؤلفات.

والبلاذُري عَوَّل عليه كثيرًا في كتابه الذي رواه عن طريق شيخه أبي الحسن المدائني، صاحب المؤلفات العديدة التي فقد أكثرها، وهو لا يكتفي بما ينقله عن عالمي النسب أبي اليقظان وابن الكلبي، بل يرجع إلى علماء آخرين من شيوخه الذين بلغوا من الكثرة ما تجاوز المئة وأكثرهم من جلة الرواة، والمحدثين وبعضهم من كبار المؤلفين (٦).

ويجد الباحث من آثار سعة معلوماته ما يتصف به بعض تلاميذه كمحمد بن خلف بن حَيَّان المعروف بوكيع صاحب كتاب «أخبار القضاة» وكتاب «الطريق» (٧).

وهنا ملاحظة لا بُدَّ منها وهو أن بعض المؤلفين ينقل عن البلاذري ما يتعلق بأنساب قبائل لم يرد ذكرها فيما وصل إلينا من كتابه، ومنها حضر موت، فقد نقل صاحب «تاج العروس» عنه ما يتصل بنسب هذه القبيلة، ولعل ما كان من هذا القبيل ورد استطرادًا حينما يعرض عن غير قصد لذكر أحد من المشاهير أو غيرهم من غير القبيلة التي يتحدث عنها، فإنه يشير إلى نسبه، وقد وقع هذا في مواضع من كتابه في ذكر بعض الحوادث التي تقع عرضًا، أو يشارك فيها أحد من غير المنسوبين إلى القبائل الوارد ذكرها فيما بين يدينا من كتابه.

الإدارة الثقافية تبدأ بنشر الكتاب: فكرت الإدارة الثقافية بنشر هذا الكتاب وكانت قد صورت من مخطوطاته المخطوطة المعروفة في اسطنبول، والتي سبق لِدار الكتب المصرية أن صورتها، ثم نسخت منها نسخة في عهد متأخر أعدَّتها للباحثين في هذا الكتاب، وعهدت الإدارة الثقافية بأجزاء من هذا الكتاب لمن توسمت فيهم المقدرة على تحقيقه.

ولعل من الطريف الإشارة إلى تأثير اسم (أنساب الأشراف) لدى بعض غير عميقي البحث والدراسة، فحين أقرت الإدارة الثقافية نشره سنة ١٣٧٤ هـ كتب أحمد عبد الغفور عطار إلى (وزارة المعارف) في بلادنا يلفت نظرها لكي لا توافق على طبع هذا الكتاب، لظنه أن المراد بـ (الأشراف) هم أمراء مكة، وبينهم سابقًا وبين حكومتنا ما هو معروف، مما دفع الدكتور طه حسين إلى أن يجيب (وزارة المعارف) بأن الكتاب شامل لتاريخ العرب، ولذكر من هو شريف بفعله منهم، وليس مختصًا بأولئك الذين أُطلق عليهم الاسم بعد البلاذري بقرون.

ومما يضاف إلى هذا - وقد لا يقل عنه طرافة - أن أحد أبنائنا وقد اتجه لدراسة نيل درجة (الماجستير) فتردد على دار الكتب واطلع على ما فيها من أجزاء كتاب البلاذري، وكان قد رجع في دراسته إلى الجزء الذي طبع في ألمانيا من الكتاب، ولكون محققه لم يتمكن من مقابلته على المخطوطة الكاملة كتب في طرته: الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول لعله كتاب أنساب الأشراف، للبلاذري، وذلك قبل ما يقرب من مئة عام، فما كان من هذا الباحث الكريم إلاَّ أن سَمَّى هذا الجزء (تاريخ مصنف مجهول) ولم يكلف نفسه عناء مطابقة ما فيه على ما يقابله في مخطوطة دار الكتب التي اطلع عليها، وأغرب من هذا أن أستاذه المشرف على رسالته لم يوجهه إلى عدم الجَدْوَى من الاعتماد على مصنف مجهول (٨).

هما مثالان يدلان على عدم تعمق المعنيين بالدراسات التاريخية، بل على الجهل المطبق لدى بعض مثقفينا بهذا الكتاب الجليل القدر، الذي لم ينل حتى الآن ما هو جدير به من الدراسة والتحقيق.

الهوامش

(١) بلغت صفحاته مع فهارسه ٧٢٢ صفحة في مطبوعة الدكتور محمد حميد الله.

(٢) من صفحة ١٩١ إلى ص ٢٧٧ - من «جمهرة النسب» تحقيق الدكتور ناجي حسن.

(٣) في الصفحة ٣١ سطرًا بالخط المغربي الدقيق بحيث توازي عند الطبع ضعف هذا.

(٤) - ص ١٠٧ - طبعة طهران.

(٥) تقدم القول بأنه توفي سنة تسعين ومئة، وهذا على ما ورد في طبعة (فلوجل) من «الفهرست» وعليها عَوَّل الأستاذ الزركلي، أما ما ورد هنا فهو نص ما في مطبوعة طهران وأراه تصحيفًا.

(٦) الأستاذ عبد الستار فراج، مقدمة «أنساب الأشراف» - ج١ ص ١٤.

(٧) ليس من المستبعد أن يكون الكتاب الذي نشرته «دار اليمامة» بعنوان «المناسك» وأماكن طرق الحج، منسوبًا إلى الحربي هو كتاب «الطريق» فوكيع تلميذ الحربي وهما يتشابهان في الأسلوب، ويتفقان في الرواية عن بعض الشيوخ.

(٨) انظر «تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري» بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من المعيد في كلية العلوم الاجتماعية محمد بن ناصر الملحم بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم الشريف - أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة بقسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - سنة ١٤٠٤هـ.

نحو رواية عربية

بقلم : عبد التواب يوسف

يعترف عنوان هذه الدراسة بأننا لا نمتلك روايات عربية كافية للفتيات والفتيان ، ونريد منّا أن نمضي إليها ، ونحوها ، بشكل علمي ، وإبداعي في الوقت نفسه ، وهو مطلب غال ، وعزيز ، وهام ، ويستحق منا تكريس ما يستحقه من جهد . ونحن بحاجة إلى التعريف بالرواية ، والفتيان ، وإلى أن نربط بينهما ونضفر عرى الصلة والصداقة . إذ أن هذا اللون قد أصبح له الصدارة في جوائز أدب الأطفال العالمية ، وأضحى أوسع كتبهم انتشاراً ، وأكثرها توزيعاً . وفي تقديرنا أنه من الصعوبة بمكان أن نحيط بكل أنواع الأعمال الروائية التي تكتب لهذه المرحلة غير أنه من الضروري الإشارة إلى بعضها .. لعلنا نعرف طريقنا (نحو رواية عربية للفتيات والفتيان) .



الرواية .. ما هي ؟

الرواية قصة طويلة ، متسلسلة الأحداث ، يؤدي كل حدث إلى الآخر ، مع دوام الحركة والتصاعد ، **وليست مجرد أن يستطيع القارئ استنتاج ما سوف** يجري ، بل من المهم أن تجيب على «لماذا يحدث ؟» ، وهدفها الأساسي المتعة ، مع أنها تكشف لنا عن أسلوب حياة الآخرين ، وتزيدنا معرفة بالحياة والناس ، وتجعلنا أقدر على مواجهة المشاكل ، وحلها ، وهي خلال ذلك تثري الوجدان ، وتدفعنا للتفكير ، وتمنحنا بعض الحكمة . وهي قبل ذلك شكل أدبي متميّز ، له ملامحه الخاصة ، وقسماته الواضحة ، ويصور لنا المواقف والانفعالات والعلاقات ، بل والظواهر البشرية والطبيعية ، ولذلك فهي لها خصائصها الفنية والتقنية التي تميّزها وتجعل لها استقلاليتها وتفردها

البـــــداية

وفي رأي كثيرين من النقاد أنها **ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي في إنجلترا** على يد رواد من أمثال **(دانيال ديفو) ـ صاحب ربنسون كروزو** ـ وقد نقله عنهم الفرنسيون ثم الروس . لكننا نزعم أن في أدبنا العربي بذوراً روائية قديمة ، أوردها **فاروق خورشيد** في كتابه «**في الرواية العربية ـ عصر التجميع**» ، بجانب ما نعرفه جميعاً عن ذلك الكتاب العربي الرائع ، الذي لقي اهتماماً واسعاً من العالم كله ، ونعني به «**ألف ليلة وليلة**» .

وفي تقدير البعض أن الرواية يجب ألا تقل عن خمسين ألف كلمة ، وذلك بالنسبة للكبار ، أما روايات الفتيان فهي تتراوح بين عشرين ألف وأربعين ألف كلمة ، وإن كان البعض ينزل بها إلى عشرة آلاف كلمة بالنسبة للأعمار المتوسطة . والبعض يرى أنه من الضروري أن تستغرق قراءتها ساعات طوال ، تصل إلى خمس عشرة ساعة !

والرواية تحاول أن تفسر الحياة ، وأن تعالج واقعها ، بدلاً من معالجة الأفكار المجردة ، وهي تناقش الصراعات ، والتناقضات ، والقضايا ، والعلاقات الإنسانية ، ويراها كثيرون على أنها دليل تقدم وعي الجماعة ، ونضجها ، بل يراها آخرون مقياساً لتحضر أصحابها ، إلى حد يقول معه دافيد هربرت لورنس : «**إني اعتبر نفسي لكوني روائياً أرفع شأناً من العالم والفيلسوف والشاعر ، فالرواية هي كتاب الحياة الوحيد الوضاء**».

ويقول تولستوي ـ ولنغفر له هذا التطاول ـ كلمات أعلى نبرة :

«الروائي يقوم بملاحظة شخصياته من أعلى ، ويتحكم فيهم و .. الخ» .

وبناء الفن الروائي له أسسه ، ولابد أن يكون وحدة مترابطة حية ، تضم الشخصيات والأحداث والحوار والحركة والأسلوب ، بشكل متكامل متصل ، وتسري في جنباته وحدة عضوية ووحدة موضوعية ووحدة فكرية ، لتصل جميعها إلى وحدة التأثير ، ولابد لعناصره من أن تتضافر بطريقة ذكية ، نامية متطورة ، في لغة رفيعة المستوى ، محكمة النسيج ، وما من مثل أوضح من رواية «**لويس كارول**» التي تعد منعطف طريق في تاريخ أدب الأطفال ، ونعني بها «**أليس في بلاد العجائب**» ، ويضم إليها البعض ما كتبه «**كينيث جريهام**» بعنوان «**نحيب في شجرة الصفصاف**» ، ومن بعد ذلك ظهرت مؤلفات كثيرة شامخة ، أبرزها ما فاز **بجائزة أندرسون العالمية** اعتباراً من عام ١٩٥٦م ، وتمنح كل عامين .

بين رواية الكبار ورواية الفتيان والفتيات

وروايات الفتيان والفتيات ينطبق عليها ما يقال عن روايات الكبار . وإن كانت هناك بعض اختلافات

لِلفتيانِ والفتياتِ

نستطيع استنتاجها .. من حيث الفكرة هناك قضايا قد يرى الكثيرون أن ننأى عنها حين نكتب للأجيال الصغيرة ولو أن البعض ربما يتطلع إلى مناقشة كل شيء ، والمعول في ذلك هو «**التناول**» ، وفي تقديرنا أن أموراً مثل الشذوذ والعلاقات المحرمة ـ أوديب مثلاً ـ يجدر بنا أن نبتعد عنها ، وكذلك ما يمكن أن يدفع الشباب الصغير إلى التطرف ، وإلى المزيد من العنف ، بجانب قصص الجنس والانحراف وما إلى ذلك ، لأننا في مجتمع ، نريد لأفراده أن يتماسكوا ، وللعلاقات الأسرية أن تتوطد وتقوى . إن القضايا التي يتجاسرون في الغرب على الخوض فيها تصلح لمجتمعاتهم ، ولا تصلح لنا ، اللهم إلا ببراعة تصل حد الإعجاز .

ولسنا نعني هنا أن تكون أعمالنا الروائية خالية من المشكلات ، أو أن تتجه للنصح والوعظ والإرشاد ، إذ أن ذلك سوف يخرجها بداية من إطار الفن الروائي ، ثم أنها لن تحظى بالإقبال من جانب القراء . إننا يجب أن نتصدى بصراحة وقوة إلى ما يواجهه الأبناء من مشكلات ، ومن الضروري ألا نهرب من الموضوعات الحساسة ، بل علينا أن نعالجها ، وبصراحة ، على أن نكون يقظين إلى أمر هام ، هو أن لنا تقاليدنا وأخلاقياتنا . ولسنا نريد أن يقرأ الفتيان والفتيات بعض الأعمال من وراء ظهر آبائهم وأمهاتهم ، ولا أن يخفوا «**لوليتا ـ نابكوف**» تحت الوسائد . كما أننا لن نجتذبهم للقراءة إذا كنا ملحين عليهم ليل نهار ، بأبطالنا القدامى ، والمحدثين ، إذ سوف يزهدون في هذه الأعمال ، ويضيقون بها ، بل قد ينصرفون عن القراءة ذاتها .

إنها معادلة صعبة ، استطاعت المجتمعات الغربية أن تحلها ، فلا شيء هناك إلا ومن الممكن مناقشته حتى العلاقات المحرمة . ومجتمعاتنا أصبحت غير قادرة على تناول قضايا الأجيال الجديدة لذلك يهربون إلى المترجمات المدمرة ، ولابد لنا أن نبذل الجهد الجهيد لحل هذه المعادلة . هم قد يرغبون في «لوليتا» و«باربي» ، ونحن نريد لهم بإصرار وإلحاح «خديجة» و«عائشة» ، كيف السبيل لكي نجعلهم يستعيضون عن هذه بتلك ؟! عالمياً ، هناك انصراف كبير عن قراءة الرواية التاريخية ـ ونحن قلما نقدم غيرها ـ فقد ضاق أطفال العالم بالفخر الكاذب ، والوطنية التي وصلت إلى حد الشيفونيه ، ربما يقرأ البعض **قصة مدينتين لديكنز ، والفرسان الثلاثة لديماس** ، لكن الإقبال على «**جودي بلوم**» كاسح ، ومن حسن حظهم أنهم يقرأون الكثير ، فمن الممكن أن يجمعوا بين هذه النقائض ، أما قراؤنا من الفتيان فليس أمامهم أعمال مؤلفة كثيرة ، والأسواق تغمرها الشياطين الـ (١٣) والألغاز ، وقد تكون مشوقة ، لكنها مدمرة ، وما تقدمه ليس جذاباً ، فليس أيسر من الانصراف عنه . ما السبيل لمواجهة كل هذا الفيض من الأعمال البوليسية الهابطة ؟!



فاروق خورشيد



ديكنز

مرحلة «الفتوة» ولماذا «الفتيات» ؟

يقول **المعجم الوسيط** الفتى : أول شبابه بين المراهقة والرجولة . وفي التنزيل : (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) .

والفتوة الشباب بين طوري المراهقة والرجولة .

و(فتيت) البنت : أعطيت حكم الفتاة وجاوزت حالات الطفولة . وفي سورة يوسف (ودخل معه السجن فتيان) (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) . وفي سورة النور (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) . وفي سورة الكهف : (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) .

ونستطيع أن نستنتج من هذه الآيات الكريمة ماذا نعني بكلمة «فتى» و«فتاة» ، وفي مقدورنا أن نحدد ـ إلى حد ما ـ هذه الشريحة العمرية ، التي لم تكن تلقى ما هي جديرة به من اهتمام في مجال الأدب والكتابة . إذ أنه حتى **الحرب العالمية الثانية** ، كانت الكتب تقسم ببساطة إلى كتب كبار وكتب أطفال ، ولم تكن بين الاثنين فئة عمرية ثالثة .

وفجأة التفت إليها العالم ، وأدرك أهميتها وخطورتها ، وتوجه إليها كثيرون ، بكتاباتهم ـ وخاصة الروائية ـ بعد أن أصبحوا يمثلون قوة شرائية ضخمة ، وبعد أن أضحى لهم كيانهم الخاص ، واستقلاليتهم ، وبالذات بعد ثورة الشباب في أوروبا ، إذ باتت لهم أزياؤهم الخاصة ، ومجتمعاتهم ، ورحلاتهم ، وأغنياتهم ، وموسيقاهم ، ومعاشهم الخاص ، فلماذا لا تكون لهم كتبهم ورواياتهم ؟

وقد تراوحت القيم التي يراد ترسيبها في نفوسهم ما بين الحرية الكاملة الجامحة ، ومغادرة بيت الأسرة فتياناً وفتيات ، وما بين الكفر بالحياة الدنيا فتياناً ، ولبس النقاب بالنسبة للفتيات . ولم يعد كثيرون في وطننا العربي قادرين على تحديد ماذا نريد منهم ولهم في هذه المرحلة ، وتطرف البعض تقريباً ، وتطرف آخرون للناحية الأخرى ، وصارت مساحة (الوسط) عريضة ممتدة ، وليس هناك أصعب من اختيارها دون أن نميل هنا أو هناك !

والفتيان والفتيات في هذه السن يحتاجون إلى «بوصلة» تهديهم سواء السبيل ، ويتأرجحون **مثل بندول الساعة ، بلا استقرار . إنها سمة المرحلة ذاتها** ، خاصة إذا لم نكن قد أوليناهم ما هم بحاجة إليه في سن الطفولة ، وإذا لم نكن قد أودعنا نفوسهم قيمنا الإيجابية الثابتة ، والذي يحدث أن تجتاحهم متغيّرات عالمية ومحلية ، لا قدرة لنا ولهم على مواجهتها . ومن هنا تأتي خطورة هذه المرحلة !

وإذا أردنا تحديد أعمار الفتيان والفتيات لدينا نجدها تسبق الغرب ، إذ يبدؤها أبناؤنا مبكرًا ، وفي تقديرنا أنها قسمان : ما بين العاشرة إلى الثالثة عشرة ، ثم من الثالثة عشرة إلى ما تحت العشرين . وترى **الأمم المتحدة** أنهم لا بد أن يكونوا معتمدين على الأسرة مادياً ، وعالة عليها .

ولكل من هذين القسمين أو الشريحتين اهتماماته الخاصة وميوله ورغباته واحتياجاته ، التي تشير إليها كثير من الدراسات الميدانية .

ونعلم أن كلمة فتيان في العنوان تنسحب على «الفتيات» ، لكننا آثرنا إضافتها ، تأكيداً لدورهن ، وأهميتهن . ونحن نعرف أن التفرقة بين الجنسين موجودة على مستوى العالم ، رغم ما يؤكدونه من أنها مسألة عنصرية . في فيلم أمريكي كان رجل يدعو الله أن تنجب زوجته ولداً .

ولسنا هنا نتحدث عن المساواة المطلقة ، إذ أن كلاً منا ميسر لما خلق له ، لكننا ندين إهمال الفتاة ، واعتبارها في منزلة أدنى ، ونريد لها أن تشب دون إحساس بالدونية ، إذ يسبب لها ذلك أذى يصاحبها عمراً كاملاً .

ولسنا هنا أيضًا في مجال الجدل حول هذه القضية ، التي لن نحسمها بين أنصار «**اليوني**

سكس» وبين أنصار أنها قارورة ، ووعاء للإنجاب ، غير أننا نؤكد ضرورة أن نوليها ما هي جديرة به من اهتمام ، إذ تغلب على أعمالنا الروائية «الذكورة» ، ونسبة المواد التي تهم القارئات في كتبنا ومجلاتنا — كما وردت في بعض الاحصائيات — لا تتجاوز ١٦ ٪ بينما يحظى الذكور بأغلب المواد ، ونسبة ما يوجه إليهما معاً بالغة التواضع !

أيكون هذا وراء عقدي لبطولة واحدة من رواياتي لهذا العمر لامرأة ؟

وهنا سؤال بالغ الأهمية يطرح علينا نفسه :
— متى يبدأ طفلنا العربي في قراءة الرواية ؟

تعرف أن البدايات بالنسبة لأطفالنا متراوحة ، إذ قد يبدأ الطفل أولى مراحل دراسته الابتدائية في الرابعة أو الخامسة ، وربما تأخرت به هذه المرحلة إلى ما بعد السابعة . والقدرات أيضاً متفاوتة . ومدارسنا للأطفال مختلفة الامكانات ، تمتد من «الكُتّاب» إلى أحدث ألوان التربية الغربية .

ومن هنا تأتي صعوبة إجابة مثل هذا السؤال الذي طرحناه ، إذ أن الطفل الغربي يجد لديه أعمالاً روائية يستطيع قراءتها ربما مع الثامنة أو التاسعة من عمره، لكن الطفل العربي في تقديرنا لن يستطيع ذلك إلا بعد سن العاشرة أو الحادية عشرة ، أي وهو في سن الفتى ، وهو لن يتمكن من هذا إلا إذا كان قد أحسن تعليمه القراءة ، وغرس عادات وميول سليمة تجاهها ، وبعد أن يمتلك أدواتها من حصيلة لغوية ، وقدرة على متابعة الأحداث ، والربط بينها ، وتشكيل علاقة ما بينها وما بين واقع الحياة .

إن النمو العقلي لأطفالنا — في غالب الأحيان — لا يجاري ولا يتساوى مع أطفال أفريقيا السمراء ، وأيضاً لا يجاري ولا يتساوى مع أطفال أوروبا وأمريكا . لدينا مشكلات أسرية تتعلق **بمحو الأمية** بالنسبة للأمهات ، ومشكلات في مدارسنا تعوق الكثيرين ، وفي المقابل لدينا إيجابيات وأصالة قد تجعل طفلنا متقدماً .

وأجد من الضروري التفرقة بين شريحتي العمر ١٠ — ١٣ و١٣ إلى ما تحت العشرين .. معتمداً في ذلك على كتاب «**جوان ايكن**» وهو بعنوان «**كيف تكتب للأطفال** ؟» .









روايـــات للفتيـــات من ذوي الأعمار الصغيرة

لما كنا بصدد كتابة رواية للفتيان ، عربية ، فلا مناص لنا من الرجوع إلى المصادر الغربية في هذا المجال ، ثم ننعطف للمصادر العربية . وفي تقدير «**جوان ايكن**» أن اهتمامات الفتيان بين سن التاسعة إلى الرابعة عشرة تتجلى في الأعمال «الواقعية» التي تتناول قصص المغامرات براً وبحراً وجواً ، وأيضاً العلاقات الأسرية ، والحكايات المدرسية وما إلى ذلك من موضوعات . وهي ترى أن مؤلفات عظيمة قد وضعت لهذه الشريحة العمرية ، ومن بينها أعمال **مارك توين (توم سوير ، هالكلبري فف ، الأمير والفقير)** ، وهناك قائمة لعناوين روايات لا تقل عن المائة ، لابد لمن يرغب في الكتابة للفتيان من الاطلاع عليها .

وقد تنبه **محمد فريد أبو حديد** يرحمه الله لهذا ، فشرع في **إصدار سلسلة كتب أولادنا عن دار المعارف** في أواخر الأربعينيات ، وكتب لها عملين مؤلفين : «**عمرون شاه**» و «**كريم الدين البغدادي**» ، وكان واضحاً أنه كان يتجه بهذه السلسلة نحو رواية عربية للفتيان ، غير أن المسؤولين عن الدار انحرفوا بها إلى الترجمة التي امتدت إلى ما يزيد على عشرين عملاً روائياً ، من الأعمال التي يتحتم على الفتيان قراءتها على المستوى العالمي ، من بينها «**آلة الزمن**» **لويلز ، والأدغال لكبلنج ، وبيونوكيو لكولدالي ، وجزيرة الكنز لستيفنسون ، وأولفر تويست وديفيد كوبر فيلد لديكنز ، ونساء صغيرات للويزا الكوت** .

وحاولت شخصياً أن أعيد لهذه السلسلة مسيرتها الأولى الإبداعية مع بداية الثمانينيات ، فأصدرت من خلالها «**الربان الجريء**» ، وهي عن بحار كويتي كانت له مغامرات — تشبه كابتن بلود — في الخليج العربي ، وكتبت «**العم نعناع**» عن صاحب مكتبة تجاور مدرسة ، وهو حكواتي ، ربطت بينه وبين طلاب المدرسة صلات طيبة ، ثم «**أم حنان**» وهي عن حرب أكتوبر ، وبطلتها فلاحة مصرية من سكان منطقة قناة السويس .

وكل عمل روائي من هذه الأعمال يحتاج — كما تقول **جوان ايكن** — إلى سنة كاملة ، نصفها في التخطيط والإعداد وتجميع المادة ، ونصفها الآخر في الكتابة . ولابد من تفرغ الكاتب بالكامل طوال هذه الفترة ، وهنا يطرح سؤال نفسه — **كم يحصل الكاتب مقابل مثل هذا العمل في وطننا العربي ؟**

والتنظيم ضرورة من ضرورات الكتابة الروائية للطفل ، ولابد من ممارستها يومياً ، ولبضع ساعات ، ومعايشة العمل فكرياً شيء أساسي ، وصولاً إلى (الصوت) الذي تعلو نبراته في العمل ، والصوت غير الأسلوب الذي يتدفق ويتغيّر ، بينما الصوت هو ما تروي به ، مخاطباً قارئاً بذاته ، يسمع كلماتك من فوق السطور الصامتة ، ويحس بالجو العام للعمل . قد يكون صوتك هو رسائل تبعث بها ، أو شخصية رئيسية محورية تعرف كل شيء وتعرف كيف تحسن روايتـــه بشكل ثـــري، مثير، متماسك ... وهـــذه الشخصية لا ضرورة لأن تكون طفلاً ، المهم أن يتعاطف معها القارىء ، في سيرها ، ونموها ، مستمتعاً بصحبتها ، ويشعر بالأسف في النهاية لأنه لابد وأن

يودعها ويفارقها . هكذا كتبت الأعمال العظيمة ، للكبار وللأطفال .

وكثير من الأعمال الروائية ـ بل أغلبها ـ لم يكتب أصلاً للفتيان والفتيات ، لكنه كتب أصلاً للكبار ، وقد عاش الصغار طويلاً عالة على مائدة أدبهم، وذلك من خلال التبسيط والتيسير ، مما جعلهم يقبلون عليها إقبالاً شديداً ، قبل أن تكتب أعمال خاصة بهم . إن **جاليفر ـ سويفت** وكذلك **ربنسون كروزو ، ديفو ـ ودافيد كوبرفيلد ـ ديكنز** ـ لم يفكر أصحابها قطوهم يكتبونها أن شريحة عمرية من الفتيان ستقرأ هذه الأعمال في نهم ـ وقد برزت أسماء كثيرين نجحت في تبسيط هذه الأعمال ، دون أن تفقد الكثير من روحها ، ومن بينهم **مايكل وست ، وتود** .

وقد أعانت هذه التبسيطات الذين يتعلمون لغة أجنبية بجانب لغتهم القومية ، وساعدتهم على قراءة أعمال بديعة ، تعلموا من خلالها وتذوقوا الأدب واللغة الأجنبية . واضحت هذه الأعمال كلاسيكيات تدخل ضمن أدب الأطفال ، وفي منتصف الستينيات اقتنيت عشرة مجلدات تضم أغلب هذه الأعمال في طبعتها رقم (٥٦) ، وأظن أن المطابع تدور للآن من أجل طبعات جديدة ، وكل مجلد يضم روايات ينتظمها خيط واحد ، مثل «**الحكايات الشعبية**» ، و«**قصص السحر**» ، و«**الأساطير**» ، و«**الابطال**» ، و«**قصص لا تشيخ أبداً**» ، و«**قصص عن الأولاد والبنات**» و«**قصص من التاريخ**» ، و«**قصص المغامرات والرياضة**» ، و«**قصص عن الحيوان**» . والمجلدات العشرة صادرة عن دار Collior .

ومن غير المتصور أن يبدأ كاتب في تأليف روايات للفتيان ، دون أن يقرأ كل هذه الأعمال الكاملة ، لا بهدف تقليدها ، بل يحس بشكلها الفني ، وطريقة سردها ، وليتعرف على شخصياتها ، وليبحث عن سر نجاحها .

روايات الفتيان تحت سن العشرين

فتيان هذه المرحلة عاطفيون ، يتوقون للحرية ، يضيقون بالقيود ، يعايشون أحلام اليقظة ، ولا يطيقون البطء ، بل يلهثون بسرعة وراء كل شيء ، وأفكارهم تجري في رؤوسهم بلا توقف ، وهم في صراع مع كل من حولهم من الكبار : آباء ومعلمين ، تغشاهم هموم لا يدركون كنهها ، ولا يعرفون سببها ، ويعانون من نموهم الجسماني والنفسي والفكري ، ويواجهون مشكلات لا يرون لها حلاً ، والأعمال الروائية التي تكتب لهم يجب ألا تحمل ضغوطاً عليهم ، بل تخفف من المشاعر القوية التي تنتابهم ، والضيق الذي يعتريهم . وهم بحاجة إلى مزيد من الصراحة والوضوح ، والضوء الذي يكشف لهم بعض أسرار

”إقبال الأجيال الجديدة على المترجمات يعود إلى عجز المجتمع عن تناول قضاياهم“

الحياة ، وتجعلهم أكثر قدرة على فهمها ومواجهة مشكلاتها .

وفتيان هذه المرحلة أكثر ضيقاً بالحكم والمواعظ والنصائح ، لا يطيقونها ، ويرون أن الكبار يريدون أن يفرضوا عليهم عالمهم الخاص ، ويعتقدون أن هؤلاء الكبار لا يفهمونهم ، ولا يقدرونهم حق قدرهم ، بل


محمد فريد أبو حديد


مارك توين


ديماس


ستندال

ينتقصون من صفاتهم الإيجابية وإمكاناتهم الذهنية ، ويسخرون من أفكارهم ومفاهيمهم ، الأمر الذي يجعلهم متحفزين للرد بسرعة وعنف !

الحوار معهم طريقه مسدود ، لا سبيل للوصول به ومعه إلى تفاهم ، وهم قلما يزعجون أنفسهم بثلاثية **نجيب محفوظ** ، حتى لو صور فيها حياة فتى ، كما أنهم لا يرتاحون إلى **ديستويفسكي** وأعماله المعقدة، أو **توماس هاردي** وروايته «**قس سليلة داربر فيلد**» ، وهم في هذه السن ينجذبون أكثر لمن يحدثهم حديثاً عصرياً عن مشكلاتهم الخاصة ، مثل **فرنسوا ساجان** و«**مرحباً أيها الحزن**» أو «**جودي بلوم**» وأعمالها الواسعة الانتشار !

شخصيًا، أشعر بارتياح لأن مترجمي لبنان لم ينتبهوا لهذه الأخيرة ، أنها يهودية تبيع من كل كتاب من كتبها نحو ثلاثة ملايين نسخة ، ولست أنسى أستاذاً جامعياً أمريكياً عندما رأى كتبها على رف في بيتي قال في حدة ..

ـ **إني لا أسمح لابنتي بقراءة أيّ من كتبها !**

وكانت ابنته معه في مكان آخر ، وعندما جاءت إلينا ، ولمحت هذه الكتب قالت :

ـ آه ! جودي بلوم ! قرأت كل هذه الكتب !

والقى الأب بنفسه عند أقرب مقعد ، وقد نضح جبينه بالعرق .

لذلك أرى أن أصلح الأعمال الروائية لهذه المرحلة هي «**السير الشعبية العربية**» ، مثل «**سيف بن ذي يزن**» و«**عنترة**» و«**الظاهر بيبرس**» ، و«**حمزة العرب**» ، و«**علي الزيبق**» ، و«**الاميرة ذات الهمة**» ، و«**الهلالية**» ، فهي عامرة بكل ما يجتذب ابناء هذه المرحلة . بجانب ما نجده في كتب التراث مثل قصص : «**مضاض ومي**» و«**الحارث بن مضاض**» ، و«**ملوك اليمن**» ، وما شابه ذلك .

الوان وأنواع من الأدب الروائي

والرواية ـ كما يقول **ستندال** ـ مرآة تسير في الطريق العام ، لكنها فيما نرى ليست الأحداث اليومية العادية ، لأنها بناء فني متكامل ، إذا انتزعت منه حجراً قد نحس بالخلخلة ، وإذا تزحزح آخر ، من الممكن أن ينهار البناء . إنه بناء متماسك ، متشابك الأحداث ، واحد يتلو الآخر ، ويأتي في أثره ، شريطة أن تكون الأحداث منطقية ، ولها أسبابها . وهناك الوان من الرواية تكتب للكبار والفتيان منها ما قد يدور في دنيا الناس ، وقد تدور في عالم الحيوان (ثورة الحيوانات ـ جورج اوريول) ، بل منها ما قد يدور في عالم مخلوقات خيالية لا وجود لها مثل جاليفر وما كتبه **تولكين الامريكي** «هوبن» ، وما كتبته **توف يانسون الفنلندية** عن «المومونز» ، ومنها ما هو خيالي (**اليس في بلاد العجائب**) ، ومنها ما هو واقعي (**العم نعناع**) .

ولقد كنت دائمًا ضد **كتابة الأعمال البوليسية للفتيان**، إذ أرى أنها ليست أدبًا، ولا أظن أحدًا يضع أعمال **ارسين لوبين**، و**شارلوك هولمز** » ضمن الآداب العالمية ، بل وأيضاً **أجاثا كريستي** وأعمالها ، غير أننا كنا نستبعد في الماضي كل الأعمال الشعبية واليوم اعترفنا بأهميتها . وأعرف أنه ليس هناك وجه شبه ، لكن من يدري ، فهناك أعمال **لروبرت لويس سيفنسون لا يمكن استبعادها ، كما أن عملاً مثل (الجريمة والعقاب)** يقف على قمة أدبية شامخة ، وأضع أعمال **أريك كيستنر الالماني** في أرفع

مكان بين الروايات الأدبية العالمية المكتوبة للفتيان ، غير أن فيض روايات الجريمة يجعلني أتحفظ إزاءها ، رغم حب الكثيرين لها وتعلقهم بها .

بعض قصص البحث الجنائي والتحقيق تغري بالقراءة ومحاولة التعرف على خطأ ارتكبه أحدهم أثناء تنفيذه للجريمة للإمساك بتلابيبه ، فليس هناك جريمة كاملة، وهناك ما يعتري بعض الروايات من غموض إلى حد أنها تصبح لغزاً على البطل - والقارىء - الوصول إلى حله ، بجانب قصص الرعب - وأشهر أدبائها البارزين **ادجار الن بو** ، والأطفال والفتيان يحبونها ، وفي أحداثها قسوة وعنف . ثم هناك رواية المفاجأة


هيمنجواي


أدجار ألن بو



وتبدو فيها العقدة خفية ، والأحداث هادئة ، ويجيء المنعطف ليربط أجزاء القصة التي كانت تبدو وكأنها بلا رابط .

ويقبل الفتيان إقبالاً شديداً على ما نسميه قصص المغامرات واقتحامها ، وهي كما يرى «**عبدالرحمن فهمي**» تنقسم إلى عدد لا حصر له من ألوان الرواية من بينها مثلاً أدب الرحلات .. مثل **(جزيرة الكنز) لستيفنسون** ، و حكاية جبل المغنطيس في ألف ليلة وليلة ، وسنوحي في الأدب الفرعوني ، وهناك من يعرقل البطل أو يقف في طريقه لكنه يستطيع خلال الرحلة أن يفوز ويفلت . وروايات البحر من هذا اللون إذ البحر منذ القدم مجال رائع للمغامرة ، ولدينا قصة (البحار الغريق) الفرعونية ، وقصص السندباد ، وهيمنجواي في العجوز والبحر، وحنامينا في الباطر. ويتضمن هذا أيضاً روايات القراصنة (كابتن كيد ، وكذلك الربان الجريء وسبقت الإشارة إليها) .

وكثيرون يضعون قصص الفروسية ضمن هذا اللون من المغامرات وتقف (الفرسان الثلاثة) **لديماس في** ذروة هذا اللون ، وإن كان أدبنا الشعبي والسير الشعبية بالذات تتفوق في هذا المجال ، وخير مثال **الهلالية ، وعنترة ، وسيف بن ذي يزن** . ولقد حاولت أوروبا تقليد هذه السير كما فعلت مع علي الزيبق وعلى نسقه قدموا روبن هود ، وفي مقابل الظاهر بيبرس كتبوا حكايات الملك آرثر ، بعد الحرب الصليبية !

ويرى البعض أن **قصص الخيال العلمي** تدخل في هذا الباب ، نعني به أدب المغامرة ، على أننا نريد أن نؤكد على شيء هو أن هذه تقسيمات ليست مانعة جامعة ، بل هي متداخلة ، فالرواية الواحدة يمكن أن تصنف بحيث تتبع لونين أو أكثر . وكل ما استهدفناه هنا أن نشير إلى الوان من الروايات ومجالات علينا اقتحامها ونحن نكتب للفتيان . منها ما هو خيالي ، ومنها ما هو واقعي ، بل ومنها ما تدور أحداثه فيما وراء الطبيعة . المهم أن تجتذب الرواية قارئها ليعيش فيها ومعها ، وقد يتقمص شخصية بطلها ، وقد ينفر منه ، المهم بعد أن ينتهي من قراءة العمل يحس أنه أضاف إلى تجربته جديداً .

وبعـــــد ..

فقد حاولنا أن نعرف بالرواية ، وبالفتيان ، وأن نصل بينهما ونربط ، مدركين أن الفن الروائي واسع وعميق ، وليس من الممكن أن نحيط به بالكامل ، فقط نحن نقدم إشارات ومؤشرات . كما أن موضوع الفتيان خصب ، والحديث عنه غرباً وعرباً من الممكن أن يطول ، وأيضاً كان كلامنا عنه موجزاً ومركزاً .

إن لدى العالم فيضاً من الأعمال الروائية لهذه المرحلة مبسطة عن روايات للكبار أو مكتوبة خصيصاً لها . ولدينا منذ أواخر الأربعينيات ، وما بعد الحرب العالمية الثانية ، محاولات في هذا السبيل ، تحتاج إلى مزيد من الجهد لكي تنضج وتزدهر . وكل أملنا أن يتجه الكتّاب الذين يكتبون الرواية للكبار إلى قراء هذه المرحلة ، وأن يهتم الذين يكتبون للأطفال بهم وليقدموا لهم البديل عن تلك الأعمال الهابطة التي يقذفها إلينا الغرب .

المراجع

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر . عبدالتواب يوسف .
(٢) بانوراما الرواية العربية الحديثة . د. سيد حامد النساج .
(٣) كيف تكتب للأطفال ؟ جوان ايكن .
(٤) في الرواية العربية (عصر التجميع) . فاروق خورشيد .
(٥) الأطفال والكتب . ماي هيل اربثنون .
(٦) تربية المراهق في الإسلام . محمد جمال الدين محفوظ .
(٧) أدب الأطفال والفتيان في العالم ترجمة نادر ذكري (اللاذقية) .
(٨) محمد فريد أبو حديد «دراسة تحليلية في الرواية» . د. محمد عبدالمنعم خاطر .
(٩) في أدب الأطفال . د. علي الحديدي .
(١٠) أدب الأطفال . د. هادي نعمان الهيتي (بغداد) .
(١١) الطفل ودراسة الأدب . تعريب د. ماهر كامل .
(١٢) الطفل والمأثورات الشعبية . عبدالتواب يوسف .
(١٣) مجلة «فصول» (العدد الثاني . المجلد الثاني ١٩٨٢م) . الرواية وفن القص . دراسة عبدالرحمن فهمي .

دعوة ترشيح

لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وللأدب العربي

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية أن تدعو الجامعات ومراكز البحوث والمجامع العلمية واللغوية في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً..

لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، وموضوعها:

الدراسات التي عُنيت بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم

و

لجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، وموضوعها:

الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث

المقرر منحهما عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) وفق مايلي:

١- أن يكون المرشح قد أسهم بجهد بارز فيه إثراء لموضوع الجائزة.

٢- أن يتميز إنتاج المرشح بالجدة والأصالة.

٣- أن يكون الترشيح من مؤسسة علمية معترف بها.

٤- أن يشتمل الترشيح على:

أ. بيان مطبوع بالآلة يتضمن الأعمال المرشحة لنيل الجائزة.

ب. بيان مطبوع بالآلة عن الحياة العلمية والعملية للمرشح متضمناً جميع أعماله المنشورة.

ج. سبع نسخ من كل عمل مرشح.

د. ثلاث صور شمسية ملونة حديثة للمرشح مقاس ١٠ × ١٥ سم.

هـ. العنوان البريدي للمرشح ويشمل:

(١) عنوان العمل ورقم الهاتف والتلكس والفاكس.

(٢) عنوان المنزل ورقم الهاتف.

٥- تخضع جميع الترشيحات لقرار لجنة الإختيار المكونة من متخصصين أجلاء.

٦- يجوز أن يشترك في الجائزة فائزان أو أكثر.

٧- لايقبل إنتاج المرشح إذا كان:

أ. قد منح جائزة من أية مؤسسة عالمية.

ب. رسالة جامعية.

ج. غير منشور.

٨- لايقبل الترشيح إذا كان:

أ. فردياً أو من أحزاب سياسية.

ب. غير مستوف لجميع الشروط المعلنة.

ج. وصوله بعد الموعد المحدد.

٩- تتكون الجائزة من:

أ. شهادة تحمل إسم الفائز وملخصاً للأعمال التي أهلته لنيل الجائزة.

ب. ميدالية ذهبية.

ج. مبلغ (٣٥٠ ٠٠٠) خمسين وثلاث مئة ألف ريال سعودي.

١٠- تعلن أسماء الفائزين في شهر شعبان ١٤١٥هـ (يناير ١٩٩٥م)، وتمنح الجائزة في إحتفال رسمي يحدد زمانه ومكانه في وقت لاحق.

١١- آخر موعد لقبول الترشيحات مكتملة ٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ (١ سبتمبر ١٩٩٤م).

١٢- لا تعاد أوراق الترشيح والأعمال المرشحة إلى مرسليها، فاز المرشحون أو لم يفوزوا.

١٣- ترسل جميع الترشيحات وكل مايتصل بها من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى:

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية.
ص.ب (٢٢٤٧٦) - الرياض (١١٤٩٥)
المملكة العربية السعودية.
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥
تلكس: 404667 PRIZE SJ
فاكس: ٤٦٥٨٦٨٥
برقياً: جائزة.

حوار مع:

المفكر المغربي د. محمّد الكتّاني عن:

الوحي والعقل بين التوازن والتطرف

أجرته: أم سلمى

الدكتور محمد الكتاني من المفكرين المغاربة الذين وصلوا إلى درجة عالية من نضج الفكر الإسلامي والدفاع عنه بالكلمة الطيبة الثابتة المستمدة من الوحي والعقل. ومنذ بداية حياته العلمية وهو يؤسس التصور الشامل لرؤية حضارية متميزة، بعيدة عن اللغو، حاضرة الإقناع. ولا أدل على هذا من العديد من المحاضرات والندوات التي شارك فيها، سواء في المغرب أو خارجه، والتي تركت في نفوس الحاضرين المتابعين لفكره النير الإعجاب بما يطرحه من فكر إسلامي، ويبسطه ويشرحه بشكل لا تحتاج معه إلى الدفاع عنه. وهو في كل محاضراته وكتاباته ينحو نحو «مقاومة الفكر العلماني الذي يعزل الدين عن الواقع العلمي والسياسي والاقتصادي، ويحاول إبراز الإسلام كمنهج شامل للحياة بكل أبعادها».



ومن كتبه المتميزة كتاب «من المنظور الإسلامي» و«الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي» و«جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي» وغيرها من الكتب المهمة التي أغنت الساحة المغربية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة. وهو يعمل عميدا لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمدينة تطوان. وعضو في الأكاديمية المغربية. وقد التقينا به لمناقشته حول عدد من الأمور التي تحتل حيزا مهما في تفكيره، فكان هذا الحوار:

قراءة تحليلية للفكر الإسلامي

● في كتابكم الأخير «جدل العقل والنقل في مناهج التفكير الإسلامي»، بسطتم مشروع قراءة للفكر الإسلامي من داخله في تفاعله مع الثوابت والمتغيرات، وبينتم أن هذا التفاعل هو شرط البقاء والاستمرار؛ هل يمكن أن تلخصوا للقراء طبيعة هذه القراءة والمنهج الذي اتبعتموه؟

□ قبل أن أجيب أود في البداية أن أضع الكتاب في سياقه التاريخي المعاصر. فهذا الكتاب ليس قراءة استرجاعية للفكر الإسلامي القديم ولا قراءة اجترارية، ولكنه قراءة تركيبية، أي قراءة تحليلية للتراث الفكري الإسلامي حول محوري: علم الكلام وعلم الأصول. وقد حاولت أن أبين فيه النسيج الفكري الإسلامي. أي كيف كان العقل يشكل خيوطا رفيعة بجانب الخيوط التي يشكلها الوحي. وقد انتهى هذا الفكر إلى عصرنا الحديث الذي بدأ بانفتاح العالم الإسلامي على الحضارة الغربية وعلى الفكر الغربي. وقد تزامن غزو الفكر الغربي مع الحركات الاستعمارية والسيطرة العسكرية على الشعوب الإسلامية. وقد أخضعت هذه الشعوب لتعليم مزدوج: مزدوج اللغة ومزدوج الفكر. وتصادمت الهويات القومية والهوية الإسلامية بالتيارات الأوروبية التي كانت تحاول مسخ شخصيتنا وامتصاص ذاتيتها وإدماجها بشكل أو بآخر في الحضارة الغربية المادية. فوقع الصراع بين ما يسمى بالأصالة والمعاصرة. في هذا السياق قامت محاولات لتجديد الفكر الإسلامي بعضها سلفي مغلق وبعضها سلفي متفتح وبعضها مجدد متطرف في التجديد. وبعضها نجده قد خرج عن مسار الفكر الإسلامي وعن ثوابته.

ودون الدخول في التفاصيل أود أن أقول إن هذا هو التمهيد المناسب لظهور كتاب «جدل العقل والنقل» فهو قراءة للفكر الإسلامي على أساس ما يحمله هذا الفكر من ثنائية المنهج. أعني منهج الوحي الرباني ومنهج الفكر الإنساني. وقد أرجعت هذه الثنائية إلى أصولها، فبينت في مبحث أول أن الكون الطبيعي يقوم على ظواهر كونية يفسرها العالم بالملاحظة والاستقراء، وعلى ظواهر لا يجد لها تفسيرا. وعندما ننتقل إلى التاريخ البشري نجد الإشكالية نفسها، نجد تسلسلا بين الأحداث الاجتماعية بعضها آخذ برقاب بعض. ونجد أحداثا تمثل الطفرة وتخرج ببعض المجتمعات من السكون إلى الحركة.

ومن الانفعال إلى الفعل. وقد أطلقت على هذه الثنائية التقاء التاريخ بالميتاريخ، أي التقاء ما يُفهم ويعلَّل بما لا يعلَّل. وإذا استعرضنا الواقع الإنساني وجدنا هذه الثنائية متجلية فيه. وقد تبين لي أن نزول القرآن كان أكبر حدث في تاريخ هذا الكون، وبصفة خاصة أكبر حدث في تاريخ الإنسان.

وبما أن القرآن مرتبط بالنبوة فقد وقفت على ظاهرة النبوة وتتبعت مناهج إثباتها بين علماء الكلام والفلاسفة والمفكرين المحدثين، وفي التاريخ العبري القديم. وقد تبين لي أن هناك مذهبين: مذهبا يرفض بطبيعته الاعتقاد بأن وراء المحسوس نظاما مدبرا لهذا الكون. ومذهبا آخر يرى أن هذا الكون الطبيعي بما فيه الإنسان ليس إلا نقطة يحيط بها وجود رباني وإلهي متعال لا يمكن إدراكه بالعقل، وأن هذا الوجود هو الذي يقود الإنسان نحو غايات يعلمها.

وانتهيت أيضا إلى أن أفضل دليل يثبت ذلك هو دراسة القرآن. ثم مضيت أتتبع هذه الثنائية بين العقل والوحي في تراثنا فتبين لي أن هذه القراءة توقفنا على حقائق كثيرة ما أحوج مفكرينا ومثقفينا

إلى القيام بها بكل موضوعية وعلمية.

ثنائية الوحي والعقل

●كانت الأطروحة الفكرية التي قام عليها الكتاب في أساسه - كما ذكرتم في التقديم - هي الإقرار بثنائية عالمي الغيب والشهادة التي كشفها القرآن الكريم للفكر البشري، إلى أي حد وجهت هذه الثنائية الفكر الإسلامي القديم، وهل لا زالت فاعلة في الفكر الإسلامي الحديث؟

□ لقد كان في الجواب الأول ما يكفي للإجابة عن هذا التساؤل نفسه، إلا أني أود أن أضيف أن الفكر الإسلامي انفعل بهذه الثنائية التي سميتها أحيانا ثنائية الغيب والشهادة، وسميتها أحيانا أخرى الوحي والعقل. وقد تحقق التوازن بينهما لدى مفكرين من علماء كلام وعلماء أصول. كما فقد بعضهم التوازن بين الأمرين فأخذ بالوحي ورفض العقل. ويمكن القول اختصارا إن علماء الكلام الأشاعرة قد مثلوا التوازن بين العقل والوحي، كما مثل المعتزلة الميل نحو العقل، والمحدثون الميل لحساب النقل. وفي الفقه الإسلامي احتدم الصراع بين المذاهب الفقهية فكان التوازن وكان التطرف. أما اليوم فما تزال هذه الثنائية فاعلة. بل إنني ألاحظ أن الصحوة الإسلامية ليست إلا مظهرا من مظاهر الانجذاب نحو النقل والأخذ بحرفية النصوص عند بعض أعلامها وزعمائها. وقد وعدت القارئ في آخر كتاب «جدل العقل والنقل» بأنني سوف أنجز الجزء الثاني منه حول هذه الثنائية في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، ومازلت عند وعدي إن شاء الله تعالى.

تصورٌ متفرد للكون

●ذكرتم في كتابكم من المنظور الإسلامي أننا نعيش مرحلة «العمق المكّيّ» أي العصر الذي نحتاج فيه إلى تأسيس تصور سليم عن العقيدة والدين قبل الدخول في الفروع والأحكام التفصيلية». هل يعني هذا أن نطرح مختلف الأيديولوجيات والمناهج الغربية بعد أن أتى على شبابنا ومثقفينا حين من الدهر امتصوا فيه مختلف التأثيرات الحضارية الغربية خاصة السلبية منها؟ وهل يمكن الحديث عن تصور إسلامي بديل عن تصور الفكر العلماني المتغلغل في العقول للخروج من شرنقة التّخلف والجمود؟

□إن الإسلام بطبيعته يقوم على تصور للكون يختلف جذريا عن كل تصور آخر. وقد أبيح لنفسي أن أفصل بين التصورين لا بما يعبر عنه عادة بالتصور الرباني والتصور المادي، ولكن بتعبير آخر، هناك تصور إسلامي وتصور جاهلي. فالتصور الإسلامي يقوم على العلم، أما الجاهلي فيقوم على علم دنيوي نسبي محدود. قد يسمي نفسه علما في إطار النسبة، لكني أسميه جهلا بالنظر إلى أنه ينكر وجود ما هو خارج عن المادة. ولذلك ينبغي إعادة بناء التصور الإسلامي في نفوس شبابنا وأجيالنا على أساس ما يقدمه القرآن عن هذا الكون، ولا بأس بعد ذلك أن نعزز جهدنا المعرفي والتربوي في الإطار الإسلامي بما هو موافق أو متفق مع العلوم والثقافات والمناهج الفكرية الوضعية إذا كانت لا تتصادم مطلقا مع العقيدة الإسلامية. وأهم ما يتميز به الفكر الإسلامي أنه لا يفرق بين المعرفة والمسؤولية أو بين الإيمان والعمل. والفكر العلماني لا يقوم على هذا الأساس لأنه ينكر أن يكون للدين وللمعتقدات أي دور في تحريك الجهاز السياسي. ونحن المسلمين لا يمكن أن نفرق بين الشريعة التي تحدد العلاقات الإنسانية في كل مستوياتها وبين العقيدة الشاملة.

صراع أيديولوجي شامل

● في أطروحتكم التي نلتم بها دكتوراه الدولة «الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث» بيّنتم أن ظاهرة الصراع مرتبطة بمجالها الحضاري. ما هي أهم النتائج التي توصلتم إليها في هذا الإطار؟

□ كنت أنطلق من نفس المنهجية والتصور ولكن في الميدان الأدبي. فقد كان القديم هو التراث الأدبي الذي انتهى إلينا في العصر الحديث، وكان الجديد هو ذلك التراث الأدبي الأوربي الذي غزا عقولنا وأذواقنا، وإن التقاء التراثين - كما أشرت - كان أمرا حتميًا. وكان من الطبيعي أن تنشأ من تصادمه ثلاثة تيارات رئيسة في الأدب: تيار محافظ يعتبر النموذج الأدبي القديم في الكتابة والقصيدة هو النموذج الذي يحفظ للأدب العربي شخصيته، وتيار حداثي يعتقد أن الأدب ينبغي أن يعكس حياة الإنسان كما يحياها، وبما أننا نعيش حضارة مغايرة للحضارة الإسلامية فعلينا أن نعبر بنفس الأجناس الأدبية الغربية وبنفس المفاهيم والقوالب حتى ولو أدى ذلك إلى القطيعة مع قيم الأدب العربي القديم، ذلك أن المرء لا يمكن أن يكون مزدوج الشخصية. وتيار ثالث معتدل حاول أن يوفق بين قيم أدبنا العربي القديم وقيم الحداثة التي لا يمكن تجاهلها، متحكما إلى حد ما في رفض كثير من المفاهيم والأشكال التي لا تناسب هوية الأمة العربية ولا يؤثر تجاهلها بل ورفضها في مسيرتنا الحضارية العامة. ولهذه التيارات كلها ممثلون من المبدعين والنقاد. وقد تجلى الصراع بين هذه الأطراف فحاولت أن أبينه في كتاب بلغ حوالي ١٤٠٠ صفحة. والمتتبع لا شك يدرك أن النتائج والأحكام التي توصلت إليها هي من العمق والتقصي بحيث لم يظهر بحث ينسخ أو يغير ما ورد فيه. وهو نتيجة عمل عشر سنوات من البحث والتنقيب. ولا شك أن الحياة الأدبية منذ الستينيات قد تغيرت في عالمنا العربي تغيرا جذريا. فيقتضي البحث أن يُنظر إلى هذه الفترة ويتصدى لها بالقراءة التحليلية المتأنية من يتصدى لها لاستخلاص قوانين أو سنن الحياة الأدبية في عالمنا العربي، وليكشف عن صراع حضاري أعمق دائر في عدة مستويات ومن جملتها الأدب العربي المعاصر. وقد أشرت إشارة خفيفة في بحثي إلى أن الصراع الدائر في عالمنا العربي هو صراع إيديولوجي شامل وصراع حضاري متعدد الأبعاد، وأن الكلمة الأدبية إبداعًا ونقدًا ليست سوى مظهر جزئي لذلك الصراع.

الواقع العربيّ والحُلم و"المؤامرة الكبرى"!

على العرب أن يعوا أنهم في عصر الكيانات الكبيرة

د. صدقة يحيى فاضل

هـذه الرقعـة العظيمـة من البسيطـة التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العـربي، والتي تعـرف بـ : العالم العـربي، (أو الوطن العـربي)، والتي تمتلك ثروات بشرية وطبيعيـة هائلـة، تعيش منـذ أمد، وضعًا «غير طبيعي». والمقصـود بـ«غير طبيعي» هو أن معظم هذا الـوطن الكبير يرزح في ظل تخلف وانحطاط كبيرين، بالمقاييس العلمية والموضـوعية لـ«التخلف» و«الانحطاط».

والمؤشرات التي تثبت هـذه الحقيقـة المرة كثيرة. ومن أهم مظـاهر تخلفـه ـ مثـلاً ـ الارتفـاع النسبي لمعدلات الفقـر والجهل والمرض في معظم أنحـائه، قياسًـا بما يملك من إمكانـات بشرية ومـاديـة. ومن أهم مؤشرات انحطـاطه انقسـامه إلى واحـد وعشرين كيانًا، معظمهـا متنافر مع الآخر ـ سيـاسيًا على الأقل ـ. أضف إلى ذلك : الضياع العقـائدي الذي يسود كثيرًا من أجزائه في ظل غياب إطار مرجعي (قيمي) موحد، متفق عليه، يؤدي الالتزام الحق به إلى خير البـلاد والعباد فعلاً.

هذه البقعة من العالم تضم حوالي مـائتي مليونٍ من البشر (حتى بعد حرب الخليج) تـربطهم ببعض أقوى الـروابط، وأشـد الصـلات وأوثقهـا إذ يجمع بينهم : الدين الواحد، والأصل الواحد، واللغـة الواحدة، والتاريخ المشترك، والحضارة والتقـاليد الـواحدة، والأخطـار والمصالح المشتركـة. ولقد شرفهم الله سبحـانه وتعـالى بحمل رسالة الإسـلام إلى العـالمين، إذ اصطفى منهم رسولـه (ﷺ)، وأنزل القرآن المجيد بلسان عربي مبين.

ومنذ فجـر الإسلام، كـان الأصل فيما بين أجزاء هذه البقعـة وأطرافهـا هو الاتحاد والتـلاحم والتـداخل، وعـدم وجـود الحدود الفاصلـة، والتعصبـات القطرية، الضيقة، التي تؤدي إلى الانعزال والتشرذم، ومن ثم الضعف والهوان.

عالم الكيانات الكبيرة

كان يكفي عنصر واحد من عناصر الوحدة العقائدية والمصلحية والعرقية، ليوحد فيما بين هذه الأمة الواحدة أصلاً، ويدفعها دفعًا نحو التآزر والتكتل، في شكل عصري متين العرى، صلب الأسس والمقومات، ثابت البنيان.

ثم إن ظروف القرن العشرين والقرن القـادم وتحدياتها، وضحت منذ بداية القـرن الحالي، أن عـالم اليـوم والغـد هو عـالم الكيـانـات الكبيرة، عـالم التكتل والتعاون، عالم لا مكان فيه للكيانات الصغيرة والدويلات. ولقد وضح للعرب بالذات، أنه السبيل الأول والرئيسي أمامهم، كي يتقدموا ويرتقوا، ويكون لهم مكان تحت شمس هذا العالم (التي لا تشرق على الضعفاء إلا نادرًا)، هو ـ بعد الإيمان بالله ـ الاتحاد.

لهذا، نجـد أن الأمل الأكبر والحلم الجميل الـذي مـازال يداعب مخيلـة معظم المثقفين العرب، هو أن يتحد العرب، وأن يسعوا في طريق الاتحاد، حتى يصلوا إلى القمة المرجوة، والتي تستحقها هذه الأمـة فعلاً. ولقد تأكد بأنه كلما اتحد العرب فيما بينهم كانوا داخليًا وخارجيًا في وضع أفضل، سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا. والعكس صحيح تمامًا.

وعندما نأخذ في الاعتبار الظروف العربية الحالية، لابـد وأن نضيف إلى هذا الاستنتـاج شرطًـا مهمًا، لابـد من تـوافـره، حتى نضمن صحة هـذه الـرؤيـة الأكيدة. لابد وأن نقول : كلما اتحد العرب اتحادًا حقيقيًا . . . إلخ.

حلم النظام الإسلامي

ولعل من أجمل أحلام اليقظة التي مـازال يتعلق بأصدائها كثير من المثقفين

العرب، المخلصين فعلاً لأمتهم، هو أن يتحد العرب في ظل نظام إسلامي شوري، يأخذ بالصيغ القانونية والسياسية، التي ثبت صلاحها لمثل هذه المشروعات الاتحادية، والتي لا تتعارض مطلقًا مع نصوص الإسلام وروحه، كالفيدرالية مثلاً ونحوها. ولا يمانع أولئك الحالمون بأن يتم الاتحاد على مراحل طويلة الأمد. ولا بأس لديهم أن يتقلص، في البدء، عدد الدول العربية، كأن تصبح هناك ثلاثة أو أربعة كيانات عربية فقط.

المهم — في رأي هؤلاء - أن يتحد العرب، أو يسيروا في الطريق الصحيح المؤدي إلى الاتحاد الحقيقي. وبعد أن يتحد العرب أولاً، يبادروا بتوحيد كامل العالم الإسلامي، وبالتدرج، كأن يعقد حلف تضامني وتعاوني بين الدول العربية وكل الدول الإسلامية (وقد اصطلح بعضهم بأن الدولة الإسلامية هي الدولة التي يكون ٥١٪ من سكانها أو أكثر، من المسلمين). ثم يشرعوا بالقيام بتنمية اقتصادية واجتماعية شاملة وفعلية، تستثمر كل جزء من إمكاناتهم المختلفة والهائلة للصالح العام المشترك.

ذلك هو الحلم الذي يبدو أن شيئًا ملموسًا منه لن يتحقق، طالما ظل العرب على ما هم عليه. فما أبعد واقع العرب الحالي عن الوضع الأمثل الذي ينبغي أن يكونوا عليه. إن «الوضع الأمثل» ممكن جدًا لو كان العرب في وضع طبيعي. ولكن واقع معظم العالم العربي الراهن يوضح بما لا يدع مجالاً للشك، أن معظم الدول العربية متفرقة، وشبه متنافرة فيما بينها، وأنها تعاني من تخلف اقتصادي واجتماعي وسياسي، وتقاسي من تردٍّ حضاري، يكاد أن يودي بهويتها وكرامتها.

ووضع العرب هذا سوف لن يقتصر سوؤه عليهم، بل سيمتد ضرره ليشمل كل العالم الإسلامي. فالعالم العربي (أو الوطن العربي الكبير) هو قلب العالم الإسلامي، الذي يجب أن ينبض دائمًا بالخير، وهو الركيزة الأساسية لكل المسلمين. ومع الإيمان التام بأنه «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»، يمكن الزعم بأن معظم المسلمين يعتقدون أن العالم العربي يجب أن يكون كيانًا رئيسًا في الجسد الإسلامي الواحد.

قلة هم من يدعون أن الواقع العربي هو واقع غير سيئ. وكل الدلائل والمؤشرات تؤيد ما تذهب إليه غالبية المفكرين العرب، وغير العرب. ومع ذلك يجب إعادة التقويم وتشخيص الوضع — بعلله الخطيرة - تشخيصًا موضوعيًا شاملاً. ثم الكشف بعد ذلك عن مسببات هذا الواقع («المؤلم» بالنسبة للمخلصين من العرب، والمفرح لأعداء العرب والمسلمين)، وتوضيح أساليب تجاوزها.

ولن تكون هناك حاجة للتقويم الشامل، إذا كان الغرض هو التأكيد على «القطرية» الضيقة، واعتبارها واقعًا أبديًا لا رجعة عنه، ولا سبيل إلى أن يعلوه شيء أكبر، مهما تواضع حجم القطر، ومهما سمت مزايا الاتحاد والتضامن.

إن أنصار التقويم الشامل، هم — كما يبدو — أنصار الاتحاد العربي الإسلامي. ومعظم هؤلاء يؤكدون رداءة الواقع العربي الحالي، ويرون أن المسبب الرئيسي له هو ما يطلق بعضهم عليه مسمى «المؤامرة الكبرى».

خيوط المؤامرة الكبرى

يمكننا الجزم بأن هذا الاعتقاد صحيح بنسبة ١٠٠٪، إذ إن آيات ودلائل وجود هذه المؤامرة الرهيبة، تكاد توجد في معظم جوانب الحياة العربية اليومية، ومنذ بداية هذا القرن. إن كل المبصرين يرون خيوط هذه المؤامرة، ويسمعون وقع فصولها المروعة، ويحسون شدة تطوراتها المتلاحقة، ويشمون نتنها. إنها أحيانًا تكون سافرة واضحة، مكشرة عن أنيابها، وفي أغلب الأحيان تتوارى خلف ستائر زور سوداء، ولكنها تظل قابلة للرؤية، في معظم الحالات والظروف.

ورغم تأكيد وجود مؤامرة كبرى نشطة ضد العرب والمسلمين، إلا أنه لا يصح رد سوء الواقع العربي الحالي إلى تلك المؤامرة فقط. هناك مسببان رئيسان لهذا الضعف والتخلف، هما:

أولاً: المسبب الذاتي: والمتمثل في الشخصية العربية نفسها، فلهذه الشخصية سلوكيات (نمطية) خاطئة معروفة. وغالبًا ما ينتج عن تلك السلوكيات استحكام حلقة الفقر والجهل والمرض، بدل كسرها أو التخفيف من وطأتها، وشدة إحكامها وقسوة قبضتها.

ثانيًا: المسبب الخارجي: ويتجسد في نجاح «المؤامرة الكبرى»، وسياسات الدول الكبرى المعروفة نحو العالم العربي بصفة خاصة، والعالم الثالث بصفة عامة.

هناك شبه إجماع بين المفكرين على أن طرفي «المؤامرة الكبرى» (الخطر الأجنبي) ضد العالم العربي والإسلامي، الرئيسيين، هما: الصهيونية والاستعمار، بما في ذلك أذنابهما، ومن سار في فلكهما. وسبب ذلك معروف ومفهوم، وربما لا يحتاج إلى شرح مطول. فالصهيونية قررت، منذ عام ١٨٩٩م، أن تقيم وطنًا قوميًا لليهود (إسرائيل) في قلب العالم العربي، فلسطين، ورفضت كل الأماكن الأخرى التي كانت مقترحة لإقامة ذلك «الوطن» فيها، متذرعة بما للديانة اليهودية من صلة قديمة غابرة بفلسطين.

وفيما بعد، توسعت أطماع الصهيونية لتصبح إقامة دولة يهودية كبرى على مستوى المنطقة هي «إسرائيل الكبرى»، لتشمل أراض أخرى، غير فلسطينية، حتى يمكنها استيعاب معظم يهود العالم (مجموعهم حوالي ١٦ مليونًا)، متى ما قرروا الهجرة إلى «إسرائيل» - أرض الميعاد. إن الصهيونية تهدف - دون مواربة - إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى، التي يمكن أن تسيطر - بتوسع إقليمي أو دونه - على المنطقة ومقدراتها بما هيىء لها من نفوذ وسطوة.

إن قيام إسرائيل ونموها وتوسعها لم ولن يتم إلا باغتصاب حقوق العرب وانتهاك كرامتهم. لهذا، لا يتوقع أن يسود سلام حقيقي بين العرب وإسرائيل، إلا بتخلي إسرائيل نهائيًا عن فكرة الغزو والسيطرة (الصهيونية).

الواقع العربي والحلم و"المؤامرة الكبرى"

الصهيونية والاستعمار الجديد يلتقيان في تآمرهما على الإسلام

ولكن يبدو ــ حتى الآن ــ أن معظم قادة إسرائيل متمسكون بمبادئ صهيونيتهم، ومصممون على تحقيق الحلم الصهيوني، بدليل عملهم الدؤوب على تقوية إسرائيل عسكريًا واقتصاديًا، والعمل في الوقت نفسه على إضعاف العرب، عن طريق تفريقهم وتكريس تخلفهم بشتى الوسائل الصهيونية المعروفة، ورفضهم لكل محاولات تحقيق السلام العادل.

الاستعمار القديم يجدد ثوبه

صحيح أن عهد «الاستعمار» القديم قد ولى، وأن عصر «الاعتماد المتبادل» وترابط المصالح قد هَلّ، وتأكد في واقع الحاضر وتجذر، ليصبح أساس واقع المستقبل. ولكن الصحيح أيضًا أن هناك « استعمارًا جديدًا »، ثبت وجوده منذ الستينيات من هذا القرن، وأن هذا الاستعمار الجديد يسعى جاهدًا ليكون امتدادًا لوالده الراحل (الاستعمار القديم)، بل إن الاستعمار الجديد هو أسوأ كثيرًا من أبيه المدفون.

«لقد خلف الغول الكبير غولاً كاسرًا وشرهًا» هكذا قال أحد علماء السياسة الغربيين البارزين، يصف ميلاد «الاستعمار الجديد». إن الغول الجديد لا يرحم ضحاياه أبدًا، وهو يضعفهم بشتى الوسائل كي يقعوا صيدًا سهلاً. فالأسلوب هو الذي اختلف فقط.

كان الاستعمار القديم صريحًا واضحًا، يأتي بعساكره ومدافعه، ويحتل رقعة الأرض التي قدر لها أن تكون الفريسة، ولا يخرج منها إلا بإطلاق النار، وحرب الميليشيات، والصراخ من على منبر «الجمعية العامة» لهيئة الأمم المتحدة. أما الاستعمار الجديد فهو يُخفي وهو يستشري.

والاستعمار الجديد يعمل على إضعاف فريساته المفضلات، بشتى الوسائل، كي يسيطر عليها لتحقيق الهدفين الرئيسيين التاليين:

١ ـ الحصول على خيراتها المطلوبة، بأقل تكلفة ممكنة.

٢ ـ جعلها سوقًا مفتوحًا لتصريف بعض الفائض من منتجاته.

هذه، بصفة عامة، هي أهم أسس سياسة الاستعمار الحالي، نحو معظم دول العالم الثالث.

وبما أن معظم دول العالم العربي والإسلامي، تصنف ضمن مجموعة العالم الثالث، فإنه يمكن القول بأن الاستعمار الجديد يتبع سياساته الاستعمارية نحو معظم العالم العربي. إن العالم العربي يمثل بإمكاناته الطبيعية الهائلة، منطقة مهمة وجذابة، أو لنقل فريسة ثمينة، لابد أن يتسابق الصيادون (المستعمرون) على اقتناصها. وهذا ما يبدو أنه حصل.

بل إن اعتناق العالم العربي والإسلامي الدين الإسلامي الحنيف قد ضاعف ـ كما يظهر ــ كيد الاستعمار للعرب والمسلمين. فالاستعمار ـ قديمه وجديده ـ يسيء فهم الإسلام ويخشاه. لذلك فهو يعمل دون هوادة لمحاربته والحيلولة دون ارتقاء شأنه. وهذا من أهم مؤشرات كون حقد الاستعمار على العرب مضاعفًا، نسبة إلى بقية دول العالم الثالث الأخرى. إن الاستعمار لا يحارب العقائد الأخرى بالضراوة نفسها التي يحارب بها الإسلام الصحيح.

تلك هي المسألة، بمنتهى التبسيط. ومن ذلك نرى أن أهداف الصهيونية تلتقي مع أهداف الاستعمار نحو المنطقة العربية، وهذا أدى إلى تحالفهما لتحقيق أهدافهما المشتركة. ولقد أصبح كل منهما حريصًا على ما يعتبر مصالح الآخر حرصه على ذاته ومصالحه، وذلك بسبب تطابق النوايا السيئة نحو العرب والمسلمين. كل ذلك دفعهما ـ الصهيونية والاستعمار ـ لحبك «المؤامرة الكبرى» ضد الأمة العربية والإسلامية، والعمل الدؤوب على تنفيذها، وبذل الجهود كافة لبلوغ أهدافها، الواحد تلو الآخر.

بعض ملامح المؤامرة

إنها «مؤامرة»؛ لأنها تضمر شرًا مستطيرًا للعرب والمسلمين، إذ تستهدف بقاء العرب وحضارتهم دون مبرر سوى الطمع والحقد والاستغلال. وهي «كبرى»؛ لأنها تضم تحالفًا لقوى عالمية عاتية؛ وتمتد نواياها لتشمل أهدافًا دولية واسعة، تؤثر على دول عديدة وأمة بأكملها.

ولكي يتحقق الهدف الرئيسي لهذه المؤامرة، يبذل أبطالها الظاهرون وغير الظاهرين قصارى جهدهم، لضرب عناصر التلاحم فيما بين العرب. فهم مثلاً:

ـ يعملون على تشويه الدين الإسلامي الحنيف.

ـ يحاولون جهدهم التشكيك في الوجود العربي ذاته.

ـ يحاولون باستماتة ملفتة للنظر ضرب لغة العرب، وخاصة عبر التأكيد على اللهجات المحلية، ونحو ذلك كثير.

كما أن أبطال هذه المؤامرة يعملون للتسلل إلى بعض الدول العربية، والعمل من خلال ذلك على تكريس التخلف العربي، وتعميق التناقضات العربية.

لقد مضى على قيام هذه المؤامرة حوالي مائة عام، إذا استبعدنا أحقاد الماضي البعيد ومؤامراته الشهيرة. حيث يمكن القول بأن هذه المؤامرة الكبرى نشطت منذ انعقاد أول مؤتمر صهيوني عالمي في عام ١٨٩٩م، وتبلورت بصدور وعد بلفور عام ١٩١٧م، وتأكدت في الواقع منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى. ثم أحكمت مخالبها في الخارطة العربية فور انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة.

ويعتقد أن هذه المؤامرة ما فتئت تحقق الانتصار تلو الآخر، إذ إنها حققت ـ حتى الآن ـ معظم أهـدافها، وبنجاح منقطع النظير. ولا أدل على هـذا النجاح من تمكن أطـراف المؤامـرة من ضرب الأمـة العـربية والإسـلاميـة من داخلهـا، وتمكنهم من السيطـرة على بعض مقدراتها، وتسخير بعض إمكـاناتها، لخدمـة أهدافهم ومصالحهم.

دور المثقفين

ومعروف أن هنـاك من يستخدم الاعتقاد بـوجود هذا التآمـر، كـ «شماعة» لتعليق أخطائنا أو أخطاء الآخـرين عليها. إن من المهم كشف طبيعة مثل هذا الاستخدام وتـوضيحها، وخاصة عنـدما يصدر من بعض المسـؤولين العرب. فهذا الاستخـدام قد يكـون هدفه المغـالطة، أو التغطيـة، وقد يكـون ناتجًا عن سذاجة فعلاً. ولا ينصرف هذا التخدير ـ بالطبع ـ إلى استخدام الاعتقاد بوجود هذه المؤامرة للتندر، كقول أحدهـــم إن سبب رسوب أخيه في امتحان اللغـة في بريطـانيا هـو «دسيسة صهيـونية»! وادعـاء آخر بأن «الإمبريـالية» قـد عطلت سيارته، للحيلولة دون ذهابه إلى لقاء معين!

ولكن مجرد الاعتقاد الصحيح بوجود هـذه المؤامرة، يضع على كاهل العرب والمسلمين مسؤوليـة تعريتهـا ومقاومتها، بكل الطـرق والوسـائل الممكنة، قبل فـوات الآوان، وقبل تمكـن المتـآمـرين من تحقيـق غـايـة مـرادهم تجاه العـرب والمسلمين، وهي أن لا تكـون هناك أمـة عـربية، وأن تصبح معظم الشعـوب العربية من أكثر شعوب العالم ضعفًا وتخلفًا.

وعلى المثقفين العـرب الـدور الأكبر في هـذه المقـاومـة النبيلـة، إذ عليهم الخروج عن الصمت، وممارسة دور نشط ولائق فعلاً، يتمثل في التنوير بالمخاطر الحقيقية التي تحيق بهذه الأمة، وتحليل العلل العربيـة، وتوضيح أنجع الوسائل الشافية التي تمكن هذه الأمة من النهوض، والقيـام بالدور المؤثر والفعال الذي قدر لها أن تقوم بـه في هذا العالم. أما «المثقفون» العرب الـذين يتجاهلـون هذه الأخطار، بل ويـزينون «الباطل» ويشـوهون «الحق»، فيجب كشف تضليلهم ورفض طروحـاتهم المشبوهة، والتي تسهل نجاح خطط أعـداء الأمـة ويكفيهم خزيًا أن يعتبروا جزءًا من «الطابور الخامس» في الأرض العربية.

إصلاح الذات أولا

وأخيرًا، فإن من البـدهـي أن أفضل وسيلـة لمقـاومـة هـــذه المؤامـرة، بل ولمواجهـة كل التحـديات الخطيرة الأكيـدة والمحتملـة، هي أن يعمل العـرب جاهـدين ودائمًا على الاتحاد والتضامن فيما بينهم، ثـم يأخذوا بالسبـل المعروفـة التي من شأنها الارتقـــاء بالعـالم العربي إلى مصاف الدول القوية والمتقدمـة. إن «إصلاح الذات أولاً» هو المتطلب الأساسي لأي مقصد خيّر.

ليس سبب معظم مشكلاتنا هو تآمـر الآخرين علينا، بل المسبب الرئيسي لمعظم هـذه المشكلات هـو ذاتنـا وواقعنـا. والحقيقـة، أنـه لـولا طبيعة هـذا الواقع، لما نجح أي تآمر معاد كبير نجاحًا يذكر.

ظاظا وباظا

كنا مجموعة من الأصدقاء، من كبار النقاد ورجال الجامعات، وقرأت عليهم مقالة لي زعمت أنها من تأليف يحيى حقي.

وتوالـت التعقيبات، واحد يمـدح سخريـة يحيى حقي، وثـانٍ يشيد بدقـة أسلوبه، وثالث يرى أن هذه المقالة تعود إلى الفترة التي قضاها يحيى حقي في الصعيد، ورابع يجزم بأن هذه المقالة قد نشرت في المساء، وخامس يضيف بأن طـه حسين قد علق على هـذه المقـالة بأنـه عـاش ما عـاش في الصعيد فلم يجد من أنصف الصعايدة كما أنصفهم يحيى حقي.

ونشرت هذه المقـالة، وجاء خطـاب إلى رئيس التحريـر من «الصادق الأمين»، يتهمني فيه بأنني قد سرقت المقالة من يحيى حقي، وبأنه شخصيا قد قـرأ هذه المقالة في المسـاء منسوبة إلى يحيى حقي، وبأن طـه حسين قد علق على هـذه المقـالـة بأنها أفضـل قطعـة تنصف الصعـايـدة، ثم أخـذ يتحدث عن سخرية يحيى حقي وعن دقة أسلوبه.

قلت لـرئيس التحـريـر: لعلك تـذكـر أن أحمد رجب قـد نشر في الستينيات قطعـة، أظنها تحت عنوان «الدخـــان» ونسبها إلى كـافكا، ثم عرضها على النقـاد، قال واحد: إنها تعكس خصـائص أدب اللامعقول عند كافكـا، وقال ثان: إنها تعكس بنية الحضـارة الأوروبية، وثالث إنها تعبر عن الطبقة اليهودية، ورابع إنها تصور عقـدة الإحساس بالذنب عند كافكا، وخامس يلوك أعلاما أجنبية تحدثت عن هذه القطعة.

قال لي رئيس التحرير:

ـ هذا في الستينيـات، ونحـن في السبعينيـات. ألـم يحـدث تغيير؟

قلت لـه:

ـ كنـا في الستينيات لا نقرأ لكـافكا، فأصبحنا في السبعينيـات لا نقرأ حتى ليحيى حقي.

علق ساخرا:

ـ لعل عام ٢٠٠٠ يبشر بالخير.

أجبته ساخرًا أيضا:

ـ عـام ٢٠٠٠ لن نتحدث عـن كافكـا ولا عن يحيـى حقـي، سوف نتحـدث عن ظـاظـا وبـاظــا، أتـدري من هما، هما نجمان على شـاشـة التليفزيون في مطالع القرن الجديد.

خرجت وأنا ألتمس نسمة هواء منعشة، ونمت وأنا أحلم بظاظا وباظا ونجوم عام ٢٠٠٠م.

د. عبدالحميد إبراهيم

الصِّراعُ بَيْنَ الأنَا وَالآخَرِ في الرِّوَايَةِ الأوْرُوبِيَّة

د. عبد الفتاح عثمان

إن التشابه في القضايا الأساسية بين الروائيين العرب والأوروبيين فيما يتصل بقضية الصراع الحضاري يبدو أمرا مثيرًا للدهشة، حيث الاتفاق في توظيف المرأة محورًا لإرادة الصراع، وفي جعل النهاية المأساوية خاتمة له، وفي تعليل المأساة بأنها نتيجة طبيعية لانعدام الفهم المشترك، واستحالة التجانس الاجتماعي، واختلاف الحضارتين في الرؤية والاتجاه والسلوك.

نجد هذا في ثلاثة أعمال أدبية هي: عطيل لشكسبير، و«الغريب» لألبير كامي، و«الحياة الحقيقية» للكاتبة الفرنسية كلير تشيرلي.

عطيل لشكسبير

تعرف شكسبير بقدرته الفذة على كشف أغوار النفس الإنسانية، وتحليل الصفات التي يمكن أن تعلق بهذه النفس من الأنانية والجشع، أو من الغيرة والطمع. وللتعبير عن الغيرة القاتلة كتب «**عطيل**» وهو قائد عربي مغربي يذهب إلى مدينة فينسيا الإيطالية ويظهر من ضروب الشجاعة والإقدام ما يؤهله ليكون قائدًا عسكريا لها، ونتيجة لانتصاراته البطولية يتزوج من الفتاة الإيطالية الجميلة «ديدمونة».

ولكن هذا الزواج بين العربي عَطيل والأوروبية ديدمونة ينتهي نهاية مأساوية حيث يقتل عطيل زوجه بدافع الغيرة القاتلة، ثم يكتشف بعد فوات الأوان براءتها وأنه أخطأ في فهم تصرفاتها وتغير سلوكها.

ومعنى هذا أن الزواج أو لنقل اللقاء بين حضارتين مختلفتين قد انتهى إلى الإخفاق نتيجة لعدم فهم أحدهما للآخر.

لقد جعل **شكسبير** عطيلا يقع في سوء الفهم نتيجة للدسائس والمؤامرات التي دبرت له بليل!

ولكن هل كانت نفس هذه الدسائس والمؤامرات تنجح على هذا النحو المفجع لو كان الزوج إيطاليا من بني جنسها يفهمها وتفهمه.

إن اختيار البطل عربيا مغربيا له دلالته في تطور الأحداث وتحقيق الغاية التي يبتغيها الكاتب؛ لأنه يريد أن يقول «إن الإنسان الذي يعيش في حضارة غير حضارته لا يمكنه أن يتجانس معها، ولا أن يقيم علاقة صحيحة بين أفرادها؛ لأنه غريب عنها، ومن ثم فإنه مطارد مقضي عليه بالهلاك ويدعم هذا الفهم أن عطيلا مع شجاعته وبطولته وانتصاره لم يكن مقبولا من المجتمع الإيطالي في «فينسيا» لأنه غريب دخيل على هذا المجتمع ومن ثم حيكت ضده المؤامرات، خاصة حينما تجرأ ذلك الأسود البربري على إقامة علاقة عاطفية مع «ديدمونة» وتجرأ أكثر حين أعلن رغبته في الزواج منها.

لقد أشعل ذلك حقد أبناء فينسيا.

لتقرأ هذا الحوار بين **ردريجو** و«**ياجو**».

(**ردريجو**: إنني لأستعظم على ذلك الأسود البربري ما يقع إليه من السعد الذي لا يدانيه سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظي بقربها.

ياجو: ناد أباها.. أيقظه من نومه. تاويء ذلك المغربي.. دس السم في هناءته.. اجهر باسمه في الأسواق.. (عطيل تعريب خليل مطران ص ١٥).

ويؤكد هذا **ردريجو** حين يقول لوالد ديدمونة «قد ارتكبت خطأ جسيما بمنحها ودها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبي شريد» (ص ١٩).

لقد نجح «**ياجو**» في إشعال نار الغيرة بصدر **عطيل** حتى صاح في زوجه الطاهرة البريئة «لتفترسها النار تلك البَغِيّ الخبيثة لتفترسها النار».

إن هذا الاندفاع في الغيرة والتصميم على الانتقام بدافع الشك وحده يظهر عدم فهم أحدهما للآخر وانعدام الثقة وتغلب العاطفة الهوجاء على التفكير الرصين.

لقد امتلك **عطيل ديدمونة** رسميا بالزواج ولكنه فشل في أن يمتلكها من داخلها، أو لنقل فشل في أن يعطي لنفسه الثقة في أنه قد امتلكها بالفعل وأنها لم تعد قابلة لأن يمتلكها غيره، ومن ثم استجاب للشكوك والهواجس فحطم نفسه بالموت المعنوي وحطمها بالموت الجدّيّ. وهكذا رسم **شكسبير** النهاية الفاجعة للشخصية الغريبة التي تحاول الانخراط في عالم غير عالمها والامتزاج بحضارة تخالف حضارتها.

وكان **شكسبير** متعاطفا مع أبناء حضارته حين صور ديدمونة بالملك الطاهر الكريم وعطيل بالشيطان الرجيم كما يتضح في هذا الحوار بين أميليا الخادمة وعطيل:

عطيل: ذهبت إلى جهنم المحرقة بما كانت تكذب، أنا الذي قتلتها.

أميليا: أواه بهذه الميتة لم تزدد إلا طهارة الملك الكريم كما أنك لم تزدد بجنايتك إلا سواد الشيطان الرجيم.

عطيل: كانت عاهرة.

أميليا: اتهمتها كذبا وشاية أنت إبليس «لقد ضاع عطيل لأنه لم يفهم حضارة الآخر» ولم يستطع أن يقيم علاقة صحيحة مع المجتمع الذي يعيش فيه، فقد بقي عندهم الأجنبي المغربي الأسود، وهذا ما جعل مصطفى سعيد بطل «موسم الهجرة إلى الشمال» يصرخ «لست عطيلا الأفريقي!!» أي لست بالبطل العربي الذي أضاع حبه وأضاع نفسه بغيرته القاتلة في مجتمع الآخر!

الروايات العربية والأوروبية تعميق لمقولة: الشـــرق شــرق والغــرب غــرب.

الغريب لألبير كامي

الرواية الثانية التي تصور الصراع الحضاري بين العرب وأوروبا هي «الغريب» لألبير كامي وقد نـال عليها جـائزة نوبـل في الأدب سنة ١٩٥٧م، بطل هذه الرواية شاب فرنسي يدعى «ميرسو» يعيش في الجزائر بين جيرانـه وأصـدقـائه من المستـوطنين الفرنسيين، وكـان هناك صـديق لـه على علاقـة عاطفيـة بفتاة عربيـة جزائرية، ثم اكتشف أخـوها هـذه العـلاقـة فتشـاجـر مع هـذا الصـديق لكن المشاجرة تطورت على نحو خطير، وكان يمكن أن تنتهي عند هـذا الحد خاصة وأن **ميرسو** بعيد تمامًا عن هذه العلاقة، لكن الكاتب يصور الأخ العربيّ وقد استـل سكينا يهدد بها **ميرسو** باعتباره صديقا لرفيق أختـه، ومع أن العربيّ لـم يهجم عليـه ولـم يتعرض لخطـر مباشر إلا أنه أشهر مسـدسه وأطلق على العربيّ فقتلـه!

وحين يسأل **ميرسو** عن سبب القتل يجيب في المحكمـة «الشمس هي التـي قتلتـه» وخصـائص الصراع الحضـاري في هــذه الـروايــة يتمثل في أن الإنسـان الفرنسي الـذي يمثل الحضارة الأوروبيـة يعيش منعزلا غريبـا حين يقيم وسط حضارة غير حضـارتـه، فـلا مشاركـة ولا تفـاعل ولا تعـاون، والعلاقـة بين الشاب الفرنسي والفتاة العربية علاقة غير مشروعـة فلا أبناء ولا زواج وهي محل استنكار من جانب العربي.

وجريمـة القتل أنهت الموقف نهاية مأسـاوية، وهي قـد وقعت لعدم تعـرف أحدهما على الآخـر، فالعربي لـم يـرد قتل الفرنسي، والفرنسي لـم يأمن العـربي، والـدافـع إلى القتل كما يقـول **ميرسـو** هو «الشمس» والـرمـز هنـا أن القتل لـــم يكن بسبب حـادث عـابـر، وإنما بسبب الخلاف العميق بين الحضــارتين، حيث تـرمــز الشمس والحرارة إلى حضـارة الشرق وعطـائه، ومن ثـم فالدافــع هــو الخوف من هـذه الحضارة التي صبت حـرارتها فوق رأسـه، وكـان وهجهـا ينعكس على المدية في يـد العربي فيصيبه بالذعـر والخوف. يقول **ميرسـو** في المحكمـة «ولما جلس المدعي العـام سادت لحظـة صمت طويلـة بعض الشيء أما أنا فقد كنت أشعر بـدوار من شـدة الحرارة والذهـول، وأخـذ رئيس الجلسـة يسعل قليلا ثم سألني بصوت خفيض عما إذا كـان لديّ شيء أقولـه، فنهضت وقلت: إنـه لـم تكن عندي النيـة لقتل الشاب العربي، قبل أن يستمع إلى المحـامي الذي يترافع عني قلت بسرعـة وأنا أخلط الكلمات قليـلا وأحس بها في موقفي من سخريـة أن هذا كـان بسبب الشمس. (الغريب) ترجمـة **محمد حسن حلمي**، الدار القومية ص ٥٢.

الحياة الحقيقية لكلير تشيرلي

هـذه الروايـة نـالـت بها مـؤلفتها جـائزة الأدب النسائي كأحسن رواية كتبتها أديبة فرنسية.

إن الروايـة تتعرض لـلاضطهاد الـذي يلاقيـه العـرب من أبناء شمال أفـريقيـا وقسوة الحيـاة التي يعيشـــونها في بـاريس، ومـــدى الاحتقـار الـــذي يواجهونه في كل مكان: المصنع والمقهى والبيت.

فبطلة الرواية فتاة فـرنسية من الطبقة الكادحـة تدعى **أليـز**، وتعمل هذه الفتاة في مصنع للسيارات يعمل به عدد من العمال العرب من تونس والمغرب والجزائر، وتحب الفتاة شـابا جـزائريا يـدعى **رزقي** وتتعرض في سبيل هذا الحب للإهانة والاحتقار، إذ كيف تحب فتـاة فـرنسيـــة فتى جـزائريـا؟ وتصف الكاتبة احتقار الرؤساء لهؤلاء العمال ومعاملتهم على أنهم جرذان باريس الذين يجب القضاء عليهم.

وهذا الاضطهاد يمتد إلى رجل الشارع العادي ورجل البوليس الذي يطارد العرب دائما.

وتنتهي العـلاقـة العاطفيـة بين الفتى العـربي والفتاة الفرنسية نهاية مأساوية حيث يطرد **رزقي** من عملـه بسبب هذه العلاقة، ويعتقله البوليس دون أن تعرف مكانـه بعد حياة كلها مطـاردة واضطهاد تصف الكاتبة الاضطهـاد في المصنع حين ينصحها رئيس العمال في اليــوم الأول لتسلمهـــا العمل «لا تتكلمي كثيرا مع الجزائريين» الـــروايـــة ص ٨٩.

وحين تكلم **رزقي** وتمشي معه في المصنع تسخر منها العامـلات الفرنسيات «ودارت همسـات بين جماعة النســـاء التقطت فيهـــا العبـــارة «إنها تمشي مع الجزائريين» كـانت تلك العبـارة هي الاصطـلاح المادي مع الجزائريين، وكانت إهـانة كبرى؛ المشي مع الجزائريين والمشي مع الزنوج» (ص ١٣).

وفي مشهـد آخر تصور الروايـة مـدى كراهيـة الفـرنسيين للجـزائريين «وقام السـاقي خـدمنـا في نشاط ونفخت في قدحي لكي أشربه بسرعـة، وفي المرآة خلف الغلاية رأيت رجـلا ينظر إليّ ثم يتحول إلى جاره وكان يطـوي جريدة في يده ويقـول لـه في صوت مسموع: لـو أن الأمر بيدي لألقيت قنبلـة ذريـة على الجزائر، ونظــر إليّ من جـديــد بـادي الارتياح، ولـم يوافقـه جـاره الذي قال: بل يجب زج كل الجرذان الذين في فـرنسا في المعتقلات» ص ١٨٨. وهذه الـروح العدائيـة تكشف عنهـا بطلة الرواية في صراحة حين تقول: «كنت قد اكتشفت منـذ وقت طـويـل العـداء الغـامض بين العمال، فالفرنسيون لا يحبّون الجزائريين على الإطلاق» (ص ١٢٤).

إن هـذه الـروايـة تعبر عن خصـائص الصراع الحضاري بين العـرب وأوروبا. فـالإنسان العـربي يعاني من الغربـة والضياع؛ لأنه يعـايش حضارة تختلف عن حضارته، فهو مرفوض فيها ولا يمكنه أن يقيم علاقات طبيعية صحية معها وهو ما يتفق مع رؤيـة الـروائيين العـرب، فالصلـة الحضـاريـة تتخـــذ من المرأة منطلقـــا لها، وتنتهي العـــلاقـــة العاطفية نهاية مأساوية بالمـوت أو بالفراق، دون أن تحدث تفاعلا خصبًا بالإنجاب الذي يعتبر امتدادًا ناميًا للحياة، ومعنى هذا أنها علاقة عقيم مجدبة.

ويمكن القـــول بأن أحـــداث روايـــة «**الحياة الحقيقية**» تكـاد تكون مطـابقـة لأحـداث الروايـة العربية الجزائرية «**المرفوضون**».

ومعنى هذا أن قضية الصراع الحضاري شغلت الـــروائيين العـــرب والأوروبيين، وكـــانت رؤيتهم متطابقة.



العلماء في قفص الاتهام

درويش إبراهيم يوسف

خلال القرن السابع عشر تشكلت الجمعيات العلمية في أوروبا. فرق من العلماء كانوا يلتقون لتبادل الآراء والمعلومات. ولجعل الاكتشافات العلمية الجديدة معروفة، بدأت هذه الجمعيات تنشر مجلاتها الخاصة أيضا. وقد أدى ذلك إلى تبادل كثيف للمعلومات عمل على ترسيخ الأساس الذي يمكن أن يبنى عليه أي تقدم إضافي خلال القرون اللاحقة.

وفي القرن التاسع عشر أصبحت الجامعات معنية إلى حد بعيد بالبحوث العلمية، وفي السنين اللاحقة حققت مختبراتها اكتشافات مهمة، وهكذا أصبحت المجلات العلمية المتخصصة مكانا ملائما بالنسبة للعلماء لنشر البحوث التي يقومون بها وعرض آخر ما توصلوا إليه.

وخلال الـ ٩٣ سنة الماضية وفرت تلك المعرفة العلمية المتراكمة خدمات لا تحصى من أجل خير الجنس البشري وسعادته، فقد وسّع العلم إلى حد كبير معرفتنا بالعالم من حولنا. فمقاريب العلماء كشفت العجائب الرهيبة للسماوات المرصعة بالنجوم، كما أظهرت مجاهره التعقيدات المدهشة للجزيئات والذرات، واكتشف العلاج الناجع للكثير من الأمراض التي فتكت بالجنس البشري سابقا. نعم، لقد تمتع الجنس البشري بكل هذه الإنجازات عبر اكتشافات العلماء العاملين بجد ونحن لسنا غير شاكرين.

ولكن تأثر بعض الناس كثيرًا بالإنجازات العلمية إلى حد أنهم يرفعون العالم معتبرينه معصوما عن الخطأ. وقد نبّه العالم انطوني ستاندن إلى ذلك منذ السنة ١٩٥٠م. وحتى لو تغاضينا عن مبالغة محتملة، فما قاله حري بالاهتمام: «عندما يدلي عالم في ردائه الأبيض بتصريح ما أمام عامة الناس، قد لا يفهم، لكنه على الأقل متيقن أنه سيصدق. ورجال الدولة والصناعيون والخدام الدينيون والقادة المدنيون والفلاسفة، جميعهم قد يشك فيهم وينتقدون، أما العلماء فلا. العلماء هم كائنات مرفعة واقفة على قمة الاعتبار الشعبي؛ لأنهم يحتكرون الصيغة (لقد برهن ذلك علميًا) التي يبدو أنها تسقط كل إمكانية لعدم الموافقة».

سوء سلوك علمي منتشر

ولكن هناك جانب آخر للعلم. فليس جميع الذين يمارسونه يبلغون صورة الأشخاص الساعين وراء الحق، النزهاء الموضوعيين، بصرف النظر عن المكان الذي يمكن أن يقود إليه. فالتقارير الإخبارية التي تناقلتها وسائل الإعلام في السنين الأخيرة تظهر أن صورة العلماء بصفتهم مكرسين على نحو ثابت من أجل الحق قد تلطخت.

فمن كان يشك أن العلماء سيتلاعبون بمعلوماتهم لدعم وجهات نظرهم؟ سيختارون ما يدعم نظريتهم وينبذون ما لا يدعمها؟ أو سيسجلون تجارب لم يجروها قط ويزيفون المعلومات لتأييد استنتاجات لم يتمكنوا من البرهان عليها؟ أو سيقدمون تقريرا عن دراسات لم يقوموا بها قط ويدعون تأليف مقالات لم يكتبوها قط أو لم يروها أيضا؟ من كان يشك في وقت من الأوقات في أن مراوغات مثل هذه تحدث بين الأعضاء المرفعين للمجتمع العلمي؟

لا يفترض أن يحدث ذلك بين هيئة من الرجال والنساء العاملين معا لحل أسرار الطبيعة ومحاربة جوائح المرض، قد تقولون. ولكنه يحدث. ففي ١٥ أيلول ١٩٩٠م ذكرت مجلة New Scientist ما يلي: «إن الخداع وسوء السلوك شائعان بين الباحثين الطبيين الأمريكيين، حسب تقرير أصدرته لجنة تابعة للكونجرس الأمريكي هذا الأسبوع. ويقول التقرير: إن معاهد الصحة القومية قد عرضت للخطر الصحة العامة بالفشل في الإشراف على عمل العلماء الذي تدعمهم.

وما مدى انتشار هذه المراوغات العلمية؟ إن الجمعية العلمية الأكبر في العالم، الجمعية الأمريكية لتقدم العلم أرسلت السنة الماضية استطلاعات للرأي حول هذا الموضوع إلى ١٥٠٠ عضو، ومن الـ ٤٦٩ عالمًا الذين تجاوبوا، فإن ٢٧ في المئة «يعتقدون أنهم واجهوا أو شهدوا بحثا ملفقا، محرفا، أو منتحلا خلال السنوات العشر الماضية. واثنان في المئة فقط منهم يعتقد أن الخداع يقل، و٣٧ في المئة يشعرون أنه يزداد. وهذه بعض الأمثلة:

في كانون الثاني ١٩٨٧م، نُشرت دراسة اتهمت ٤٧ عالمًا في كليتي الطب لجامعتي هافرد وإموري بإنتاج مقالات مضللة. وفي أيلول من السنةِ

سعي الشركات الخاصة للربح السريع يُسْهِم في انتشار الخداع العلمي

نفسها، اتهم عالم بالكيمياء الحيوية بانتحال تقرير لأكاديمية العلوم القومية من أجل كتاب نشر عن التغذية والسرطان، فاستقال من مركزه في مؤسسة كليف لاند السريرية. وفي تشرين الثاني ١٩٨٨م استقال باحث في المخدرات عالي الرتبة بشكل مخز بعد أن وجدته لجنة تحقيق مستقلة مذنبًا بالخداع العلمي. وفي أواخر السنة نفسها استقال طبيب نفسي بارز، من بوسطن، كرئيس لمستشفى عقلي ملحق بجامعة هارفرد عقب تُهَم بالانتحال. وفي ٢٥ شباط ١٩٨٩م ذكرت مجلة New Scientist « يجري علماء الطب الحيوي في أمريكا أبحاثًا غير متقنة وأحيانا مخادعة في محاولة لنشر مقالات أكثر وتحصيل مال أكثر ». وفي السنة ١٩٩٢م نشر العالم الكيميائي هنري باور، من معهد فيرجينيا المتعدد الفنون، كتابا بعنوان «معرفة الكتابة والقراءة العلمية وأسطورة الأسلوب العلمي» أشار فيه إلى سوء السلوك المنتشر بين العلماء من مختلف الاختصاصات.

إن مئات المجلات العلمية تتأسس كل سنة لمعالجة فيض المقالات التي ينتجها علماء يعرفون، أن الدرب إلى النجاح الأكاديمي هو قائمة طويلة من المقالات تقيد في رصيدهم. وصار بعض العلماء واسعي الحيلة في جعل نتاج معتدل من المقالات المنشورة ينمو إلى أعداد ضخمة. إنهم يكتبون مقالة واحدة، ومن ثم يقطعونها إلى مقالات أصغر، وبعدئذ يمكنهم أن يرسلوا المقالة عينها إلى عدة مجلات، وفي كل مرة تنشر تعد ثانية. وبهذه الطريقة تضاف عدة مقالات ـ بدلا من واحدة ـ إلى رصيدهم. ويحاول بعض العلماء إلصاق أسمائهم بأكثر ما يمكنهم من المقالات. وقد تشير مقالة مؤلفة من صفحتين أو ثلاث إلى ستة أو ثمانية أو عشرة أو اثنى عشر مؤلفا أو أكثر.

وهكذا يظهر أن الكمية، لا النوعية، هي الهدف. وهذا يذكرنا بكلمات الدكتور دراموند رني: «يبدو أنه لا توجد دراسة مفككة، ولا فرضية تافهة، ولا استشهاد متحيز، ولا تصميم معوج ولا منهجية مهلهلة، ولا عرض نتائج غير دقيق، غامض ومتناقض، ولا تحليل يخدم مصالح أنانية، ولا حجة تدور في حلقة مفرغة، ولا استنتاجات سخيفة أو غير مبررة، ولا قواعد لغة وتركيب جمل ضعيفة أكثر من أن تنتهي المقالة إلى النشر».

وفي الواقع، إن البرنامج التلفزيوني الأمريكي «هل يغش العلماء؟» الذي أذيع في ٢٥ تشرين الأول ١٩٨٨م ذكر «أننا نرى فقط رأس جبل جليدي مشؤوم وخطر جدا». ولذلك يطرح السؤال التالي نفسه: لماذا يزداد الخداع العلمي في السنين الأخيرة؟

البحث في الأسباب

إن الضغط على العلماء للنشر في المجلات العلمية ساحق. فكلما كانت قائمة المقالات المنشورة باسم الباحث أطول، كانت فرصه أفضل للتوظيف، للترقية، للتثبيت في جامعة، ولمنح الحكومة لتمويل بحثه. فالمعاهد القومية للصحة الأمريكية تمنح ثمانية مليارات دولار سنويا للعلماء ولمعاهدهم من أجل مشروعات البحث. وقد أشارت إلى ذلك مجلة U.S. News & World Report إذ ذكرت أن «المنافسة بين العلماء ضارية، الرابحون يحصدون المكافآت والخاسرون يواجهون النسيان. إنه جو تكون فيه أحيانا الطرق المختصرة غير الشرعية شيئًا لا يقاوم» هكذا افتتحت هذه الدورية مقالة بعنوان: «انشر أو يُقضى عليك ـ أو زوّر»، وخوفا من أن يُقضى عليهم، فإن الكثيرين من الباحثين العلميين يزوّرون.

والعلماء جزء من المجتمع، يتأثرون بالقيم السائدة فيه. وكما يقول العالم إدوارد بوون: «إنهم مثل أي شخص آخر، ولديهم جميعا نقائص. فبعضهم متفانون، وبعضهم لا ضمير عندهم. عرفت بعض الأسماء اللامعة في العلم، رجالا صنعوا الخير الجزيل للعالم. وفي حين لم أعرف عالمًا واحدًا دخل السجن، فقد عرفت بعض الذين يستحقون أن يكونوا هناك». وفي الحقيقة، إن انحطاط القيم والمبادئ في المجتمع الغربي جعل الناس المستعدين للتقيد بالمقاييس الأدبية السامية قلة نادرة في هذه الأيام.

وهناك عامل آخر يسهم في انتشار الخداع العلمي. إنه السعيَ المحموم للشركات الخاصة وراء المصالح الأنانية والربح السريع في المجتمعات الصناعية. فمع حلول بداية القرن العشرين بدأت الشركات التجارية بتأسيس مختبراتها الخاصة. المختبرات التي طورت بواسطتها أدوية جديدة ومواد صناعية، ومنتجات أخرى. وقد استفاد الناس عامة منها، وجنت الشركات التي قامت بالبحوث أرباحًا بلغت ملايين الدولارات. ولكن مرارا وتكرارا، تلاعبت الشركات ذات الأهداف الخاصة بالأبحاث، حرفت وطمست المعلومات من أجل بيع منتجات مؤذية أو الاستمرار في نشاطات تضر البيئة. وقد شكك الكثيرون في جدارة الاعتماد على الكثير من الأبحاث «العلمية» التي يستخدمها أصحاب الشركات ليعلنوا عن منتجاتهم أو يدافعوا عنها. فبالاعتماد على فرضيات وتجارب مزورة يمكن إجراء الأبحاث التي تدعم أية نظرية. على سبيل المثال، قامت مؤخرًا صناعة الحفاضات القماشية في الولايات المتحدة برعاية بحثين استنتجا أن الحفاضات الورقية تؤذي البيئة. وخلال ذلك، قامت صناعة الحفاضات الورقية برعاية بحثين «أثبتا» النقيض تماما. ويقول إيرك ميلر محرر رسالة إخبارية تراجع نحو ألفي بحث كهذا سنويا، إنه «ثمة تدهور تدريجي في الأخلاق، والجزء المروع هو أن الناس يتخذون قرارات مؤسسة على هذه الأبحاث، وذلك يمكن أن يكون جريمة غير منظورة، لكنه ليس جريمة بلا ضحايا».

وقد تباهى محررو المجلات العلمية المتخصصة لفترة طويلة بممارسة تدعو مراجعة النظير، أي

العلماء يصرّون على أن يحكموا بأنفسهم في قضاياهم العلمية

إحالة المقالات إلى علماء آخرين للمراجعة قبل النشر، مفترضين أن هذه الممارسة ستزيل نظريا كل المقالات الخادعة والمغلوط فيها. ولكن المجلات التي تراجع مراجعة النظير، والتي اعتبرت فيما مضى معصومة عن الخطأ تقريبا، اضطرت إلى الاعتراف بأنها غير قادرة على استئصال الخداع. وهكذا بسبب التصلف البالغ للمجتمع العلمي في إعلان نقاوته الأخلاقية، محجما عن تنظيف داره أو حتى النظر عن كثب إلى الإخلال بالأمانة في العمل، كان العلماء هم المخادعين الهاربين الرابحين لوقت طويل. وهكذا تذكر مجلة "New Scientist" " أن مخادعين قليلين يقبض عليهم، ولكن عندما يقبض عليهم يتبين تكرارا أنهم يصولون ويجولون لسنوات، ينشرون معلومات مزورة في مجلات علمية محترمة، دون أن تطرح أية أسئلة ".

تنظيف دار العلم

وهكذا، فإن عصرًا من البراءة قد انتهى. ففي الماضي افترض الناس أن العلماء لا يفعلون هذا النوع من الأمور، ولكنهم بدأوا بالإدراك أن العلماء ليسوا أسمى أدبيا من أي امرئ آخر. وكما قال أحد رسميي معاهد الصحة القومية الأمريكية:

«مع أنه كان نادرا قبل سنوات قليلة أن تتلقى معاهد الصحة القومية شكوى واحدة في السنة بخداع مزعوم، فإن هناك الآن على الأقل زعمين خطيرين في الشهر».

ولما كان المجتمع العلمي محجمًا عن السبر عميقا لتقصي المعلومات التي لا سبيل إلى إنكارها عن سلوكه الأخلاقي، فقد عقدت لجان الكونجرس جلسات استماع وفكرت في التشريع للقيام بمهمة الإشراف عليهم. وجون دينجل، رئيس اللجنة الفرعية للإشراف والتحقيقات التابعة للكونجرس، قال لمجموعة من العلماء: «سأخبركم بأني أجد أساليب تطبيق القانون عندكم غير ملائمة على نحو ميؤوس منه، ويبدو أن الخداع ينتصر على الفضيلة في حالات ليست قليلة، وذلك نمط أجده غير مقبول البتة. وأرجو أن تجدوه أنتم هكذا أيضا». والرسالة عينها وجهت إلى المجلات العلمية المتخصصة أيضا، قال: «نظفوا عملكم وإلا فإنكم قد تجدون المشرعين يتدخلون فيه».

ولكن تدخل المشرعين يجابه بمقاومة ضارية من جهة العلماء والهيئات العلمية، وقد صار هذا واضحًا في قضية الدكتورة تيريزا كاري التي نشرت في السنة ١٩٨١م، بالاشتراك مع خمسة مؤلفين، مقالة وصفت الإقحام غير المباشر لمورثة غريبة في الخلايا المناعية للفئران. وادعى المؤلفون أن المورثة الطبيعية للفأرة بدأت آنذاك بتقليد المورثة المقحمة، منتجة جسمًا مضادًا خصوصيًا، وكان ذلك سيعد خطوة مهمة في البحث المناعي، لولا الواقع أن ذلك لم يحدث قط كما يظهر. فالدكتورة مارغو أوتول، التي تعمل في مختبر تيريزا كاري قدمت ١٧ صفحة من المعلومات من دفاتر ملاحظات كاري تثبت أن التجربة لم تنجح، بينما قالت المقالة المنشورة أن التجربة نجحت.

وهكذا أحيلت المقالة إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا M.I.T وجامعة تفس من أجل المراجعة. وقد أشارت المراجعة إلى وجود بعض المشكلات، ولكن ليست إلى درجة خطيرة. ثم، وبعد سنتين، تابع القضية النائب جون دنجل، المذكور سابقًا، ولكن تحقيقات السيد دينجل هوجمت بشراسة من قبل المجتمع العلمي، وبقيادة أحد ألمع نجومه الدكتور دايفيد بلتيمور، الحائز جائزة نوبل، الذي كان مؤلفًا مشتركًا في مقال الدكتورة كاري. وفي ٢٦ آذار ١٩٩١م، ذكرت مجلة U.S. News ، في مقالة بعنوان «فضيحة روترغيت» علمية أن الدكتور بلتمور والعديد من العلماء المتعاطفين معه، نقدوا السيد دينجل لتفحص دفاتر ملاحظات البحث العلمي بتطفل، داعين هيئة الخبراء التي معه بتعابير مثل «شرطة العلم» وداعين جلسات الاستماع بـ «تعقب المتّهمين لإسكاتهم».

وهكذا يصر العلماء على أن يكونوا هم، لا الوكالات الحكومية، من يحكم في قضاياهم الخاصة، حيث يجري الاتهام بسوء السلوك أو الخداع. وبعض الأشخاص الذين يثيرون الشكوك ضد الأعضاء المشهورين داخل المجتمع العلمي قد تسوء الأمور معهم، كما حدث مع مارغو أوتول. ومصاير الأشخاص الرئيسين المشمولين بهذه القضية تثبت النقطة. فرغم أن اللجنة وجدت أن المعلومات عن التجربة المذكورة مختلفة، فقد صار الدكتور بلتيمور رئيس جامعة روكفلر، وحصلت الدكتورة كاري على المركز الرفيع الذي سعت إليه في جامعة تفس، وخسرت الدكتورة أوتول عملها في المختبر في تفس، ولكن لحسن الحظ، حصلت أوتول على عمل في معهد علم الوراثة التابع لجامعة هارفرد، وذلك في السنة ١٩٩٠م، بعد أربع سنوات من إبعادها عن جامعة تفس بوصفها كاشفة أسرار مثيرة للمتاعب.

ولكن الوكالات الحكومية مصرة على التدخل لتنظيف دار العلم من الإساءات التي تتراكم فيه. وبرنامج «هل يغش العلماء؟» - المذكور سابقا - اختتم بهذا الاعتراف من قبل أحد الحاضرين:

«يجب كشف الأسرار المخزية، والبيروقراطية العلمية يجب إضعافها إذا كان ذلك ما يقتضيه الأمر. فهذا مطلوب أخلاقيا، هذا مطلوب شرعيا، إنه مطلوب أدبيا»، وهو مطلوب بالتأكيد كي يستطيع الجنس البشري أن ينجو من النكبات التي يرزح تحت نيرها كالتلوث البيئي، والمجاعات، والأوبئة القاتلة كالأيدز وغيرها. وهو أمر مطلوب أيضا كي يستطيع الجنس البشري أن يواجه تحديات القرن الواحد والعشرين، الذي سندخل في مجاهله عما قريب.

نفثات المستشرقين!



د. محمد بن سعد
الشويعر

يختلف الكتّاب في نظرتهم نحو المستشرقين بين قادح ومادح، فالمادح يرى لهم حسناتهم في المحافظة على التراث ونشره، وفي منهجية التحقيق والمتابعة. وهذا لا يوازي شيئًا بجانب وجهات نظر القادحين حيث يرون لهم نفثات كسموم الأفعى، نحو الإسلام، وما جاء في تعاليمه بمصدريه : كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومحاولة تشويههم لتاريخ الإسلام، وإلصاق التّهم برجاله، كما يلمس عند : غوستاف لوبون الفرنسي، وجولد زيهر الألماني، وصموئيل زويمر القسّ الإنجليزي، وول ديورانت صاحب قصة الحضارة وغيرهم كثير أوائلهم وأواخرهم، من الذين هاجموا الإسلام، وأرادوا تقويض دعائمه بكل ما أوتوا من قدرة علمية في الكتابة والتدريس، وفي المناقشة ووضع الشبهات، ويلمس ذلك في أمور طرحوها وأحدثت بلبلة في أذهان شباب المسلمين مثل :

١ ــ تعدد الزوجات . . ووصفهم رسول الله ﷺ والصحابة ومن جاء بعدهم بنعوت منها الشهوانية والتلذذ، وامتهان كرامة المرأة . . وما علموا أن حضارتهم الحديثة هي التي أهانت المرأة كما جارت هي من ذلك .

٢ ــ إطلاق الحرية للمرأة بالاختلاط في العمل، والعلاقة بمن تشاء، والتصرف بنفسها حسبما تريد ما دامت بلغت الثامنة عشرة من عمرها، ووصفهم الإسلام بالتحجير والتضييق على حركة المرأة وفكرها .

٣ــ إتهامهم عائشة رضي الله عنها بالفاحشة رغم أن القرآن الكريم برّأها، كما هي تهمتهم من قبل لمريم عليها السلام، واختلاق الأكاذيب حول مواقف إسلامية لكثير من القادة الإسلاميين كخالد بن الوليد وسعد ابن أبي وقاص، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم . والكذب في سير حياتهم بأن رغبتهم في الجهاد أساسه الحرص والاهتمام للحصول على النساء، بحيث يطرحون شبهات حول شرعية الجهاد تحوّله إلى رغبات شخصية، لا حبًا في نشر دين الله، وإعلاء كلمة التوحيد، ومحاربة ما نهى الله عنه من عقائد وأعمال، وهذا يقصد من ورائه التزهيد في القتال والإحجام عن الجهاد في سبيل الله .

٤ ــ إشاعتهم أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف والقوة، واصفين المجاهدين في سبيل الله بحبّ القتل من أجل التسلّط والسيطرة وكسب المغانم، ووصفهم الحدود الشرعية بالقسوة وامتهان كرامة النفس البشرية .

٥ ـ ترغيبهم في الخمر والزنا واللواط وأن هذا من الحرية الشخصية؛ لأنه لم يحرم في الإسلام إلاّ لسبب انتهى وقته وزالت المؤثرات الداعية إليه . وقد كان عقاب الله العاجل بانتشار الأمراض والأوبئة الخطيرة منها الهربز والإيدز الذي لم يجدوا له علاجًا رغم تقدم الطب في هذا العصر .

٦ ـ تشكيك أبناء المسلمين ممن يسافر إليهم للدراسة أو العمل أو السياحة حول لحم الخنزير، وأنه حرم في الإسلام لعلة صحية أمكن السيطرة عليها بالطب الحديث، وأساليب الطهي والتعقيم .

٧ ـ فريتهم على رسول الله ﷺ بأنه تعلّم على أيدي اليهود والنصارى في الشام والمدينة، وأنه استقىٰ ما في القرآن الكريم الذي يصفونه بأنه كتاب ألّفه محمد ـ كما ذكر صاحب المنجد وغيره ـ ليوهموا من يقتنع بكلامهم أن الدين الإسلامي تبع لديانتهم . وأن القرآن أصله ما في أيديهم من التوراة والأناجيل المحرّفة .

٨ ــ تشبيههم حال رسول الله ﷺ عندما يأتيه الوحي بالمصروع أو بمن به مسّ من الجن، وهذا من المساس بالوحي وبرسول الله ﷺ، وبقصد الإنقاص من مكانتهما في النفوس .

٩ ــ تشويههم تاريخ الإسلام بالدسّ فيه، ووصفه بنعوت منفّرة ومشكّكة في صحة نوايا قادة الإسلام وعلمائه كوصفهم هارون الرشيد بأنه زير نساء، وتجسيمهم الرقّ في الإسلام، وخوضهم في سير رجالات الإسلام بإدخال صفات تقدح في شخصياتهم، وتجسيمهم الأخطاء، مع تعمد الكذب بما يدسّونه من أمور تختلف من عصر إلى عصر حتى نهاية الدولة العثمانية، ومن ثم إسقاط الخلافة .

١٠ ـ حرصهم على إشاعة ونشر كتب السحر والمجون والطرق الصوفية والقصص الخرافية، والموسيقى وأنواع الغناء وإبراز ذلك على أنه تراث إسلامي، وجعل ذلك مجالاً للقدح في حضارة العرب وتاريخ الإسلام .

١١ ــ سرقة تراث المسلمين وكتبهم، وما تنبئ عنه من علومهم المختلفة، ونسبة ذلك لرجال منهم اختراعًا وتأليفًا وفكرًا كما في الدورة الدموية لابن النفيس، وطب الأطفال لابن ربن، وعلاج الشقيقة وغير ذلك من العلوم المختلفة وخاصة العلمية منها والأدبية كما في رحلة إلى الجحيم لدانتي التي سرقت من رسالة الغفران للمعري .

١٢ ـ دسهم الكثير في تاريخ الدولة الأموية، وأجزاء من تاريخ الدولة العباسية، وبثّ المعلومات الملفقة لتشويه سمعة الدولة العثمانية ليبرروا التعدّي عليها، وتقسيم ممتلكاتها غنيمة بينهم من جانب، ولتحقيق أطماع اليهود في إيجاد موضع استيطان كنواة لدولتهم، حيث عارض السلطان عبد الحميد الفكرة فتكالبوا عليه .

إلى غير ذلك من أمور يلمسها من يتتبع دراساتهم وتحليلاتهم لمجريات الأحداث التاريخية، ونظرتهم إلى المجتمعات الإسلامية مبثوثة في وسائل الثقافة المختلفة، وتطرح أمام الشباب شبهات تشكك، والسلاح المجابه لذلك في تهيئة النفوس لإدراك ما يطرح، وتهيئة الإجابة الصحيحة الكاشفة لما وضعوه، وإن من نباهة هذا الشباب الإكثار في المساءلة عن النافع مع العلماء والمختصين . . فالعلم لا يناله مستح ولا متكبّر .

رحلة البحث عن الحقيقة

حكـايته مختلفـة عن غيرها من الحكـايات، إذ كلفـه المعهد الملكي الاستـوائي بأمستردام بإعداد دليل موجز عن الإسـلام في جـاوة، لـلاستفادة منـه في عمليـات التنصير التي كـان الاستعمار الهولندي يخطط لها في أنـدونيسيا، إلا أن إرادة الله ــ عز وجل ــ أفشلت المخطط، وبدلاً من أن يسهم د. ر. ل. ميليما في دعم برامـج التنصير أشهر إسلامه بعدما تبين لـه أن الإسلام هو ديـن الحـق.

ود. ميليما مستشرق معـــــروف عمـل في الخمسينيـات الميلادية رئيسًـا للقسم الإسـلامي في المتحف الاستــوائي في أمستردام. درس اللغـات الشرقية في جامعة ليدن عام ١٩١٩م وتعلم اللغـة العـربية وأجـادها، وقـرأ تفسير البيضاوي للقـرآن الكـريم وتأملات الإمـام أبي حـامد الغـزالي، وزار الأزهـر ومكـث في القـاهـرة شهـرًا كـامـلاً عـام ١٩٢١م، وأجاد ـ إلى جانب اللغة العربية ـ لغات أخرى مثل اللغة السنسكريتية، ولغتي الملايو وأهل جـاوة، حيث تخصص في اللغــة الأخيرة بعـد أن درسها دراسة مكثفة لمدة خمس عشرة سنة.

عـودة من الأسـر

عقب عـودة د. ميليما من الأسر لدى القـوات اليابانيـة إبان الحرب العالمية الثـانية عام ١٩٤٦م، **طلب منه المعهـد الملكي الاستوائي ـ كما أسلفنـا ـ إعداد دراسـة عن الإسـلام في جاوة،** فكانت هذه بداية تعرفه الحقيقي على الإسلام، إذ لـم تكن لديه رغم إجادته للغات المسلمين ـ معلومات ذات قيمة عن الإسـلام، فتركيزه في السـابق كان منصبًـا على الناحيتين الثقافية والتاريخية ولـم يسع للتعرف على العقيدة.

كان التكليف إرهاصة بحياة جديدة توشك أن تولد في قلب د. ميليما، إحساس غامض لـم يدرك كنهه في البداية قاده عـام ١٩٥٤م إلى دراسة الدولة الإسلامية الجديدة التي أقـامها في الباكستان **محمد علي جناح**، فكـانت بـدايـة لتصحيح الكثير من معلوماته عن الشريعة الإسـلامية، تلك المعلومات التي استقت أصلاً من مصادر أوربية حرفتها، إما عمدًا بقصد تشويه صورة الإسلام، وإما بفعل غير مقصود مرجعه إلى قلة معلومات كاتبيها أو جهلهم بحقيقة الإسلام.

زيارة باكستان

زيارته لباكستان في شتاء ٥٤/ ١٩٥٥م كان لها أبعد الأثـر في تغيير مجرى حياته، إذ تعـرف ـ لأول مـرة ــ على الإسـلام في صورتـه الحقيقيـة، وعقـد مقارنـات بين الصـورة كما قرأهـا وكما رآها، فـوجد بونًـا شاسعًا واختلافًـا جوهريًا، وأدرك أن مـا قرأه ـ من قبل ـ لم تكن له علاقة بالإسلام.

اكتشف أن **الإسلام يضع الفضـائل الخلقية في المرتبة الأولى،** فـلا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا تحلى بها، فـالصلاة والصـوم والـزكـاة وغيرها من أنـواع العبـادات ليسـت عبـادة فقط، لكنهـا دعـوة إلى الفضيلـة، ودعـوة إلى الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، دعوة إلى التمسك بالفضائل ونبذ كل ما هو سـيء.

لقد جعلـه شعب باكستان المسلم يـدرك ـ من خلال سلوكيات أبنائه ـ أن الشريعة الإسلامية لـم تأمر بشيء إلا وفيه صلاح الأمـة ولـم تنه عن شيء إلا لأنه يهلك الأمة ويثير بينها البغضاء.

كذب الدعايات المضللة

ولـم يفتـه أن يلحظ كذب الدعايـات المضللة التي تصـوّر المسلمين على أنهم شعـب وثني يعبـد محمدًا ﷺ، إذ وجدهم يعبدون إلـهًا واحدًا ينزهونه عن الشرك ويـؤمنون بجميع رسلـه، ومنهـم محمد وعيسى عليهما الصلاة والسـلام، فلـم يختلفوا على النبي ﷺ بعد مماته مثلما اختلف النصارى بعد رفع عيسى عليـه السـلام، ولـم يغيروا من دينـه وفقًـا لأهوائهم كما حدث للنصرانية واليهودية قبلها، بل ظل كتـابهم المقدس «القـرآن الكريم» كما هـو على امتداد القرون دون تحوير أو تبديل.

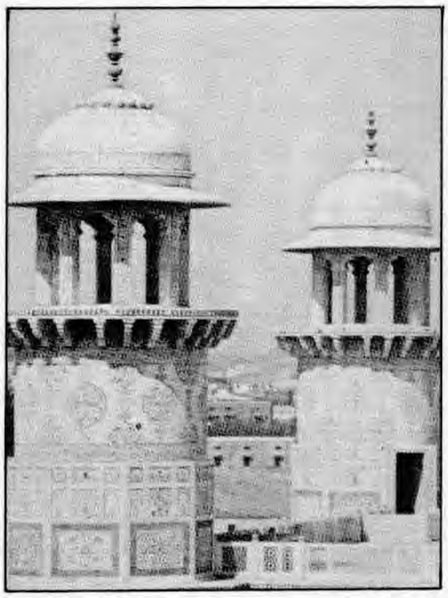
دفعته هذه الملحوظات إلى سؤال أصدقائه من مسلمي الباكستان عما يغمض عليه من شؤون الإسلام، ووجد منهم استجابة ومساعدة لا تقتصر على الشرح، وإنما إرشاده أيضا إلى ما يعينه من الكتب.

وتشجع ذات يوم وسألهم عما إذا كان ممكنًا أن يشاركهم أداء صلاة الجمعة في المسجد ! ومنذ تلك اللحظة قر عزمه على اعتناق الإسلام، إذ أحس وهو في المسجد محاطًا بجموع المؤمنين أنه واحد منهم، وأن هؤلاء ليسوا غرباء عنه بل إخوة له في الله والدين. وروى د. ميليما كل هذه المشاعر الجياشة التي تأججت داخله في مقالة نشرتها له **مجلة باكستان الفصلية عام ١٩٥٥م**، حيث حكى كيف استقبله المصلون بترحاب، وكيف تعمد الإمام أن يطعم خطبته ببعض الكلمات الإنجليزية من أجل أن يتمكن من فهم الخطبة التي ألقيت باللغة الأوردية، وحرص الإمام حين انتهت الصلاة على دعوته لإلقاء كلمة أمام المصلين، حيث ألقى كلمة قصيرة شكر فيها الحضور على إكرامهم له مؤكدًا أنه سيحدّث الناس في بلاده عن ذلك، وما كاد يهبط من المنبر حتى امتدت الأيدي تتسابق إلى مصافحته، وامتلأت نفسه غبطة حين تسرب إليها ذلك الشعور الدافئ بالأخوة التي غمروه بها.

نقطة فاصلة

لقد كانت زيارة د. ميليما إلى الباكستان في شتاء ١٩٥٥/٥٤م نقطة فاصلة بين حياة ماضية وحياة مستقبلية، إذ تبدلت حياته كليًا بعد إسلامه بعدما لمس بأم عينيه محاسن الإسلام.

شده إلى الإسلام احترامه لغيره من الديانات، وحرصه على ألا يمس عقائد الآخرين بما يؤذيهم، ومنحه إياهم حرية العبادة تطبيقًا للمبدأ القرآني الخالد « **لا إكراه في الدين** ».



من مساجد باكستان : البلد الذي كان له أبعد الأثر في حياة د. ميليما

ولفت نظره أن المسلمين على اختلاف طوائفهم وبلدانهم يوقرون عيسى عليه السلام وأمه العذراء.

ودهش حين علم أن هذا التوقير جزء من دينهم، الذي جعل الإيمان برسل الله جميعًا من أركان الإيمان.

دين الحق

إلا أن الشيء الذي لفت نظره أكثر إلى الإسلام هو تقرير الشريعة الإسلامية لعلاقة مباشرة بين العبد وربه، علاقة لا تحتاج إلى وساطة أو كهانة، فالعبد يمكن أن يناجي ربه ويدعوه في حله ورحله، صباحًا ومساءً، وقارن بين تلك السماحة وبين ما تطبقه النصرانية المحرفة من جعل القس واسطة بين النصراني وربه، وقاده ذلك إلى مقارنة فكرة الفداء التي هي من أسس عقيدة التثليث وبين رفض الإسلام أن يعاقب أحدًا بوزر غيره، أو يقوم أحدهم بتضحية تكفيرًا عن خطايا قومه.

وأذهله أن يجد **الإسلام قد سبق ما أسموه «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»** بأربعة عشر قرنًا حين نادى بالمساواة الكاملة بين البشر على لسان رسوله ﷺ في قوله «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»، إذ أرسى هذا القول النبوي الشريف دعائم الأخوة بين البشرية، وجعل «**المسلم أخو المسلم**» ابتعدت أوطانهم أو تدانت. وما مجيء المسلمين من كل فج عميق ليؤدوا مناسكهم بلباس واحد لا يفرق بين غنيهم وفقيرهم إلا مظهر من مظاهر المساواة بين البشر «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**».

دين العقل والروح

يطول الحديث لو تناولنا جميع ما شد د. ميليما إلى الإسلام، ذلك أن الرجل لم يعهد ــ وهو الأوربي الذي يحيا في مجتمع مادي ـ أن يرى دينًا يخاطب الروح والعقل معًا، دينًا يوازن بين المادة والروح ويجعل بينهما ارتباطًا وثيقًا، فلا يدعو إلى نبذ المادة كليًا والاتجاه إلى الروحانيات كما في النصرانية المحرفة، ولا إلى تغليبها على الأمور الروحية كما تنادي المذاهب الغربية المادية، ورأى د. ميليما في هذه النظرة الإسلامية للعلاقة بين الروح والمادية نظرة وسط واقعية تسمي الأشياء بأسمائها الحقيقية دونما مبالغة، وتحترم إنسانية الإنسان.

وقد حرص د. **ميليما** حين عاد إلى بلاده على أن يوضح لمعارفه وأقاربه وأصدقائه حقيقة الإسلام مبينًا محاسنه. وموقف شريعة الله من مختلف القضايا، وعلى رأسها «أم الخبائث» ذلك الداء الوبيل الذي يفتك بعقول رجال أوربا ونسائها، مشيرًا إلى أن **المؤتمرات التي تعقد للبحث عن وسيلة لعلاج مدمني الخمور والمخدرات لا جدوى منها لأنها تعالج المشكلة بعد حدوثها، بينما الإسلام يعالجها قبل حدوثها بمنعها كليًا**.

إن قصة إسلام د. **ميليما** دليل على أن الإنسان الأوربي المستنير حين يستخدم العقل الذي وهبه الله إياه يصل إلى الحقيقة، وهي أيضا دليل على أن مَنْ يعرف الإسلام من منابعه الأصيلة لا يملك إلا أن يؤمن به؛ لأنه دين الفطرة الصحيحة.

حكمة عدد ركعات صلاة المغرب

● **ما الحكمة من كون صلاة المغرب ثلاث ركعات ؟**

عبد المجيد بن محمد السيهاتي - البحرين

☐ من الآيات الدالة على قوة الإيمان وثقله في قلب المؤمن هو الإيمان المطلق بكل ما ورد في الكتاب الكريم، والسنة الصحيحة المطهرة.

ولو تبين كل حكمة، من وراء كل عبادة لما صار هناك إيمان بكامل الأحكام لكن الحال ابتلاء وامتحان، ولهذا قال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة**﴾ .

فالإيمان بما ورد من الأحكام والعبادات ليس من اللازم الوقوف على حكمة كل منها؛ لأن الوقوف على الحكمة ليس تعبديًا، إنما اللازم هو : الإيمان والعمل باعتقاد صحيح، ووعي سليم، ومتابعة صادقة دائمة، ولعل الحكمة من كون صلاة المغرب ثلاث ركعات فقط أنها : وتر النهار؛ لأن هذه الفريضة هي آخر النهار وابتداء الليل كما أن وتر الليل بعد دخوله جدًا ركعة واحدة، وكل هذا للدلالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى وتفرده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والله أعلم.

ما صحة هذه الأحاديث ؟

● **ما صحة حديث «كما تكونوا يولى عليكم» ؟**

« لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه » ؟

حديث العشرة المبشرين بالجنة ؟

« إنما العمل بالنية » .

أبو الفتوح سليمان . ج . م . ع . - دمياط

☐ **الأثر الأول** : لم يصح عن النبي ﷺ لكن له شواهد بمعناه لا تجعله في درجة الحسن لغيره.

وإذا صلحت نيات العباد وصدقوا في دينهم ودنياهم سخر الله تعالى لهم الخير والرزق، والأمن المعنوي الصحيح، وإذا ما عصوا وبارزوا الله بالمعاصي سلط عليهم فتنًا كثيرةً، وقد تكون هذه الفتن عامة كما قال تعالى : ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ .

وكما قال سبحانه ﴿**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون**﴾ .

ويوم القيامة يُبعث الخلق على نيته كل واحد منهم إذ يوم القيامة هو يوم الجزاء على العمل والمقاصد.

والعباد يجب عليهم طاعة الله سبحانه وتعالى وموالاته بصدق وإخلاص ووعي وأن يجتنبوا الآثام ظاهرًا وباطنًا ويحافظوا على الذكر والدعاء، وأكل الحلال الطيب ويغيروا ما بأنفسهم من سوء وباطل . . إلخ . . إلى الخير واليقين ولزوم العبادة على بصيرة حينئذ يرون إن شاء الله تعالى كل خير ونعمة.

والحديث الثاني : صحيح ولعله من رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

والحديث الثالث : صحيح بلفظه التام، وإن لم يرد في بعض الصحاح لكن طريقه صحيح، والله أعلم.

والحديث الرابع : « إنما العمل بالنية ».

صحيح بهذا اللفظ، وقد أورده البخاري في صحيحه في ستة مواضع بألفاظ مختلفة هذا واحد منها - وورد عند مسلم كذلك (إنما الأعمال بالنيات) والله أعلم.

صلاة النفساء قبل الأربعين

● **هل تصلي المرأة إذا طهرت قبل تمام الأربعين يومًا ؟**

نجوى م . م . ل . - دمشق

☐ العبرة حال النفاس في الطهر كاملاً أن لا يخرج دم من «الموضع»، سواء تمت الأربعون يومًا، أو رأت المرأة الطهر ولو بعد عشرة أيام فإنها تصلي؛ لأن هذا الأمر يختلف باختلاف عادات النساء وطبيعة بلادهن من حرارة وبرودة.

وقد علق الشارع الحكيم القيام بالصلاة والطواف حال الطهر دون عبرة بالأيام لكن إن عاودها الدم تتوقف حتى ترى الطهر كما هو مدون في **المحلى لابن حزم والمبسوط للسرخسي، والمجموع للنووي، والله تعالى أعلم.**

حديث صحيح

● **هل صح حديث « لا تقوم الساعة » ؟**

مصطفى بن محمد الرياحي - نويهض - الكويت.

☐ هذا السؤال هكذا عام؛ لأنه قد وردت عدة نصوص صحيحة كلها تبدأ بـ : لا تقوم الساعة - وأبين لك بعضًا منها :

١ - « لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ». (والهرج) بتشديد الراء وفتحها معًا مع تفخيم الراء. الذي هو : القتل.

٢ - « ولا تقوم الساعة حتى تعود الجزيرة أو جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا كما كانت ».

٣ - « ولا تقوم الساعة حتى يمر الحي على صاحب القبر فيقول ليتني مكانك » مما يرىٰ من الفتن، والمظالم، والبغي.

وقد أورد أصحاب الحديث شيئًا كثيرًا من هذا، وأجمله الإمام **ابن كثير** - رحمه الله - تعالى في كتابه **(النهاية)** وكذلك أورده الشيخ **حمود التويجري** في كتابه « أشراط الساعة » - رحمه الله تعالى.

ردود خاصة

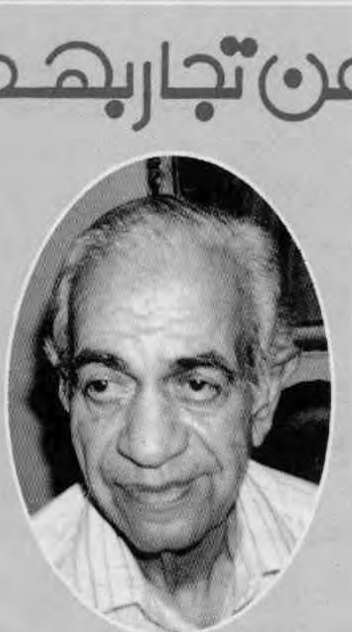
● **س . م . خ - سوريا - حمص :**

لم يقع الطلاق . . آمل الكتابة لي مجددًا.

من تجاربهم

رحلتي مع الأدب

بقلم: د. يوسف عزالدين عيسى



ظهرت ميولي الأدبية في سن مبكرة جدًا. كنت أجد بين يديّ كتبًا لا أذكر من أين كنت أحصل عليها، والغالب أنني كنت أجدها ضمن كتب والدي الذي كان محبًا للأدب، ويبدو أنني ورثت عنه هذه المحبة. من هذه الكتب كتاب نسيت عنوانه ولكنني أذكر بعض ما فيه من أشعار، منها قصيدة كانت تؤثر في نفسي تأثيرًا عميقًا فتنهمر دموعي كلما قرأتها، وعلى الرغم من ذلك كنت أعيد قراءتها مرارًا. كان عنوان القصيدة « دمعة طفل ضرير » وتبدأ هكذا :

يا أمّ ما شكل السماء وما الضياء وما القمرْ ؟

بجمالها تتحدثون ولا أرى منها الأثر

هل هذه الدنيا ظلام في ظلام مستمر ؟ . . . إلخ

ونظمتُ أول قصيدة في الثانية عشرة من عمري عندما نجحت في الشهادة الابتدائية، ولا أذكر الآن من القصيدة سوى بيت واحد هو :

فكأنني من فرط ما قد سرني

طيرٌ تهادى في الفضاء يغردُ

وأذكر وأنا في السنة الرابعة الابتدائية عندما كسّر أستاذ اللغة العربية بيتًا من الشعر في أثناء قراءة قصيدة فرفعت إصبعي وأخبرته أن البيت مكسور، فأخذ يتمتم مرددًا تفاعيل الشعر التي لم أكن أدري عنها شيئًا محاولاً تصحيح البيت، فأسرعت بإضافة حرف فاء إلى أول إحدى الكلمات فاستقام البيت.

وأذكر عندما كنت في السنة الثانية الثانوية، عندما زار الوزير مدرستنا، أنهم نقلوني نقلا مؤقتًا إلى الفصل الذي سيزوره الوزير لأقرأ له موضوع الإنشاء الذي كتبته.

ومن الأحداث التي ربما تكون قد تركت آثارها في تفكيري وأعمالي الأدبية ثلاثة أحداث : الأول في نحو الثالثة من عمري عندما اكتشفت أن جميع البشر سيموتون في يوم من الأيام كما تموت الدواب والقطط والحشرات وغيرها، والثاني يوم وفاة أختي، وكانت شابة رائعة الجمال، لقد هز موتها كياني، كان أول حزن عنيف في العائلة، ولقد ذكرت ذلك في رواية « لا تلوموا الخريف » وسميتها باسمها الحقيقي « فاطمة »، والحادث الثالث عندما سافرت إلى إنجلترا في البعثة للحصول على الدكتوراه في علم الحشرات، كانت هذه أول مرة أرى دنيا تختلف تمام الاختلاف عن دنياي التي أعيش فيها، بمفاهيم جديدة غير تلك التي كانت راسخة في أذهاننا.

قبل سفري إلى إنجلترا كنت بدأت النشر في مجلات واسعة الانتشار مثل « روز اليوسف » و « الراديو المصري »، وكان قد أذيع لي عديد من الأعمال الدرامية. كنت إذا نُشرت لي قصة أو أذيع لي عمل درامي أجد نفسي ممزقًا بين رغبتين متعارضتين : رغبتي في أن يقرأها أو يستمع إليها أكبر عدد من الناس، وهذه غريزة بشرية، ورغبتي وأملي في ألاّ يكون قد شعر بها أو انتبه لوجودها أحد ذو صلة بكلية العلوم. كنت بعد نشر أي عمل عن طريق المجلات أو الإذاعة أتوقع من الزملاء التعليق عليها، ولكن بدلا من ذلك كنت أرى تجاهلاً من بعضهم ولومًا من بعضهم الآخر، إذ كانوا يعتقدون أن التأليف الأدبي نوع من خيانة العلم، فالعلم والأدب في رأيهم عدوان لدودان لا يمكن أن يتعايشا معًا، حتى بدأ هذا التفكير يتسرب إلى أعماق نفسي فانتابني شعور بالذنب لدرجة جعلتني في الفترة الأخيرة قبل سفري إلى إنجلترا أكتب وأحتفظ بما أكتبه في درج مكتبي دون أية محاولة لنشره، وعلى الرغم من ذلك فلقد كان زملائي يلجؤون إليّ لأكتب « اسكتشات » ومسرحيات قصيرة ينشرونها في مجلة الكلية أو يمثلونها في حفلات التعارف التي كانت تقام في





الكلية في بدء العام الدراسي ليتعرف الطلبة الجدد بالطلبة الذين سبقوهم في الالتحاق بالكلية.

لم يكن بالبلاد في تلك الفترة من حياتي سوى جامعة واحدة هي «الجامعة المصرية» التي أصبحت فيما بعد «جامعة فؤاد الأول» ثم «جامعة القاهرة»، وكانت الفترة التي قضيتها طالبا بالكلية ثم معيدًا بالكلية نفسها عقب تخرجي مباشرة العصر الذهبي للجامعة، حيث كانت الحياة الثقافية والاجتماعية والفنية في ذروة النشاط. كانت الدراسة تبدأ في الثامنة والنصف صباحا وتنتهي في الخامسة مساء ويبدأ بعد ذلك النشاط الثقافي والفني ممثلاً في محاضرات عامة يلقيها أحد أساتذة الكلية أو الكليات الأخرى، أو ندوة في موضوع عام أو ثقافي، أو حفل موسيقي، ولقد استفدت من هذه المحاضرات والندوات والحفلات أكثر مما استفدت من المحاضرات الدراسية، ولقد تلاشى هذا النشاط الثقافي واختفى من جامعاتنا في الوقت الحاضر. في تلك الفترة واصلت نشر قصصي في الصحف، فنشرت «خطاب إلى الله» و «جماعة من المساكين» و «شجرة الياسمين» في مجلة «رزو اليوسف»، وأذيع لي أول عمل تمثيلي (درامي) كنت نشرته في مجلة الكلية كمسرحية بعنوان «عجلة الأيام»، أعجبت الإذاعة بها فأخذوا يشجعونني على مواصلة الكتابة، فكتبت للإذاعة «الرياح البنفسجية» و «عشاق الخيال» وغيرها، ونشرت لي في هذه الأثناء في مجلة «الراديو المصري» قصة بعنوان «دنيا الحمير»، واستجابة لطلب الإذاعة واصلت كتابة الدراما الإذاعية حتى بدأ النشاط الإذاعي يطغى على نشاط النشر في الصحف والمجلات. وأعتقد أن هذا من الأخطاء الكبرى التي ارتكبتها في حياتي، فالدراما الإذاعية أو التلفازية مهما كانت روعتها وارتفاع مستواها تضيع في الهواء إذا لم تسجل في كتاب، وكان الأفضل أن أركز على النشر أولاً في كتب، ثم يأتي بعد ذلك تحويل هذه المؤلفات إلى أعمال إذاعية أو تلفازية كما فعل عديد من المؤلفين، ولو كنت فعلت ذلك لأصبح لديّ من الكتب المطبوعة الآن أضعاف ما تم طبعه.

لقد واصلت الكتابة مدة طويلة مارست في أثنائها جميع فنون الأدب. الرواية والقصة والمسرحية والدراما الإذاعية والتلفازية والفيلم السينمائي (قصةً وسيناريو وحوارًا) والمقال والشعر والأغنية والدراسة الأدبية والنقد الأدبي، ولقد أتاح لي ذلك فرصة المقارنة بين فنون الأدب المختلفة، ولذا لا أشعر بتحيز لنوع خاص، ولقد خلصت من هذه الممارسات إلى أن أصعب أنواع الإبداع الأدبي هو الكتابة للإذاعة، إذ في الإذاعة لابد أن يصل العمل الإبداعي من أوله إلى آخره إلى المتلقّي عن طريق الحوار وحده، وفي إطار وقت محدد. وعلى الرغم من تشابه الدراما الإذاعية مع الدراما المسرحية حيث يعتمد الاثنان أساسًا على الحوار، إلا أن الإذاعة تفتقد الرؤية معتمدة على الأذن وحدها، وما يمكن رؤيته بالعين على المسرح مثل حركة الممثلين (الميزانسين) وعديد من صفات الشخصيات ينبغي توصيله في الدراما الإذاعية عن طريق جمل من الحوار تبدو طبيعية بلا أي افتعال.

ومما هو جدير بالذكر أن مؤلف الدراما الإذاعية هو صاحب القصة والسيناريو والحوار، فهو يقدم النص الإذاعي جاهزا للإذاعة كما يسمعه الجمهور تماما، فكل كلمة تسمعها الأذن مكتوبة في النص المقدم من المؤلف بما فيه من مؤثرات صوتية مثل: خطوات تقترب، خطوات تبتعد، صوت أغنية ينبعث من مكان ما مع تحديد الجزء من الأغنية الذي يذاع حيث تستخدم كلمات هذا الجزء كمؤثر معنوي، إلى جانب المؤثرات الصوتية والموسيقية التي يشير إليها المؤلف في النص، ولذا يعلن عن اسم مؤلف الدراما الإذاعية بكلمة «تأليف» وهذا يعني أن كل ما ينبعث من مكبر الصوت في المذياع من كلمات أو مؤثرات من تأليفه ولا يشترك معه أي شخص آخر في كتابة النص، ومن الممكن أن يطبع النص الإذاعي كما كتبه مؤلفه وينشر في كتاب كما يحدث للدراما المسرحية، كما فعل آرثر ميلر وديرنهات اللذان كتبا للإذاعة وللمسرح، وأروين شو الذي كتب الرواية والدراما الإذاعية، وهو مؤلف الدراما الشهيرة «ادفنوا الموتى»، وأذيعت في مصر من البرنامج الثاني بعنوان «ثورة الموتى».

هذه الدراما الإذاعية عندما أذيعت في الولايات المتحدة استمع إليها المخرج الشهير اليا كازان فأعجب بها ورغب في عرضها على المسرح، فلما أبدى لمؤلفها تلك الرغبة طلب منه المؤلف أن يمهله حتى يعدلها لتلائم المسرح، ولكن اليا كازان قال للمؤلف: «لا داعي لإجراء أي تعديل في النص وسوف أعدّل المسرح ليتسنى عرضها عليه». وهكذا نشأت في أمريكا فكرة المسرح الكبير ذي الخشبة الواسعة التي تتسع مساحتها لبناء (ديكورات) جميع مشاهد المسرحية دفعة واحدة وتسليط الأضواء على المشهد الذي تصل إليه الأحداث، ثم انتقال الضوء إلى المشهد التالي . . . وهكذا، وهو مسرح دون ستائر. ولقد أخرج اليا كازان بالطريقة نفسها مسرحيتين لآرثر ميلر هما: «وفاة بائع جوّال» و «بعد الخريف» after the fall التي ترجمت «بعد السقوط» بسبب الالتباس في معنى كلمة fall، إذ لها معنيان «سقوط» و «خريف»، وهي في هذه المسرحية تعني «خريف»، فالأمريكيون لا يستخدمون كلمة autaumn كما يفعل الإنجليز، بل يسمون الخريف fall؛ لأنه موسم سقوط أوراق الشجر.

ولقد رزحت الدراما الإذاعية في بلادنا تحت وطأة هجوم شرس من بعض الكتاب وغير الكتاب مدفوعين بدوافع متباينة، وبعض الذين أسرفوا في مهاجمتها لم يدركوا أن الإذاعة يمكن تشبيهها بمرآة مصنوعة من بلور على أعلى درجة من الجودة.

ظل شعوري بالذنب لاهتمامي بالأدب والفن إلى جانب العلم يعذبني حتى سافرت في البعثة للحصول على الدكتوراه في علم الحشرات. كان القبول للدراسات العليا بالجامعات الإنجليزية في ذلك الوقت عسيرًا للغاية، ولكنني فوجئت بقبولي

بجامعة من أعظم جامعات إنجلترا وهي جامعة شفيلد، وبدأت هناك بحثًا شديد التعقيد، وقبل نهاية المدة المقررة بنحو شهر انتهيت من كتابة رسالة ضخمة بها عدد كبير من الرسومات التي رسمتها بيدي وصورتها وطبعتها بنفسي في غرفة التصوير، وجاء أعظم أستاذ في علم الحشرات بإنجلترا لمناقشتها والحكم عليها. كان أول ما فعله الأستاذ الممتحن أن وضع يده على الرسالة وقال: «لقد ناقشت مئات الرسائل ولم تمتعني وتلهمني وتؤثر في تفكيري أية رسالة أخرى كما فعلت هذه الرسالة». ثم أردف قائلا: «لن أناقشك لأمتحنك ولكن لأستفيد منك». واستفسر مني عن طريقة رسم الأشكال التي بالرسالة وعن أشياء أخرى من هذا القبيل. وبعد انتهاء المناقشة غادر القسم ووقفت أطل من نافذة في الممر أمام غرفتي فأقبل رئيس القسم وأخذ يربت على ظهري قائلا: «أشكرك، أشكرك جدًا»، ثم كشف لي عن سر رهيب ظل محتفظًا به في صدره طوال ثلاث سنوات، قال: «هل تعلم لماذا اخترتك من بين جميع من تقدموا للدراسات العليا؟» قلت: «لا» قال: «وصلني قبيل قدومك خطاب من أحد زملائك في مصر يحذرني منك قائلاً إنك لن تنفعنا لأنك فنان، فاخترتك أنت بالذات لهذا السبب، لاعتقادي أن العالم ينبغي أن يكون فنانًا. في هذه اللحظة تخلصت من القلق والتمزق والشعور بالذنب الذي كان يعتريني كلما نشر لي عمل أدبي وحل محله إحساس بالثقة.

بعد نحو عشر سنوات من عودتي إلى أرض الوطن حدث حادث آخر. طلبت إحدى الهيئات الأمريكية ترشيح أستاذ مصري في علم الحشرات للتدريس وإجراء بعض البحوث في جامعات أمريكا مقابل أستاذ أمريكي يحضر إلى مصر لهذا الغرض تنفيذًا لاتفاق بين البلدين في ذلك الوقت لتبادل الأساتذة، فرشحتني جامعة الإسكندرية، وبلغ عدد المرشحين من جميع الجامعات المصرية ثلاثين من الأساتذة والأساتذة المساعدين.

وحضرت إلى القاهرة لجنة منتقاة من كبار الأساتذة الأمريكيين لاختيار واحد من بين الثلاثين عن طريق حوار يجرى بين أعضاء اللجنة والمرشحين. جاء دوري للمناقشة فقدمني مقرر المجلس الأعلى للعلوم، وبعد ذكر اسمي والجامعة التي أنتمي إليها أردف قائلا: «وهو أيضا من كتابنا المرموقين»، فتألمت وشكوت مقرر المجلس إلى صديق من كبار موظفي المجلس مستنكرًا ذكره للكتابة والكتّاب في هذا المجال، وقلت إن هؤلاء الأساتذة الأمريكيين جاءوا من آخر الدنيا ليختاروا أستاذًا في الحشرات ولم يحضروا لاختيار مؤلف. فقال لي ذلك الصديق: «وهل عرفت من الذي وقع عليه اختيارهم؟ قلت «لا». قال الصديق: «لقد اختاروك أنت، وكانت هذه الجملة التي أثارت غضبك هي بالذات سبب اختيارك»!

عندما بدأت إذاعة ونشر أعمالي في أوائل الأربعينيات كانت لونًا جديدًا غير مألوف من ألوان الأدب القصصي، حيث يعرض الواقعية مكتسية ثوب الخيال ومندمجة معه، فكان الناس لا يعرفون كيف يصنفونه ومع أي لون من ألوان الأدب يضعونه؛ ولأن مؤلفه أستاذ بكلية العلوم فلقد تصور العديد من الناس أن ما يكتبه هذا الأستاذ لابد أن يكون من الخيال العلمي مع أنه لا يمت للخيال العلمي بأية صلة، ولابد أن الذين تصوروا ذلك لم يقرؤوا أو يسمعوا حرفًا واحدًا من أعمالي القصصية.

لم أكن قرأت أي شيء لماركيز ولا سمعت عنه قبل حصوله على جائزة نوبل عام ١٩٨٢م، فعلمت أن الأكاديمية السويدية التي منحته هذه الجائزة ذكرت في أسباب حصوله عليها أنها منحت له «لرواياته التي يمتزج فيها الخيال بالواقع في ظل تركيبة ثرية لعالم شعري». ولقد كتبتُ هذا اللون قبل أن يكتبه ماركيز بسنوات عديدة، وكل متتبع لأعمالي من الجمهور أو النقاد قد يدرك ذلك، فمن أوائل أعمالي «الرياح البنفسجية» التي أذيعت عام ١٩٤٠م و«دنيا الحمير» التي نشرت في مجلة «الراديو المصري» في أوائل الأربعينيات و«عشاق الخيال» التي أذيعت عام ١٩٤٠م . . . وغيرها. كما امتزج الواقع بالخيال في أول فيلم سينمائي كتبت قصته عام ١٩٥٥م وعرض في دور السينما عام ١٩٥٧م بعنوان «صوت من الماضي».

ولقد اعتبروا ماركيز كاتبًا واقعيًا، ودخلت أعماله في نطاق الواقعية التي أطلقوا عليها اسمًا جديدًا هو «الواقعية السحرية» على أساس واقعية المشاعر وليست واقعية الحدث، إذ إن المهم ما يعكسه الحدث من مشاعر لدى المتلقي حتى ولو كانت الأحداث من (الفانتازي)، فطريقة تصوير الحدث تكمن قيمتها في التأثير الذي يحدثه والمشاعر التي يثيرها. ولقد كان النقاد، وغير النقاد، في بلادنا يهاجمون بضراوة طريقتي هذه في الكتابة.

ومن الظواهر العجيبة في حياتي الأدبية كثرة الذين اقتبسوا من أعمالي القصصية والدرامية وكأنها فولكلور مجهولة المؤلف، السطو عليها والاقتباس منها مباح للجميع! وكان من الممكن ألا يضايقني ذلك لو ذكر «المقتبس» المصدر الذي اقتبس منه. كان القانون الذي يحمي حق المؤلف منذ سنوات ينص على منع أي شخص من السطو على الإنتاج الذهني لأيّ مؤلف، ولكن مشرّع القانون في ذلك الوقت نسي ذكر عقاب من يفعل ذلك! فكانت الأعمال تُنهب دون أن يجد القاضي عقابًا منصوصًا عليه في القانون يحكم به على المعتدي، وأخيرًا نص القانون على عقاب رادع، ومع ذلك لم يتوقف السطو والاقتباس!

ومن الذكريات المؤلمة أن أول قصة تنشر لي، وكان ذلك في مجلة «الراديو المصري»، وكانت بعنوان «دنيا الحمير» «اقتبست» وحوّلت إلى فيلم سينمائي بعنوان «البني آدم» دون أية إشارة إلى مؤلفها. وما زالت اقتباسات المقتبسين تتكرر حتى الآن!

وفي فترة من الفترات، عندما كنت معيدًا بكلية العلوم بجامعة القاهرة، أرادت الإذاعة زيادة حصيلتها من الأغاني فأعلنت عن هذه الرغبة في الصحف، وطلبت من الشعراء إرسال ما تجود به قرائحهم من أشعار لاختيار أجودها لتلحينه في إطار مشروع أطلقوا عليه «مختارات الإذاعة». فأرسلت بالبريد عددًا من الأغاني اختيرت جميعها ضمن تلك المختارات، واشترك في تلحينها وغنائها عدد من كبار الملحنين والمطربين، أذكر منهم أحمد



صدقي ومحمود الشريف ولورد كاش وفايدة كامل وعبد الحليم حافظ وكارم محمود . . وغيرهم .

وذات يوم كنت بصحبة أحد كبار الشعراء الذي غنى لـه الموسيقار محمد عبد الوهاب أغنية شهيرة طويلة، قال لي إنه اتفق وجوده في مكتب مدير الإذاعة الأستاذ سعيد لطفي عندما دخل أحد الإذاعيين حاملاً بعض أشعاري التي اختيرت ضمن مختارات الإذاعة للموافقة النهائية على إذاعتها، وبعد قراءتها والموافقة عليها سلمها لهذا الشاعر قائلاً : «ها هو الذي سيحجب بريقكم أنت و . . . (وذكر اسم شاعر آخر كبير جدًا)، وبعد فترة قصيرة من إذاعة هذه الأغنيات توقفت إذاعتها، ولما سألت عنها، قيل لي إنها مسحت خطأ ! ولم تبق لي أية أغنية في الإذاعة بعد ذلك سوى أغنية القرنفل التي لحنها علي فراج وغناها عبد الحليم حافظ . ومما هو جدير بالذكر أن اسمي كمؤلف لهذه الأغنية لم يذكر كاملاً أو صحيحًا على الإطلاق منذ إذاعتها، فأرسلت خطابًا منذ عامين لرئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون الأستاذ أمين بسيوني قائلاً له إن الإذاعة لا يليق بها أن تخطئ في أمر كهذا بل ينبغي أن تكون المرجع والفيصل، وبعد فترة سمعت الاسم صحيحًا لأول مرة، ولكنها، على قدر علمي، لم تذع بعد ذلك .

ومنذ أعوام طويلة طلبت مني الإذاعة كتابة دراما بمناسبة حلول شهر رمضان، فكتبت تمثيلية إنسانية من الممكن أن تذاع في أي وقت من أوقات العام، وبعد نحو عام من إذاعتها كتب الإذاعي الراحل حسني الحديدي في مجلة الإذاعة يقول : إن الناس عادة يطلبون سماع أغنية ولكن العجيب أن تصله عشرات الخطابات يطلبون إذاعة دراما أذيعت مرة واحدة في رمضان منذ عام . ولما قرأ ذلك مدير الإذاعة أمر بإذاعة هذه الدراما في شهر رمضان من كل عام، ولكنها لم تذع بعد ذلك مطلقًا ! ، ولما سألت عن السبب قيل لي إنها كانت مسجلة على شريط، ولما نقلوها على اسطوانة كسرت الأسطوانة قضاءً وقدرًا !

وفي أثناء إذاعة مسلسل «العسل المر» عام ١٩٥٨م لأول مرة، وفي صباح اليوم الذي ستذاع فيه الحلقة الخامسة، عندما كانوا يخرجون من (الأرشيف) الأشرطة التي ستذاع في ذلك اليوم فوجئوا باختفاء الشريط المسجلة عليه هذه الحلقة المفروض إذاعتها في الساعة الخامسة والربع مساء . حدث ارتباك شديد وأسرعوا للاتصال بمخرجها الأستاذ محمد توفيق الذي بدأ على الفور محاولة تجميع الممثلين الذين اشتركوا في هذه الحلقة، ومن حسن الحظ أنهم كانوا جميعا في القاهرة، فأعادوا تمثيل الحلقة وأذيعت في الموعد المقرر لها دون أن يشعر أحد من المستمعين بالاضطرابات النفسية والجهد المضني والمعاناة والقلق المتواري خلف إذاعتها في موعدها في ذلك اليوم.

وما حدث للحلقة الخامسة من «العسل المر» حدث لحلقة «زيارة لمكتبة فلان» التي أجرت حوارها معي الأستاذة نادية صالح، فلقد ذكرت لي منذ سنوات، عندما كنت أراها في الإسكندرية، أن تلك الحلقة طلب سماعها عدد كبير من المستمعين في مصر وخارج مصر، وبينما يستعدون لإخراجها من الأرشيف لإعادة إذاعتها اكتشفوا اختفاءها، ومازالت مختفية حتى هذه اللحظة !

وفي شهر أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٢م أذيع لي في البرنامج العام مسلسل بعنوان «لا تلوموا الخريف» كتبته في ثلاثين حلقة .

كان هذا المسلسل أول عمل درامي أكتبه للإذاعة بعد توقف عشر سنوات عن الكتابة لها . وعند حلول العيد الذهبي للإذاعة طلبت مني كتابة عمل درامي يذاع في عيدها فلبيت الطلب احترامًا، فكتبت بالفصحى دراما تذاع في سهرة بعنوان «الجائزة» أعتبرها من أحسن ما كتبت . وأنا أعرف أن قانون حقوق التأليف يمنع تكرار العنوان، ومع ذلك أقرأ في هذه الأيام في الصحف وعلى شاشة التلفاز إعلانًا عن مسرحية بالعنوان نفسه : «الجائزة»، لا صلة لي بها ! وأخرى بعنوان «القنبلة»، ولقد نَشرْتُ منذ عدة سنوات في إحدى المجلات الواسعة الانتشار رواية قصيرة بالعنوان نفسه .

منذ بضعة أشهر طلب مني أحد معدّي برامج التلفاز بيانًا بأعمالي التلفازية والسينمائية لتذاع ضمن سلسلة برامج عن بعض الكتّاب، وبعد فترة اتصل بي ليخبرني وهو شديد الأسف أنه مضطر لإلغاء جميع هذه البرامج لأنه اكتشف أن جميع أعمالي التلفازية قد دمّرت ولم يبق منها ما يصلح للعرض، علمًا بأنني كنت من أوائل من كتبوا للتلفاز منذ بدء إنشائه .

أما مأساتي في مجال نشر كتبي فتدعو للحزن، إذ لم ينشر لي حتى الآن سوى نسبة ضئيلة قد لا تتجاوز واحدًا على عشرة مما كتبته للنشر، وهذه المأساة تقلقني وتؤلمني، أذكرها عندما أنام وعندما أصحو. فالإسكندرية التي أعيش فيها خالية من دور النشر والتوزيع، وإذا طبعت إحدى مطابعها كتابًا ثقافيًا فيكون ذلك على نفقة مؤلفه ولا شأن لها بتوزيعه، فلا مفرّ إذن من اللجوء إلى القاهرة .

والضغط شديد على دور النشر التي أتعامل معها في القاهرة حيث يظل الكتاب في المطبعة قبل صدوره مدة قد تتجاوز أحيانًا خمس سنوات، ولقد ظل أحد كتبي في المطابع إحدى عشرة سنة، سبعًا منها في إحدى دور النشر الكبرى (قطاع خاص) انتهت بضياع النسخة الوحيدة، فأعدت كتابته من الذاكرة كلمة كلمة وأعطيته لدار نشر أخرى ظل فيها أربع سنوات حتى خرج إلى الوجود، كان هذا كتاب «نريد الحياة ومسرحيات أخرى»، وكل كتاب تلزمه رحلة إلى القاهرة لتسليم الكتاب، ورحلتان على الأقل لتصحيح (البروفات) ورحلة لاستلام الهدايا، أما في الخارج فيستغرق طبع الكتاب أسبوعين منذ لحظة قبوله للنشر حتى خروجه من المطبعة وبدء توزيعه. ولذا فالحضارة هناك تعدو وإيقاعها سريع، أما عندنا فتزحف كالأميبا، وهذا ما يسمونه التخلف.





د. عيد الجهني

● العنوان : الشورى وفن الحكم في المملكة العربية السعودية .

● المؤلف : د . عيد مسعود الجهني .

● الناشر : على نفقة المؤلف .

يقع هذا الكتاب المهم في (٥٠٠ صفحة) من الحجم المتوسط ويجيء إصداره في أوانه . وفي وقت تضع فيه المملكة الخطوات الحاسمة للنظام الأساسي للحكم ونظام المناطق .

وقد خصصت معظم الصفحات للحديث عن المملكة، الدولة الإسلامية التي اتخذت مبادئ الشريعة دستورًا لتنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم، وحرصت على إرساء قواعد العدالة في شتى المجالات، والنظام السياسي في المملكة قدم للعالم نموذجًا للحكم الإسلامي الذي يعتبر من أهم المعالم التي استمدّت منها التجربة السعودية خصوصيتها في الحكم وفنه وطريقته وأسلوبه .

فمنذ أن عرف الإنسان التاريخ بفكره وعقيدته، والأمة الإسلامية قامت على عقيدة التوحيد، والإسلام دين ودولة، فهو نظام لا يمكن أن يقوم بغير دولة؛ لأنه عقيدة وشريعة ولابد للعقيدة من حماية ولابد للشريعة من قيام .

وقد أثبتت التجارب قصور النظم الرأسمالية والاشتراكية على السواء في تحقيق الأمن والعدل السياسي والاجتماعي والاقتصادي .

والدولة في مضمونها ظاهرة اجتماعية وفي مدلولها نظام قانوني، والسياسة في أبسط معانيها هي الأسلوب الذي يقوم عليه تنفيذ هذا النظام القانوني .

ولا تنشأ الدولة إلا بنشأة المجتمع المنظم، فهي ظاهرة لاحقة عليه وليست سابقة له . . فالاجتماع الإنساني ـ كما يقول ابن خلدون ـ ضرورة والإنسان مدني بطبعه أي لابد من الاجتماع وهي معنى العمران .

ويوضح د . عيد الجهني أن الشورى في الإسلام، والمنهج في الإسلام يبنى على الجوهر والحقيقة وليس على الشكل والمظهر . . وقد احتلت الشورى مكانة مرموقة كتعبير عن الالتزام بالمنهج الإسلامي، وهو نظام يحترم واقع المجتمع والقيم التي يقوم عليها؛ لأنها نابعة وهادفة إلى مصلحة المجتمع، وتقوم على مبادئ محكمة ثابتة تتسع لحاجاته الجامعة .

وتكمن أهمية الشورى في أنها خلاصة نظام لمواقف وتجارب في التاريخ الإسلامي القديم والتاريخ الحديث، وقد كانت هذه الفترة الطويلة مليئة بالأحداث غنية بالتجارب، فالقرآن الكريم والسنة يقدمان الحق المطلق للأجيال والعصور كلها .

والشورى وفق تعريف العلماء لها هي : المفاوضة في الكلام ليظهر الحق، أو هي استخراج الرأي بعد مراجعة البعض إلى البعض، وهي على هذا النحو ليست مذهبا سياسيًا، وإنما هي أصل ثابت في المجتمع، فالإسلام ألزم المسلمين بقاعدة الشورى، ولكنه لم يبين تفصيلا كيف تتم الشورى، ومن هم أهل الشورى، وكيف يعينون وهل يكون رأيهم ملزما أم غير ملزم، إذن هو نظام متماسك القواعد، متكامل الأسس، لا يحتاج إلا صدق الممارسة والإيمان وقوة العلم وترابط الأمة، حتى تنمو الممارسة البشرية مع نمو الخير والبركة .

ويعدد المؤلف مجالات الشورى بالعديد من المصطلحات التي تعرف كلها معنى الشورى ومعانيها ويجيء بالأحاديث النبوية والمواقف والأمثلة من الشورى في عهد الخلفاء الراشدين، ثم ينتقل إلى تسجيل نشأة الشورى ومراحل تاريخها في المملكة .

فقد كانت الجزيرة العربية قبل العهد السعودي مرتعًا للفتن والشقاق والنزاعات القبلية والحروب الدامية، وبصورة عامة كانت الحالة الأمنية متردية خاصة بالنسبة للحجاج، وقد عاش الكثيرون تلك الفترة السابقة على العهد السعودي الزاهر، ويذكرون كيف كانت حالة الأمن في المشاعر المقدسة، ومنذ توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ انتشرت الطمأنينة والأمن للحجاج على أنفسهم وأموالهم .

وهكذا فإن المملكة ارتبطت منذ تأسيسها بالحركة الدينية الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، والتي تهدف إلى التمسك بأهداب الدين الإسلامي وفقًا لما جاء في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .

ويشير المؤلف إلى مراحل تاريخ المملكة على امتداد السنوات الماضية خلال العصر الحديث، فيورد المرحلة الأولى التي كانت تحت قيادة الأمير محمد بن سعود (١١٥٧ هـ ـ ١٧٤٤م) حيث امتد في تلك الفترة نفوذ الأسرة السعودية في ظل الدولة إلى آفاق بعيدة ليشمل معظم شبه الجزيرة العربية (نجد والحجاز وعسير وحضر موت والإحساء والبحرين) .

كما أن هذا النفوذ قد امتد أيضا إلى مشارف البصرة وحوران، في بلاد الشام والكرك في الأردن وبعض المناطق المحيطة ببغداد . وما إن انصرمت سبعون عامًا على قيام الدولة السعودية الأولى حتى تمكنت من توحيد معظم شبه الجزيرة العربية وبات امتداد نفوذها إلى أطراف اليمن وعسير ونجران وعمان ومسقط بحكم المؤكد وأخذت القوات تدق أبواب العراق والشام بشكل مستمر وتجسد هذا باقتحام عدة مدن عراقية . . . إلخ .

وبعد أن يوضح المؤلف ما مرَّ على المملكة، تجيء عدة فصول عن الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ ومن صفاته الحلم والحنكة والفراسة وأنه زعيم لا يكذب ولا يخادع، زعيم عربي بنى مجده على الدين وبالأخلاق الفاضلة، قائد، وملك شجاع ذكي، واقعي لا تغريه المطامع الدنيوية .

من المكتبة السعودية

كان إنسانا قبل أن يكون ملكا . . .

اتصف بالبساطة والعراقة المطلقة .

ويذكر د. عيد الجهني ما يخص الشورى وديمقراطيات الغرب، فيشير المؤلف إلى الوجود الملحوظ لأنظمة الحكم والشورى في المملكة فهي تجسيد لحضارتنا الإسلامية والعربية، تنبع من داخلنا ومن عقيدتنا، حيث تم إعدادها من المنبع الأصلي وهي الشريعة الإسلامية. فشمولية الشريعة لجميع العلاقات سواء كانت هذه العلاقات بين الفرد وربه أو بين الفرد والفرد أو بين الفرد والجماعة أو بين الجماعة والجماعة، فهي بحق دين ودولة وهي صالحة لكل زمان ومكان.

والشورى نظام متماسك القواعد ينمو في أحضان الإيمان وهو نظام متكامل الأسس لا يحتاج إلا إلى صدق الممارسة والإيمان وقوة العلم وترابط الأمة حتى تنمو الممارسة البشرية مع نمو الخير والبركة ويستكمل تفاصيله من خلال الممارسة والتطبيق.

أما الديمقراطية فهي تجربة بشرية تحمل الأصباغ والطلاء والزخارف والعدالة فيها ظاهرية وشكلية، بينما الشورى توقظ في المؤمن كل شعور المسؤولية حين تربطه بعقيدة ونهج.

والشعب السعودي يعرف أن قيادته ليست بعيدة عن همومه وعن رغباته وطموحاته، كما ينعكس في كل ذلك في الأعمال والقرارات التي تتخذها، والتي تفجر طاقات الأمة المعنوية والمادية، وتفتح أمامها مجالات الإبداع واجتياز التحديات التي يفرضها العصر والتي تتطلب الاستعداد التام وتكثيف الجهود من أجل اللحاق بالركب وأخذ مكان الصدارة حاملين راية التوحيد.

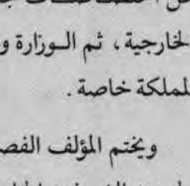
ويمضي المؤلف في الفصل الرابع محددًا فن الحكم في المملكة ومنذ أكثر من قرنين ونصف قامت الدولة على منهاج واضح في السياسة والحكم والدعوة والاجتماع وهو منهاج الإسلام عقيدة وشريعة.

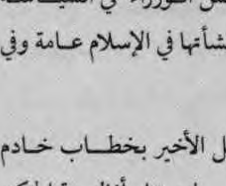
والمتعمقون والمراقبون والمتتبعون لتطور المملكة العارفون بتشريعاتها وإجراءاتها ونظام الحكم فيها ومواقفها داخليا وإقليميا وعربيا وإسلاميا ودوليا فإنهم يعرفون جيدًا أن المملكة تطبق شرع الله الذي يهدف إلى تحقيق مصالح الناس الدنيوية والأخروية.

ويورد المؤلف كافة الحقائق والوقائع التي مرت على تطور نظام الحكم والإدارة في المملكة، فقد استطاع الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بأعماله البطولية أن يوحد الأمن في البلاد، ومن المفاخر التي سجلها له التاريخ توحيد الإمارات المتناحرة في دولة واحدة، وتركيز السلطة في يد حكومة مركزية مسؤولة وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

ويشير المؤلف إلى الخصائص العامة للنظام الأساسي للمملكة ثم ينتقل إلى اختصاصات مجلس الوزراء في المجال الداخلي، ثم يعقبه بفصل مطول عن اختصاصات مجلس الوزراء في السياسة الخارجية، ثم الوزارة ونشأتها في الإسلام عامة وفي المملكة خاصة.

ويختم المؤلف الفصل الأخير بخطاب خادم الحرمين الشريفين الخاص بإصدار أنظمة الحكم والشورى والمناطق.





محمود رداوي

- الكتاب : عبد الله بلخير . . شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية.
- المؤلف : محمود رداوي.
- الناشر : دارالقلم للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. ط٢. ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م (٢٦٠ ص).

يبدي المؤلف «محمود رداوي» منذ بداية «تمهيده» لكتابه [عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية] إعجابه بشاعره، حين سمع ممن عاشره وتعامل معه واجتمع به «أن الرجل كبير القدر والمنزلة، وأصيل الروح والنفس والشخصية والشاعرية» كما أن المؤلف الرداوي راح يتنسم أخبار الشاعر العطرة في مجالس الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، ومن صديقه «عبد الرحمن المعمر» الذي كان أول من شجعه على قراءة شعر بلخير، حين أمده ببعض شعره، وأحاله إلى كتابه ومختاراته «وحي الصحراء» الصادر منذ خمسين عامًا. لذلك وجد المؤلف نفسه مدفوعًا إلى قراءته «فكان الإعجاب، وطلب من الأخ المعمر المزيد فاستجاب». فكانت دراسة محدودة نشر قسمًا منها في مجلة «الفيصل»، ثم اتسعت، بعد أن حصل من الشاعر على شعر غزير، فكان هذا الكتاب، الذي يلخصه في نهاية تمهيده بقوله أن ما قدمه «عن الشاعر بلخير من انطباعات عن شعره ومعانيه الوطنية والقومية والدينية، وملاحمه الإسلامية والأندلسية . . وعن مكانته في مدرسة الإحياء والشعر العمودي، وشاعريته وفنه الشعري . . لأرجو ـ من كل ذلك ـ أن يكون فتحًا لأبواب عالم بلخير الشعري، وحافزا للدارسين والمتخصصين كي يقفوا على معالم جديدة من ذلك العالم الشعري البلخيري : عالم الأصالة، الذي يجسد صورة التمسك والمحافظة على النقاء والجوهر والمثالية التي تسكن قيمنا الشعرية والعربية».

ولهذا جاء الكتاب يحمل عنوانَيْن أو قسمين كبيرين هما : الموضوعات الشعرية، والفن الشعري واشتملت موضوعاته على المعاني التالية : المديح والفخر : [وحدة الجزيرة : نجد والحجاز. العروبة والإسلام. الرواد وأعلام الفكر والأدب. الأناشيد العربية. أم القرى]. والنكبات. والملاحم الإسلامية : [ملحمة محمد رسول الله، وحلم ليلة ربيع في ضيافة الأعشى بالدهنا في نجد، وملحمة مؤتة] والأندلسية : [ملحمة قرطبة، وملحمة غرناطة وقصور الحمراء ـ وعبد الله بلخير ورفيقا السينية : البحتري وشوقي، وملحمة طارق بن زياد فاتح الأندلس]. أما قسم الكتاب الثاني

(الفن الشعري) فجاء بأربعة عناوين هي : الإحياء والشعر العمودي، والشاعرية، والوحدة الموضوعية، والرسم الفني (اللوحات الشعرية). كما اشتمل الكتاب على خاتمة، ومقتطفات مما قالوه في عبد الله بلخير. هذا فضلاً عن التقديم الطويل للدكتور يوسف عز الدين، ومما جاء فيه :

«بورك بالأديب الباحث الأستاذ الرداوي على جهده وصبره، وعن تقصيه في الدراسة ورسمه صورة مشرقة حية للشاعر وحياته، في وضع كتاب سيكون من دون شك من مصادر الشعر العربي في الجزيرة العربية، ولن يستغني عنه باحث في الأدب العربي في المملكة العربية السعودية».

ويقوم منهج الباحث الرداوي في هذا الكتاب على المنهج المتكامل، وبخاصة تكامل وتلاحم المنهجية : التاريخي والفني. إذ من خلال استقراء النص الشعري يستخرج بكل استقصاء قيماً تاريخية وفنية . . فضلاً عن قيم أخرى دينية ووجدانية، وغيرها، تنم عن تذوق ومعايشة لأعماق النص، وغوص في قلب الشاعر وتحسس نبض معاناته وتجربته الشعرية. وإذا كان الشاعر عبد الله بلخير يمثل أصالة الشعر العربي وقيمه التراثية في المضمون والشكل، فإن الباحث ليؤكد تلك الأصالة، ويخلعها على شاعره خلال سياق الدراسة الطويل، ومنذ تمهيده وحتى خاتمته، كما أنه ينفي عنه كل ما يمكن أن يقال ويطرح في آراء ودراسات الحداثيين في أدبنا المعاصر. فتراه يقول في تمهيده : «ولقد كان شعره ثورة ومواجهة لما أصاب شعرنا العربي المعاصر، حين تسلل داخل تيار الشعر الحديث جماعة متطرفة في تعاطفها وتأثرها بالاتجاهات الفكرية والفنية الغربية . . ومن ثم وصل تطرفها إلى تبني تراثهم ومنظورهم وتفكيرهم الشعري، من خلال قراءتهم للآداب الغربية مباشرة أو ترجماتها. فأخذت تعجب بها، وتسير وتنسج على منوالها.

وتقتفي آثارهم في الصياغة، واستخدام ذات رموزهم وأساطيرهم المفرقة بأعلام تنتمي إلى جذورهم وأرضهم، وبكل دلالاتها التاريخية والدينية. وإذا هي بعيدة عن ناموسنا وأصولنا وجذورنا وأصالتنا . . . فكان شعر بلخير المتصدي بأعلامه ذات الرموز والدلالات العربية والإسلامية تعبيراً عن تاريخنا وحضارتنا بتلك الدلالات العَلَمية. ولذلك فقد كان شعر بلخير يمثل الوجه الحي الصبوح والمتفائل في رد المتطرفين عن غيهم وانجرافهم وراء الدخيل، كما يمثل دعوة حبيبة للأخذ بالأصيل».

كما نراه يقول وهو يؤكد قيمة دلالات فَنَّيْ المديح والفخر، إذ كلاهما يتكيء على الحاضر والماضي ويجسد ـ عبر أعلام الشخصيات والأمكنة ـ ويعمق جذوراً روحية وعاطفية ووطنية ودينية وقومية في نفس الشاعر، وليلج بها دائماً، وليوصلها إلى قارئه، فيقول : «وإن شعر عبد الله بلخير لينفي الفكرة التي سادت طويلاً لدى كثير من دارسي وباحثي الأدب العربي، وكانت من إيحاء بعض المستشرقين الذين درسوا آدابنا، والتي مفادها : (أنه ابتُكر في الأدب العربي ما يسمى بأدب الملوك أو الشعر الأرستقراطي؛ لأنه يحيط الملوك وحدهم بالدعاية والرعاية، وينسى الشعب وعامة الناس من الذكر والعناية، فلا يعيرهم مكاناً من المديح، ولا يلفت النظر إلى أعمالهم، فكأن الدنيا تعيش لهم وبهم). وحين ينفي شعر عبد الله بلخير تلك المقولة ـ ليؤكد ـ من خلال تمجيده لمواقف العظام ـ أن الاهتمام باللون والنخبة في المجتمع هو تجسيد لكل الطاقات والإمكانات المادية والروحية والفكرية التي يمثلها الشعب. وإن مديح بلخير لتلك الطبقة أو الصفوة الممتازة هو استقطاب كل مشتت في ضمير الشعب وصهره في بوتقة الفرد الذي هو رمز لكل طاقات الجماعة . . لأن الفرد المثال هو خلاصة روح الأمة في حضارتها وأمجادها وتراثها وفكرها» ص ٤٧ . وأمة لا تنبت قادة وصفوة هي أرض مجدبة وقاحلة.

وإذا كان الباحث الرداوي قد اتبع المنهج المتكامل في دراسته فإننا نراه من حين لآخر، وكلما استدعته المناسبة أو استدرجه المقام، يميل إلى منهج الأدب المقارن، وماله من صلة في تراثنا النقدي وما أطلق عليه بـ «الموازنة». فإن كان أمام إحدى النكبات، كما في قصيدته (فاجعة الترايستار بمطار الرياض)، فالمناسبة الحزينة التي يحقق فيها الشاعر بلخير مزاوجة بين اللفظ والمعنى، واختياره لكثير من الألفاظ التي تحقق له القوة مما كان يريدها في مثل تلك المواقف حيال الموت الفردي لقائد الطائرة والجماعي. كل ذلك يجعل الشاعر يقارن المشهد بشبيه له في شعرنا العربي، أو ربما بذكره به . . فيقول : : «وإنه بتلك المزاوجة الأصيلة ـ في إبراز بطله وهو يجابه الموت وكأنه في معركة ـ ليذكرنا بشاعرين من فحول الشعر العربي، هما : أبو تمام والبحتري، في رثاء بطليهما. فقد أبرز أبو تمام بطله (ابن حميد الطوسي) بأعلى مراتب القوة والصمود والبطولة، حين صرع في الحرب . . وكذلك البحتري، حين وصف لنا مأساة مقتل المتوكل أو مؤامرة مصرعه، بغاية القوة والتأثير، من خلال تلك المزاوجة بين اللفظ القوى الجزل، والعاطفة الحزينة الثائرة» ص ٨٧ .

وكذلك وهو حيال نكبة اليمن في زلزال «ذمار»، حين أحس الباحث ـ ونحن نقرأ هذا الوصف الحزين ـ أننا لا نقرأ رثاءً تقليديًا، وإنما نقرأ واقعًا ذاتيًا وإنسانيًا، وكأن ثمة نكبة في ذاته، في بيته، في أهله . . ولكن ليس من منظور أو انطباع باهت ضعيف فُقِد فيه الوعي والإرادة، والاتزان، بل من موقف الرجولة والأصالة العربية. لذلك يقول باحثنا : «وأنه ليذكرنا بموقف الفارس الشاعر الأمير أسامة بن منقذ الذي فُجع ـ وهو غائب ـ بزلزال ارتجفت له مدينته (شيزر) قرب حماة، وقد قضى على أكثر بني قومه، فقال فيهم شعرًا خالدًا أصيلاً».

على أن منهج الأدب المقارن يستجلي لباحثنا الرداوي بوضوح في دراسته للملحمة عبد الله بلخير السينية (ملحمة غرناطة الأندلسية) وهو يقارنها برفيقي السينية (البحتري وشوقي) ومن ثم بنونية، (الخاقاني الشيرواني الفارسي) وهو يقف أمام (إيوان كسرى).

وإذا كانت ظاهرة الإعجاب هي السائدة في آراء وانطباعات مؤلف كتاب عبد الله بلخير، فإنه لا تفوته الرؤية المحايدة والنقد الموضوعي البناء في دراسته وتحليله، إذ نجد الكثير مثل هذا القول :

من المكتبة السعودية

«على أننا كنا نتمنى من خيال شاعرنا أن ينطلق في أبعاد أوسع، وهو يتعامل مع الحقائق النبوية. ولا نقصد أن يلجأ إلى الوهم، أو يخترع شيئًا من اللاشيء، وإنما على ضوء الحقائق ينسج واقعًا جديدًا مثيرًا، يستمد صوره ومعالمه ونتائجه من الأشياء الموجودة، ويؤلف بينها تأليفًا فنيًا رائعًا يهز الوجدان ويبهره» ص ١٠٦.



● الكتاب: تقييم مساهمات المرأة السعودية في سوق العمل

● المؤلف: عائشة أحمد الحسيني.

● الناشر: مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٠٣ ص.

رغم تزايد البحوث والكتابات عن المرأة العربية عامة والسعودية خاصة، وعن دورهما في ازدهار المجتمع وتقدمه من خلال المشاركة مع الرجل في بناء كيان الدولة، فإن قضية هذا الدور لما تنته بعد، ولا سيما أنه لم يحسم مفهوم وظيفة المرأة في هذه الحياة. فثمة اتجاهان: أحدهما يدعو إلى إتاحة فرص العمل للمرأة في كل المجالات التي تقوى على أدائها. والآخر يدعو - بتحفظ - إلى عملها في مجال ضيق من العمل، مما يتناسب مع شخصيتها الاجتماعية والدينية والعضوية (الفيزيولوجية)، حيث إن مجال البيت وشؤونه هو مجالها الواسع والأول.

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الوصفي التحليل. فبالنسبة لدراستها النظرية أخذت بتقديم الأسس والمبادئ العلمية كسند يهتدي به عند القيام بجمع وعرض البيانات والإحصاءات الدقيقة عن الظروف القائمة - والمتعلقة بمشكلة المرأة وتعليمها ومساهمتها في خطط التنمية، كما أخذت في الاعتبار استنباط العلاقات بين الظواهر المختلفة وتفسير معنى البيانات. كما استخدمت في دراستها الميدانية جمع البيانات اللازمة للحصول على إجابات على تساؤلات بحثها، وذلك باستخدام استمارة استبيان صممتها الباحثة ووجهتها إلى مجتمع الدراسة في الرجال والنساء في المستويات القيادية والإشرافية في مجالات العمل المختلفة والتي تعمل بها المرأة السعودية وذلك في منطقة (جدة) ولم تنس الباحثة منذ بداية بحثها أن تحدد مفهوم أو تعريف بعض مصطلحات البحث مثل:

(سوق العمل) وتقصد به: «العمل في القطاع العام الذي يستوعب الخريجات المؤهلات» و(البطالة) وتعني بها: «وجود بعض الخريجات المؤهلات بدون عمل لسبب أو لآخر، إما لقلة مجالات العمل أو للاكتفاء من تخصصات معينة في الوظائف المتوافرة، وقلة أو ندرة في تخصصات أخرى الدولة في حاجة إليها».

ويبدو أن موضوع المرأة وعملها أو دورها في عملية التخطيط والبناء الاجتماعي والاقتصادي كان يستأثر باهتمام الباحثات أكثر من الباحثين. ولهذا وجدنا باحثتنا تقدم صورة لبعض الأعمال الأكاديمية من الباحثات العربيات في منطقة الخليج وغيره من الوطن العربي، تلخص فيه مجهوداتهن وفحوى الموضوعات والأفكار والرؤى التي انتهين إليها، أمثال كل من: سعاد الصباح ودراستها ذات العنوان: «المرأة العاملة في الخليج» - كاميليا إبراهيم عبد الفتاح ودراستها عن «خروج المرأة إلى ميدان العمل في الجمهورية العربية المتحدة: دوافعه ونتائجه»، عائشة الحسيني ودراستها المعنونة بـ «التخطيط للاحتياجات من الكفايات الإدارية النسائية في المملكة العربية السعودية»، بهنام فضيل عفاص ودراستها عن «المرأة ومجالات العمل الأفضل لها». هذا فضلاً عن دراسة أمانة الدراسات والبحوث للاتحاد العام لنساء العراق بعنوان: «العوامل المؤثرة على دخول المرأة إلى سوق العمل في منطقة الخليج العربي»، ودراسة الإدارة العامة للتخطيط والقوى العاملة، الديوان العام للخدمة المدنية بالمملكة العربية السعودية، بعنوان: «دراسة عن الوظائف التي توجد حاجة ملحة لشغلها والتي يمكن للمرأة المشاركة بالعمل فيها دون الإضرار بالخلق الإسلامي والعادات العربية».

كما أن الباحثة لم تغفل عن عطاء المفكرين العرب والغربيين في مجال بحثها.

وإن النتائج التي توصلت إليها الباحثة كثيرة ومفيدة في حقل التنمية، منها:

* إن معدل مشاركة المرأة السعودية في سوق العمل لا يكاد يتعدى ٥٪ من إجمالي حجم القوى العاملة.

* إن ضعف مشاركة المرأة السعودية في سوق العمل يرجع إلى قلة مجالات العمل المتاحة لها، ومحدودية التخصصات التي تقبل عليها المرأة السعودية إضافة إلى بعض التقاليد والمفاهيم الاجتماعية نحو بعض المهن.

* لقد تم توظيف ما يعادل ٦٦,٤٪ من إجمالي الخريجات خلال الخطة الخمسية الثالثة، علما بأنه قد تم تعيين جميع الخريجات المتخصصات في المجالات العلمية والتقنية، وتم توظيف ٦٣,٧٪ من الخريجات في التخصصات الأخرى.

* إن من أهم الوسائل الكفيلة بحل مشكلة البطالة بين الخريجات توعية الطالبات بأهمية التخصصات الضرورية.

* ضرورة التوسع في الاستفادة من العنصر النسائي.

* محاولة التوسع في التعليم الفني والتقني، لحاجة المملكة الماسّة لهذا النوع التعليمي، وبخاصة النسائي.

* إحداث تغيير هادف في سياسة تعليم المرأة ونظمه ووسائل التدريب

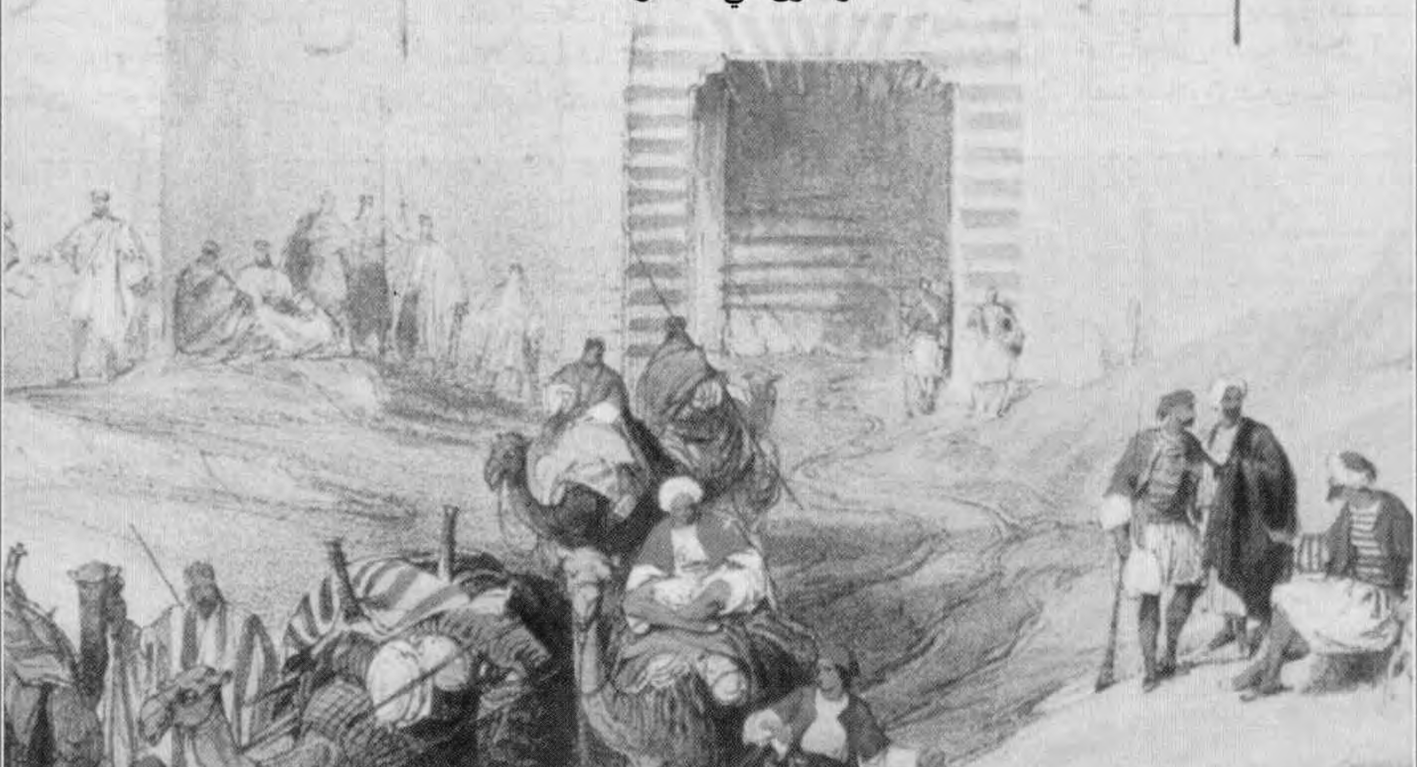
* توافر دور الحضانة للأطفال بجميع المؤسسات التي تعمل بها النساء.

بوابات القدس

روايات من التاريخ

محمد هاشم غوشة و حسين حسن حسين

القدس، الزهرة التي تعبق أريجًا برائحة الزمان الخالد، قصيدة العشق التي يغنيها عصفور دوري من خلف القضبان. المدينة الشامخة بأسوارها وبواباتها وقبابها ومساجدها، كم من مرة صمدت في وجه الغزاة الطامعين، ولعل عارف العارف - رحمه الله - كان قد عبر عن صمودها حين قال: « وإنه لتاريخ مجيد تاريخها، ذلك لأنها صمدت لنوائب الزمـان بجميع ألوانها، حتى إنه لم يبق فاتح من الفاتحين أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتأخرين الذين صالـوا في هذا الجزء من الشرق، إلاّ ونازلته، فإمّا أن يكون قد صرعها، أو تكون هي قد صرعته».



في الألف الثاني قبل الميلاد قام اليبوسيون أجدادنا العرب بتحصين مدينتهم يبوس (القدس)، وقد علّم اليبوسيون من جاء بعدهم كيفية تحصين مدينتهم تحصينًا متينًا.

وينحدر اليبوسيون من الكنعانيين العرب الذين نزحوا من شبه جزيرة العرب في الألف الثالث قبل الميلاد ليسكنوا بلاد الشام.

وقد هُدمت القدس سبع عشرة مرة في التاريخ، ثم أعيد بناؤها في كل مرة، ولذلك اختلفت بواباتها التي فُتحت في الأسوار من حيث العدد والحجم والأسماء.

ففي عام ٤٤٠م زار القدس الرحالة أركولف وكان مما قال: «بسور القدس ست بوابات هي بوابة النبي داود، وبوابة القصّار، وبوابة القديس ستيفن، وبوابة بنيامين، وبوابة صغيرة تؤدي إلى وادي يوسف، والأخيرة هي بوابة تكيوتس التي تقع إلى الجنوب من السور».

وفي عام ٨٩٥م عدّد المقدسي البشاري بوابات القدس قائلاً: «ولها ثمانية أبواب حديد، باب صهيون، باب التيه، باب البلاط، باب جب أرميا، باب سلوان، باب أريحا، باب العمود، باب محراب داود عليه السلام»، وقد كررّ ياقوت الحموي في معجمه ما ذكره المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم بمعرفة الأقاليم».

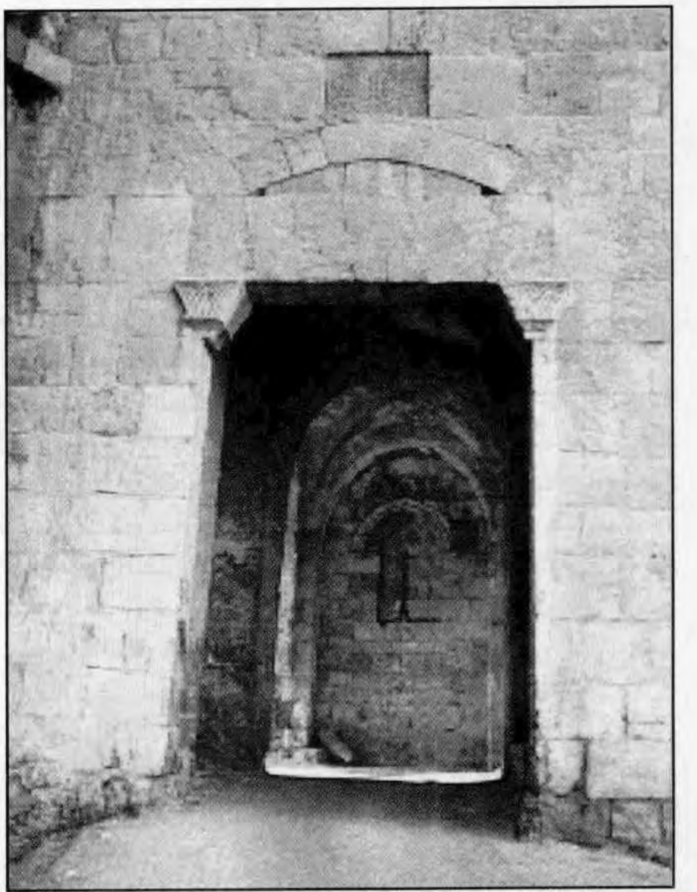
وفي عام ٥٦١هـ وصف الرحالة بنيامين بوابات القدس قائلاً: «وللقدس أربعة أبواب: باب داود، باب إبراهيم، باب صهيون، باب يوشفاط».

أمّا عبد الغني النابلسي، فقد سجّل في رحلته للقدس المعروفة بـ «الحضرة الأنسية بالرحلة القدسية» أبواب القدس عام ١٧٠١م قائلاً: «لمدينة القدس عشرة أبواب، باب العمود من الشمال، وباب الداعية، وباب يسمى باب السرب، وباب الساهرة، ومن جهة القبلة باب حارة المغاربة، وباب داود، ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الأرمن، وباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحمة، ومن جهة الشرق باب الأسباط، وباب يعرف بباب الرحبة الواسعة والحضرة النورانية الشاسعة».

أما مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي فقد زار القدس عام ١٧٣١م، ووصف أبوابها في كتابه المخطوط «موانح الأنس برحلتي لوادي القدس» قائلاً: «وللمدينة سور محكم البنيان، بديع الشكل في الصناعة والإتقان، له ستة



باب الأسباط



باب النبي داود



خارطة مدينة القدس القديمة موضح فيها الأسوار ومواقع الأبواب

أبواب منيعة غريبة في الوضع بديعة، وهي: باب الأسباط، باب الساهرة، باب العمود، باب الخليل، باب النبي داود، باب المغاربة».

وسرد أبياتًا من الشعر في وصف بوابات القدس جاء فيها:

أسباط ساهرة عامود ثالثها
باب الخليل وداود مغاربة

وكذلك فعل الرحالة المغربي أبو القاسم الزياني الذي زار القدس ووصف بواباتها بنفس وصف اللقيمي الدمياطي.

وفي الخلافة العباسية منح الخليفة العباسي هارون الرشيد مفاتيح القدس إلى «شارلمان» الإمبراطور تقديرًا له !

اهتمام السلاطين بترميمها

وقد اهتم المسلمون بترميم هذه البوابات، فنجد السلطان صلاح الدين الأيوبي يحمل الحجارة بنفسه لترميم بوابات القدس وأسواره، في حين رمّم السلطان سليمان القانوني أبواب القدس كافة، وقد نُقش في بلاطات وضعت فوق هذه البوابات تاريخ الإعمار وهو ٩٤٤هـ - ١٥٣٧م.

لقد كانت هذه البوابات تُغلق في أيّام الجمع ساعتين، ابتداءً من الساعة الواحدة وحتى الثالثة أو من بعد الثانية عشرة وحتى الثانية ظهرًا، وذلك حتى لا يستولي عليها الصليبيون أثناء الصلاة .

وقد كان لهذه البوابات حرّاس من الجنود النظاميين



الممر المؤدي إلى باب الحديد



باب المغاربة

يتناوبون الحراسة كل ساعة، وكانوا يستخدمون الساعة الرملية في التوقيت.

وقبل عام ١٨٥٨م - أي قبل البناء والإعمار خارج الأسوار- كانت هذه البوابات تُغلق عند غروب الشمس، ومن كان يتأخر ليلاً يبيت ليلته خارج السور معرضًا نفسه لمخاطر اللصوص والحيوانات المفترسة.

هذا وقد استمرت بوابات القدس مفتوحة حتى اندلاع الحرب بين العرب واليهود عام ١٩٤٨م، وكان لكل باب قصة في الفتح والإغلاق كما كان له أيضًا شأن في الماضي المملوء بالأحداث التي مرت بالقدس الشامخة.

البوابات الحالية

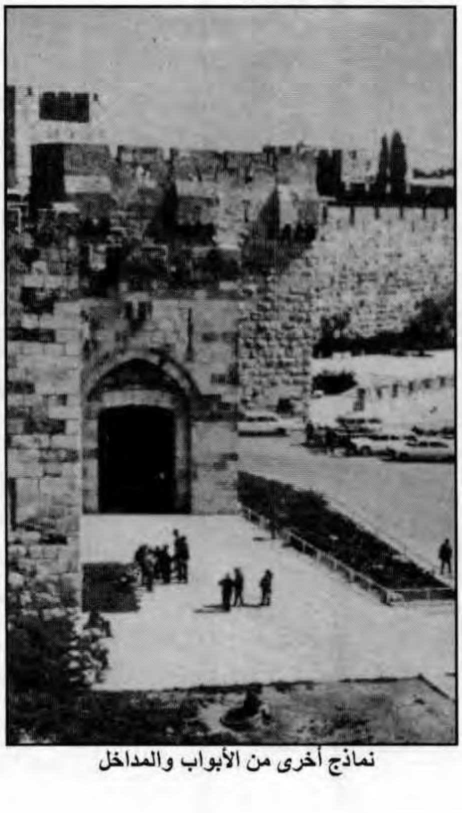
باب العمود :

وسمي بهذا الاسم بسبب وجود صفين من الأعمدة التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، وكذلك بسبب وجود عمود داخل الباب من مدينة إيلياء كابيتوليتا التي أسسها الإمبراطور هادريانوس (١٣٣-١٣٧م) على أنقاض المدينة التي دمرها الإمبراطور تيتوس. ويُسمى كذلك باب دمشق أو باب الشام، وذلك لأن القوافل كانت تخرج منه إلى الشام. وكذلك سُمي باب النصر لأن الفاتحين كانوا يدخلون منه إلى المدينة.

وقد تمت إعادة بنائه في سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧-١٥٣٨م في العصر العثماني على عهد السلطان سليمان القانوني.

ويتكون هذا الباب من مدخل، وعقد يقوم فوق برج حجري صغير محمول على (كابلين) حجريين، ويوجد نقش تذكاري بين العقد والمدخل موضح عليه اسم







نماذج أخرى من الأبواب والمداخل

السلطان وألقابه وسنة تجديد الباب، ويغطي فتحة المدخل مصراعان من الخشب المصفح بالنحاس.

ويشير بناء هذا الباب إلى أثر العمارة العسكرية في تصميمه.

باب الساهرة:

ذكره المقدسي باسم باب جب أرميا، ويسميه الغربيون باب هيرودوس، وباب مدلين.

أعاد السلطان سليمان القانوني بناء هذا الباب في سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧- ١٥٣٨م، وهو يتكون من مدخل وعقد مدبب، وبينهما نقش حجري كُتب عليه اسم السلطان وألقابه وتاريخ تجديد الباب.

وفتحة المدخل مغطاة بمصراعين من الخشب المصفح بالنحاس، ويؤدي المدخل إلى دركاة فيها غرفة صغيرة، ويغطيها قبو مروحي، وتؤدي الدركاة بدورها إلى ممر ينعطف إلى جهة اليسار.

باب الأسباط:

ويعرف هذا الباب باسم باب ستي مريم أيضًا، أو باب القديس استيفانوس، وهناك رواية قديمة تقول بأن اليهود قتلوا القديس استيفانوس وألقوا بجثته في وادي مريم الذي يقابل سور القدس الشرقي.

يقع هذا الباب في الحائط الشرقي للمدينة، وقد تم ترميمه وإصلاحه مرات عديدة، آخرها في عهد السلطان سليمان القانوني في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨- ١٥٣٩.

ويتكون هذا الباب من مدخل عالٍ كبير، وعقد حجري مدبب، بينهما نقش تذكاري باللغة العربية، يبين اسم السلطان وتاريخ الترميم، كما أن هناك نقشًا آخر باللغة التركية، يبين اسم السلطان وتاريخ الترميم واسم مشرف البناء وهو الحاج حسن آغا.

وفتحة المدخل مغطاة بمصراعين من الخشب المصفح بالبرونز، ويقوم فوق العقد برج حجري صغير على أربعة (كوابل) حجرية، وله سقاطة لصب الزيت المغلي على الأعداء ومزغل لرمي السهام، ويشير طراز بناء الباب إلى أثر العمارة الإسلامية الحربية التي كانت في العصور الوسطى والعصر العثماني.

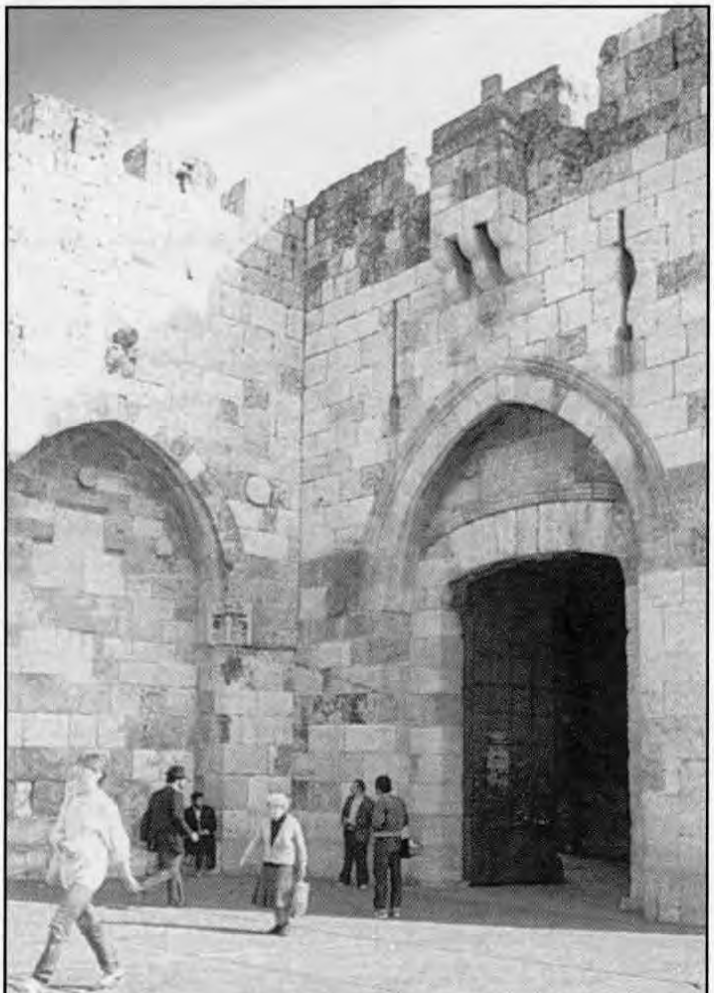
باب الخليل:

ذكره المقدسي باسم «باب محراب داود»، ويسميه الأوربيون باب يافا، إذ إنه يؤدي إلى يافا من مخرج القدس القديمة الغربي، وهو الباب الوحيد في الجانب الغربي من سور القدس.

وفي الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨م فشلت قوات الصهاينة في اقتحام المدينة من هذا الباب والوصول إلى حي اليهود الذي يقع في البلدة القديمة، وظل هذا الباب والثغرة المجاورة له



باب الساهرة ويبدو جزء من السور



باب الخليل



الباب الجديد مع جزء من السور

مغلقين حتى عدوان يونيو ١٩٦٧م.

وقد تم تجديده في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨-١٥٣٩م.

ويتكون هذا الباب من مدخل، وعقد حجري كبير مدبب، وبينهما نقش تذكاري موضح عليه اسم السلطان وألقابه وعام البناء. وفتحة المدخل مغطاة بمصراعين كبيرين من الخشب المصفح بالنحاس، وهناك ممر مؤدٍ إلى داخل القدس.

باب النبي داود :

يعرفه الأوربيون بباب صهيون، ويُسمى باب حارة اليهود، وقد جدده السلطان سليمان القانوني في العصر العثماني في سنة ٩٤٧هـ/١٥٤٠-١٥٤١م. يتكون هذا الباب من مدخل كبير وعقد حجري مدبب، وفوقه برج حجري صغير محمول على (كابلين) حجريين، والنقش التذكاري الذي بين المدخل والعقد يحمل اسم السلطان وألقابه وسنة البناء.

وتبدو آثار العمارة العسكرية واضحة في هذا الباب، من حيث الضخامة والارتفاع، والبرج الحجري الذي كان يستعمل للمراقبة، ورمي السهام وصب الزيت المغلي على المهاجمين.

باب المغاربة :

سُمي بباب المغاربة لمجاورته حي المغاربة، وعُرف بباب سلوان لأنه يصل بين داخل المدينة وبين سلوان، ويسميه الأوربيون باب المغارة أو باب القمامة.

يعد هذا الباب أصغر أبواب سور القدس، وهو متوسط في الضخامة والحجم، بسيط في تكوينه المعماري.

أجْلت سلطات الاحتلال الإسرائيلي ألف مواطن من هذا الحي بحجة عدم صلاحيته للسكنى، ولاعتقادهم بوجود بقايا هيكل سليمان فيه قاموا بحفريات فندت دعاواهم، إذ إن الآثار التي وجدت كانت آثاراً رومانية وبيزنطية وإسلامية فقط.

ويتكون الباب من مدخل مستطيل الشكل، وتقوم عتبتان حجريتان بأعلاه، وفوق العتبة الأولى (خارج السور) عقد مقصوص، وترتكز أرجله على حجرين مربعين فوق العتبة، وبين العتبة والعقد المقصوص نقش تذكاري، يبين اسم الباني وألقابه وسنة البناء.

أما العتبة العليا (داخل السور) فهي تماثل الأولى في الطول والحجم، ويقوم فوقها ممر السور العلوي.

الباب الجديد :

ويُسمى باب عبد الحميد، لأن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني هو الذي قام بافتتاحه سنة ١٨٩٨م، وقد توافق افتتاحه مع زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثانية لمدينة القدس.

ويقع هذا الباب على مسافة كيلو متر تقريبا غربي باب العمود، وهو كما يتضح من تاريخ افتتاحه يعد أحدث أبواب القدس عمراً.

أبواب مغلقة

بالإضافة إلى هذه الأبواب توجد أبواب مغلقة في الأسوار، كبابي الرحمة والتوبة، والباب الثلاثي والباب المزدوج والباب المنفرد وباب الجنائز، وغيرها.

المراجع

(١) «الحضرة الأنسية بالرحلة القدسية» . عبد الغني النابلسي. ط ١، ١٩٠٢م، جريدة الإخلاص، القاهرة.
(٢) «موانح الأنس برحلتي لوادي القدس». مصطفى أسعد اللقيمي (مخطوط) ١٧٣١م.
(٣) «الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً» أبو القاسم الزياني، تحقيق عبد الكريم الفيلالي .المحمدية، المغرب ١٩٦٧م.
(٤) «معجم البلدان» ياقوت الحموي. ج ٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م.
(٥) «أحسن التقاسيم بمعرفة الأقاليم»، المقدسي البشاري، تحقيق دي خويه بريل. ليدن ١٩٠٦م.
(٦) عارف العارف «المفصّل في تاريخ القدس»، القدس ١٩٦١.
(٧) «كتابات أركولف كمصدر لبلاد الشام»، محمود عمران (بحث).
(٨) «القدس الشامخة عبر التاريخ»، محمد هاشم غوشة، الكويت ١٩٨٩م.
(٩) كنوز القدس، رائف نجم وآخرون. ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
(١٠) «بوابات القدس»، محمد هاشم غوشة. عمان ١٩٩٢م.
(11) "Biblical Researches in Palestine". Edward Robinson and Eli Smith.
(12)"The Gates of Jerusalem". Solomon H.
(13) "Jerusalem The City in Eyes". F.E. Peters.
(14) "Jerusalem Revealed". Yigael Yadin.

يا نظرة الحب عفواً

شعر : يس قطب الفيل

يا نظرة.. وارتمت سهماً على بدني ... مدي يديك.. ورديني إلى زمني

وأسلميني لمن كانت تهدهدني ... بنظرة تبعث الموتى من الكَفَنِ

لهفي عليها، وهذا الليل يحملها ... إلى شواطىء تكبو دونها سُفُني

راحت وما خلَّفت لي غير أمنية ... تحنو عليَّ إذا ما التف بي شَجَني

ونحن كنا إذا ما الريح مال بنا ... ومال بالطير عن عش هناك هنى

نكاد نحرق دنيانا بما حملت ... من الأسى، وبما ألقت من العفن

واليوم بتنا كأنا لم نكن نغماً ... مولهاً، وكأن الحب لم يكن

ماذا أصاب هوانا ؟ كل من عشقوا ... عادوا على زورق الأشواق للسكنِ

ونحن لمَّا نزل.. والتيه مهبطنا ... لم ندر كيف يعود الطيرُ للوطنِ

يا نظرة أيقظت ما كنت أحسبه ... في القلب مات، وضلّت قبره محني

مدي يديك ، أعيديني لها نغماً ... فالحب في مهجتينا ـ بعدُ ـ لم يهن

ما خنتُ يوماً، وما خانت، ولا نقضت ... عهد المحبة، حتى الحب، لم يخن

مازال درب الهوى يحنو على بدني ... واللحن يخطرُ بين القلب والأذنِ

أكاد أسمعه في كلِّ مقبلة ... على الحياة نشيداً، ليس يخطئني

ولست أنكر أني حين أبصرها ... في غيرها، نظرة بالحب تسكرني

أكاد أسقط ، لكني .. وفي جلدي ... أجتاز كبوة إحساس يشطَرني

.. يا نظرة الحب عفواً.. إن كبا نغمي ... أو استرحت بظل الهدب من وهني

مازلت أبحث عنها، من يعود بها ... إليّ.. أعطيه ما أبقيتُ من زمني

متحف قصر المنيل

قصر الأمير محمد علي توفيق



إعداد: قسم التحقيقات

في جزيرة « الروضة » بالمنيل ، يقع قصر الأمير « محمد علي توفيق » الذي يعد واحداً من القصور القليلة المتميزة بطرازها الشرقي الصميم ، فقد نجح صاحب القصر في أن يجمع بين طرز الفنون الإسلامية من الفاطمي حتى العثماني مروراً بالمملوكي، وقد تمثل هذا في الزخارف والحليات المعمارية .

ولأن صاحب القصر كان فناناً بطبيعته ، قام بجمع مجموعات متميزة من السجاد والمخطوطات والتحف سواء عن طريق الشراء أو المزادات. تبلغ مساحة القصر الإجمالية ١٤ فداناً، خُصصت منها أربعة أفدنة للحديقة وحدها وهي تضم أنواعاً نادرة من أشجار البلاد الحارة والباردة على حد سواء، ويوجد فيها ٧٠ نوعاً من الصبار ويقال ٥٥نوعاً.

صاحب القصر

هو الأمير «محمد علي توفيق » ابن الخديوي توفيق ، وشقيق عباس حلمي الثاني، وابن عم الملك فاروق. كان وصيًا على العرش عام ١٩٣٦م بعد وفاة الملك فؤاد حتى تولى الملك فاروق العرش، وظل وصيًا على العرش حتى أنجب الملك فاروق ابنه أحمد فؤاد.

وُلد عام ١٨٧٥م وتوفي عام ١٩٥٤م عن ٧٩ سنة وترك وصية وعمره ٥٠ سنة، لكي يحوِّل القصر إلى متحف بعد وفاته، وخاصة أنه لم ينجب، وما زالت معظم معروضات المتحف الخاص- تضمها ١٥ قاعة- والتي نظمها الأمير بنفسه باقية كما هي حتى الآن. كان الأمير محبًا للرحلات، وبعد وفاته عُثر على جواز سفر له باسم «رستم باشا»، ويبدو أنه كان يخرج في رحلاته متنكرًا، منتحلاً شخصية عادية لكي يستمتع بأسفاره بعيدًا عن الرسميات، وقام بأكثر من رحلة حول العالم وألَّف كتابًا عن أسفاره.

كما كان الأمير من هواة تربية الخيول، وتنتشر صورها بكثرة في القصر، وبسببها سقط من على ظهر أحدها وعمره ١٨سنة مما أثر على قدرته على الإنجاب فيما بعد، ورغم هذا ظل على هيامة وعشق لها. كما كان فنانًا وأحد منشئي كلية الفنون الجميلة، وترك لوحات كثيرة برسم يده تحمل مناظر للخيول والزهور.

ومعظم مباني القصر جاءت على الطراز التركي ما عدا السور الخارجي الذي صُمم على طراز حصون القرون الوسطى، كذلك البرج الموجود بجوار المسجد أقيم على النمط الشائع لدى دولة الموحدين في المغرب، وأضيفت له ساعة كبيرة تنتشر بها الآيات القرآنية والحليات الحجرية. والقصر كله مبني من أحجار جبل المقطم.

يتكون القصر من خمس سرايا:

- سراي الاستقبال.
- سراي الإقامة.
- سراي العرش.
- المسجد.
- المتحف الخاص.
- القاعة الذهبية.

بالإضافة إلى متحف للصيد وهو دخيل على القصر ، أضيف له بعد وفاة الأمير محمد علي توفيق بفترة طويلة.

سراي الاستقبال

كانت تُستخدم للاستقبالات الرسمية واستقبال كبار الزوار، وتتكون من طابقين، الأول مكوَّن من غرفة خارجية تنتشر بها المقاعد تتوسطها مائدة يضيؤها شمعدان يحيط به من الجانبين فانوسان مضيئان أيضًا، وفي أقصى الحجرة خزانة مرايا ضخمة عليها سجلان للتشريفات يسجل فيهما الزائر للقصر اسمه.

أما الغرفة الداخلية فهي مخصصة للمقربين من صاحب



واجهة المتحف ومدخله

القصر، وتنتشر في الغرفتين معًا صور للخيل، وللغرفة الداخلية باب يفتح على المسجد.

يدلف زائر القصر إلى الطابق العلوي من سراي الاستقبال عن طريق درج خشبي يغطيه بساط من السجاد الإيراني، وفي منتصف المسافة يوجد مقعدان من خشب الأبنوس الأسود المطعم بالصدف، نقلهما الأمير من القلعة إلى قصره، يتوسطهما نموذج لجامع « قايتباي » من الصدف الأصلي من إنتاج المدرسة الإلهامية، وهي المدرسة التي أنشأتها والدته «أمينة هانم » لتخريج الصناع المهرة ، وأطلقت عليها اسم «المدرسة الإلهامية» نسبة إلى والدها « إلهامي باشا » قائد الجيش المصري.

أما الطابق العلوي فيشمل قاعتي استقبال، إحداهما على الطراز المغربي في كل شيء، سواء السقف أو المقاعد أو الطاولات أو المرايا، وتنتشر بها نوافذ من الزجاج الملون والجص على النظام الإسلامي، وتتدلى من السقف مشكاوات من النحاس تضاء بالكهرباء بدلاً من الشموع، ويغطي الأرض سجاد إيراني والجدران بالقاشاني والمرايا، وفي صدر الغرفة باب يؤدي إلى غرفة الخدم وهي على الطراز المغربي أيضًا وكان يقدم منها الشاي والقهوة للضيوف، وأمامها مبخرة ضخمة من النحاس كان الخدم يتناوبون على وضع الأنواع المختلفة من البخور احتفاءً بالضيوف .

أما القاعة الأخرى- على يمين الصاعد من الدرج- فهي على الطراز الدمشقي، والجزء العلوي منها مُغطى بألواح من الخشب المبطن بالجلد المرسوم عليه ورود داكنة وهي منتزعة من قصر قديم في دمشق يُسمى «قصر العظم»، عمر هذه الأخشاب حوالى ٣٢٨ سنة، وبعضها يغطي الحائط على شكل خزانات لها مصراعان ولكنها لا تفتح فهي مركبة على حائط.

تنتشر على هذه الأخشاب التي تغطي الجدران بدورها أبيات من قصيدة نهج البردة للبوصيري في مدح الرسول الكريم وآيات قرآنية مثل «وزيناها للناظرين» و«ادخلوها بسلام آمنين»، والجزء الأسفل من القاعة يغطيه الفسيسفاء.

تنتشر المقاعد باتساع الحجرة كلها وتنتشر أمامها طاولات من الخشب المطعم بالنحاس ، كل طاولة أمامها حكمة تقول «سلامة الإنسان في حفظ اللسان» .

وفي مواجهة الداخل إلى الحجرة نافذة مرسوم عليها الشمس بأشعتها رمز الدولة العثمانية، وفي مواجهة النافذة وبالتحديد في الطرف الآخر من الحجرة نفسها نموذج لمدفأة -لا تعمل- يغطيها القاشاني الملون.

ويتدلى من السقف مشكاة من

العصر العباسي كانت موجودة بالقلعة ونقلت إلى القصر. بجوار هذه القاعة توجد حجرة استقبال صغيرة خاصة بالحريم على النظام الدمشقي كسابقتها تنتشر بها الموائد ولكنها تتميز من الحجرات السابقة بوجود عدد كبير من المرايا، وتطل هذه الحجرة على الحديقة بواسطة



زخارف نباتية وهندسية تزين غرف المتحف ـ القصر وقاعاته

مشربية بديعة الصنع.

ولسرايا الاستقبال باب ضخم من خشب الزان الثقيل يحمل منحوتة دائرية لأشكال نباتات من النحاس ممتدة بعرض الباب، وحتى المسامير المثبتة في الباب تحمل أشعاراً وحكماً.

المسجد

أنشىء المسجد الملحق بالقصر عام ١٩٣٣م، وهو طراز عثماني فريد من نوعه له إيوانان شرقي وغربي، سقف الإيوان الشرقي به زخارف على شكل قباب صغيرة من الزجاج الملون الذي يعكس الضوء مكتوب عليه بعض أسماء الله الحسنى بالخط التركي والثلث والديواني. وسقف الإيوان الغربي ينتشر به قرص الشمس رمز الإمبراطورية العثمانية، ويتوسط الإيوانين معاً مقعد خاص بقارىء القرآن الكريم يغطي نقوشه ماء الذهب، وتنتشر على جدران الإيوانين معاً خمس لوحات من البلاط القاشاني بعضها يحمل أسماء الله الحسنى.

وفي أعلى جدران المسجد توجد نوافذ من الجص والزجاج الملون تحمل كل نافذة لوحة للأزهار مختلفة عن الأخرى. وللمسجد باب يفتح للعامة يوم الجمعة من كل أسبوع لأداء الصلاة، وحتى سجاد المسجد كان يحمل خطين غير مستقيمين يشيران إلى اتجاه القبلة . وكان يؤم الناس في صلاة الجمعة وقتها الشيخ محمود شلتوت مقرىء القرآن المصري الشهير ، وأمام المسجد من داخل القصر تنتشر أشجار البامبو وأشجار البلاد الحارة .

سراي الإقامة

كان الأمير محمد علي توفيق يقيم بها حتى عام ١٩٥٢م، ولم يستغرق بناؤها سوى عام في حين أن بناء القصر كله استغرق ٢٨عاماً من سنة ١٩٠١م إلى سنة ١٩٢٩م. وفي سرايا الإقامة التقى الأمير صاحب القصر بكل من تشرشل وروزفلت إبان الحرب العالمية الثانية، وقد أنشئت سراي الإقامة على منوال قصور السلاطين العثمانيين في إسطنبول. وبجوار الباب الخارجي توجد لوحة مكتوبة بالخط الكوفي تقول:«أنشأ هذا القصر دولتو البرنس محمد علي باشا سنة ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٢م».

ويتكون السراي من طابقين، الأول يبدأ ببهو واسع من الألباستر تتناثر فيه مقاعد خشبية عتيقة من الأبنوس الأسود، ويبدو أنها كانت مخصصة للحرس تتوسطها نافورة من الرخام الشفاف تشبه الموجودة في قصر الحمراء بالأندلس، وتتناثر بالبهو -باهو بالتركية- أشياء عتيقة منها ساعة ضخمة يقارب ارتفاعها المتر ونصف وترجع إلى القرن الثامن عشر وتقويم يحمل منظراً لجامع من الصدف، وما زالت أوراق التقويم تحمل تاريخ سبتمبر ١٩٥٢م وهو التاريخ الذي رحل الأمير فيه عن مصر.

وبالقرب من مدخل البهو وبالتحديد على يساره يوجد إطار زجاجي بداخله جزء من كسوة الكعبة المكرمة، وبجوار النافذة توجد مدفأة حديثة تعمل بالكهرباء لها كسوة من النحاس المشبك على الطراز العربي حتى لا يتعارض مع الجو الشرقي السائد في القصر.

غرف الطابق الأول

كذلك توجد بالبهو خزانة نحاسية ضخمة لحفظ الأشياء، وعبر البهو ندلف إلى باقي غرف الطابق الأول من سراي الإقامة وأبرزها:

بهوالمرايا: وهذا هو الاسم الذي أطلقه الأمير على الغرفة بسبب وجود مرآتين كبيرتي الحجم، وتتناثر على الحائط صور للسلاطين العثمانيين جميعهم بداية من السلطان عثمان أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وفي زاوية الغرفة تمثال للخديوي توفيق وبها كذلك ثلاثة نماذج لكراسي العرش تتناثر بجوار المقاعد العادية، وكانت هذه الحجرة مخصصة للحفلات الخاصة وأعياد الميلاد.

ويطل على هذه الغرفة طابق ثان مخصص للحريم ليشاهدوا الحفلات التي تقام في الطابق السفلي دون أن يراهم الرجال.

الصالون الأزرق: سُمي كذلك بسبب جدرانه التي يغطيها القاشاني الأزرق اللون، والسقف تزيّنه رسوم مغطاة بماء الذهب. وهذا الصالون من الجلد ذي اللون البني ، ولعله الشيء الوحيد في القصر الذي يناقض الجو الشرقي المخيم على كل شيء.

وتنتشر على الحائط لوحات تذكارية لكنيسة آيا صوفيا التي تحولّت إلى مسجد ثم متحف، ولوحة كذلك للسيدة ألمظ المطربة المصرية المشهورة حينذاك . كذلك توجد بالغرفة خزانتان صغيرتان بهما أوسمة وميداليات الأمير في الطرف الشرقي للغرفة.

وفي الطرف الغربي توجد خزانتان منخفضتان بهما علب الحلوى الخاصة بزفاف والدته السيدة «أمينة هانم» أو«الوالدة باشا»، وهي الوحيدة بين الأميرات وزوجات الحكام الأتراك في مصر التي حصلت على لقب باشا. تتوسط الصالون الأزرق طاولة صغيرة عليها أطباق من البورسلين كان الأمير يتناول عليها طعامه مع المقربين له.

وملحق بالصالون الأزرق غرفة استقبال صغيرة بها مزهرية ضخمة من البورسلين الصيني لا تقدر بثمن تزينها مناظر من الصين، سقف الغرفة مصنوع من خشب الصندل وبه متدليات على شكل فوانيس مازالت تنبعث منها رائحة ذكية بسبب نوع الخشب.

صالون الصدف: الصالون الثاني من الطابق الأول بسراي الإقامة بجانب الصالون الأزرق هو صالون الصدف، سمي بهذا الاسم بسبب وجود الصدف في كل شيء تقريبًا: الطاولات والمقاعد والبارافان الخشبي وكلها على الطراز العربي، كما تتناثر على الجدران آيات قرآنية من الصدف والعاج.

وعلى جدران الغرفة تنتشر صور لأشخاص حقيقيين مثل صورة مراد بك المملوك الوحيد الذي هرب من مذبحة القلعة التي دبرها محمد علي للمماليك، وصورة لسليمان الحلبي البطل السوري الذي قتل «كليبر» القائد الفرنسي أيام الحملة الفرنسية على مصر، وصورة أخرى لكاترين دي مدسيس ابنة قيصر روسيا التي حُكم عليها بالإعدام عام ١٩١٧م، بالإضافة إلى صورة لملوك النمسا وروسيا وصورة لمحمد علي.

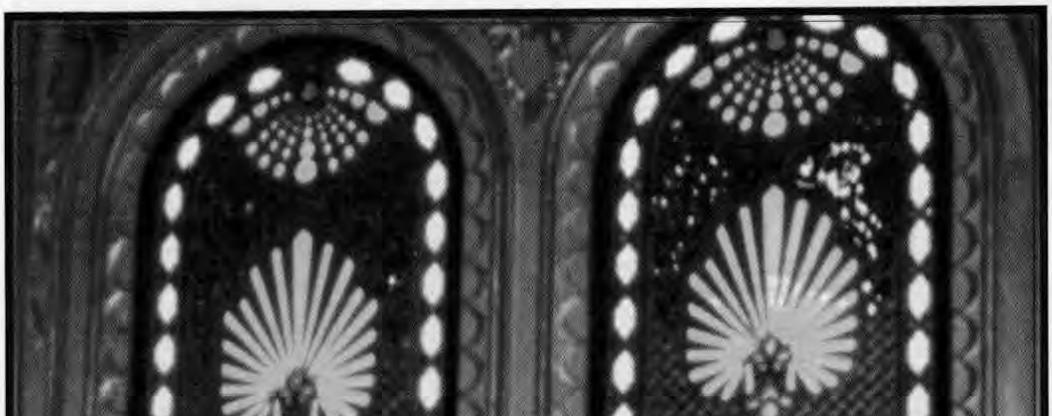
ومن الطريف أنه على الرغم من حرص الأمير على إشاعة كل ما يتعلق بالجو الشرقي داخل القصر، أخذ في الوقت نفسه آخر منجزات التقنية في عصره فنجد جهاز تكييف كبيرا يمتد في الحائط.

المكتبة: كانت مكتبة الأمير تضم مجموعة نادرة من المخطوطات ودوائر المعارف الخاصة بالنبات والحيوان والتاريخ والجغرافيا ومعظم المخطوطات والكتب باللغة التركية تليها اللغة الفرنسية. وأثاث المكتبة بسيط مما يدل على أنها كانت تُستعمل للقراءة والكتابة فعلاً ، ولم تكن مجرد زينة أو «ديكور» في القصر. يتمثل أثاثها في مكتب كبير وثلاثة مقاعد هزازة وطاولتين ومائدة متحركة للكتابة وعدد لا حصر له من تماثيل الخيول واللوحات الزيتية للورود والأزهار بريشة الأمير نفسه بالإضافة إلى المكتبة بالطبع.

وبالقرب من المكتبة يوجد مصعد كهربائي حديث يؤدي إلى برج عال يطل على القاهرة كلها.

غرفة المائدة: في هذه الغرفة بالذات تتجلّى شدة ولع الأمير بالخيول، فرغم أن الغرفة تتضمن مائدة للطعام وثمانية مقاعد إلا أن تصميم المقاعد نفسها جاء على شكل حذاوي الخيل، وفي الوقت نفسه تتدلى منها فرانشات -شراريب- كالتي تُزين الخيل في احتفالات الزواج والمناسبات المختلفة، وعلى المائدة غطاء مطرز تطريزًا يدويًا يعلوه طبق نادر من الفضة يزينه من الخارج أطفال صغار ويزن الطبق ٦٨ كيلو جراما وكان مخصصًا لوضع الورود والزهور.وعلى الحائط توجد خزانات تنتشر بها آنية فضية بالإضافة إلى صور الخيل.

وعند الصعود إلى الطابق الثاني من سرايا الإقامة نجد صورة كبيرة لمحمد علي يعلوها قرص الشمس رمز الإمبراطورية



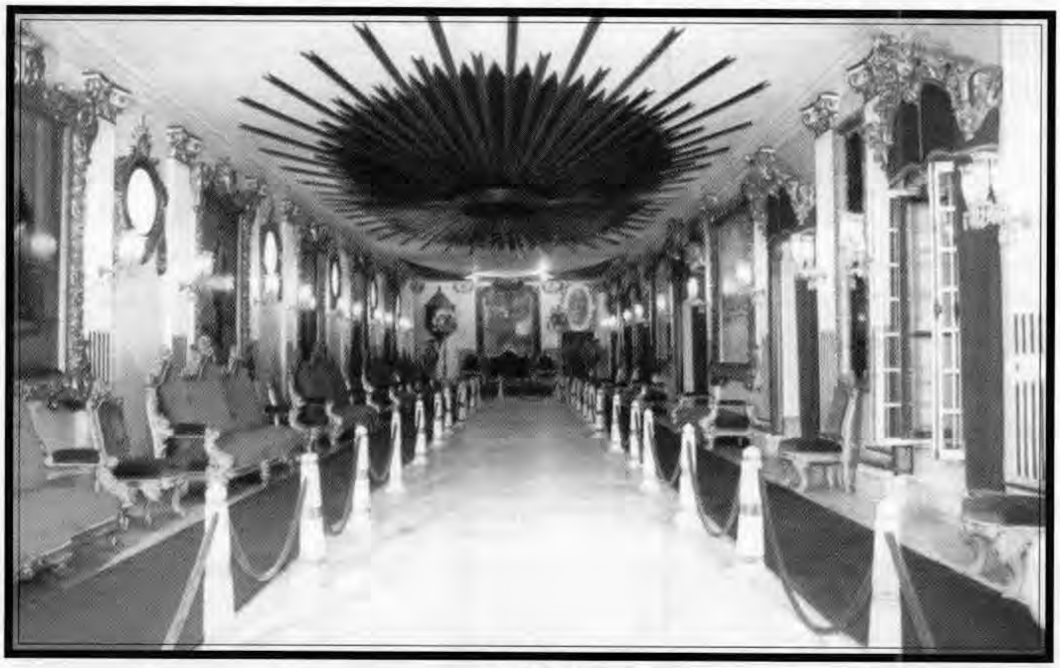
الأبيات الشعرية واللوحات الكتابية عمومًا عنصر أساسي في التصاميم الداخلية

العثمانية، وتزين الجدران بلاطات من القاشاني تتشكل على هيئة أشجار السرو الدائمة الخضرة والتي تدل على طول العمر.

غرف الطابق الثاني : وأهم غرف الطابق الثاني من سراي الإقامة تتمثل في:

غرفة المجوهرات: هي أول غرفة في الطابق الثاني وتقع إلى اليسار، وما زال ترتيب المجوهرات بها من وضع الأمير، وأرض الحجرة مصنوعة من خشب «الباركيه» يصدر صريرًا عاليًا عند المرور عليه، الغرض منه التنبيه بوجود غرباء. وتتوسط الغرفة مائدة عليها غطاء مطرز بالورود المزخرفة بالألماس واللؤلؤ، وعلى الجدران غطاء آخر مطرز باللؤلؤ والألماس وخيوط الذهب والفضة، الأول تتوسطه زهرة عباد الشمس من الألماس، والثاني يتوسطه التاج رمز الملك ويحيط به فرعا شجرة مستديران من الألماس أيضًا والغطاءان يغطيهما الزجاج.

وتنتشر بالغرفة ثلاث خزانات، الأولى بها أطقم قهوة من البورسلين تحمل صور قياصرة روسيا وطقم شاي من الذهب الخالص يعود إلى عصر نابليون بونابرت، والخزانة الثانية تتضمن المتعلقات الخاصة بالأمير مثل المظلة والمهماز والأطباق التي كان يستعملها وكلها مصنوعة من الذهب المطعم بالألماس، وكذلك النياشين الخاصة به وبأسرته والأدوات التي كان يستعملها مثل الملاعق والشوك والسكاكين وعلب الحلوى وشمعدانات القصر. وتشتمل الخزانة الثالثة على أطقم بورسلين للشاي والقهوة تحمل صورة الخديوي إسماعيل، ويتصدر الغرفة حامل للمصحف من النحاس المطلي بماء الذهب يزينه الألماس، وعلى الحائط عقد زواج والدته في زجاج له إطار من الذهب.



قاعة العرش

حجرتا النوم: هما في الواقع غرفتان منفصلتان: الأولى خاصة بزوجته الفرنسية الأصل ملحق بها دورة مياه مزودة بسخان مياه كهربائي وميزان وعدد من مقاعد « الفوتيهات » المريحة بالإضافة إلى مرآة ثلاثية كبيرة، وغرفة النوم الثانية خاصة بالأمير وهي لا تختلف كثيرًا عن الغرفة الأولى.

سراي العرش

وقد أقامها الأمير محمد علي توفيق لنفسه على أساس أنه الوريث الشرعي للحكم بعد خروج شقيقه عباس حلمي الثاني من حكم البلاد عام ١٩١٤م، وقد نقل إليها كرسي العرش وعددا من مقاعد القلعة، ووضع على جدرانها صورًا لأسرته بدءًا من محمد علي ومرورًا بإبراهيم باشا وعباس الأول وسعيد باشا والخديوي إسماعيل والخديوي توفيق والخديوي عباس حلمي الثاني، بالإضافة إلى عدد من المناظر الطبيعية، ولم يضع صورًا لكل من السلطان حسين كامل والملك فؤاد ثم الملك فاروق لأنهم في اعتقاده اغتصبوا منه عرش البلاد بغير وجه حق.

الطابق العلوي من سراي العرش به قاعات شرقية، وأهمها حجرة صالون إلهامي باشا -جد الأمير محمد علي توفيق لأمه- وكان قائدًا للجيوش المصرية في عهد عباس الأول، وجدرانها مغطاة برسوم تمثل مناظر مصرية، وبها أطقم استقبال من الأوبسون بجانب التحف والبيانو الخاص بإلهامي باشا، وكانت معظم هذه القاعات تستعمل في الشتاء.

المتحف الخاص

وُضعت محتويات المتحف الخاص بيد الأمير بنفسه أثناء حياته، ومعظمها ذات طرز إسلامية يغلب عليها الطابع التركي بجانب بعض المقتنيات الأدبية. وهو يتكون من ١٥ قاعة ، ومن أهم القاعات:

قاعة الأسلحة : وتضم بنادق وسيوفًا قديمة وحديثة، ومن أهم معروضاتها سيف من الذهب أهداه المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود للأمير.

قاعة أدوات الكتابة: تشتمل على أقلام وأحبار وريش من الفضة والذهب مرصعة بالأحجار الكريمة.

قاعة لعرض نسخ من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المكتوبة بخط اليد، وكذلك لعرض كتب من مختلف المعارف عربية وتركية فارسية.

قاعة عرض الملابس التي كان يرتديها ذوو الرتب في الجيش وأيضًا الملابس التقليدية للنساء والرجال وحتى الأطفال.

قاعة عرض الأدوات الخاصة

التي كان يستعملها الأمير من أمشاط وأدوات للحلاقة وحتى المظروفات الخاصة به وبوالدته وتحمل الحرفين الأولين من اسم كل منهما محاطًا برسم للتاج الملكي .

قاعة لعرض الآيات القرآنية وبعض أبيات في مدح صاحب القصر مكتوبة بخط الطغراء الذي ترسم فيه الكلمات على شكل طائر أو نبات.

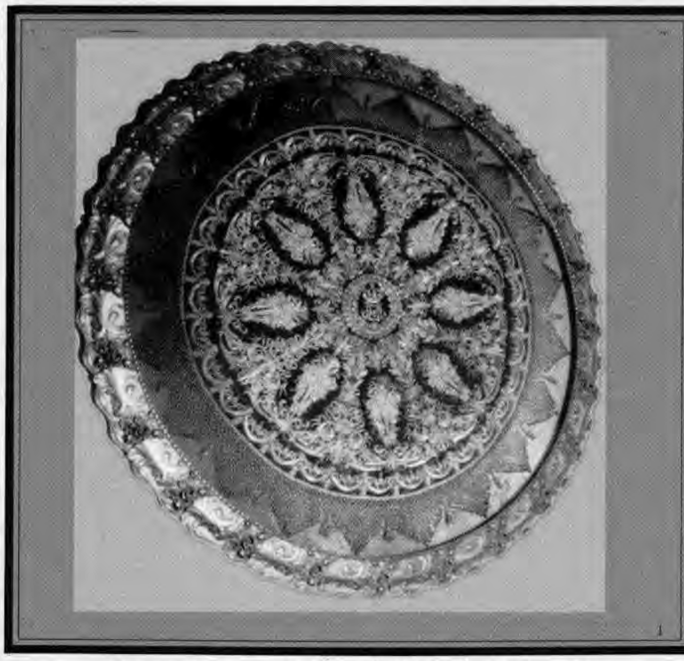
قاعة لعرض أثاث العُرس من ملابس وخزانات وأسرّة وطاولات ، وكلها من إنتاج المدرسة الإلهامية التي أسستها والدته «أمينة هانم».

قاعتان للفضيات: وتشتملان على أدوات مائدة وطاولات وأواني للبخور والورود وحوامل للمصحف الشريف كلها من الفضة، بالإضافة إلى مبخرة من الذهب الخالص، كذلك طقم مكون من ٤٦٣ قطعة ملاعق وسكاكين وشوك من الفضة عليها التاج الملكي من الذهب، منها ملاعق وسكاكين خاصة بتناول الأسماك.

قاعتان للبورسلين: بها مسابح مختلفة من الأحجار الكريمة وأدوات مائدة من البورسلين العثماني يدل كل نوع على المنطقة التي جُلب منها، فاللون الأخضر من «كوتاهيا» واللون الوردي من «أزنيك» وهكذا.

قاعة خاصة بالبورسلين الصيني المطعم بالذهب: وأبرز ما فيه طقم صحاف من البورسلين الأصلي المذهب خاص بتناول الأسماك، والصحاف بها ثقوب ليتساقط منها الزيت في صحاف أخرى.

وتنتهي قاعات المتحف الخاص **بالقاعة الصيفية**، وهي عبارة عن قاعة واسعة توجد بها نافورات متعددة من الرخام ينطلق منها الماء الرقراق ليتجمع على الأرض في مساري دقيقة موجودة في قرميد رخامي مقسم بأشكال معينة دائرية ومثلثة يضمن استمرار جريان الماء مما يسمح بتوفير جو من الرطوبة الدائمة في القاعة ، وفي جانب منها توجد أريكة مريحة لكي يجلس عليها مَنْ بالقاعة.



مفرش مشغول بأسلاك ذهبية ومحلّى بفصوص الماس واللؤلؤ من حجرة المجوهرات بسراي الإقامة

وعلى جدران جميع قاعات المتحف الخاص بلا استثناء تتناثر سجاجيد إيرانية وتركية نادرة لا تُقدر بثمن، منها سجادة من النسيج تحمل صورًا لكل السلاطين العثمانيين مغزولة بخيوط الحرير والذهب والفضة.

القاعة الذهبية: تقع في مبنى مستقل، وكانت مخصصة للاحتفالات الرسمية ، وسُميت بالقاعة الذهبية لأن كل شيء فيها مطلي بماء الذهب.وتتكون من ثلاثة أجزاء متصلة عبارة عن إيوانين أو مقصورتين من المعتقد أنهما يخصان الأمير أو أهل الحظوة لديه، كل منهما مزود بأريكتين من الخشب المذهب لهما كسوة من الساتان الأحمر وبينهما شمعدانان من الكريستال، ويقع بين الإيوانين بهو كبير وهو الذي كانت تقام فيه الاحتفالات، وتتدلى من السقف ثريا فرنسية الطراز لا مثيل لها مصنوعة من كريستال باكارا الفرنسي وهي لا تقدر بثمن.

وأهم ما يميز القاعة الذهبية وجود كتابات لأسماء اللّه الحسنى، وأبيات من قصيدة نهج البردة للبوصيري في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكذلك أبيات من الشعر في مدح الأمير، وجميع الكتابات بالخط المذهب.

أضواء على القصر

متحف قصر المنيل في الحقيقة هو قصر متحف المنيل، فكل ما فيه عبارة عن تحف قيمة نادرة، سواء كانت نافذة أو مقعدًا أو مزهرية أو حتى قرميدة قاشاني، وكل من يزور «المتحف القصر» أو «القصر المتحف» يقع في غرام القصر، ولا يكتفي بزيارته مرةً بل عدة مرات كي يمتع ناظريه بهذا المتحف المتفرد.

وقد بلغ من اهتمام الأمير بقصره أنه قام بتصميم المباني التي جاءت معظمها على الطراز التركي، كذلك وضع بنفسه زخارف جميع السرايات سواء كانت سقفًا جصيًة أو خشبية أو قاشاني. وعلى الرغم من تعدد الأسقف والنوافذ في سرايا القصر فلم يتكرر واحد منها. وعلى الرغم من أن تاريخ بناء القصر يعود إلى ١٩٠١م إلا أنه مزود بمصعد كهربائي حديث كان الأمير يستعمله في الصعود إلى برج ملحق بسراي الإقامة، وفيه يختلي بنفسه ليتفرغ لرسم لوحاته.

يوجد كذلك داخل أسوار القصر متحف يضم هيكلين لحصان وجمل، أما هيكل الحصان فهو خاص بالحصان الأثير إلى نفس الأمير الذي أصر على الاحتفاظ بهيكله بعد نفوقه ، وهيكل الجمل يعود إلى حادثة طريفة : فقد كانت مجموعة من الجمال خاصة بأحد منافسي الأمير في طريقها إلى المذبح، وفجأة انفصل أحدها عن المجموعة وفرَّ إلى داخل القصر، وأصر الأمير على الاحتفاظ به على أساس أن الجمل قد لجأ إليه طلبًا للحماية من منافسه.

جُمعت محتويات القصر مرتين إبان حرب ١٩٦٧م ، وعند إعادة ترتيبه تمت الاستعانة بالملكة السابقة فريدة التي كانت تربطها صلة قرابة بالأمير، وكذلك بناظر القصر القديم «نجدت بك»، واستفيد من آرائهما وملاحظاتهما في إعادة ترتيب محتويات القصر ترتيبًا سليمًا.

صلة الرَّجُل بالمرأة صلة بين ثقافتين

أحمد علي الطبال

اتفق الزوجان على أن ينعم كل منهما بحقوقه، بشرط ألا يسيء إلى الآخر. وحين أخذ الرجل يخدع المرأة احتجت واعترضت، فثار غضبه. ودار بينهما هذا الحوار :

هي : كيف استطعت أن تفعل ذلك، وأنت تعلم أنه يسيء إليّ ؟

هو : كيف تستطيعين أن تحاولي تقييد حريتي ؟

هي : لكن ذلك يمزقني.

هو : أنت تحاولين التحكم بي.

ولم يكن جوهر الأمر إلا صراعا بين إرادتين. إن ما يريده يتعارض مع ما تريده. لكن هذا الحوار يكشف، بشكل أساسي، الخلافات في وجهات النظر، فوجهة نظر الرجل تركز على استقلاله، وحرية تصرفه، أما المرأة فإنها لا ترى إلا ارتباطهما وتأثره بالتصرفات. ويرى الرجل في إلحاحها على ارتباطهما تلاعبا به ومحاولة للسيطرة على تصرفاته.

وقد لاحظت كاترين كوهلر ـ ريسمن Catherine Kohler-Riesman في دراسة تناولت مختلف التعابير المستخدمة في موضوع الطلاق، أن الرجال والنساء، معا، يذكرون أن الطلاق قد وفر لهم قدرا أكبر من الحرية. لكن مفهوم الحرية يختلف بين الجنسين. فإذا ذكرت النساء أنهن وجدن قدرا أكبر من الحرية بعد الطلاق، قصدن أن نصيبهن من الاستقلال قد زاد، وأنهن لن يهتممن، بعد اليوم، بردات فعل الزوج، ولن يحتجن إلى ملاطفته أو تملقه.

وقد أظهر بحث ريسمن Riesman أن الطلاق يتيح للنساء حل مشكلة داخلية هي مشكلة الاهتمام الدائم بتجنب التصرفات التي يعارضها الزوج، والعكس بالعكس. ويتيح الطلاق للرجال حل مشكلة خارجية : الالتزامات المالية المرتبطة بدور رب العائلة، والشعور بالسجن الناتج من وضع تصرفاتهم تحت إشراف الآخرين، وإن كان الاستقلال لدى الرجال غير مرتبط بالطلاق. وها هو ذا أحد الرجال يقول، في لقاء أجرته معه ريسمن : كنت أشعر باستقلالي، والآن لا أشعر إلا بمزيد من الاستقلال.

وبالرغم من أن الطلاق في المجتمعات الغربية يُرى على أساس أنه تحرر من تبعات كثيرة؛ لأن الأساس القيمي الذي يوجه السلوك ليس متباينًا فحسب، بل ربما لا يكون موجودا، إضافة إلى ما ترسب عبر قرون من فرض الكنيسة قيودًا على الطلاق، إلا أنه من خلال الدراسة يمكن النظر إلى ما فيها من مؤشرات إنسانية تدخل في الحسبان التفاوت الثقافي بين الرجل والمرأة.

وقد أجرت صحيفة «تاريخ التعليم العالي» الأميركية تحقيقا قصيرا، طلبت فيه إلى ستة أساتذة جامعيين، ذكر الأسباب التي دعتهم إلى اختيار التعليم. وكانوا أربعة رجال وامرأتين.

وذكرت المرأتان أن الميل قد لعب دوره في هذا الاختيار، وقالت إحداهما : «لقد رغبت، دائما في ممارسة التعليم، بل إني حين كنت طالبة، كنت أتطلع إلى العمل في الميدان الجامعي، وأيقنت أن التعليم هو ما يثير اهتمامي».

وكانت إجابات الرجال الأربعة متشابهة فيما بينها، لكنها كانت شديدة الاختلاف عن إجابات النساء. فقد ذكر الأربعة كلهم : «الاستقلال»، باعتباره الحافز الأساسي للاختيار. وهذه مقتطفات من إجاباتهم :

«كنت أريد ممارسة التعليم، وكان يسرني أن أحدد بنفسي أهداف بحثي».

«عزمت على اختيار الكلية بدلا من الصناعة، لأن ذلك يتيح لي الحرية في اختيار ميدان بحثي ويمنحني مزيدا من الاستقلال».

«اخترت العمل في ميدان التعليم، لأن الحرية التي يوفرها تعوض من النقائص المالية».

«كنت أرغب في متابعة أبحاثي، وفقا لمزاجي الخاص، لا كما يفرض علي».

ولا يعني ذلك أن المرأتين لا تقيمان أي اعتبار للبحث. بل يعني أنهما تبديان اهتماما أقل بالاستقلال. وعندما أبدتا سرورهما بممارسة التعليم، تحدثتا، كلتاهما، عن القدرة على التأثير في طلابهما تأثيرا إيجابيا. والتأثير في الطلاب يتضمن علاقات غير متماثلة يشغل فيها المعلمون أو المعلمات وضعا فوقيا. فالمرأتان حين تحدثتا عن مهنتهما أشارتا إلى صلتهما بالطلاب، بينما أشار الرجال إلى غياب الوصاية الخارجية.

"في الطفولة يحدد الجو الاجتماعي الفروق والتمايز بين الرجل والمرأة"

اتصال بين ثقافتين

إذا كـان مرجع النسـاء لغة وئام ومـودّة، وكان مـرجع الرجـال لغة مـوقف واستقلال، أمكننا أن نشبه الاتصال بين الرجل والمرأة باتصال بين ثقافتين. أي هو اتصـال معرض لكثير من جـوانب سوء الفهـم المرتبطة بأسلـوبي التحادث المختلفين. وهـذه الاختـلافـات ليست اختـلافـات في اللهجـات، بل هي اختلافات نوعية.

إن الزعم الذي يرى أن النساء ينشأن في عوالم مختلفة عن عوالم الرجال، يبدو محالا للوهلة الأولى. فالإخوة والأخوات ينشأن وسط العائلة نفسها، مع والدين يمثـلان الذكـر والأنثى. لذلك حق لنـا أن نسأل أنفسنـا : أين يتعلم الرجـال والنساء الكلام والإصغاء بطريقتين مختلفتين ؟

البداية في الطفولة

ينشأ الفتيان والفتيـات، وإن عاشـوا في المحيط نفسه أو الشـارع نفسه، أو البيت نفسـه في عـالمين مكـونين من مجمـوعتين مختلفتين من الكلمات. فـالجو الاجتماعي يتحدث إلى الطفل والطفلة بطريقتين مختلفتين، وينتظر من كل منهما طـريقة مختلفـة في الكـلام. لكن الأهم هو أن الأولاد يتعلمـون الكـلام وإقامـة حـوارات، لا مع الوالـدين فقط، بل مع أندادهـم كذلك. ومن الـواضح أن الوالدين، إذا كانا يتحـدثان بنبرة أجنبية أو إقليمية، فإن الأولاد لن يقتبسوا، في الغالب، هذه النبرة، بل إنهم يتعلمون النطق بنبرة المنطقة التي كبروا فيها. وقد أكد عالما الأنثروبـولوجيا دانيال مـالتز Daniel Maltz و روث بوركر، Ruth Borker في أبحاثهما، أن طريقـة الأطفال الذكور في الحديث إلى أصـدقائهم، تختلف عن طريقـة الإناث في الحديث إلى صـديقاتهن. فالفـريقان، وإن كـانا يلعبان معـا في أحيان كثيرة، فإن كـلا منهما يقضي أكثر وقتـه في اللعب ضمن مجموعـات تتكون من أعضاء ينتسبـون إلى جنسه نفسه. وإذا كـانت الألعاب كلها مبذولـة للجنسين، فإن كل جنس يختار ألعابًا معينة، بشكل عام.

ويميل الذكور إلى اللعب في الخارج، في مجموعات كبيرة ذات بنية ترتيبية. ويرأس كل مجموعة رئيس يملي على الآخريـن ما يجب فعله، ويرفض الانصياع للآراء الأخرى. وفي ألعـاب الذكور رابحون وخـاسرون، وأنظمة معقدة تسبب الخصام، غالبا. وكثيرا ما يفخر الذكور بمآثرهم ويتخاصمون في ذلك.

أمـا الإنـاث فهن يلعبن ألعابـا ثنائية، أو ضمن مجمـوعات ضيّقـة. فنواة الحيـاة الاجتماعيـة لـلأنثى هي صـديقتهـا المفضلـة، ومفتـاح عـلاقتهـا داخل المجموعة هو المودة. وأساس تمييزها بين رفيقـاتها الأخريات درجة قربهن منها. وفي ألعـاب الإناث المفضلـة كالقفـز على الحبل، أو حَجَر القـدم، تلعب كل واحدة منهن بدورها.

وغـالبـا ما تخلـو نشـاطـاتهن (كـاللعب بالـدمى، مثـلا)، من رابحـات وخـاسرات. وإذا كـان بعضهن يتفوق على البعض الآخـر، في المهـارة، بشكل مؤكد، فإننا لا ننتظر من إحدى الإناث أن تفخر بذلك، أو توحي بأنها أفضل من الأخـريـات. والصغيرات لا يصدرن الأوامـر، بل يعبرن عن اقتراحـاتهن، فتقبل هذه الاقتراحات غالبا.

والموقف الذي يقول فيه الأولاد الذكور «أعطني هذا» و «ابتعد عني»، تقول فيـه الإنـاث «يمكننا أن نفعل هـذا، ولماذا لا نفعل ذلك». فإذا خـالفن هـذا الأسلـوب اعتبرن متسلطـات. والإنـاث لا يتبـادلن الهجـوم بشكل مبـاشر، ويقضين أكثر أوقـاتهن في التحادث. فهن لـم يعتدن العمل الصريح لتـأكيد موقفهن. وأول ما يهتممن به هو أن يكن محبوبات.

الفهم هو المفتاح

إذا انطلقنا من المبدأ الذي يرى أن اكتسـاب اللغة يتم، لدى كل منا، من خلال صلتـه بأشبـاهه، وفي عالم اجتماعـي متميز، أمكننـا اعتبار العـلاقة بين الـرجل والمرأة اتصـالا بين ثقافتين. وكل من هـذين الأسلـوبين الممثلين لهاتين الثقافتين مقبول في ذاته. لكن سوء التفاهم ينتج من اختلافهما.

إن إمكان النظر إلى المحاورات بين الجنسين، وفقا لهذه النظرة، تتيح تبرير سخط كل من الطـرفين، دون تخطئة أحـدهما. ذلك أن فهم هذه الخلافـات، وإن كان لا يزيلها، فهو يخفف من سوء الفهم واللوم المتبادلين.

وقـد روت لنا أليس ووكـر Alice Walker في صدد حـديثها عـن كتابها The Temple of my Familiar أن بطلة الرواية تقع في حـب أحد الرجال، لأنه بـدا لها وكأنه «أذن عملاقة». وأضـافت أليس ووكر قائلـة : يظن الناس أنهن يقعن في الحب، بسبب الجاذبية الجنسيـة، لكنهن في الحقيقة، يبحثن عن شخص قادر على الإصغاء إليهن.

إننا جميعا، وفوق كل شيء، نطلب إصغاء الآخـرين إلينا. بل نريد أن يفهمنا الآخرون. وكلما تحسن الفهم المتبـادل بين الرجل والمرأة، نـدرت الشكوى التي تقول : «من المؤكد أنكَ لا تفهني» أو «من المؤكد أنكِ لا تفهمينني».

تخزين أشعة الشمس

د. صلاح يحياوي

هل يمكن تخزين ضوء الشمس من أجل التدفئة في الشتاء ؟

هـذا مـا تعتـزم جـامعـة ماسـاشوستـس في الولايات المتحدة التحقق منه ببناء أول مخزن حراري شمسي مركزي في الولايات المتحدة من أجل التخزين الفصلي (باستخدام الرُّقاقات).

ويقول أحد مقدمي الاقتراح:

«يُمكن التخزينُ الفصلي من استعمال الطاقة الشمسية للتدفئة خلال أيام الشتاء القصيرة الباردة في طقوس معتدلة ومجاورة للمنطقة القطبية الشمالية».

لقد كان مفهوم التخزين الفصلي مطبقا في شكله المعكوس منذ أيام المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية المكونة للولايات المتحدة، وذلك عندما كان المستوطنون يُقطّعون كتل الجليد من البحيرات المتجمدة ويطمرونها في نشارة الخشب وذلك لتبريد الأغذية خلال الصيف.

أما مشروعات التدفئة فلم تبدأ بأخذ شكلها الجديد إلا بعد عام ١٩٧٩م.

وقد نشأ منذ ذلك الحين أكثر من ثلاثين مخزنا اختباريا في السويد والدانمارك وبلاد أوربية شمالية أخرى.

ومن المنتظر عندما يُنجَزُ نظام التدفئة الأمريكي الجديد عام ١٩٩٥م أو نحو ذلك أن يحل محل ٩٠٪ أو أكثر من نظام التدفئة التقليدي، وذلك من أجل تدفئة مدينة رياضية تضم ١٠٠٠٠ مقعد، وتدفئة مجمع ألعاب رياضية.

ويقول أحد الباحثين في قسم الطاقة الميكانيكية في الجامعة، وهو أحد مخططي البرنامج:

ـ «يتطلب البناءان حرارة تعادل الحرارة التي يتطلبها ١٥٠ منزلا».

وسيعمل النظام وفق ما يلي:

يمتص صفيفان من مجمعات شمسية ذات أطباق مسطحة موجهة نحو الجنوب ـ بمساحة كلية تساوي نحو ٨٠٠٠ قدم مربعة (٧٤٣ م٢) ـ ضوءَ الشمس، فيسخنان مزيجا من غول (كحول) وماء. ويُضخّ هذا المائع المضاد للتجمد إلى مبادل حراري حيث يتخلى عن حرارته إلى الماء، ويسيل الماء عبر مئاتٍ من الأنابيب اللدائنية الغاطسة في طين غير مسامي مثقل بالماء؛ فيتخلى عن الحرارة في طريقه. ويتوقع أن يُسخَّن خلال الصيف مستودعا من الطين عمقه ١٠٠ قدم (٣٠,٤٨م) إلى درجة حرارة تعادل ١٦٠ درجة فهرنهايت (٧١,٠٠ °س). ويخزن الماء الحار الفائض الذي يمكن سحبه في الليل في صهريج موقّى سعته ٢٥٠٠٠٠ غالون (٩٤٥م^{٣}) عندما تغلق المجمعات الشمسية.

وفي الشتاء يَمتَصُّ الماءُ الجاري في الأنابيب المطمورة الحرارة المخزنة وينقلها إلى الملعب أو المجمع الرياضي. وتَستَخلصُ مبادلات حرارية الطاقة لتعطي ماءً حاراً، وتُسخن البناءين والمسبح.

وعندما يتم إنجاز هذا النظام الذي سيكلف ٣,٥ مليون دولار، فإن كلفة تشغيله لن تتجاوز بعد ذلك ٢٠٠٠ دولار سنويا ثمنا للكهرباء اللازمة لتشغيل المضخات، علما أنه بإمكان الخلايا الفلطائية الضوئية أن تستخدم في آخر الأمر لتقديم هذه الطاقة الكهربائية.

ويقول أحد المخططين:

ـ «يُعادل التخزينُ الشمسي الفصلي من الناحية الأساسية مصنعَ طاقة صغير لا يحرق أي شيء».

وسيكون هذا النظام أجود مردوداً في تدفئة أبنية مكاتب كبيرة ومراكز بيع وأنظمة تسخين مشتركة بين نحو من ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ منزل. ذلك أن مستودعات التخزين الأكبر حجماً أقل فقداً للحرارة نسبياً، وتنحو لأن تكون أكثر فعالية من حيث النفقة.

وهناك مشروع تخزين فصلي طموح في طريقه إلى الوجود في مدينة سويدية ليخدم جماعة تسكن ٢٠٠٠ منزل ومركز عمل. فالماء المخزن في كهف سعته ١٠٠٠٠٠ متر مكعب يُحْفَرُ في الصخر، يمتص الحرارة من المجمعات الشمسية الجاثمة فوق سقوف المنازل المجاورة، كما يمتص الحرارة الضائعة من الصناعات المحلية. كما أن الكهرباء غير المكلفة في الصيف تقدم تسخينا إضافيا للماء.

ويقول مستشار طاقي عمل في برامج التخزين الشمسية الدولية خلال عقد من الزمان:

ـ «سيعتمد النظام في نهاية الأمر كلياً في الغالب على الحرارة الشمسية والضائعة».

البطل والبطولة في رواية أدب الحرب

(قراءة في ثلاثة نماذج)

السيد نجم

تتعدد مفاهيم أدب الحرب وتتسع كلما أمعن المرء في ذاك المقاتل الذي يسعى إلى الموت والهروب منه في آن واحد. إنه أدب التعبير عن شِقّي معادلة غامضة ومعضلة أيضا، فن التعبير عن ذات الإنسان المدجج بالسلاح المهدد به كي يقاتل، يَقْتُلُ أو يُقْتَلُ مدفوعًا أو مقتنعًا راضيًا. فهو ضمن آلة جماعية وسطوة مقولة الجماعة نفسها، تلك الجماعة التي تبارك موته غالبًا.

من هنا تبدأ وتتعدد سمات البطل - بالمفهوم الشائع - في الحرب.

إن موضوع البطل/ البطولة في أدب الحرب «الرواية» يتسم بجاذبية خاصة، ويصعب فهم مضامين العمل الأدبي ذاته دون التوقف أمام ملمح ذاك وخصائصه، ومعالم تلك البطولة في هذا العمل أو غيره، وهو ما يلزم الاقتراب شيئًا فشيئًا من تعريفه ومحاولة معرفة جوهره.

أما وقد كان للأدباء نشاط في هذا الميدان من مناحٍ عدة، فلنا أن نتتبع هؤلاء وهؤلاء لنتعرف كيفية تعبيرهم، ولنتفهم «وجهة نظرهم» بالمعنى النقدي في الحرب، وهو أيضا ما يبرز جليا من خلال تصويرهم لشخصية البطل وملامح البطولة داخل الرواية.

لقد تنوعت معالم الرواية الحربية بتنوع ذلك المنحى. فقد يتجه المبدع إلى مسلك انفعالي تعبوي أو (مقاومي)، وهو أمر مشروع في أدب الحرب ومهمّ في مرحلة من مراحل كفاح الشعوب. وبذلك يكون العمل الخارق للمعتاد، وربما البطل هو ذاك الواعي المتعامل مع مفاهيم البطولة الأسطورية، الخارقة والمشروعة أمام الضمير الجماعي.

بينما الأديب الذي يسلك المسلك الفكري الواعي لتاريخه الحضاري، بحيث يضع نصب عينيه أن كلماته المُسطرة في رواية هي دفاع عن الذات وعن الهوية، عن تصوير ذلك البطل الحريص على روحه المنتسبة إلى جسده وروحه الجماعية، روحه الشخصية، القومية معًا، فلا يخلو بطل ذلك العمل من سمات البطل الشعبي وخصائصه والذي هو المخلص الصادق والمنتصر دومًا.

غالبًا ما يحتاج الناقد إلى أدوات التفسير الاجتماعي والحضاري وكذا المنهج النفسي للكشف عن دلالة العمل. فالبطولة هنا لا تعني التضحية والقدرة على التعبير بالكلمة الفعالة فحسب، بل بمعنى البطولة القتالية التي تصنع بالسيف حدًّا لكل ما يتهدد حياة الجماعة والبطل، حياة قومه! (١)

ولا نغفل ذلك المسلك في أدب الحرب «الرواية»، بحيث يتشكل العمل الأدبي من مجموعة وثائق، هي إذن أخبار تاريخية وموثقة لتعبر عن بطولة جماعة ما، كأن الروائي يُقسم بما يملك من وثائق «بطولية»، وهو شكل من أشكال المعالجة الفنية ببعض روايات الحرب، خصوصًا الأدب الروسي السوفييتي.

لعله من المجدي الآن ألا يتورط المرء في تقديم تعريف بعينه أو مفهوم خاص للبطل والبطولة، مكتفيا بسحر تلك المفردتين وما تُثيره من خيالات بما هو موروث شعبي، وبما يتولد من الحياة المعيشة وكذلك معتمدًا على ذكاء ذاك المثقف الذي لم يفته الاطلاع على بعض الدراسات التي عالجت (البطل، البطولة) من خلال رؤى فكرية تأملية لهذا المبدع أو ذاك، المبدع نفسه المتدثر بمفاهيم أيديولوجية أيضا.

أين سمات البطل/ البطولة تحت مظلة مفهوم أنه الفرد الخارق للمعتاد؟

مِن كُتّاب العدد

● السيد عبد العزيز نجم

- عضو اتحاد الكتّاب المصريين.
- عضو جماعة «نصوص ٩٠» الأدبية.
- من أعماله السابقة: «السفر» (١٩٨٤م) و«أوراق مقاتل قديم» (١٩٨٨م)، وهما مجموعة قصص قصيرة، و«أيام يوسف المنسي» (١٩٩١م) رواية.
- من أعماله التي تنشر قريبا: «لحظات في زمن التيه» مجموعة قصص، و«العتبات الضيقة» رواية.



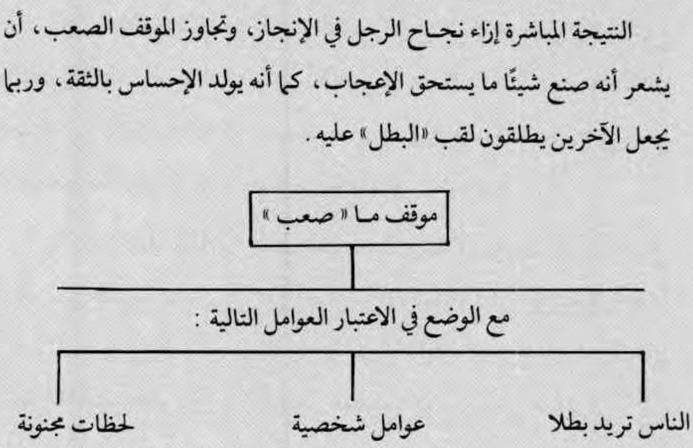
البطل والبطولة في روايـة أدب الحرب

أنمـوذجًا في كل شيء ؟ لا غـرو، فقد اعترضـت العديـد من المدارس النقديـة والأيديولوجية وانتهى الأمر !

أين سمات البطل/ البطولـة بـالمعنى الشائع في ذلك العمل «الـرواية» التي ترصد ذلك الأسير أو الكسير أو المُحاصر وكلهم يئنون تحت وطأة المهانة ؟ ربما يكـون البطل إذن هو ذلك الـرجل «العـادي» الذي وجـد نفسـه في موقف مـا «صعب»، ليخرج منـه إمـا محمـولاً على الأكتاف أو يخرج مقهورًا . حتما تـوجد بعض العـوامل الـدافعة المسـاعـدة لإبـراز نتيجة مـا، ألا وهي عـوامل تتعلق بشخصيـة الرجـل ذاته، سـواء قـدرات جسمانية عقليـة، أو ربما هي مهـارات خاصـة ذاتية . أيضا لا نغفل رغبة «الجماعـة» المحيطين بذلك الرجل، فـالناس تريد بطلا !

ولعل العامل الثـالث، لا هو خـاص ولا هو عـام «لا فردي/ لا جماعي»، ربما يتعلق بتلك اللحظـة المجنونـة أو الموقف المفاجئ ـ التي هي لحظـة خارج الزمن العقلي ـ وقد تقدم الرجل لمجـابهته بدافع أو دوافع معقدة، لكن يبدو أنه يلزم عقلا مخبولا ولا يحتاج إلى لحظة تأمل وتفكير لاتخاذ القرار المدهش .

النتيجة المباشرة إزاء نجـاح الرجل في الإنجاز، وتجاوز الموقف الصعب، أن يشعر أنه صنع شيئًا ما يستحق الإعجاب، كما أنه يولد الإحساس بالثقة، وربما يجعل الآخرين يطلقون لقب «البطل» عليه .



ولأنه في العمليـات الحربية غالبًـا يكون العمل جماعيًـا ومن أجل الجماعة، يتولـد إحساس خاص، إحساس بالبطولــة في حالة النجاح، إنـه (البطل) قد صنع شيئًا .

كما أنه يوجد نمطان للبطل في العمليات الحربية (بالمؤشر السابق) :

أولاً : البطل الإيجابي والبطولـة بالفعل (مواجهة / مقاتلة . . . إلخ) .

ثانيًا : البطل السلبي والبطولة بالكف (صمت / موت / سكون / صمود . . . إلخ) .

الآن وقـد أصبحت الأعمال الكبيرة (في كل مناحـي النشاط الإنسـاني وليس الإبداعي فقط) بـلا أبطال بالمفهـوم الشـائع، وأيضا بـلا أفعال بطوليـة بالمعنى الشعبي أو الرومانسي القديم .

كما انتهى عصر الأشخـاص المتميزين، ونعيش أيضـا عصر الفرد الضـائع (بعدما تلاشى البطل) [٢] .

إذن بلا تعريفات مسبقة جاهـزة سوف نتخير ثلاثة نماذج من روايات أدب الحرب، لتعرف ذلك المسمى «بطلاً» .

رواية « صائد الغزلان »

عاش المؤلف جيمس فنيمور كوبـر من عام ١٧٨٩م حتى عـام ١٨٥١م، وهي الفترة التي كانت فيها الجمهورية الأمريكية فتية، تحاول أن تبني شخصيتها السياسية والثقافية أيضـا، وللمؤلف الفضل الأول في التعبير عن الروح الجديدة بأعماله الروائية التي تشرح وتحكي ملامح المجتمع الجديد .

ترجع أهميـة هذه الرواية إلى أنها تعـالـج الوجدان الأمـريكي في أول نشأته، وبما فيها من تصوير للوجدان الإنساني مـن خلال تصوير حالة الحرب بين غزاة بيض ومـواطنين من الهنود الحمـر (وأيضـا لـم ينـزع عن نفسـه نزعـة التعصب للـرجل الأبيض) . هي حـرب من نمط خـاص وترسم نمطًـا للبطل ومفـاهيم للبطولـة خاصة بها .

هذا العمل الذي كتبه الروائي وفي ذهنـه وعي بمفاهيم أخلاقية مقتنع بها، لذا برزت جوانب عدة لسمات البطل / البطولـة . وقد عبر عنها في الآتي :

١ ـ البطل هو المقاتل من أجل مبادىء مقتنع بها، والبطولة هي الشجاعة والمواجهة وليست الخساسة والمخادعـة، ففي حوار «صائد الغزلان» ـ وهو لقب أهم شخصيـة في العمل وقد اشتهـر بين أهلـه بأنـه أمهر صـائدي الغزلان بين أقرانه ـ قد سألـه صديقه هنري :

«أجبني عن سـؤال واحـد، فإن لك حظًا في الصيـد والقنص، كسبت بـه لقبًا تُعرف به . فهل من خلقك أن تطلـق زناد بندقيتك على عدو لا يستطيع أن يفعل ذلك بك ؟ » .

فأجاب صائد الغزلان :

« إذا أردت الحق، فإنني لـم أفعل ذلك قط، ومن رأيي أنه من غير المشروع

أن تُزهق روح إنسان إلا في ضربـة سافرة غير خسيسة » .

وفي ذلك يصفـه الروائي بسرد مبـاشر بقولـه : «كـان هنري صيـادًا أبيض شرسًا بينما صائد الغزلان يُحكم العقل العادل» . وتتعدد الأمثلة .

٢ ـ البطل هو إنسان يتصف بالمثاليـة الأخلاقية حتى في علاقته مع العدو. ففي الفصل الخامس من الرواية يخاطب الأب (الذي تعرض هو وابنتاه لضربات من الهنود الحمر) صائد الغزلان قائلا :

« هل أعتمد عليك لتقف بجانبي وبجانب ابنتي يا صائد الغزلان ؟ » .

« أجل يا توم العائم . . . » .

فعلقت الابنة بقولها :

« أمـا أنت فسيعتمـدون عليك لأن وجهك الصادق وقلبـك الأمين ينبآننـا بأنك تفـي بما تَعد » .

وفي موضع آخر تقول لـه : «إنني أرى يا صائد الغزلان أنك رجل أعمال لا أقوال» .

٣ ـ أمـا شرف الكلمة والالتزام فهـي من سمات البطل ، حيث خرج الأسير «صائد الغزلان» لدى الهنود الحمر، ومع ذلك لـم يهرب وعاد إليهم !

٤ ـ الاحتفـاظ بالمبادئ مهما تعـرض للمخاطر، فقـد رفض الزواج من المرأة الهندية بالرغم من تهديد الهنود الحمر لـه وهو أسير بينهم !

٥ ـ ومن خلال سلوك البطل مع الأعداء ، حيث برز هذا الجانب للبطل من خلال مشهد مقاتلة بين صائد الغزلان وأحد الهنود ، ويرفض أن يقتله ثم يعامله معاملـة حسنة كأسير.

٦ ـ كما تتعـدد الصفات الشخصية للبطل من وجهة نظـر الروائي ، مثل : الطيبة ، الأمانـة ، السماحة الدينية ، عدم التفاخـر ، وغير ذلك كثير، وخصوصًا صفة الشجاعة التي أوردها في عدة سياقـات .

رواية « المصابيح الزرق »

تنبيه سجله الروائي حنا مينه قبل بدايـة الرواية : «كل شبه ـ إذا وجد ـ بين أبطال هذه الرواية وبين أي شخص آخر، حي أو ميت ، هو من قبيل المصادفـة ليس غيرُ » ، وهو ما جعلنا أمام عـدة حقائق مفيدة في قراءة العمل بالرغـم من ذاك التحفظ . إن الشخصيات / الأبطـال في هذه الـرواية حقيقية ، جـالسها أو استمع إليهـا الروائي ، فـإننا أمـام نمط جـديد من البطـل ، ليس هو النمـوذج الأخـلاقي المُحدد الملامح والمعـروف وربما المتوقع سلـوكًا مسبقًـا . تعالج هـذه الـروايــة أيضـا مـوضــوع الحرب من خـلال وجهـة نظــر وتجربـة المدنيين لا العسكريين .

إننـا إزاء عمل يصور بيئة عربية محتلـة مدنية أثناء الحرب العالمية الثانية ، لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، حيث لـم تكن سورية طرفًا في تلك الحرب أصلاً .

مع تعدد شخصيات الرواية وتنـوع أنماطها ، وزعت البطولـة عليهم جميعا ، ويصعب فهم شخصيـة من غير الالتفـات إلى سلـوك الشخصيـات الأخـرى وأفكارها ، وأيضا لن نستوعب أثر الحرب على الأفراد دون فهم كل شخصية على حدة . لعل شخصية « فـارس » أكثر الشخصيات إثارة للفضول ، وقد جعلها الروائي محورًا أساسيًّا في العمل .

استهل الكـاتب عمله بـ « فـارس » ذلك الشاب الصغير المتفتـح للحياة ، المتأمل ، وقد اكتشف ذات صبـاح غلق مدرسته ، وذهـاب مُعلمه إلى الحرب ! يعود فارس إلى داره ، ينقل الصورة لأبيه فيخبره ، لعله يخبرنا (الأب) أنهم ألحقوه عنوة بـالحرب مع تركيـا منذ سنوات ، ولكنـه نجح في الهروب من تلك الحرب . يقولها لأن الهروب هنـا من أنماط البطولـة التي يعتـز ويفخر بها الأب . ويـرصد فارس ذلك الارتباك في بيته ، الذي هـو صورة من ارتباك أهل الحـارة وقد أصبح الشغل الشاغل للنـاس هو الحديث عن الحرب وهم يلعبـون الورق في المقهى ، وهم يسعون للحصـول على قوت يومهم وقد اختفت المواد التمـوينية . ثم أخيرًا التحليلات السياسية الساذجة لما يسمعون من أخبار الحرب .

وفي ذلك يصف الروائي الناس بصفات بقوله : «في الحرب لا يشبع الناس فإذا لـم يموتوا جـوعى ، فمعنى ذلك أنهم محظوظون» ، «إن البحر يُعلم الصبر للناس ، يقولها ويؤكد عليها أبو فارس» .

وعلى لسان الـروائي يصف أحد الشخصيـات «جريس المختـار» «إنه ذئب وحمل في الوقت نفسه . أما في ظـروف الحرب فليس بحاجة إلى الخبث لاستغلال الناس سـواء البقال أو حتى خـادم الكنيسـة السكير الطيب القلب أيضـا إنه بشارةالقندلفت» .

وفي الحرب ينشغل الناس بوسائل الدفاع عن النفس ضد الغارات المتوقعة . ووسط هـذا كلـه يبقى المستعمـر المحارب مسيطـرًا بيد أشـد أو أقسى من ذي قبل ، كما حدث من الشرطي الفرنسي عندما ضرب «حسن حلاوة» الفران حيث اتهمه بعضهم أنه شتم فرنسا .

ولا توجـد وسيلـة للمقـاومة إلا بالمظـاهرات التي اشتركت فيهـا السيدات واعتقل أثناءهـا «فارس» و «عبد القـادر» ونقلا من الـلاذقية إلى حلب ، حيث كـانت تجربة الاعتقـال بـالسجن لها أثرهـا على الأبطال . عنـدمـا خرج فـارس استقبلـه أهل الحارة والحارات المجـاورة استقبـال الأبطال ، فيتسـاءل : «مـاذا فعلت من أجل كل هذا الاحتفال ؟ ! » .

يعـود ويتساءل : « أيها أقســي ، السجن أم البطالـة ؟ » . ومع ذلك فـلا

البطل والبطولة في رواية أدب الحرب

يرفض فارس الحرب على إطلاقها : « الحرب التحريرية واجبة » . هكذا انتقلت صور البطل هنا إلى العموم عكس ما صوّره الروائي في رواية « صائد الغزلان » . ها هنا البطل إنسان عادي وضع في موقف (ما) صعب، فكانت ردود الأفعال .

رواية قصيرة « قداس الهارمونيكا »

تخصص الروائي ابن فيتيا في كتابة الروايات القصيرة، منها «قداس الهارمونيكا» . لقد وضحت خبرات الروائي في تلك الرواية بالرغم من موضوعها الذي هو الحرب، فقد التقط المبدع زاوية جديدة تعكس اهتماماته بالفضيلة والأخلاق (محور همه الفني)، فكانت الرواية الحربية على يديه، وتؤكد على نمط جديد للبطل / البطولة في مفهومها الجديد .

لقد نجح الروائي وصديقه «هايكي» في الهروب من الألمان والتجائهما إلى إحدى الكنائس (المكان له دلالته أيضا)، بعدما قتل الراوي «كورت» الألماني المحتل من أجل امرأة سيئة السمعة .

خلال صفحات الرواية استعرض الروائي أحوال الحرب وتأثيرها بالرغم من أنه لم يذكر معركة حربية واحدة تفصيلاً، ولتبقى حادثة قتل الشاب الجندي الألماني ـ بخصوصيتها ـ هي عموم الفكرة والرمز.

الراوي الشاب عادي ألقي به في أتون الحرب، فكان عليه أن يقاتل وقتل فعلا، وهو الذي وصف نفسه بـ «أنا شخصيًّا لستٍ متدينا جدًا لكن . . . »، « لو أمضينا أيامنا في الصلاة هنا لدخلنا الجنة حتما ! »، والمعنى لا يخلو من السخرية أيضًا . في موضوع آخر قال : «إنني أتوقع أن جلفا زنديقا مثلي أو مثل «هايكي» سيتصرف سريعا وكأنه في بيته ويبدأ بقذف مخاطه على الأرض» .

بمضي الوقت يتأمل الراوي نفسه ويقول : «أنا لست سوى أرنب» . إلا أن الراوي يعاني وخزات ضميره في مواضع عدة، فقد نجح ورفيقه في ضرب وشد وثاق «جوهانس» الذي حضر للقبض عليهما . بعدما نجحا تأمل الراوي ذلك الموثوق أمامه وقال : «اقتتال في بيت الله ؟!» .

لا يخلو الراوي / البطل من الصفات الحميدة أيضا بالرغم من الحرب ومن كل شيء . لقد بكى خلال الليلة الأولى في الكنيسة، وذلك بسبب «كريستين» الفتاة التي قتل بسببها الألماني، ولأنه لم ينجح في إبعاد «كورت» أيضا عن ذهنه، يقول : «قتلت رجلا ولا يُريحني كونه ألمانيا» . وفي موضع آخر : «إنني لا أستطيع إبعاد الشعور بالأسف لهذا الفتى الساذج» . وكأنها عقدة ذنب تلبسته، حتى إفراد الراوي، الروائي قسما مستقلا يعرض فيه المزيد والمزيد عن كورت .

ولا تخلو الرواية من عرض لوجهات نظر الروائي في مواضع أخرى تجاه الحرب وبشكل مباشر . يقول الراوي : «ففي زمن الحرب يجب أن تكون للإنسان أفكار ومشاعر غاية في الوضوح والاستقامة»، وفي موضع آخر : «هكذا الحرب، لا يهم كيف قتلت كورت أو ماذا شعرت به وأنا أفعل ذلك، لقد فعلته وهذا كل شيء، كان عليّ أن أفعل وقد حدث . فليس من العقل إطلاقًا أن أحلل ما شعر به كورت . من المحتمل ألا يكون كورت ذلك المتحمس للذهاب إلى الحرب لكنه ذهب وجاءت به الحرب إلى هنا» .

المدهش أنه أثناء المعارك الحربية لم ينجح الراوي / البطل في قتل جندي واحد من الألمان، بينما تعرض هو وصديقه للقتل أثناء هروبهما من الكنيسة عندما تشاجر معهما «جوهانس» المأمور بالبحث عنهما .

أخيرًا عبّر البطل / الراوي عن نفسه أكثر وضوحًا، عندما عبر عن نفسه حين خرج من الكنيسة وقد تم تحرير القرية بالدبابات السوفييتية، لتستقبله فتاة ترتدي ربطة عنق حمراء وعبرت له عن الأعمال البطولية التي لن تضمحل .

ويسخر في ختام الرواية بقوله : «يقول السجل عني ـ أنزل خسائر بأشخاص من الجيش الألماني الفاشي، واختبأ في كنيسة وعالج دون إيذاء ممثلاً من الكولاك المحليين» . وفي موضوع لاحق : «أنا بطل ! كنت في البداية مغضبًا من الحديث عن بطولتي، لكنني اعتدت على ذلك الآن ! » .

ما سبق صورة البطل / البطولة في ثلاثة نماذج من الرواية الحربية . إن لم تخل من التسجيلية، فقط جاوزت الفوتوجرافية الباردة، بل هي التسجيلية المشقّة الكاشفة التي نحتاجها لمعايشة الأحداث . وإن كانت زاحقة في مواضع فيها، فقد تفاوتت في ذلك وجهة نظر الروائي . فصائد الغزلان يعيش الحياة والموت معا حتى يحقق هدفًا لا خيار له فيه، معبرًا في ذلك عن حال الرجل الأبيض . أما فارس الضائع، المسجون، العاطل، وكذا جُملة شخصيات «المصابيح الزرق» يصرخ / يصرخون أحيانًا من وجيعة الحرب فيهم . وهذا هو الراوي في « قداس الهارمونيكا» مجهول الاسم، وكأن الروائي أراد أن يقول إننا كلنا : هذا الرجل الهارب من الحرب القاتل الزنديق الذي لا يخلو من مشاعر إنسانية سامية بالرغم من كل شيء، هكذا الحرب .

الهوامش

(١) من كتاب البطولة في القصص الشعبي، لنبيلة إبراهيم سالم .

(٢) أزمة البطل المعاصر في الرواية الحديثة (آلان روب جرييه) .

آفاق اجتماعية

التربية والإنماء الإنساني

تتعالى صيحات العلماء يومًا بعد يوم لاستكشاف موارد جديدة للطاقة تحافظ على البيئة والهواء نقيًا . وهنا نلمح بأذهاننا فكرة تتعاظم شيئًا فشيئًا بضرورة إنشاء نظام للتربية والتعليم في البلدان العربية يحافظ ويحمي ثقافتنا وتراثنا ، ينمو من الداخل كالنبات ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بكيان المجتمع ، يحترم حياة المواطنين ويؤدي بهم إلى تنمية شخصيتهم . والنظام التربوي الذي نتطلع إليه يمتاز بربط التعليم بحاجات المجتمع القائمة والمستقبلية ، والتطلع الدائم إلى التوسع في الإنتاج وتطويره والتخلي عن النموذج التعليمي الأكاديمي الذي يعيش في عالمه منعزلاً عن عالم الإنتاج والمهن مستوردًا مناهجًا وتقنية جاهزة تحمل في ثناياها ثقافة المنشأ .

إن التقدم الاقتصادي والتقني الذي تسير في اتجاهه البلدان العربية بأمس الحاجة إلى عملية الارتباط بين سوق العمل ومخرجات التعليم ؛ فالحاجة إلى الاختصاصيين الفنيين تتعاظم في مختلف تلك البلدان حيث التجديد والتغيير مستمر وسريع في مختلف ميادين التقنية ، وهذا التجديد والتغيير يتطلب قدرة فائقة على التكيف معه ومن ثمَّ تكييفه مع معطيات المجتمع . ولن يتأتى ذلك إلا للمتخصصين القادرين على التجديد والإبداع ، فما نعتمده اليوم من تقنية سيصبح غدًا غير ذي جدوى ، والأساس العلمي والتربوي الملائم لهؤلاء المتخصصين الذي زودوا به خلال عملية تكوينهم وتأهيلهم وتربيتهم يعطيهم القدرة الكبيرة على البحث الدائم عن الحلول المجدية .

أما كيف نسدُّ احتياج المجتمع من هؤلاء الفنيين المتخصصين فإن ذلك لن يتحقق إلا إذا :

أولاً : صب التعليم النظري في التطبيق العملي ، وإزالة التناقض بين الدراسات الأكاديمية والدراسات المهنية ، وبين الدرس والعمل ، وبين ما هو خطي وما هو شفهي . وبرزت المعرفة باعتبارها خبرة إنسانية متكاملة النشاطات ؛ نظرية وتطبيقية متعددة وذات علاقة أكيدة بالحياة والإنتاج .

وهنا لا بد من التأكيد على أهمية تعليم المفاهيم الأساسية لكل مادة تعليمية ، والابتعاد عن عملية حشو الأذهان ، وتغيير الطالب من متلقي سلبي إلى مشارك فعال كي يتحرر ذهن المتعلم وتنطلق طاقاته الإبداعية ، والتركيز على أهمية العمل باعتباره قيمة قائمة بذاتها ، ونقل عالم المهن إلى الفصل الدراسي نفسه أو إقامة الجسور المتينة الدائمة والمستمرة بين المدرسة والعمل وإدخال مادة التكنولوجيا إلى مناهج المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية حتى يتسنى لعملية التعليم أن تكون في خدمة الاقتصاد والتربية .

ثانيًا : رسم خطة تنمية اقتصادية اجتماعية متكاملة تستهدف استثمار الموارد والطاقات المادية والبشرية إلى أقصى درجة ممكنة لتطوير الأوضاع القائمة اجتماعيا واقتصاديًا . اقتصاديًا : بتوفير العمل لكل قادر عليه ، والتوسع والارتفاع المستمر بالإنتاج من خلال إبداع أو تطويع التكنولوجيا بما يتناسب وثقافة بلداننا العربية ، ومن خلال عملية التدريب والتأهيل الفني والمهني .

اجتماعيًا : ويكون من خلال التوسع في التعليم على المستويات المختلفة وجعله بمتناول الجميع والارتقاء بالمستوى الثقافي العام لجميع المواطنين والقضاء على الأمية بكل أشكالها وعلى التناقض بين العمل الفكري والعمل اليدوي وإعادة الاعتبار إلى العمل كقيمة قائمة بذاتها .

بنهاية المطاف ، إن النموذج أو النظام التربوي الذي نتطلع إليه يجب أن يبنى في تنظيمه ومحتواه ومساره على مجموعة من الأهداف والقيم المتكاملة والمتناغمة مع أهداف وقيم المجتمع .

د. تماضر حسون

قصة قصيرة

الرحلة ٢٤٠

د. أحمد عردات

لـم يعد على موعد إقلاع الطائرة سـوى أربعين دقيقـة ليتم بعـدهـا مغادرة ندى علم الدين من حياته إلى الأبد. لـم تكن ندى بـالطبع تعرف ذلك، أو ربما كـانت تتظاهر بعـدم المعرفة. أو على الأقل، ربما كـانت تتظـاهـر بعـدم الاكتراث لظنهـا أن الاعتراف بالخطأ يحط من كرامتها أمام زوجهـا؛ أو «يطمع» زوجهـا بها على حد تعبيرها.

مـا عرفهـا بهذا الطبع إطلاقـا. كـانت مثـالا للطـاعـة والمحبـة والأخلاق. لطـالما انتظرته في غـرفتها حتى يعـود، حتى لـو بقي خـارج الكلية إلى السـاعة الـرابعة صبـاحا. لـم تفـاتحه يـومـا أين كـان ومع من تحدث. لـم ترد منـه شيئًا سـوى أن تكون معه. كـانت تأخذ رأيه في كل مـا أرادت القيـام به، وعنـدمـا كـان يبـدي تحفظا على شيء لا تـذكر لـه ذلك الشيء من جديد إطلاقا.

أثبتت التجربة أنها كانت تمثل، وقـد أتقنت دورها بكل بـراعة. إنـه ليس غاضبا منها بقدر ما هو غاضب من نفسـه، إذ كان يعتقـد أنـه ذكي ويعرف الكثير عن خبايا الناس. ماذا كانت النتيجة؟ إنه لا يعرف الكثير؛ وإن ثقتـه بنفسه كـانت مفرطـة إلى حدٍ ما.

«لا أريـد الـزواج إذا كـان بهذه الصورة» قالت له بالهاتف وهو يشرح لها أن تأشيرة الـدخـول في الطـريق إليهـا. «أنـا غير مستعـدة أن أذهب كل يـومين أو ثـلاثـة إلى السفـارة لأسألهم إذا كانت تأشيرتي قد وصلت أم لا». ابتسم يـومها إذ كان متـأكدا أنها لـم تقصـد ما قـالت. ألـم تقل يوما إنها مستعدة بـالتضحية بحياتها من أجله؟ كان في تلك الفترة ينتظرها بشوق عمره سنوات.

ما أحبها لجمالها، فلم تكن جميلة أبدا؛ ولـم يحبها لمالها، فلم تكن غنية أيضا. كذلك لـم يحبها لعلمها، فقد فشلت حتى في البكـالوريـا الأولى.

أحب فقط أخـلاقهـا وصـدقهـا وصراحتها واعتزازها بنفسها.

«كم كنـت غبيـا يـا سليم»، وضرب بقبضة يده على فخذه.

كان كلُّ ذلـك وهما؛ كل الذي كـان، كـان وهمًا حطمتـه الأشهـر الثلاثـة التي عاشاها معًا. إن مجيئها للعيش معـه تضحية كبيرة. الفيـلا، عفش البيت، أصـدقـاؤه في العمل ـ كل شيء لا يعجبهـا. لـم يعـرف ما الـذي غيرها. إنها فجـة مع الجميع؛ تنقصها أدنى أسـاليـب اللياقـة، حتى معه هو.

كان الاثنان يقفان في طابور إيداع العفش. كـان سليم يحمل جواز سفر ندى وبطـاقة سفرهـا. لـم تكن قط اطلعت على جـواز السفـر قبل الآن وإلا لما كـانـت تسألـه بين اللحظـة والثانية إذا ما كان يحبها.

شعـر سليم بيـد تلمس كتفـه. كان ذلك مسافر آخـر يسأله إذا كان الصف الـذي يقفـون بـه هـو صف الدرجة الأولى. «كان يجب أن أستمع له»، وضرب بأم يده على فخذه ثانية.

«ما بك يا عزيـزي. تبدو حزينًا وشاردًا.

اصطنـع ابتســامـــة وقـــال: «لا شيء».

كـان رفيق وعـاصـم قـد حـذراه من الزواج منها.

«أنت لا تعـرفها على حقيقتهـا. إنها متقلبـــة وتضع أقنعـــة كثيرة على وجهها، غير ما تبـدو لك تماما. إنها كسـولـة، سليطة اللسـان، وقحـة، وغبية».

«أنا لا أسمح لكما بالتكلم عنها بهذه الطـريقة. يجب أن تعـرفـا أنها ستكـون زوجتي»، قـال سليم بنـوع من الحدة. «سليم! نحـن إخـوة. ولولا أن أمـرك يهمنا وخوفنا مـن أننا سنخسرك، لما تكلمنا معك بالموضوع إطلاقا».

«ألا تظنـــان أنكما متحـامـلان عليها لسبب أو لآخر؟».

«أنا أعرف لماذا أنت مصمم على الزواج منها. أنا أعرفك جيدا ـ خمس سنوات أليس كذلك؟ إن مشكلتك هي مبالغتك في فضيلة الوفـاء. لـو أنك تزوجتها قبل سنتين لما تجرأنا أن نتفوه بكلمة ضـدها. ربما إنها كانت في الماضي كما تظن. غير أن الأمور قد تغيرت، تغيرت جـدا. لقـد وعـدتها بالزواج. حسنـا ولكنك وعدت ندى التي عرفت والتي لو ظلت هي إياها لطالبتك أنـا وعاصم بالوفـاء بوعدك لها. بـاختصار يـا سليم وآخـر شيء سنقوله لك إن ندى اليوم ليست ندى التي عرفت».

«يـا أستـاذ! حبـذا لـو تلحق بالشخص الـذي أمامك؟ نـريد أن ننتهي».

نظـــرت نـــدى إلى سليم وهي تبتسم، لتذكـره بما قالت قبل قليل، أي أنه حزين وشارد.

انحنى سليم ليلتقط حقيبـة يـد نـــدى عن الأرض ودفع حقيبـــة السمسـونايت الكبيرة البنيـة برجله فتحركـت بسهولة بسبب العجلات المثبتة لهذا الغرض في أسفلها.

لم يكن الأمر سهـلا بالنسبـة له.

لقد كان يشعر وكأن هنـاك ترسا من السكـاكين يدور في صـدره. أراد أن ينظر إليها ويضمها إلى صدره ليسألها

لماذا تغيرت، لكنه تذكر ما قالته مرة وهي تتكلم مع صديقتها ـ «الزواج شر لا بد منه».

تدارك نفسه عندما شعر بأن الدموع تتجمع في عينيه. لم يكن يتصور قط أن مثل ذلك يمكن أن يحدث له. تصوره يحدث في الروايات في السينما والمسرح . . . ربما لأحد معارفه أو لأحد أصدقائه. أما أن يحدث ذلك معه شخصيا . . . مستحيل.

كان سليم قوي الشخصية عصاميا شديد الاعتزاز بنفسه وكرامته. أشد ما كان يكره هو الكذب والخيانة والكسل. لطالما أخبرها بذلك وكانت دائما تعقب على كل واحدة من هذه الصفات بقصة حدثت معها لتثبت له بأنها توافقه الرأي تماما في كل ما تحدث به. قالت له إنها تحب الألوان التي يحب، والطعام الذي يحب والموسيقى التي يحب. وبالفعل كانت ألوان ملابسها هي نفس ألوان ملابسه.

خسارة. كانت ندى بارعة في صنعة الماكياج. لقد استطاعت أن تغطي كل نقيصة عندها بشيء ملون، قطعة قماش تشتريها لتقنعه بها أنها أحبته. لقد انهار كل شيء، حتى الشيء الوحيد الذي أحبها من أجله ـ اعتزازها بنفسها.

«ما أريد أن أعرفه هو ـ كيف سمحت لنفسك أن تنحدري إلى هذا المستوى؟».

«أنا كل عمري هكذا. إنك أنت الذي كنت تضع غشاوة على عينيك.

إن ما يحق للرجل هو أيضا حق المرأة. هكذا علمني أهلي، وهكذا أحب أن أعيش»، قالتها له مرة بوقاحة أدهشته.

تمنى في تلك اللحظة أن يقول لها «أنت طالق»، لكنه خاف الفضيحة. لقد صرخ مرة في وجهها فبدأت تصرخ بأعلى صوتها للجيران في الفلل الأخرى، وفي مرة ثانية هددته بالاتصال بالشرطة. لهذا رأى أن ينتظر حتى يحين الوقت. إضافة إلى ذلك تذكر أنها ما زالت وحيدة في أرض غريبة، إذ لم تستطع أن تصادق امرأة منذ وصولها. شعر أنه يجب أن يواسيها وفي الوقت نفسه يقنع نفسه أنها منذ تلك اللحظة لم تعد زوجته شرعا.

«هل تريدني زوجة لك بعد كل ما سببته لك من مشكلات؟».

فكر سليم أن كلمة «لا» ستزيد الأمور سوءًا. ثم تذكر أنها قد هددته مرة بالانتحار.

تخيل نفسه عائدًا من عمله ليجدها في غرفة الحمام أو غرفة النوم أو غرفة الجلوس في بركة من الدم بعد أن قطعت الوريد في رسغ يدها.

سيبلغ السلطة. تذهب الجثة إلى المشرحة ويذهب هو للتحقيق.

حمدا لله انقضى الوقت بسرعة. لم يكن يصدق أن ثلاثة أشهر قد مرت على الحادثة. ثم إنه لو استطاع أن يحصل لها على تأشيرة خروج عندها لما رضيت بالسفر؛ إذ لا بد أن تشك في نيته نحوها، أي أنه يريدها أن تخرج من دون عودة.

«هكذا أفضل. إنها تعتقد أنها ذاهبة في عطلة صيفية».

شعر سليم وكأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كتفيه. ولاحظ أنه يبتسم.

شعر بالخجل، ونظر حوله حتى يتأكد أن ليس هناك من يراقبه.



لم تكن ندى بجانبه. نظر يمنة ويسرة وإلى الخلف؛ فإذا بها تتحدث مع شابين لم يرهما في حياته من قبل. «تبًا لها من امرأة. إنها تتصرف وكأنها قد أتت من كوكب آخر. ألا تعرف حدود اللياقة؟ ألا تعرف بأنها إذا كانت تقف مع إنسان ـ دعك من أن هذا الإنسان هو زوجها ـ يجب أن تستأذن من هذا الإنسان قبل أن تذهب لتتكلم مع شخص آخر. الحمد لله، كلها نصف ساعة وينتهي كل شيء».

اندفع الدم إلى وجهه وبدأ الغيظ يأكل قلبه. تمنى لو أنه يستطيع الذهاب إليها ليصفعها على وجهها وليصرخ في وجهها «مزيفة».

«هذا صديقي منذ أيام الدراسة، يا سليم. أريدك أن تقابل زياد الحاج، قالت ندى وهي في غاية السعادة. تذكر سليم أن الطريقة التي قدمت بها زياد الحاج تشبه إلى حد كبير الطريقة التي قدمت بها جمال مرعي. «سليم مالك، تشرفنا».

«كانت ندى من أعز أصدقائي في المدرسة الثانوية».

«علشان هيك سقطت في البكالوريا؟» قال بنوع من الدعابة السوداء.

«لا! بالفعل كان الامتحان صعبا جدا في تلك السنة. لقد سقط معظم طلاب الصف».

«يا شيخ، أخذت الموضوع جدًا. مجرد دعابة».

نظر زياد إلى ندى: «منذ متى وأنت هنا؟».

منذ ثلاثة أشهر.

«هذا رائع. لماذا لم تعرفينني على الأستاذ زياد قبل الآن يا ندى؟».

«لم أكن أعرف أنه موجود هنا. إنها مصادفة جميلة جدًا يا زياد؛ تعالَ هناك الكثير الذي يجب أن نتحدث فيه».

«كم كنت غبيا! هذه بالضبط هي الطريقة التي عرفتني بها على زميلها جمال مرعي وسهيل خياط. كانت تسميهما «الشباب».

كانا مرة يجلسان في غرفة انتظار المدرسة التي كانت تدرس بها. رن جرس الهاتف، فهرعت إليه وكأنها عامل الهاتف المكلف بالأمر.

قصة قصيرة

الرحلة ٠٢٤



«جمال ! أنا ندى» .

«ولا يهمك» .

«سآتي أنا وسليم إليك حالا» .

«لقـد كـان رفيق وعـاصم على حق . لـو لـم أكن أعمى ، لتركتهـا منذ تلك اللحظة» .

أعطى سليم ندى ــ التي كانت تقف جانبـا تتكلم مع زياد ــ حقيبة يدها . سار سليم بالحقيبة الكبيرة إلى الميزان ، وقدم جواز السفر إلى الموظف الـذي أخذ ينظـر بين بطـاقة السفـر والجواز .

«خروج بلا عودة» ؟

«لست المسافر» .

«الرجاء من ركاب رحلة ٠٢٤ بالتـوجه إلى البوابـة رقم ١٣ للصعود إلى الطائرة» .

وضع الموظف بطـاقـة صعـود الطائرة في بطاقـة السفر التي وضعها بدورها في جواز السفر وناولها لسليم قائلا : «سفرا سعيدا» .

«ماذا تريدني أن أحضر لك عند عودتي ؟» سألت ندى وهي تسير مع سليم بـاتجاه مـوظف الجوازات . كـادت عيناه أن تغـرقـا بالـدمع من جديـد . لقد شعر بإحسـاس غريب وكأنــه يـريــد أن يقــول لها «إني أسـامحك» . لكن لم يكن بإمكانـه أن يفعل ذلك . كان الجرح الـذي سببته له أعمق من شحنـة عاطفية عـابرة . ودون أن ينظـر في عينيهـا قـال لها : «سلامتك . لا شيء» .

«سأشتاق لك جدا . ستتصل بي بـالهاتف . أليس كـذلـك ؟ اعتن بنفسك حتى أعود إليك» .

«هناك رسالة مختـومة . إنها مهمة جدا . رجاء لا تفتحيها قبل وصولك إلى البيت» .

أرادت أن تقبله ، غير أنه أبعدها بكل لطف . مشى وناول جواز سفرها إلى مـوظف الجوازات . ختم الموظف الجواز واحتفظ ببطاقة المغادرة .

«أنت مسافر ؟» .

«لا» .

«إذن بإمكانك الرجوع من هنا» .

سـارت ندى وهـي تنظر وراءهـا وتلـوح لـه بيدهـا ؛ وبعـد أن تخطت حاجز التفتيش غـابت عن نظره أمام المسافرين الآخرين .

نظـر إلى سـاعتــه . هنـاك عشر دقائق على إقلاع الطـائرة . صعد إلى الكافيتيريا ليشرب فنجانا من القهوة . جلس وهـو شـارد تمامـا . لقـد كـان القرار مؤلما ولكنها لم تترك له أي خيار آخر . لـولا تذكره للحـاضر القريب لاعتقد أن الماضي معها كان جميلا .

«سيـداتي سادتي ، تعلن خطـوط عبر المحيطـات بإقــلاع رحلتهـا رقم ٠٢٤ » .

«أتمنى لـك السعــادة مـن كل قلبي» تمتم سليم في نفسـه وهو يقف ليعود إلى البيت وحيدًا .

همسة

شعر : محمود عمر خيتي

أبـــوحُ إليـكِ فــاقتربي
يطيـــبُ السِـــرُّ بالهمــسِ

أخـــافُ العــالَمَ المجنــون
أنْ يـــدريْ صــدَىْ نفسي

فما في النفـسِ سِرُّ الـــرُّوحِ
سِرُّ كِيـــاني المَنْسِي

ولكـــن ربما أسْرَفْـــتُ
في خـــوفي وفي حسِّـــي

أبــــوحُ إليكِ سَــاخَ الحرفُ
في صَـــدري وفي رأسي

أبــــوح لأنني أمسَكْـتُ
في كَفِّـــي مُنـــىْ الأمـسِ

رأيـتُ البحـــرَ زرقتــــه
على عينيـــك لا تُمسي

رأيـتُ السِّحـــرَ حين غَفـــا
على جفنَيْــكِ كــالحَدْسِ

رأيـتُ الشِعـــرَ مــرســومًا
خفــيَّ النَغْـــمِ والجَرْسِ

مــزاجٌ ســاحــرُ الألـــوانِ
بين الجِنِّ والإنـــسِ

أبـــوحُ وليتَني مـــا بُحْتُ
مـــا أسرفْتُ في همسي

فلـــونُكِ غيرُ لــونِ الــرمْلِ
والصحـــراءِ والشَّمْـسِ

جمالُـكِ لسـتُ أفهمُـــهُ
شبيـــهُ الـــوردِ في الــرِّمْسِ

جمالُـــكِ ليـــس مـــن نخلي
وجنســـك ليـــس مِـــن جنسي

جمالٌ رائعٌ لكـــن
مَنَعـتُ يَـــدِيْ مِـنَ اللَّمْـسِ

صحافة العلماء بالمغرب

إسماعيل الخطيب

تنبه علماء المغرب إلى ما للصحافة من دور كبير في عملية الإصلاح .

وقد برز اهتمامهم بالصحافة، خلال فترة مهمة من تاريخ المغرب؛ عندما كان الاستعمار الأوروبي يعمل جاهدًا على البحث عن كل الوسائل التي تمكنه من احتلال البلاد [١].

وكانت الصحافة من هذه الوسائل التي توسل بها لتحقيق مطامعه، وهكذا أصبحت مدينة طنجة تتوفر ابتداء من عام ١٢٨٧هـ ــ ١٨٧٠م على مجموعة من الصحف، معظمها في ملك يهود، وبعضها من إصدار القنصليات الأجنبية، خاصة الفرنسية والإنجليزية، تصدر باللغات : العربية والفرنسية، والإنجليزية : مثل «أنباء المغرب» و «السعادة» وقد اتخذت من الدعوة إلى (حماية) المغرب من طرف الدول الأوروبية رسالة (تبشر) بها [٢].

الانطلاقة

وإذا كانت مدينة **طنجة** [٣] ـ نظرًا ـ لموقعها ووضعيتها ــ قد أصبحت أوائل القرن الميلادي الحالي مركزًا للصحافة الأجنبية الناشرة للفكرة الاستعمارية، فإن عاصمة المغرب العلمية (فاس) **تعد أول مدينة مغربية تصدر بها أول جريدة أنشأها رجل وطني في المغرب .**

وقد حملت هذه الجريدة اسم «**الطاعون**» وأصدرها **محمد بن عبد الكبير الكتاني** سنة ١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦م [٤].

عملت هذه الجريدة على التصدي لمقولات الصحف التي كانت تصدر بطنجة، وعلى فضح النوايا الاستعمارية، مع الدعوة إلى الإصلاح في شتى المجالات .

وفي الفترة نفسها ظهرت صحف أخرى كمجلة « **سنان القلم**» التي أصدرها **محمد العابد بن سودة**، وجريدة «**المفاكهة**» التي أصدرها **عبد الحي الكتاني**، وجريدة «تنبيه المستبد» التي أصدرها **محمد بن يحيى الصقلي** [٥].

والملاحظ أن هذه النهضة الصحافية قامت على أكتاف العلماء، ــ خاصة رجال جامع القرويين ـ الذين تنبهوا مبكرًا لدور الصحافة في نشر الوعي، ومقاومة الاستعمار .

وقد سار علماء المغرب ـ من الذين أتوا بعد ذلك الرعيل الأول ـ على نهج أسلافهم فاهتموا بالعمل الصحافي، وأصدروا مجموعة من الصحف والمجلات أسهمت بنصيب وافر في الدعوة والإصلاح ومقاومة الانحراف .

وتختلف هذه المرحلة عن المرحلة السابقة بشكل واضح، فقد أصبحت صحافة العلماء، صحافة دعوة وإصلاح، بعد أن تمكن الاستعمار الأوروبي من احتلال البلاد وفرض (حمايته) عليها .

وانتقل الإصدار إلى مدينة **تطوان** التي تأسس بها عام ١٣٣٥ هـ ــ ١٩١٧م أول مجمع علمي مغربي. كان له دور ملحوظ في بعث الحركة الثقافية بما نشر من مطبوعات، خاصة جريدة



الجزء الثاني — السنة الثانية

رئيس التحرير الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الحسيني — المدير المسئول محمد بن محمد إبن فريحة

لسان الدين — مجلة ثقافية جامعة — تصدر مرة في الشهر — شوال 1366 — اغسطس 1947

الادارة العرسة الحضرة — صندوق البريد 127 — ثمن الجزء بسيطتان ونصف

توحيد الربوبية وتوحيد العبادة

2

(تابع لما نشر في الجزء الاول من السنة الماضية)

نشرنا في الجزء الاول من هذه المجلة مقالا تحت هذه الترجمة، بينا فيه الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، والممنا بشيء من انواع العبادة التي هي حق الله على عباده فلما قرا ذلك المقال العالم العبقري الاستاذ عبد الله كنون كتب الي بما معناه، ان لم يكن لفظه: اما مقال توحيد الربوبية وتوحيد العبادة فقد اعجبت به ايما اعجاب، واقترح عليك ان تستمر في الكتابة في هذا



ذو القعدة 1357 — يناير 1939

السنة الاولى — الجزء الاول

الارشاد الديني

مجلة اسلامية ثقافية

تصدر بتطوان المغرب مرة في الشهر

مديرها ورئيس تحريرها المسئول: محمد الطنجي

موضوعات العدد

خطة الارشاد الديني

عهد جديد

مهمات الشباب في التاريخ

الامام ابن خلدون وتاريخ المغرب

البدع والخرافات

تلقين الميت

من كتاب العدد

● **إسماعيل الخطيب**

من مواليد ١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢م .

ــ تلقى تعليمه الأولي على والده، وفي الكُتّاب، حفظ القرآن ثم تابع دراسته الابتدائية والثانوية بتطوان .

ــ تابع دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) ثم في كلية أصول الدين بتطوان وحصل منها على شهادة العالمية .

ـ تابع الدراسات العليا بدار الحديث (الرباط) وحصل منها على دبلوم الدراسات العليا .

ـ أستاذ الفكر الإسلامي بكلية أصول الدين بتطوان .

ـ عضو رابطة علماء المغرب .

ـ مدير جريدة (النور) .

مؤلفاته :

ـ الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع .

ـ خطب الخطيب (٣ أجزاء) .

ــ المخدرات : أنواعها، حكمها .

ـ الأشراف على أعلى شرف (تحقيق) .

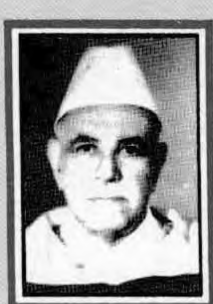
ـ لماذا الأحد ؟

ـ قصة الغرانيق : ما مدى صحتها ؟

ـ الصحوة الإسلامية، والإعلام الغربي .



صحافة العلماء بالمغرب



محمد الطنجي

«الإصلاح» التي رأس تحريرها محمد العربي الخطيب [٦].

ومن خلال أعداد هذه الجريدة نتبين ملامح الدعوة الإصلاحية التي برزت من خلال مقالات رئيس تحريرها التي تدور حول الطرقية المنحرفة، والدعوة إلى إصلاح التعليم ونشر اللغة العربية والاهتمام بالصناعات الحديثة.

مجلات العلماء

وعلى هذا المنهج سارت المجلات التي أصدرها: **محمد الطنجي** [٧]، **ومحمد تقيّ الدين الهلالي** [٨] **ومحمد داود** [٩]، **ومحمد المكي الناصري** [١٠].

فبعد احتجاب «الإصلاح» عرفت مدينة تطوان



الإصلاح

نهضة صحافية مهمة، فصدرت عشرات الصحف السياسية والعلمية والأدبية، وتعتبر مجلة **«الإرشاد الديني» أول مجلة إسلامية تصدر بالمغرب** وتتبنى الدعوة السلفية التي برزت أوائل العهد الاستعماري كقوة دافعة نحو التحرر ومقاومة التيارات المنحرفة، وإذا كانت الدعوة السلفية التصحيحية قد لقيت قبولاً لدى الشباب المغربي ــ بصفة خاصة ــ فإن

مجلة **«الإرشاد الديني»** كانت الصوت المعبر عما يختلج في نفوس الدعاة من تطلع إلى فضح أعمال المستغلين للشعب باسم الدين من دعاة البدع والضلالات.

وقد وجد القارئ في أعداد المجلة مقالات متعددة عن البدع والخرافات، خاصة منها ما كان منتشرًا آنذاك. كما قرأ عدة مقالات عن مفهوم كلمة **«التوحيد»** وحقيقة الإيمان، ودراسات حول الفقه ووجوب إصلاحه.

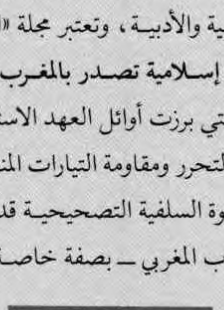
وإذا كانت **«الإرشاد الديني»** لم تكمل سنتها الأولى، فإن أعدادها ظلت متداولة بين القراء. ومرجعًا لدراسة الدعوة السلفية بالمغرب.

ولم تمض بضعة أعوام حتى أصدر **الدكتور محمد تقيّ الدين الهلالي** مجلة **«لسان الدين»** [١١] التي عرفت انتشارًا ملحوظًا واستطاعت أن تجمع بين أقلام دعاة الإصلاح والسلفية في المغرب والمشرق، أمثال: **عبد الله كنون، محمد علي الطاهر، عبد الظاهر أبو السمح، محمد بهجة البيطار، شكيب أرسلان، محمد الطنجي**.

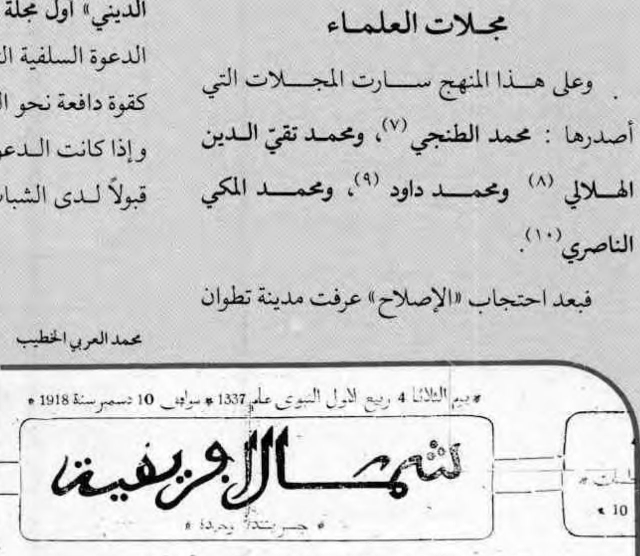
وعلى صفحاتها كتب الدكتور الهلالي مجموعة من المقالات في الدعوة، مثل: **«توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية»، «الكرامات الحقيقية»، «اتباع الرسول لا يجتمع مع التعصب والتقليد» «العقيدة السلفية والعقيدة المبتدعة»**.

وقد كان صدور **«لسان الدين»** في فترة نشطت فيها الدعوة السلفية بالمغرب نشاطًا ملحوظًا وبرز فيها دعاتها، وفي مقدمتهم محمد بن العربي العلوي وتقي الدين الهلالي.

وبعد أن اضطر **الدكتور الهلالي** إلى مغادرة المغرب [١٢]، تولى **عبد الله كنون** إدارة **«لسان الدين»** فسار على منهج سلفه. وقد استطاعت **«لسان الدين»** أن تستمر في الصدور مدة فاقت مُدَد المجلات الأخرى.



محمد العربي الخطيب



يوم الثلاثاء 4 ربيع الأول النبوي عام 1337 * موافق 10 دسمبر سنة 1918

الشمال الإفريقي

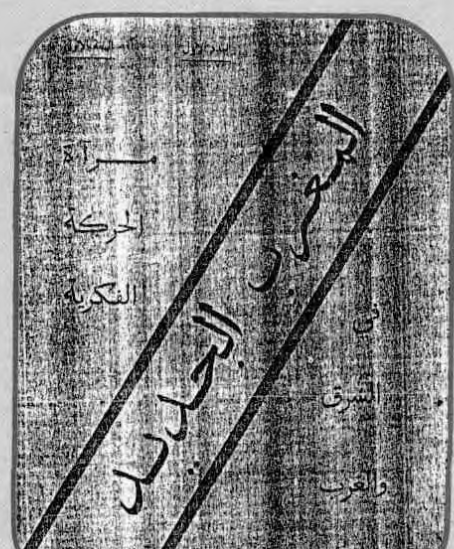
في مدينة فاس كان صدور أول صحيفة مغربية وطنية

وقبل صدور هاتين المجلتين بأعوام كان **محمد داود** قد أصدر مجلته «**السلام**» [١٣]. وإذا كان صاحب (**السلام**) دعا في الكلمة الافتتاحية للعدد الأول إلى إنشاء صحف «مختلفة الموضوعات متنوعة الأساليب» فإن الصحف التي نتحدث عنها قد تباينت فيما بينها فتنوعت أساليبها، واختلفت موضوعاتها.

فإذا كانت «**الإرشاد الديني**» قد التزمت خطَّ الدعوة السلفية، فإن «**لسان الدين**» جمعت بين الأدب والدعوة. **أما «السلام» فقد اتجهت وجهة الدعوة إلى الإصلاح في ميدان التربية والتعليم بصفة خاصة، وأولت اهتمامًا ملحوظًا لِعمل الحركة الوطنية الهادف إلى تحرير البلاد من رق الاستعمار.**

وهكذا قرأنا على صفحاتها مقالات لرواد الحركة الوطنية : علاّل الفاسي، عبد الخالق الطريسي، سعيد حجي، محمد بن الحسن الوزّاني، محمد بنونة. كما قرأنا الأناشيد التي كانت تلقى في التجمعات الخطابية، والتي كانت تلهب حماسة الجماهير، وتجدد فيهم الشوق إلى عهد الحرية والاستقلال.

وقد حرصت «**السلام**» على إصدار ملحق



مصور مع كل عدد، يمكن اعتباره الآن وثيقة عن ملامح الحركة العلمية والثقافية والسياسية بالمغرب عامة، وتطوان بصفة خاصة، فقد ضم صور طائفة من العلماء والأدباء والسياسيين، ومختلف الأنشطة الثقافية، وأهم الأحداث.

أما مجلة «**المغرب الجديد**» [١٤] فقد امتازت بلون خاص، لقد رأى مؤسسها أن شباب المغرب أصبحوا : (وكأنهم أوصياء هذه الأمة وأطباؤها يحرسون تراثها ويعالجون أمراضها، وقد أخذوا على أنفسهم عهدًا أن يجعلوا الأرض المغربية جنة من جنان الدنيا، وأن يرفعوا العقلية المغربية إلى أسمى الدرجات في سماء الفكر العليا) [١٥].

وقد رأت «**المغرب الجديد**» أن تتجه اتجاها (صالحًا مفيدًا) في خدمة العقلية المغربية بتعريف الشعب المغربي بنفسه وبغيره، وذلك من خلال معرفة الأرض التي يسكنها : مميزاتها وخصائصها، مع تعرُّفِ تاريخها بفضائله ونقائصه، والاطلاع على مدنية الشعوب المعاصرة (ذات الحضارة الصناعية والآلية ولا سيما شعوب البحر الأبيض المتوسط) [١٦].

وإن على الشعب المغربي - وهو الشعب المتدين - أن يكون على علم بدينه، واطلاع على واقع الشعوب والجماعات الإسلامية التي تربطه بها روابط الدين ومصالح الملة العليا.

وقد رأت المجلة أن لا تهتم بمشكلات السياسة الداخلية لأسباب، منها : أنها من اختصاص الصحف اليومية والأسبوعية.

وباستعراض صفحات أعداد «**المغرب الجديد**» نقرأ عناوين مقالاتها، مثل : «**الحكومة الحسنية والامتيازات الأجنبية**» [١٧]، «**الحركة السلفية والصفات العامة لوجهتها الحاضرة**» [١٨]. «**أبو علي البوسي**» [١٩]، «**دعائم الإصلاح الديني**» [٢٠].



التهامي الوزاني



كما نقرأ لطائفة من كتّاب المشرق والمغرب، مثل : **شكيب أرسلان، توفيق الحكيم، مصطفى صادق الرافعي، مصطفى المراغي، أحمد حسن الزيات، علاّل الفاسي، محمد القري، محمد المختار السوسي، عبد المجيد بن جلون.**

جرائد العلماء

اهتم علماء المغرب بالجرائد، وقد حدثني


محمد المكي الناصري

تطوان
يوم الجمعة
9 رجب 1358
25 غشت 1939
السنة 3 ـ العدد 104

يشرف على سياستها وتحريرها
محمد المكى الناصرى
يشرف على ادارتها
عبد السلام التمسمانى
عنوان الادارة
شارع الخيرالينموقراطكو
رقم التلفون 122

الوحدة المغربية

لسان حال الوطنية الاسلامية

اهمية البحر الابيض المتوسط

الشمال الافريقى امام فرنسا

للكاتب العبقرى الاستاذ على الحمامى

(تابع لما نشر فى العدد السابق)

— 7 —

الوزارة الماهرية الجديدة بمصر

مر على القطر المصرى الشقيق خلال هذا الشهر اسبوع كامل فى انتظار تاليف وزارة جديدة، وانتهى الامر بتاليفها من

وزير الاوقاف. ابراهيم عبد الهادى وزير دولة للشئون البرلمانية. مصطفى الشوربجى بك وزير العدل. الشاذلى باشا

أستاذنا **عبد الله كنون** أن أكبر رغبة لم يتمكن من تحقيقها هي إصدار جريدة يومية تواكب الأحداث.

وقد استطاع ثلة من العلماء إصدار صحف تصدر مرة أو مرتين في الأسبوع.

وتأتي جريدة «**الريف**» التي أصدرها التهامي **الوزاني**[٢١] في مقدمة الجرائد التي استمر صدورها لعدة سنوات[٢٢].

ومع أن المغرب كان يرزح آنذاك تحت الحكم الأجنبي، فإن مدير «**الريف**» أعلن في افتتاحية العدد الأول أن: «الريف تألو على نفسها أن تكون في السياسة الداخلية للمغرب مغربية قحة لا تقبل هوادة ولا مداراة، وإن من مبادئنا الأساسية الأولية السعي والعمل بكل الوسائل المشروعة لتكوين وحدة إسلامية محكمة الربط بين الأقطار التي تدين بما أنزل في ليلة القدر».

ويتحدث عن نظرة العالم والمثقف إلى الصحافة، فيقول: «وحاجتنا إلى الصحافة تختلف عن حاجة المرتزقين المحترفين؛ لأننا نعتبر الصحافة أمانة فكرية يجب أداؤها تامة كاملة...».

وقد اهتمت «الريف» بالحوادث والأخبار المحلية، وبأخبار الحركة الوطنية، ونشرت مقالات وخطب زعماء الحركة الاستقلالية، وظلت افتتاحياتها تعبر عن روح الوطنية الإسلامية.

وفي الفترة نفسها أصدر **محمد داود**، جريدة «**الأخبار**»[٢٣] **التي اهتمت بأخبار العالم عامة، والعربي والإسلامي بصفة خاصة، وخصصت صفحة مصورة للحوادث**، وقد أعلن مديرها عن خطة الجريدة بقوله: «إن عملنا مصحوب

الهوامش

(١) برزت المطامع الأجنبية في احتلال المغرب أوائل سنة ١٢٧٦هـ ـ ١٨٥٩م عندما أقدمت أسبانيا على احتلال مدينة تطوان (١٨٦٠م) ومنذ ذلك التاريخ ودول أوروبا (إسبانيا، فرنسا، بريطانيا، ألمانيا) تسعى إلى إيجاد الجو المناسب لتدخلها، وقد عرف المغرب موجة من الاضطرابات مما فسح المجال أمام التدخل الأجنبي، خاصة بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (١٩٠٦م)، فأخذت دول أوروبا تحشر أنفها في أمور المغرب الداخلية وتفرض رأيها حتى تم لها الأمر بإعلان الحماية الإسبانية والفرنسية عام ١٣٣٠ هـ (٣٠ آذار/ مارس ١٩١٢م).

(٢) زين العابدين الكتاني: الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها. ص ٩٦، ١٠٠، ١٣٧.

(٣) تطل مدينة طنجة على بوغاز جبل طارق، وقد كانت ـ قبل الحماية ـ مركزًا للبعثات الدبلوماسية الأجنبية، ولذلك كانت مقرًا لوزير خارجية المغرب، وهذه الوضعية فرضت عليها نوعًا من التفتح مما ساعد على ازدهار الصحافة الأجنبية فيها. وقد سمحت تلك الصحافة لنفسها بعدم احترام المشاعر الدينية، وبالتطاول على سيادة البلاد، وقد حاولت السلطات توقيفها، غير أن الدول الأوروبية الممولة لها امتنعت عن توقيفها. وهكذا استمر صدورها إلى العهد الاستعماري.

(٤) محمد بن عبد الكبير الكتاني (١٢٩٠ ـ ١٣٢٧هـ) من علماء فاس، فقيه متصوف، شارك بنصيب وافر في الحركة الإصلاحية الداعية إلى المطالبة بالدستور وإقامة الشورى، له عدة مؤلفات ـ انظر كتاب: (ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد).

(٥) الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها ١٠٥ ـ ١٠٨ هـ.

(٦) محمد العربي الخطيب (١٣٠٤ ـ ١٤٠٠ هـ) درس بفاس ثم بالأزهر، والتحق بدار الدعوة والإرشاد، وتتلمذ على الشيخ محمد رشيد رضا، وبعد عودته للمغرب عمل مديرًا للنشر بالمجمع العلمي، وتولى رئاسة تحرير جريدة «الإصلاح» وجريدة «**شمال أفريقية وشارك بالكتابة في مختلف صحف تطوان إلى** جانب عمله في التدريس.

(٧) محمد الطنجي (١٣٢٠ ـ ١٤١١هـ) درس بتطوان وفاس، وتخرج في كلية أصول الدين بالأزهر. عمل أستاذًا، ثم مديرًا للمعهد الديني، وبعد الاستقلال عمل رئيسًا لقسم الوعظ بوزارة الأوقاف، وانتخب نائبًا للأمين العام لرابطة علماء المغرب. أصدر مجلة الإرشاد الديني، وكتب في عدة مجلات وصحف.

(٨) محمد تقيّ الدين الهلالي (١٣١١ ـ ١٤٠٧ هـ) ولد بسجلماسة ـ المغرب ـ ورحل لطلب العلم. درس بفاس، بجامع القرويين، ثم بمصر، وبعد الحج توجه إلى الهند لدراسة الحديث، ثم استقر مدة بالعراق، توجه بعدها إلى المدينة النبوية حيث عين مراقبًا للمدرسين في المسجد النبوي. تعددت رحلاته بين الهند والعراق وسورية وألمانيا التي حصل من جامعتها (جامعة برلين) على درجة الدكتوراه سنة ١٩٤٠م. اشتغل بالتدريس في عدة أقطار وبعدة جامعات آخرها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. في عام ١٣٩٤هـ عاد إلى المغرب ليتفرغ للدعوة واستقر أخيرًا بمدينة الدار البيضاء وبها توفي.
له عدة مؤلفات ومقالات منشورة في مختلف الصحف والمجلات بالمغرب والمشرق.

(٩) محمد داود (١٣١٨ ـ ١٤٠٤ هـ) ولد بتطوان، وبها تابع دراسته الأولية، ثم التحق بجامع القرويين. وبعد عودته لتطوان أسس (المدرسة الأهلية) سنة ١٣٤٣هـ وعمل بها مديرًا وأستاذًا. وفي عام ١٣٤٧هـ أنشأ (المطبعة المهدية) ـ التي تولت طبع جل الكتب والصحف الصادرة بتطوان في عهد الحماية. في سنة ١٣٦١هـ عين مديرًا للمعارف، فساهم في تطوير مناهج الدراسة خاصة في المعاهد الدينية. أصدر جريدة «الأخبار» الأسبوعية، وساهم بقسط وافر في حركة التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق. ألف عدة كتب، منها «تاريخ تطوان» ١٢ مجلدًا، وكتاب «تاريخ النقود المغربية» وكتاب «على رأس الأربعين» وكتاب «عائلات تطوان».

(١٠) محمد المكي الناصري (١٣٢٤ هـ ـ   ) درس بمسقط رأسه (الرباط) ثم تابع دراسته بجامعة القاهرة وبكلية الحقوق بجامعة جنيف، تشبع بالدعوة السلفية، وساهم في الحركة التعليمية وعمل في الميدان النضالي السياسي، شغل عدة مناصب منها

«التأكيد على الانتماء العربي الإسلامي وجهة أصيلة للصحافة المغربية»

بالاجتهاد والتجديد لا بالجمود والتقليد، وإذا كان لنا رائد في كفاحنا فإنما هو الإخلاص، الإخلاص لديننا الحنيف بالمحافظة التامة على مبادئه السامية ونشر فضائله العليا والدفاع عنه ضد كل من يريد مس شيء من مقدساتنا، والإخلاص لوطننا ومقاومة كل من تسول له نفسه الاعتداء على أي حق من حقوقنا».

وقد ضمت الأعداد أبوابًا ثابتة هي :

- أنباء العالم.
- في بلاد العروبة والإسلام.
- الثقافة العامة (تراجم لأعلام المغرب).

كما أصدر **محمد المكي الناصري جريدة «الوحدة المغربية»**[٢٤] التي حدد أهدافها في :

١ - الدفاع عن المبادىء العامة للوطنية المغربية وتتجلى في حماية العروبة والإسلام وتحرير الشعب من كل أنواع الاستعباد.



عبد الله كنون



محمد داود

٢ - تعريف المغاربة بقضية بلادهم والوضعية الحاضرة بها.

٣ - أن تكون صلة وصل بين المغاربة وإخوانهم في الشرق والغرب.

وقد عملت جريدة «الوحدة المغربية» على فضح الدسائس الاستعمارية، خاصة إبان صدور (الظهير البربري)[٢٥] ونددت بالاعتقالات التي كان يتعرض لها زعماء الحركة الاستقلالية.

وفي ميدان الدعوة ساندت الحركة السلفية الداعية لتصحيح العقيدة ومقاومة المد الخرافي.

تلك كانت انطلاقة العمل الصحفي لعلماء المغرب خلال العهد الاستعماري (١٩١٢ - ١٩٥٦م).

وإذا كانت كل هذه الصحف والمجلات التي تحدثنا عنها قد توقف صدورها خلال الفترة المذكورة، فإن علماء المغرب عملوا بعد الاستقلال على إصدار صحف ومجلات مختلفة، وهكذا صدرت جريدة «الميثاق»[٢٦] وجريدة «الحسنى»[٢٧] ومجلة «البيّنة»[٢٨] ومجلة «الكلمة»[٢٩]. وغيرها. غير أن هذه الصحف والمجلات توقف صدورها. لتخلفها ولتسير على خطها صحف ومجلات يصدرها علماء ودعاة من الشباب، نذكر منها : «النور»[٣٠] «الجهاد»[٣١] «الإحياء»[٣٢]. «الاعتصام»[٣٣] «مجلة دار الحديث الحسنية»[٣٤] «الراية»[٣٥] «الصحوة»[٣٦].

وزارة الأوقاف. له عدة مؤلفات.

(١١) صدر عددها الأول في شهر ذي القعدة ١٣٥٧هـ (كانون الثاني/ يناير ١٩٣٩م) ولم يصدر منها سوى ستة أعداد آخرها في شوال ١٣٥٨هـ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٣٩م).

(١٢) خلال الفترة من عام ١٩٤٢م إلى عام ١٩٤٨م أقام الدكتور الهلالي بمدينة تطوان، حيث مارس نشاطًا علميًا ملحوظًا. ودعا بكل الوسائل - ومنها الصحافة - إلى تصحيح العقيدة. وفي شعبان ١٣٦٥ صدر العدد الأول من مجلة «لسان الدين» **وظل يعمل رئيسًا لتحريرها إلى أن غادر تطوان فتولى الأستاذ عبد الله كنون إصدارها من بعده.**

(١٣) صدر العدد الأول من مجلة «السلام» في جمادى الآخرة ١٣٥٢هـ (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٣٣م) وقد استطاعت رغم العراقيل المادية — أن تتم سنتها الأولى وكان العدد العاشر (رجب ١٣٥٣هـ) آخر عدد يصدر منها.

(١٤) صدر العدد الأول منها في ربيع الأول ١٣٥٤هـ (حزيران/ يونيه ١٩٣٥م). واختتمت سنتها الأولى بالعدد المزدوج (التاسع والعاشر) (ذو القعدة — ذو الحجة ١٣٥٤هـ) وتوقفت عن الصدور في سنتها الثانية.

(١٥) مجلة «المغرب الجديد» العدد الأول - الافتتاحية.

(١٦) مجلة «المغرب الجديد» عدد ١ ص ٣.

(١٧) العدد السابع : رمضان ١٣٥٤هـ بقلم محمد المكي الناصري.

(١٨) بحث بقلم (هنري لاوست) عربه محمد بن الحسن الوزّاني، ونشر في حلقات من العدد الثاني إلى العدد الثامن.

(١٩) بحث بقلم علال الفاسي نشر في الأعداد ٤، ٥، ٧.

(٢٠) مقال لمحمد المكي الناصري - العدد الأول.

(٢١) التهامي الوزّاني (١٣٢١ - ١٣٩٣هـ) من رجال الوطنية والتعليم والصحافة، شارك في الحركة المناهضة للاستعمار، وساهم في تأسيس المدارس الأهلية، عمل في إدارة مجموعة من المدارس والمعاهد، تولى عمادة كلية أصول الدين بتطوان. وكان من مؤسسي رابطة علماء المغرب. له عدة مؤلفات في تاريخ المغرب، طبع بعضها.

(٢٢) صدر العدد الأول من جريدة «الريف» في ٩ جمادى الآخرة ١٣٥٥هـ (آب/ أغسطس ١٩٣٦م) من أربع صفحات مرتين في الأسبوع.

(٢٣) صدر العدد الأول من جريدة «الأخبار» في ١ ذي الحجة ١٣٥٤هـ (آذار/ مارس ١٩٣٩م) أسبوعية (مؤقتًا) وصدر العدد الخامس في ٢٠ محرم ١٣٥٥ (١٢ نيسان/ أبريل ١٩٣٦م) وهو آخر عدد صدر منها.

(٢٤) صدر العدد الأول من جريدة «الوحدة المغربية» في (٣ شباط/ فبراير ١٩٣٧م) وقد استمرت تصدر ثلاث مرات في الأسبوع إلى سنة (١٩٤٩م).

(٢٥) (الظهير البربري) قانون فرنسي للتفرقة بين العرب والبربر في شتى المجالات وفي مقدمتها الأحكام التي عمل المستعمر على أخذها عن الأعراف البربرية القديمة، وقد واجه المغاربة هذا القانون، وكانوا يرددون في المساجد بعد الصلوات : «اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر». وقد فشل هذا المخطط.

(٢٦) أصدرتها «رابطة علماء المغرب» وتولى عبد الله كنون إدارتها.

(٢٧) أصدرتها وزارة الشؤون الإسلامية بإشراف علال الفاسي وإدارة محمد المدور.

(٢٨) أصدرها علاّل الفاسي عن وزارة الشؤون الإسلامية.

(٢٩) أصدرها علماء سوس.

(٣٠) أصدرتها «جمعية البعث الإسلامي» ويتولى إسماعيل الخطيب إدارتها.

(٣١) أصدرها محمد بخات.

(٣٢) أصدرتها «رابطة علماء المغرب» وتولى عبد الله كنون إدارتها.

(٣٣) أصدرتها جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية.

(٣٤) يتولى إدارتها د. محمد فاروق النبهان.

(٣٥) يديرها عبد الإله بن كيران.

(٣٦) يديرها مصطفى الرميد.

○ ○

عِلمُ البَيزرة

د. يوسف زيدان



على امتداد القرون الماضية، كان للعلماء العرب المسلمين اشتغال بشتى صنوف المعرفة، وصار لهم في كل ميدان جولة . وعلماؤنا الأوائل فيهم المتخصصون، وفيهم الموسوعيون؛ فالمتخصصون هم أولئك الذين عكفوا على واحدٍ من تلك العلوم الفرعية الدقيقة، فأمضوا حياتهم مقتصرين على بحثه والتأليف فيه . والموسوعيون هم هؤلاء الذين أحاطوا بأطراف المعرفة فاشتغلوا ووضعوا المؤلفات في أكثر من علم .

وعلم البَيْزَرَة واحدٌ من العلوم الدقيقة الفرعية التي عرفها علماء العرب المسلمين . فمنهم مَنْ تخصَّص فيه، ومنهم من جمع بينه وبين علوم أخرى ـ كما سنرى ـ ولابد أولاً أن نقف على طبيعة هذا العلم ومضمونه .

أصل التسمية

تتفق المصادر على أن تسمية هذا العلم **بالبيزرة، مأخوذة من اسم أحد الطيور، وهو الباز أو البازي**. وهو طائر من الصقور، وصفوه بأنه من أشدّ المخلوقات تكبُّرًا وأحدها مزاجًا . وكان الباز ـ ولا يزال ـ يستخدم في الصيد.

ويرى بعضهم أن الباز والبيزرة كلمات فارسية الأصل؛ ففي «معجم الألفاظ الفارسية المعربة» يشير السيد أدى شير إلى أن: الباز والبازي ضرب من الصقور، يوجد بأرض الترك، ويؤخذ للصيد، فارسيته «باز» وتركيته «طوغان» . **وكلمة «بيزار» بمعنى حامل البازي، معربة عن الكلمة الفارسية «بازْ دار» .**

ويرى العلامة الدّميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى» أن الكلمة عربية الأصل، فالبيزرة مأخوذة من البازي أو الباز: وهو مذكر لا اختلاف فيه، ويقال في التثنية «بازيان» وفي الجمع «بُـزَاة» كقاضيان وقضاة، ولفظه مشتق من «البزوان» وهو الوثب. وأفصح لغاته «بازي» مخفَّفة الياء.

وبقطع النظر عن أصل التسمية، وكونها فارسية معرَّبة أو عربية صريحة، فإن «البيزرة» اتخذت في إطار المنظومة المعرفية العربية دلالة اصطلاحية، بحيث صارت الكلمة تشير إلى نوع خاص من العلم، هو: العلم بالطيور الجارحة .

وبالتالي، فالبيزرة ـ عند العرب ـ هي علم فرعي يتصل بعلم الحيوان العام، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بالطب و (الفسيولوجيا) أي وظائف الأعضاء.

والعلم ـ كما نفهمه اليوم ـ هو ماله موضوعٌ ومنهجٌ وأقسام، فهل ينطبق ذلك على البيزرة ؟

إن للبيزرة موضوعًا، هو الطيور بعامة والجوارح من الطير بخاصة . وللبيزرة عند العلماء العرب منهجٌ، هو المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على ملاحظة هذا النوع من الكائنات، ومداومة التجريب عليها تدريبًا وعلاجًا، ثم التنبؤ بما يكون من سلوكها، اعتمادًا على سابق الخبرة بأحوالها. وأقسام البيزرة تتنوع بين وصف الجوارح وأصناف الطير، ومعرفة الجيد والرديء منها، وطباع كل نوع وخصائصه، وطرق التدريب على الصيد، وأمراض الطيور وسُبل علاجها . نحن إذن أمام علم كامل، حتى بالمفهوم المعاصر لكلمة علم .

نشأة البيزرة وتطورها

بدأت البيزرة مع حرفة وهواية الصيد، ثم تراكمت الخبرات والمهارات والمعارف الخاصة بالطيور، حتى صارت علمًا تامًا . والصيد مسألة ضاربة في القدم، تعود للمراحل المبكرة من حياة الإنسان على الأرض ـ قبل مرحلة الحضارات ـ واضطراره للحصول على القوت .

وفي لحظة من تاريخ الإنسانية، انتبه الإنسان إلى براعة جوارح الطير في الصيد والقنص فراودته الأماني في أن يستخدم تلك المهارة الفائقة لصالحه، ويوظف الجوارح عنده ! ومن غير المعروف ـ تاريخيًا ـ متى بدأ الإنسان في استخدام جوارح الطير في الصيد، لكن الثابت تاريخيًا أن المسألة تحولت من مجرد استخدام الجوارح للحصول على القوت الضروري، إلى استخدامها كنوع من الرياضة والتسلية . وبعبارة أخرى لم يعد الصيد اضطرارًا، بل صار لهوًا وترفيهًا وأبّهة .

وتشير المصادر التاريخية القديمة إلى أن أول من استخدم جوارح الطير في الصيد هو الملك الأشوري سرجون الثاني المتوفى سنة ٧٠٥ قبل الميلاد (وهو غير سرجون الأكادي الذي أسس امبراطوريته سنة ٢٣٤٠ ق . م) وهناك نصوص أشورية تتحدث عن البيزرة في عصر سرجون الثاني

ومع ذلك، فهناك إشارات أخرى للصيد بالصقور في الحضارات الأخرى ـ خاصة الرومانية ـ إلا أن الشذرات الأشورية تدل على أن ملوك آشور كانوا أول من قام بذلك .

وعند العرب، أيام الجاهلية، كان الصيد حرفة وهواية مشهورة، فالبعض يصطاد قوت عياله، والبعض يصطاد للتسلية واللهو . **ويقال إن الحارث بن معاوية بن ثور (أبو كِنْدة) هو أول عربي درَّب الصقور على الصيد . وقد جاء ذكر تدريب الصقور في القرآن الكريم، ففي الآية الرابعة من** سورة المائدة يقول عزّ وجل: **﴿يسألونك ماذا**

أُحِلَّ لهم، قُل أُحِلَّ لكُمُ الطيِّباتُ وما علَّمْتُم من الجوارح مُكَلِّبينَ، تُعَلِّمُونَهُنَّ مما علّمكم الله﴾.

وهذا يدل على أن الصيد بالجوارح، وبالتالي البيزرة، كان لعرب الجاهلية فيهما نصيب.

لكن ارتفاع تكاليف العناية بجوارح الصيد جعل أمر الصيد بها موقوفًا على الملوك والأمراء وسَرَاة الناس.. لارتفاع أثمان الجوارح، وضرورة تخصيص مدربين لها، ونفقات رحلة الصيد، وغير ذلك. ولذا نرى «عبد الرحمن البلدي» وهو يشير في كتابه **(الكافي في البيزرة)** إلى أن: «مداراة الجوارح علمٌ دقيق، لا يفهمه إلا الذكي الفطن اللبيب؛ وهو من آداب الملوك والسلاطين والعظماء، ومن أعظم لذاتهم وأكبر راحتهم ومفاخرهم». وهو يؤكد المعنى نفسه في مقدمة الكتاب حين يقول ما نصُّه:

«وجدنا في الأخبار الصحيحة التي صارت إلينا على ألسن الثقات من الرواة، ووجدنا في الكتب القديمة، أن الملوك من قديم الزمان ـ على اختلاف الأديان ـ مجمعون على استعمال التصيُّد بالجوارح؛

لأنه من أعظم راحاتهم وأكبر لذاتهم التي لابد لهم منها، حتى وُضعت لهم الكتب في ذلك، وصوِّرت صورها في دورهم ومنازلهم، وهم إلى الآن على ذلك، وربما لم يزالوا كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. ولا يخلو الزمان ممن له في هذه الصناعة أربٌ، وعليها حرصٌ وطلب؛ لأنها صناعة شريفة، ومنزلة عند الأكابر والملوك عالية منيفة؛ لأنها رياضة حيوان نفيس شريف، لطيف ضعيف.. والطير من الجوارح، كالبازي وما أشبهه، ذو منزلة شريفة وصورة لطيفة ضعيفة،

لا ينطق بما يعلمه، ولا يحتمل ما يؤلمه؛ فرياضته حينئذٍ أعظم قدرًا وأعلى فخرًا من رياضة سائر الحيوان في جميع الأمصار والبلدان. ومع هذا فإن بعض الأنفس تتوق إلى هذه الصناعة من ذواتها وتميل إليها بكلياتها.. والاشتغال بها لمن وجد في قلبه محبتها، بعد إصلاح أمر دينه ودنياه، أهم ما فعله وانتحاه؛ لأنه يجمع في ذلك من راحة القلب وتوفير الكسب. وليس في الدنيا شيء أجلُّ من راحة القلب وفرحة وسرور النفس».

تأسيس العلم

لم يظهر علم البيزرة ـ أو غيره من العلوم ـ طفرة واحدة. فالعلوم في غالب الأمر تمر بمرحلة الخرافة والتوهمات، ثم تنتقل إلى مرحلة الخبرة الفعلية والنوعية، فتظل الخبرات تنتقل من سابقٍ إلى لاحق عبر الأجيال، حتى تأتي مرحلة تأسيس العلم على قواعد متينة، وفي هذه المرحلة يكون التدوين والكتابة.

ولما كانت البيزرة فرعًا من علم الحيوان العام، فإن أول تدوين معروف في هذا الباب، هو كُتُب أرسطو (٣٢٠ ق.م) فقد كان هذا الفيلسوف المعروف بالمعلّم الأول مهتمًا بالبحث الطبيعي، وقد تيسَّرت له مشاهدة العديد من أصناف المخلوقات خلال رحلاته الطويلة وصحبته ـ كمعلّم ـ للإسكندر الأكبر. وقد كان الإسكندر في حملاته الكثيرة، يرسل لأستاذه ما يجده من عجائب المخلوقات؛ **وهكذا كتب أرسطو مجموعة مؤلفاته في علم الحيوان.**

وكان للعرب ـ كما أسلفنا ـ خبرة طويلة بالحيوان، فجمعوا إليها حصيلة العلم اليوناني وقاموا بترجمة كتب أرسطو إلى اللغة العربية. وقد تم ذلك في فترة مبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فقام يوحنا البطريق (المتوفى سنة ٢٠٠ هجرية) بترجمة اثنين من كتب أرسطو في الحيوان، الأول: أجزاء الحيوان. والثاني: طباع الحيوان، ومؤخرًا قام الدكتور عبد الرحمن بدوي بنشر الكتابين.

ولم يقتصر اهتمام العرب بكتب أرسطو على تلك الترجمات التي أنجزها يوحنا البطريق، إذ أعاد أبو علي عيسى بن زرعة (المتوفى ٣٩٨ هجرية) ترجمة بعض هذه الكتب، ثم قام الفارابي (المتوفى ٣٣٩ هجرية) بالرد على جالينوس فيما خالف فيه أرسطو، واعتنى إخوان الصفا في رسائلهم بما قاله أرسطو وجالينوس والأطباء الإسكندرانيون، واختصر أبو الفرج عبد الله بن الطيب (المتوفى ٤٣٥ هجرية) كتاب طبائع الحيوان، وشرحه في كتاب بعنوان: تفسير كتاب الحيوان لأرسطو طاليس. كما لخَّص عبد اللطيف البغدادي (المتوفى ٦٢٩ هجرية) الكتاب تحت عنوان: اختصار كتاب الحيوان لأرسطو، وهذا كله يشهد باهتمام العرب المسلمين بأعمال أرسطو في هذا الباب، مما يجعل لهذه الأعمال الأرسطية مكانة متميزة في مرحلة تأسيس العلم العربي في مجال الحيوان.

وتجدر الإشارة هنا ـ ما دمنا نتحدث عن البيزرة ـ إلى أن أرسطو لم يخصِّص بحثًا مفردًا للجوارح أو الطيور بصفة عامة، وإنما كان في كتبه هذه يتحدث عن مطلق الحيوان (الإنسان، الحيوان، الطير) بشكل شديد العمومية ـ إذ كان أرسطو موسوعيًا ـ وهو يذكر بين الحين والآخر أشياء عن الطيور، والجوارح منها، في معرض حديثه العام عن الحيوان. أما تخصيص الكلام عن الطيور، وإفراد مبحث علمي خاص بالجوارح منها، وتأسيس علم البيزرة.. فهذا كله سيقوم به العرب المسلمون من بعد.

ولم يقف الأمر بالعلماء العرب المسلمين عند إبراز «علم البيزرة» وإفراد مبحث خاص به، وإنما جعلوا هذا العلم على أقسام وتخصصات أربعة. ففي واحد من أهم الكتب العربية في هذا العلم، وهو كتاب «الكافي في البيزرة» للبلدي، يقول المؤلف:

«في قسمه هذه الصناعة (البيزرة) أقول: إنها تنقسم أربعة أقسام، في كل قسم أربعة أبواب. القسم الأول «معرفة أجناس الجوارح» وفيه أربعة أبواب: الباب الأول في عدد أصناف الجوارح، الباب الثاني في الفرق بين كل جنس منها، الباب الثالث في ذكر النافع من أصناف الجوارح، الباب الرابع في عدد ألوان الجوارح. والقسم الثاني «معرفة النوع الفاضل المختار من الجنس النافع من الجوارح ومعرفة الرديء منها» وفيه أربعة أبواب: الأول معرفة الجيد والرديء من قِبَل معدنه، والثاني معرفة الجيد والرديء من قِبَل صورته وهيئته، والثالث معرفة الجيد والرديء من قِبَل لونه، والرابع معرفة الجيد والرديء من قِبَل أخلاقه وأفعاله. والقسم الثالث «تدبير الجوارح النافعة ورياضتها» وفيه أربعة أبواب:

الأول في ذكر أول من لعب بالضواري وتصيَّد بها، والثاني في وصية المتعلم لهذه الصناعة

عِلمُ البيزرة



والمتعرض لها، والثالث في نعت الإجابة والتعلم لكل نوع، والرابع في تقدير طُعم الضواري على طبيعة كل واحدٍ منها. والقسم الرابع «مداواة أمراض الجوارح» وفيه أربعة أبواب: الأول في صفة طبائع الجوارح الضواري وأمزجتها وامتحانها عند ابتياعها، والثاني في ذكر أسباب أمراضها وعلامات كل مرض، والثالث في صفة مداواتها وعلاج أمراضها وتدبير أدويتها، والرابع في تدبير قرنصتها وعلامات موتها وهلاكها».

الإسهامات العربية

تنوعت إسهامات العلماء العرب المسلمين في علم البيزرة، وتوسعوا في مباحثه التي اتصلت مع الوقت بعلوم أخرى كالطب والصيدلة والفسيولوجيا (وظائف الأعضاء) من جهة، وعلوم اللغة والفقه من جهة أخرى، فنشأ عن ذلك كله تراثٌ عربيٌ في علم البيزرة، حين تعدَّدت المؤلفات العربية في هذا العلم، وهي مؤلفات - للأسف - لا يزال أغلبها حتى اليوم مخطوطًا لم ينشر، منها:

كتاب «الطير» للسجستاني، كتاب «الوحوش» للأصمعي (مطبوع)، كتاب «البازي» وكتاب «الحمام» وكتاب «العقاب» لأبي عبيدة، كتاب «الطير» للجرمي، وهذه المؤلفات تعنى بالجانب اللغويّ من البيزرة. أما من الناحية الفقهية ورأي الدين في الصيد بالجوارح، فهناك: «الصيد والذبائح» لمحمد بن الحسن، «الصيد والذبائح» للإمام الشافعي.

وفي علم البيزرة العام، لدينا من المؤلفات العربية: «الجمهرة في البيزرة» لعيسى الأزدي، «وأعضاء الطير» لابن ملاعب القواس، «تمائم الحمائم» لمحي الدين بن عبد الظاهر، «المصايد والمطارد» لكشاجم (مطبوع) «أنس الملا بوحش الفلا» لمحمد بن منكلي (مطبوع) «البيزرة» لبازيار العزيز بالله الفاطمي (مطبوع) «الكافي في البيزرة» للبلدي (مطبوع) «نزهة الملوك والسادات بالطيور والجوارح والجياد الصافنات» لمؤلف مجهول (مطبوع) «المنصوري في البيزرة» لمؤلف مجهول، «تشريح بعض الطيور» لثابت بن قُرّة، كتاب «طب الطيور» وكتاب «منافع الطير» للحجاج بن خيثم، «منافع الطيور» لمؤلف مجهول، «مختصر البيزرة» لمؤلف مجهول، كتاب «البيزرة» لإبراهيم المصري، كتاب «الصيد والجوارح» للفتح بن خاقان، كتاب «البزاة» لأبي دلف، كتاب «الجوارح والصيد» للسرخسي، كتاب «الطرد» لطيفور بن أبي طاهر، كتاب «البيزرة» للباهلي، كتاب «البيزرة» للغطريف، كتاب «الجوارح والصيد» لابن المعتز، كتاب «الصيد» للخالديين، كتاب «المصايد» للرقّي، كتاب «الجوارح» لعرجة البازيار، كتاب «البزاة» للبازيار الأصفهاني. وما لم نذكر فيه من هذه الكتب أنه (مطبوع) فهو لا يزال مخطوطًا لم ينشر.

وصاغ العرب علم البيزرة شعرًا – كما فعلوا في الطب والفلك والكيمياء – فألّف الفحيمي قصيدةً في البيزرة، ووضع ابن نباته أرجوزته الشهيرة «فرائد السلوك في مصايد الملوك» وقد كانت هذه الأشعار والأراجيز العلمية، في غالب الأمر، لغرض تعليمي.. إذ الشعر أسهل حفظًا لدى المتعلمين.

وإذا أضفنا لهذه القائمة من المؤلفات العربية في علم البيزرة، تلك الفصول المطوّلة التي أوردها العلماء الموسوعيون في كتبهم عن الحيوان، مثل: كتاب «الحيوان» للجاحظ، «عجائب المخلوقات» للقزويني، «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، لصارت لدينا حصيلة هائلة من الإسهامات العربية في علم البيزرة.

ولا يزال للعرب المعاصرين اهتمام بعلم البيزرة، فمنذ سنوات، نشر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان كتابه «رياضة الصيد بالصقور» ومنذ شهور، نشر الأديب المصري جمال الغيطاني روايته «هاتف المغيب» فأودع فيها فصولاً مطولة، صاغ فيها معارف العرب بالطيور، في صور أدبية رفيعة المستوى ومن هنا نقول: تراثنا متصل!

الأثر العربي في أوروبا

لا يستطيع أي مؤرخ للعلم، مهما كان جاحدًا، أن ينكر أثر العلم العربي في الحضارة الأوروبية الحديثة. فقد قامت هذه الحضارة في واقع الأمر على ثلاثة مرتكزات رئيسة؛ الأول هو الكشوف الجغرافية، والثاني هو ترجمة العلوم العربية، والثالث ما نهبوه من ثروات الشرق أيام الاستعمار! ولقد أحسن الأوروبيون استغلال هذه الأمور الثلاثة، واجتهدوا من جانبهم – لاشك – فقامت الحضارة الغربية المعاصرة التي بدأت مع عصر النهضة، وتنتهي في عصرنا هذا بعدما أفلست وبرزت – على عدة أصعدة – مؤشرات ما يسمونه أُفول الغرب.

وفيما يخُصّ الأثر العربي في أوروبا، من ناحية علم البيزرة، فتشير الدراسات المعاصرة في تاريخ العلم إلى أن كتب البيزرة العربية تُرجمت إلى اللغة اللاتينية في صقلية، أيام الإمبراطور فريدريك الثاني (صديق العرب) على يد أحد العلماء العاملين في بلاد الإمبراطور، هو الفيلسوف ثيودورس الأنطاكي وانتشرت تلك التراجم في بلدان أوروبا، وكانت هي الأساس الذي اعتمد عليه الإمبراطور في تأليفه كتابًا بعنوان «الصيد بواسطة الصقور» وهو الكتاب الذي انتشر بدوره في أرجاء أوروبا. ثم قام دانيال الكريموني بنقل الترجمة اللاتينية من كتابي «البيزرة» للغطريف ومؤلف عربي آخر، إلى اللغة الفرنسية. وجُمع الكتابان في طبعة واحدة صدرت بالإيطالية والفرنسية. ومن جهة أخرى، أخذت رياضة الصيد بالطيور تنتشر في البلدان الأوروبية المتاخمة لحدود الإسلام، بعدما نشر الأمويون في الأندلس والأغالبة في شمال أفريقية هذه الرياضة في بلادهم. وهكذا أثرت البيزرة العربية في أوروبا على صعيد البحث العلمي من جهة، والواقع العملي من الجهة الثانية.

رؤية يابانية لمنطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي

نافذة على ثقافة الغرب



تأليف:
مونيهكو كوياما

عرض:
المجموعة الصحفية للنشر

يكتسب كتاب «منطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي» أهمية خاصة باعتباره رؤية جديدة لنوع جديد من الاستشراق .

فلقد تعودنا الاستشراق الغربي، بكل أنواعه : الإنجليزي، الفرنسي، الألماني، الإسباني، الأمريكي وغيرها . إلا أن مؤلف هذا الكتاب يطل علينا من زاوية أخرى، وبطريقة مختلفة، فهو بمنزلة حوار مباشر بين صاحبه من جانب، والعالم الإسلامي من جانب آخر، ولم يكن حوارًا من خلال الكتب، ولكنه حوار مباشر مع الأفراد، استخلصه صاحبه من مخالطته المباشرة، وتعامله اليومي مع الناس من خلال زياراتهم، ومعايشتهم، ومن خلال زياراته المتكررة للمساجد والكنائس والمنتديات ولقاءات طلابه في الجامعة، ومن هنا يأتي الكتاب رؤية واقعية أشبه باليوميات أو السير الذاتية لعالم ياباني في العالم العربي، والعالم الإسلامي .

واستطاع المؤلف في كتابه أن يفسر الأحداث ويبلورها من خلال الواقع اليومي، واستطاع من خلال هذا الواقع أن يفسر لنا الأحداث المؤسفة التي مرت على الأمة العربية في الآونة الأخيرة .

البروفيسور مونيهكو كوياما أحد الرواد اليابانيين القلائل الذين يعطون جهدهم ووقتهم للبحث في أمور العالم الإسلاميّ، ثقافاته، عاداته، تاريخه .

وهو واحد من اليابانيين المتخصصين في «دراسة مقارنة الأديان» في الجامعات اليابانية، وله دراسات فلسفية عن الأديان، وثقافات العالم .

تعمقت اهتماماته بالعالم الإسلامي منذ أن وطئَتْ قدماه أرض مصر عام ١٩٧٦م، كأستاذ زائر بجامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم اللغة اليابانية، حيث عمل أستاذا لمادة الثقافة اليابانية لمدة عامين لطلاب القسم .

عرف بين طلابه بالواقعية والتلقائية، والأسلوب المقنع السهل، الذي يجذب الدارسين لحب الثقافة .

زار مصر والعالم الإسلامي كثيرًا، متجولاً ودارسًا وباحثًا ومنقبا، مدركا وملاحظا كل عادات وسلوكيات شعوب العالم الإسلامي، وها هو ذا يخرج علينا وعلى الشعب الياباني بكتابه القيم « منطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي» . يخاطب فيه الشعب الياباني مصححا كثيرًا من المفاهيم والمعتقدات الخاطئة عن الإسلام وعن شعوب العالم الإسلامي .

يقول البروفيسور **مونيهكو كوياما** : شاءت الأقدار أن أكون في منطقة العالم العربي إبان الغزو العراقي لدولة الكويت . وكنت واحدًا من الذين فوجئوا بهذا العمل العدواني فجر الثاني من



رؤية يابانية لمنطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي

أغسطس (آب) ١٩٩٠م، العراق الإسلامية، تقوم بهجوم شرس ومفاجىء على الكويت الجارة الصغيرة، الجارة العربية الإسلامية، ورغم ما لهذا الهجوم من مغزى وأسباب، إلا أنه في النهاية عمل عدائي هزني من الأعماق. وهنا تذكرت آراء بعض الزملاء اليابانيين وفكرتهم عن العرب والعالم الإسلامي، والتي كثيرًا ما حاولت تصحيحها لهم، فلدى الغالبية من الشعب الياباني أن المنطقة العربية والعالم الإسلامي ممتلئان بالحروب والمشاحنات الطاحنة، ولديهم قناعة أن «تعاليم السلام» لم تهبط على شعوب المنطقة.

وما حدث في الثاني من أغسطس أصابني بالفزع، وأحسست بضعف منطقي وحجتي ودفاعي عن الإسلام والمسلمين.

ويقول البروفيسور **مونيهكو كوياما**: إن الفكرة السائدة لدى الزملاء والأصدقاء اليابانيين أن تعاليم السلام لا وجود لها في العالم الإسلامي، بدليل أن العالم الإسلامي عالم مملوء بالحروب والصراعات الدينية ... الصراع العربي الإسرائيلي، والصراع الديني الطائفي في لبنان، والصراع العراقي الإيراني، والحرب التي دارت رحاها بينهم ثماني سنوات، وما حدث في الثاني من أغسطس من الهجوم العراقي على الكويت، والصراع القبلي في الصومال كلها تؤكد أن تعاليم السلام غير موجودة.

وقد حاولت تصحيحها ومحو هذه الأفكار الخاطئة عن طريق التجربة الحقيقية التي عشتها في مصر ودول العالم الإسلامي.

كنت على قناعة بأن العالم الإسلامي لا يحتاج إلى «تعاليم السلام» فالدين الإسلامي دين سلام، فالسلام كلمة تعيش داخل الفكر الإسلامي، وتجربتي ومعايشتي للأسر المصرية والطلاب والأساتذة تؤكد ذلك، فحينما يترك الرجل منزله في الصباح متوجها إلى عمله يقول لزوجته «السلام عليكم»، وهذا يعني أن الزوج يترك أسرته والسلامة تحفظهم من كل شر وسوء ... وترد الزوجة عليه وهي تودعه «وعليكم السلام» بمعنى وأنت أيضا تحفظك السلامة، أو ترد عليه زوجته قائلة «في سلامة الله» أي في رعاية الله وأمنه.

وفي الشوارع أيضا يتبادل الناس التحية «السلام عليكم» ويكون الرد «عليكم السلام». وعند ركوب التاكسي الناس يتبادلون تحية السلام سواء يعرف بعضهم بعضا أم لا .. وعند النزول من التاكسي كنت أستمع إلى تحية «تصحبك السلامة»، والرجل عند دخوله مكتب الشركة يتبادل التحية مع الموظفين الآخرين، والأستاذ عند دخوله مدرج المحاضرات يلقي تحية السلام، وعند التحدث في التليفون يتبادلون تحية «السلام عليكم».

إن تجربتي في القاهرة جعلتني أكثر إيمانا بأن السلام موجود في أعماق المسلمين، وبمناقشة أحد الزملاء الأساتذة بالجامعة في تعاليم السلام قال لي: إن الرسول محمدًا ﷺ كان يوجه أصحابه بقوله تعالى: **﴿وإذا حُيّيتم بتحية فَحَيُّوا بأحسن منها أو ردوها﴾** النساء: ٨٦. وكان ذلك دليلا مقنعًا للرد والإقناع بأن تعاليم «السلام موجودة» في العالم الإسلامي ولا يحتاجون إلى أن يأخذوها من أحد، أو يتعلموها من أحد.

ويقول المؤلف: إن معظم اليابانيين يعتقدون أن السلام يعني عدم الحروب والصراعات، ويرد الكاتب قائلا: إننا نحن اليابانيين نعيش داخل صراعات تحمل عدم السلام. ويذكر مثالا على ذلك فيقول: عند عودتي ليلا إلى بيتي في اليابان في الحادية عشرة مساءً لاحظت بعض السكارى داخل القطار يطلقون أصواتًا عالية داخل القطار، ويتلفظون ألفاظا بذيئة، ويهددون الركاب الآمنين دون سبب، وعندما تدخل شخص من الركاب لإيقاف ما يحدث من السكارى طُرد هذا الشخص من القطار، وقاموا بالتعدي عليه بالضرب على المحطة، وللأسف لم يتدخل أحد من موظفي المحطة لإيقاف ما يحدث، وسادت الجميع حالة اللامبالاة.

ويقول الكاتب **مونيهكو كوياما**: إنني عند مشاهدتي لهذا المنظر تذكرت تجربتي في القاهرة، ففي كل المشاجرات التي حدثت أثناء إقامتي بالقاهرة كان الناس يتدخلون لإيقاف ما يحدث، ويحثون المتشاجرين على مراعاة الله، وكانوا يقولون لهم «خافوا الله .. اتقوا الله».

ويعبر المؤلف عن هذا الشعور المتسامح مخاطبا اليابانيين قائلا لهم: إن هذا يعني: إننا إخوة معا، لماذا لا نخاف الله؟

ويقول المفكر الياباني **مونيهكو**: إن السلام لا يعني فقط عدم الحروب بين البلدين، ولكن السلام سلام بين الناس في جميع الأوقات والأماكن ... وإن على اليابانيين تفهم الإسلام حيث إن تفكيرهم تجاه الإسلام غير منطقي؛ لأنهم لا يهتمون بالثقافة الإسلامية والعربية، وغير مدركين لتعاليم الإسلام على حقيقته.

الله أعطانا الحب

ويقول: إن عالم اليوم، أصبح مريضا بمرض عدم الإدراك واللامبالاة تجاه الآخرين، والله أعطانا الحب، ولهذا يجب أن نعطيه للآخرين، أي يجب أن نحب الآخرين، ونقوم بمساعدتهم في كوارثهم ومحنهم، وهذا ما تحث عليه تعاليم الإسلام، والمسيحية، وينتقد اليابانيين لعدم مبالاتهم بالآخرين .. جيرانهم وزملائهم في العمل .. فالسائد الآن هو أن روح الياباني ممتلئة بالبرود تجاه الآخرين، أي اللامبالاة بما يدور عند الآخرين. فالياباني لا يبالي بما يحدث، ولا يعطي اهتماما، ولا يفكر إلا في نفسه فقط.

روح الناس وشعورهم في العالم الإسلامي

في الباب الثالث من كتاب «**منطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي**» يتحدث البروفيسور **مونيهكو كوياما عن روح الناس وشعورهم في العالم الإسلامي**،

فيحكي عن وحــدة النـوبيين الـذيـن يعيشـون في جنوب مصر وتسودهم الوحدة والتعاون والاعتصام الذي ينـادي به الدين الإسـلامي والدين المسيحي . . . وهي فكرة يطرحها الكاتب من خلال تجربته التي عـاشهـا مع بعض النـوبيين حينما سـافـر إلى جنـوب مصر فيقـول : عنـد شباك تـذاكـر محطة القطار تعرفت على شاب نـوبي أسمر وكان متجها إلى إدفـو مسقط رأسه، تحدثنا معا داخل القطار في موضوعات شتى، وشرح لي معالم إدفو، وعن الحياة فيهـا . وبعـض الأمـاكن الأثــريـة من مســاجـد وكنـائس، والمساجـد التي يجتمع فيهـا النوبيـون، وهذه المساجـد مقامة بجانـب الكنائس دون وقوع أي مشكلات أو منـازعات أو صراعـات، ودعاني هذا الشاب إلى بيته، ودعا بعض جيرانه وأصدقائه للحضور للسلام والتعرف على الضيف القادم من اليابان .

وكم أشعـروني بتوادهم وتـراحمهم وبسـاطتهم وكــرم استقبـالهم للضيف، غمــروني بعــواطف جيـاشــة، ولم يكن ذلك هـو مفــاجأة لي، وإنما المفـاجأة أنني علمـت أن من بين هـذه الجماعـات مسيحيين، وعنـدمـا سـألت مضيفي كيف يحدث ذلك وتلتقـون وتتوادّون قـال : هذا تـاريخنا وهـذه عاداتنـا، فنحن إخوة، وديننا الإسـلامي يحثنا على حمايـة الأقلية المسيحيـة التي تعيش معنـا أو تعيش بيننا .

وأشار البروفيسور **كوياما** إلى الانطباع الـذي خرج بـه من هذه الزيـارة قائلا : خرجت بـانطباع عن حياة التعـاون بين النوبيين ومساعـدة الآخرين دون أي مقابل، وأيقنـت أن هذا السلوك نـابع من تعاليم الدين الإسلامي والدين المسيحي .

وفي مـوقع آخـر بمـدينة المنيـا نـزلت في أحـد فنادقها ولاحظت أن مـوظفي الفندق من المسلمين والمسيحيين . وشعــرت بحبهـم بعضهم لبعض، وعطفهم على بعـض على الــرغـم من اختــلاف الـديـانــة . وعلل الكــاتب ذلك بـأن الثقـافــة الإسلامية، والثقافة المسيحية تنادي بالرب الواحد، وحب الآخرين مع اختلاف دياناتهم .

ملاحظات أكاديمية

يقول البروفيسـور مونيهكو كويـاما : لاحظت أن طلابي بالقسم الياباني يكتبون أعلى الورقة، وقبل البدء في الإجابة «بسم الله الرحمن الرحيم» . وعندما سألت الطلاب عن ذلك قالـوا لي : لابد أن نشكر الله على ما يعطيه لنا مـن سند وقوة لحل الأسئلـة، كان ردي عليهـم أن الأسئلة سهلة بسيطـة وليست صعبة كما تتصورون، فقال الطلاب : إننا نستفتح أعمالنا وإجاباتنا وكل مهامنا بقولنا «بسم الله الرحمن الرحيم» فالله رحمن رحيم .

وينتقل بنـا الكاتب إلى انطبـاع آخـر خرج بـه فيقول : كنت عندما يدعوني الأصدقاء والزملاء إلى الأكل كنت أسمعهم يقــولـون «بســم الله الـرحمن الرحيم»، أي إننا نأكل بفضل الله الذي أعطاه لنا .

ويروي موقفًا آخر فيقول :

شـاهدت حـادثـة مـرورية لصـديق مصري، وكـانت حادثـة شـديـدة عاد بها إلى البيت ودمـه يسيل، وعنـدما دخل البيت قـالوا لـه : «احمد الله واشكره على ما حدث» ربنا قدر ولطف . . أي إن مـا أصابنـا فهو مـن الرب، وهـو مكتوب علينـا، ويقـول : إن المسلم يــرجع كل شيء إلى الله سـواء حـدث شيء مـؤلم أو مــرض ألم بـه، أو نجـاح أو حادث سعيد .

ويقول المؤلف : عـدت إلى اليابان بعـد تجربة داخل المجتمع الإسـلامي وخــرجت بـانطبـاع أن المجتمع الإسلامي يعتمد كثيرًا في ثقافته على «الله»، أي إن أساس كل شيء يأتي من الـرب، ويرجع إلى الرب . وأخذ يقارن بين المسلمين واليابانيين قائلاً : يرجع تفكير اليابانيين إلى ثقافة « وا » أي «الانسجام أو التأقلـم» مع الأشقاء أو الناس فالشعب الياباني شعب منسجم معا بحكم موقعه الجغرافي .

ومع وجود هذه الثقافة « وا » أي الانسجام أو التأقلم تأتي الــديـانــات الأخــرى مثل الشنتـو، والبوذية، والمسيحية .

ويلقي البروفيسور مونيهكو كوياما الضوء على ثلاث جامعات في العالم الإسلامي، ويتحدث عن ظروف نشأتها ودورها التعليمي والتنويري فيقول : سعــدت بـالتــدريس في **جـامعة القـاهـرة** أشهر الجامعات في العـالم العربي، فهي جامعة عـريقة، أسسها مجموعة من العلماء المصريين الأفاضل الذين يتمتعون بالتفكير العلمي الرفيع المستوى، وهم من الذين أنهوا دراساتهم في جامعات فـرنسا وبريطانيا وأوروبـا .

وتأسست الجامعة عام ١٩٠٨م وكانت تدرس



جامعة القاهرة : درّس المؤلف فيها لمدة عامين



جامعة قرطبة : تضم تجمع هائلا من مختلف أنحاء العالم



رؤية يابانية لمنطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي

"تجربتي جعلتني أؤمن بأن السلام موجود في أعماق المسلمين"

الثقافة الإسلامية، والثقافة الشرقية، والأدب العربي، والعلوم الفلكية والسياسية والاقتصادية، حتى اقترب مستواها العلمي من مستوى الجامعات الأوروبية عام ١٩١١م.

وينتقل المؤلف إلى جامعة أخرى، وهي **جامعة الإسكندرية** التي أنشئت في الأربعينيات من هذا القرن، وبها العديد من الكليات الآن وتخرج فيها عشرات الآلاف من المصريين والعرب والمسلمين.

وينتقل إلى جامعة إسلامية ثالثة وهي **جامعة قرطبة بأسبانيا**، والتي تأسست ١٩٣٤م. وهذه الجامعة تضم تجمعا هائلا من مختلف أنحاء العالم أتوا إلى مدريد لدراسة الثقافة اليهودية والمسيحية والإسلامية.

ويشير إلى أنه كمفكر وكاتب كان له الحظ في زيارة لهذه الجامعة العريقة عام ١٩٨٨م، وقام بالدراسة فيها لمدة شهرين ونصف الشهر في قسم الفلسفة بكلية الآداب.

وبهذا استطاع المؤلف أن يطرح على القارئ الياباني ثلاث جامعات رئيسة في العالمين العربي والإسلامي، تعتبر من المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية الكبيرة، والتي يمكن من خلالها معرفة الثقافات اليهودية والمسيحية والإسلامية، والتي يمكن اتخاذها كجسر لمعرفة الثقافات العربية المختلفة التي لا تلقى الاهتمام الذي يليق بها وبعراقتها وثقافتها وعلومها من اليابانيين.

مدينة الإسكندرية

وعاد بنا البروفيسور **مونيهكو** إلى مدينة الاسكندرية: المدينة التاريخية والثقافية غير مكتفٍ بجامعتها، لكنه تعرض إلى أقدم المدارس اليونانية بها، ودورها في التعليم والتثقيف، وإلى دور البابا اليوناني كرمنيس، الذي كان يدرس بها علم الفلسفة، وعلم الألوهية، والثقافة اليونانية والرومانية، واللغة اليونانية وكيف كان لهذه المدارس القديمة تأثيرها الكبير على تاريخ مصر، وحضارة مصر، والتي شهدت العديد من الثقافة العربية.

كما تحدث عن نشأة اللغة القبطية، وعن اليوناني بتنيوس، ودوره التنويري في الثقافة اليونانية.

ظاهرة التسول

ويتعرض البروفيسور **مونيهكو** لظاهرة التسول في العالم الإسلامي فيقول: إن دولا إسلامية كبيرة خاصة الدول العربية والأفريقية والآسيوية الإسلامية تنتشر فيها ظاهرة التسول، ويتحدث عن ملاحظاته ومشاهداته لهذه الظاهرة في بعض الدول الإسلامية، ويصف موقفا شاهده في المغرب، حيث وجد مجموعة من الرجال تجاوزت العشرين فردًا، وهم أقوياء وقادرون على الكسب يتسولون في الشوارع يطلبون العون.

ويقول: إنهم بذلك يجمعون الزكاة بقولهم «صدقة لله»، وهنا يخلط المؤلف بين مفهوم الزكاة والصدقة في الإسلام، ولو تتبع تعاليم الإسلام في ذلك لرأى أن الدولة الإسلامية تضمن الكفاية للمسلمين وغيرهم من رعاياها.

منح للطلاب اليابانيين وزيارات متبادلة

وخاطب الشعب الياباني مناشدًا إياه ضرورة تفهم الإسلام تفهمًا حقيقيًا وصحيحًا؛ لأن موقف اليابان من الإسلام غير منطقي، ويرى أن عدم إدراك حقيقة هذه الروح كانت واضحة في حرب الخليج الثانية، ويرى أن الحل يكمن في ضرورة الفهم الكامل والعميق للثقافة العربية، وأن ذلك يمكن أن يتحقق عن طريق إقامة دراسات عربية في البلاد الأجنبية، أو دعوة الأجانب للدراسة في الدول العربية. وأعرب عن إيمانه بالدور الفعال والمؤثر الذي يمكن أن تؤديه وتقوم به جامعات العالم الإسلامي في هذا الشأن وذلك بالقيام بزيارات متبادلة وحضور المؤتمرات العلمية والندوات الثقافية وإعطاء اللغة اليابانية مزيدًا من الاهتمام والتشجيع على تعلمها.

ويخاطب العرب والمسلمين ويحثهم على إعطاء اليابانيين فرصًا أفضل لتعلم الثقافة الإسلامية من خلال منح دراسية في جامعات العالم الإسلامي وهي كثيرة ومنتشرة في كل الدول الإسلامية.

فلسفة الثقافة العربية

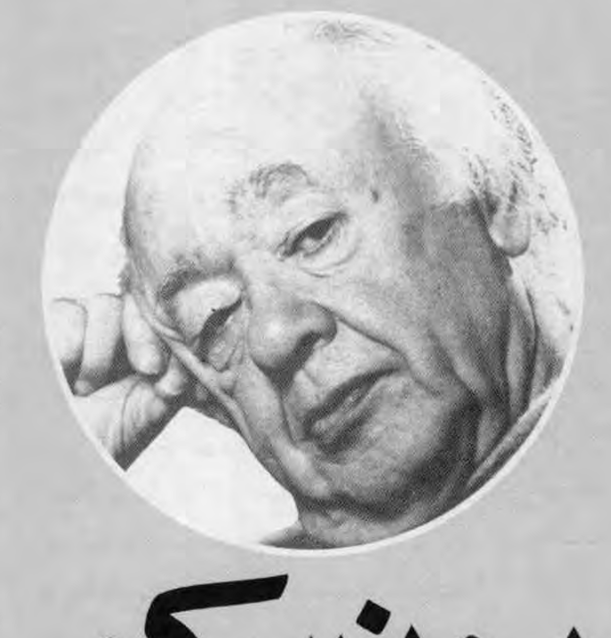
وينتقل المفكر الياباني بنا إلى موقع آخر من كتابه «**منطق الحياة اليومية في العالم الإسلامي**» ويضع عنوانًا لهذا الباب «**فلسفة الأمس والغد والثقافة العربية**»، فيتعرض إلى معرفة أسس اللغة العربية، وتركيبة الجملة العربية، ويطرح سؤالاً داخل هذا الفصل ـ كيف يتعلم العرب اللغة العربية، فقد اختلط المؤلف مع العديد من العرب وسمع اختلاف اللهجة العربية من مكان لآخر، ومن ذلك يقول المؤلف: إن اللغة العربية تعد من اللغات الصعبة في النطق والنحو مقارنة باللغات الأخرى التي تعامل معها المؤلف.

ويرجع المؤلف صعوبة اللغة العربية من حيث النطق والتركيب النحوي إلى عمق هذه الثقافة وتنوعها، وتعاملها واحتكاكها بثقافات العالم.

الإسلام واليابان

ويخلص البروفيسور مونيهكو كوياما وهو مسيحي الديانة إلى أنه ليس من الصعوبة أن ينتشر الإسلام في اليابان، وبإمكان العالم الإسلامي أن يدخل هذا الدين الجديد على الشعب الياباني، فالشعب الياباني تواق إلى التعرف على تعاليم الإسلام والسلام، وعلى العالم الإسلامي أن يدرك ذلك، واليابانيون لديهم الاستعداد لتفهمه.

يوجين يونسكو
رائد مسرح العبث



د. جمال عبد الناصر

لقد سميت كوميدياتي «مسرحيات مضادة» و«درامات هزلية»، كما سمّيت دراماتي «مسرحيات زائفة» أو «فرسات مأسوية»، ذلك لأنه يبدو لي أن الملهاة مأسوية ومأساة الإنسان ملهوية، فنحن ننظر إلى روح النقد الحديث بجدّة لا باستخفاف أو عبث.

(يونسكو . «اكتشاف المسرح»)

لعل النظرية القائلة إن الإنسان رهينة العبث في هذا الكون مألوفة في الأدب الأوربي منذ قديم الأزل، فقد سبرت المأساة اليونانية أغوار شعوره الدفين تجاه وجوده على وجه البسيطة . ومع ذلك فلا محالة من الحديث عن العبث اليوم، وإن أثار ذلك الشجون والأوجاع، صحيح أن المسيحية ـ كما يراها مجتمع الغرب ـ نزلت لتجابه إحساس الإنسان بالعبث، ولكن ذلك لم يؤد إلا إلى حالات من الشك واليقين يزخر بها تاريخ تلك الديانة في أوربا، كما أنه جعلها تضطهد الملحدين و«الجنوسطيين» (المسيحيون الذين اعتقدوا أن المادة شر وأن الخلاص يأتي من طريق المعرفة الروحية).

فسبلُ «الجنوسطيين» وعرة ومستحيل سلكها، إلا إنهم يتكئون على العبث في تجوالاتهم اللاعقلانية . وما من شك في أن (جوستاف فلوبير) كان مؤمنا إيمانًا عميقاً بالجنوسطية عندما كتب «**إغواء القديس أنطون**» .

ومفهوم العبث بوجه عام ـ إن لم نقل مصطلح العبث ـ برز إلى القرن العشرين بشكل فج من خلال الفيلسوف الوجودي (ألبير كامي) الذي عبّر ببساطة شديدة عن معنى العبثية في مقال طويل بعنوان «أسطورة سيزيف» (١٩٤٢م، ت١٩٥٥م)، عندما صوّر الإنسان سيزيفَ آخر يحاول أن يدفع بصخرة إلى قمة جبل، مدركاً تماماً أنه لن يفلح في ذلك أبداً . ولو لم ينتمِ كاتب متفانٍ مثل (**يوجين يونسكو**) ـ من بين آخرين ـ إلى أدب أو مسرح العبث، ما قام له بنيان، وما كانت له مدرسة مستقلة بذاتها، إذ كان محتملاً أن يصير العبث مجرد مصطلح يطلق على بضعة كتاب مسرحيين لهم نفس الرؤى العبثية . وهناك قلة من النقاد يشككون في انتماء الكاتبين (**صموئيل بيكيت**) و(**جين جينيه**) إلى مسرح اللامعقول انتماءً أصيلاً . فما يميّز كتّابه عمن سبقوهم أو تبعوهم ممن لهم الموقف الفلسفي نفسه، أن الموقف بالنسبة لهم يكوّن الشكل الفعلي لمسرحياتهم .

ومدينة باريس التي طالما برزت مركزًا رئيسًا للحركات الطليعية في الفن، كانت ـ بطبيعة الحال ـ مقر ذلك المسرح الجديد، بل إن الحركة امتدت فبلغ تأثيرها حدود أمريكا : (**إدوارد أولبي وآرثر كوبيت**) وإنجلترا (**هارولد بنترون . ف سمبسون**) وإيطاليا (**دينو بوزاتي**) وألمانيا (**جونتر جراس ولفجانج هيلدسهايمر**) وتشيكوسلوفاكيا (**فاكلاف هافل وسلاڤومير مروتستيك**) وسويسرا (**ماكس فريش**) وبولندا وأسبانيا . وللحركة العبثية أهميتها السوسيولوجية وإن لم يصح أن نطلق لفظة «عبثي» على كاتب إذا لم يتجاوز حدودها .

ورغم أن «السخف» أحد جذور مسرح العبث، فإنه سخف ذو معنى، إذ إنه ينساب من التوحد بالعقل أو الهدف . والمسرحيات العبثية تحاول أن تعبرّ عن تلك الفكرة عبر أبنيتها المتصدّعة . ولعل «أدب السفاسف» أحد جذور العبث أيضًا، وهو أدب برع فيه كل من (كريستيان مور جنسترن) و(جوكيم رنجلتاتس) و(فلهيلم بوش) الألمان و(إدوارد لير) و(لويس كارول) البريطانيّين . ومن الجذور المهمة الأخرى عالما «الفودفيل» و«السيرك»، وأولى الأفلام الكوميدية «الصامتة» وبخاصة تلك التي صنعها (ماك سينيت) الأمريكي و(رامون إسلن) بين «**مسرح اللامعقول**» و«**مسرح الطليعة الشعري**» الذي يقوم على الفانتازيا وواقع الأحلام، بدرجة المسرح العبثي نفسها وإن كان يقدم كوجبة أساسية جوًا مغايرًا أكثر غنائية وأقل عنفًا وبشاعة، فهو يعتمد إلى حد بعيد على الجوار الشعري الواعي .

ولقد اتسع المد العبثي في الستينيات فشمل أغلب المسرحيات التي تعرض للحالة الإنسانية بتكنيك عبثي، وبخاصة مسرحيات (**بيكيت**)

مجدد مسرح العبث يونسكو



و(اداموف)و(يونسكو) وآخـرين، حيث اتسمت أعمـالهم بـالشكل الـلامنطقي، واستخـدمت مـؤثرات هـزلية في تنـاول موضـوعاتهم الفلسفيـة التشـاؤميـة، ومـؤثـرات سيـريـاليـة من الكـاتب المسرحي الفرنسي (ألفريدجاري). ولقد كان من حسن طـالع المسـرح العبثي أن يكف (يونسكو) فجأة عن كتابة الشعر والنقد ـ اللذين استهل بهما حياته الأدبية باللغة الرومانية ـ ليتحول إلى المسرح ليثريه بعـدد وفير من المسـرحيـات التي صاغهـا باللغةالفرنسية.

ولقد غـادر (يونسكو) رومـانيا عـام ١٩٣٨م وبـالتحـديـد مـدينـة (سـلاستينـا) مسقط رأسـه (١٩١٢م)، واستقر في باريس حيث تعلّم، وبدأ حيـاته مـؤلفا مسـرحيا ــ وإن كان قـد قضى بضع سنين في رومانيا ما بين ١٩٢٥م و١٩٣٨م ـ عندما دفعــه إلى ذلك فجـأة العــالم العبثي الــذي استحضرته إلى ذهنه بعض العبارات الموجودة في كتيّب لتعلّم المحادثـة الإنجليزية وكـانت النتيجة مسرحية «مغنية الأوبـرا الصلعاء» التي كتبهـا عـام ١٩٤٨م ونشـرت عـام ١٩٥٠م، وتتبـدّى فيهـا العبارات المبتذلة التي تتداولها أسرتان برجوازيتان إنجليزيتان. كانت تلك المسرحية بمنزلة الحادث السار وإن لم تعدّ بداية مثيرة.

وتكشف تلك المسرحية ـ التي فكّر (يونسكو) أولاً أن يسمّيها «تعلّم الإنجليزية بيسر» أو «الساعة الإنجـليـزيـة» ـ عـن تـجـربتـه في تعـلّم اللغة الإنجليـزيـة، إذ وضعت أمـام عينيـه عـدداً من الحقـائق التي كـانت قد غـابت عن ذهنـه، كمـا يحـدث في معظم الأحـايين. إذ إننا بحـاجـة من وقت لآخر ونحن نتـزاحم في عصر إيقاعُـه جنوني لمن يذكّـرنا بأنفسنا وبـواجباتنا. ولقـد أساء بعض النقاد فهم تلك المسـرحية فثمنّـوها على أنهـا نقد للمجتمع البرجوازي وهي ليست كذلك، إذ إن لها عـددًا من المستويـات فهي ملهـاة حقيقية تـارةً، وهي مسرحيـة ميلودرامية تارة أخرى وهـي سخرية من «مسرح البوليفار» تارة ثالثة. ومع ذلك فقد كان أشـد ما يهتم بـه (يونسكـو) حيـاة بضعة أفـراد من الطبقة البرجوازية وليس المجتمع البرجوازي كله، فهؤلاء يتسمون بـالمحافظة الشديدة، فـلا يؤمنون إلا بما يرثـون من أفكار وشعارات وهـذا ما تعكسه لغتهم الأوتـومـاتيكيـة. لـذا فـالمسـرحيـة تفضح ميكـانيكيـة الحـديـث وروتينيـة السلـوك. فـ(آل مـارتن) يخوضـون في حديث لا معنى لـه؛ ذلك لأنهم لا يفكرون وهم يتحدثون، ولأنهم لا يفكرون فهم لا يشعرون، ومن هنا فقدوا إحساسهم بالواقع الـرابض حـولهم. ولقـد تحـدث (يـونسكـو) عن تجربته إبان كتابـة تلك المسرحية فبيّن كيف كتبها بشكل مـركز ومنظم ومنطقي طبقـا لما استـرجعته ذاكـرتـه من كتب المحـادثـة، ثم فجأة وفي أثنـاء كتابة النـص تحول المسار الدرامي منه فـانحرفت عقـدتــه بل وتعقـدت أكثـر فصـارت حقـائقهـا مجنـونــةً، إذ تفككت وشـائج الكـلام فتحللت الشخصيات وصارت الكلمة المعقولـة جوفاء بعد أن فقدت هـويتها وعـادت مجرد رنين صـادر عن شخصيات ضحلة تتردى من واقع، الدمار مصيره الحتمي.

وبعـد أن افتتح (يونسكـو) إسهامـاته لمسـرح العبث بمسـرحية «المغنية» والتي كشفـت النقاب عن جوانب القصـور في اللغة كوسيلـة اتصال بين البشر، راح يكتب عدداً من المسرحيات مستخدمًا تقنيات عبثيـة وسيريـاليـة متعددة للتعبيـر عن رؤية فــوضـــويـــة للمجتمع. كـــان من أهـم تلك المسرحيـات «الدرس» (١٩٥١م) و«المقاعـد» (١٩٥٢م) و«الخرتيت» (١٩٦٠م). ولقـد وصف (يـونسكــو) مسـرحيــة «الـدرس» بأنهـا «فـرْس مأسوية»، **فشرع في توظيف اللغة بطـريقة إبداعية تميز أسلوبه بين كتاب العبث، بل وتميز مسرحيته بين مسرحياته الأخرى.** فاللغة هنـا تخلق مشهدًا يوحى بإلحاحية فكرة (التوحش) التي تسيطر على الشخـوص، وحتميـة تفاقم هـواجس المـرء التي تستبد به على نحو مغلق إلى أن تصل به إلى روتين حيـاتي غير سـوى. ولقد تـوصّل (سترندبرج) إلى ذلك قبـل (يونسكو) وخصـوصـا في «مسرحيات الغرفة» التي كتبها من أمثال «سوناتا الشبح» إلا أن (يونسكو) ــ وهذه إضـافة من إضـافـاته ــ أوحى بذلك بشكل غير مباشـر، شكل درامي مؤثر، كما هو الحال خصوصًا في «الخراتيت».

والحبكة في مسـرحية «الدرس» بسيطـة إذا ما استخـدمنـا مصطلحـاً أرسطيـاً وإن كـانت «لا معقـولـة»، إذ تبلغ ذروتهـا عنـدمـا يطعن معلم تلميذتـه بمدية وهمية وهـو يشرح لها العـلاقة بين اللغـة ودلالاتهـا، فتسقط صـريعـة ليحملهـا والخادمـة، لتقرع الجـرس تلميذة أخـرى وتدخل لتتلقـى درســـاً وتكتمل بـــذلـك دائرة العبث. و (يونسكو) هنـا يستوحي أيضًـا فكرتـه من تجربته في تعلم اللغة الإنجليـزية. فما انتهى إليه من تلك التجـربـة من إدراكات تتعلق بعلاقـات البشـر وعلاقـات الأشيـاء بعضها ببعض ضمنهـا مسرحيتـه، موّظفـا نفس اللغة المـوحية المـوجزة التي تنتهي بنـا إلى الجــو العبثي القـائم نفســه والمفعم بالدلالات. وإيقاع المسـرحية مركب من علاقات كثيرة دائمـة التغير في العالم الدرامي بين شخصيتيــه الـرئيستين أو حتـى بين الخـادمــة ومخـدومهـا، فهي لا تفـزع لجـريمـة القتل التي يرتكبها، بل تقلّده نيشانًا موحية بذلك بأن جريمته أمر عادي، مما يعكس مغـزى عميقا عندما نضع العــالم الخـارجي فـي حسبـاننــا. وإيقـاعــات (يونسكو) اللفظية ذكيـة ومتوقدة، إذ تخلق تأثيـراً خـاصًا يشبـه التنـويم المغنـاطيسي. وإيقاعـات المسرحية ــ من ناحية أخرى ــ ليست مجرد لعب لفظية لها متعتها أو لذتها الخـاصة كما هو الحال بالنسبة لمسـرحية «المغنية» وإنمـا هي ايقاعـات

درامية في المقام الأول ولها معانٍ محددة يمكن إيجازها في كلمتين «**الواقع العبثي**». والتغريب الناجم عن ذلك عميق جدًّا، فما يقال أو يحدث ما هو إلا حرث ذهن بعينه وليس «تشويها تعبيريا» أو «غضبًا استاطيقيًّا» بلغة «**مسرح الغرفة**» عند (**سترندبرج**)، ولا هو عرض «وهم» بلغة (**بيرانديللو**)، مع أن (**يونسكو**) يرتبط بكلا الكاتبين من ناحية العناصر أو التقليد الدرامي. فلقد ارتد وهم الواقع ــ تحت وطأة القلق الشديد ــ إلى الداخل وراح يكمن في اللغة الدرامية الموجهة إلى شعور متفرج ثم تنويمه مغناطيسيا. ومسرحية «**الدرس**» يعتمد أساسا في حدثها الدرامي على بنية الشعور التي يشيّدها المؤلف بمجرد أن يرتفع الستار.

وتتضمن مسرحية «**المقاعد**» قيمة كان قد عالجها (يونسكو) من قبل، وهي ضرورة أن يتخلص الإنسان من مشكلاته الطبيعية في هذا العالم، وتلك مهمة شاقة، إذ يتعين عليه أن يخرج من عزلته أولاً ليواجه أبعاد الكون بمداها اللانهائي. والمسرحية تمثل واحدة من إنجازات (**يونسكو**) العظيمة. ففي قلعة دائرية على سطح جزيرة تدعو شخصيتا المسرحية طاعنتا السن ـ الزوج (٩٥ سنة) والزوجة (٩٤ سنة) حفنة من علية القوم، ليطلعهم الأول على أغلى ما عنده، خبرته الطويلة بطرائق الحياة، إلا أنه يصاب بخيبة أمل فظيعة، إذ يدرك عجزه التام عن الإدلاء برسالته، فيكلّف خطيباً ليقوم بذلك نيابة عنه ويلقي بنفسه في الماء. إلا إن الخطيب يقف عاجزاً أمام حشد المقاعد الشاغرة وقد صار أصم أبكم، مجسداً بذلك بصورة شعرية موحية عجزنا التام عن تداول خبراتنا الحياتية وعدم جدوى الوجود البشري. ومع ذلك فقد كشف (يونسكو) عن همّه الأساسي في تلك المسرحية فقال إن رسالة العجوز أو إخفاق الحياة أو حتى الكارثة الأخلاقية ليست موضوع مسرحيته، وإنما موضوعها المقاعد الشاغرة نفسها وخلوّ القاعة من الناس، بل من الدين أو الحياة، فالمقاعد تشي بالفراغ الميتافيزيقي في تصوري.

و(يونسكو) ككاتب مسرحي ذي قيمة كبيرة لاقى اهتمامًا مهيبًا من جانب النقاد وخصوصا ممن يعنون بالمعتقدات الفلسفية للعبث، العبث، اللغوي. فلقد كتب أعمالاً خالدة في هذا المجال، كان من أفضلها مسرحية «**الخرتيت**» التي تنم عن شعور (**يونسكو**) ومرارته الشديدة فيما يتعلق بالتغيّر التدرجي الذي يطرأ على الإنسانية إلى «خراتيت». فـ(بريجنيه) بطلة، وهو مواطن بسيط كان قد قدّمه من قبل في واحدة من مسرحياته الجيدة: «**القاتل**» (١٩٥٩م) والتي تبرز مواطن الإبداع الدرامي عند (**يونسكو**)، فهي مسرحية تصوّر ــ ببراعة فائقة ـ الموت شخصًا يقهقه عاليا وبلا مبالاة. ويتوسل (يونسكو) في مسرحية «الخرتيت» بالاستعارة الدرامية للتعبير عن رؤيته الفنية مرة أخرى، وإن كان دافعه الخفي ذا محرك سياسي. نلتقي في المسرحية بشخصيتين أيضا، وإن كانتا شابتين ــ (بريجنه) وخطيبته (ديزي) ـ وقد تعرضا لمنظر غريب، شاهدا خلاله بعض الآدميين يتحولون إلى خراتيت، وتدريجيا تتحوّل الدنيا إلى دغل وقاطنوها إلى خراتيت باستثناء البطلين، إذ يحتفظان بآدميتيها أمام تيار الخرتتة الجارف. وفي النهاية يبقى (بريجنيه) فقط متمردًا على الداء المتفشي فيرمز بذلك بشخصية خالقه ـ المؤلف ـ إبّان التحول الفاشي الذي طرأ على مجتمع رومانيا في عام ١٩٣٨م.

ولقد كتب (يونسكو) عدداً آخر من المسرحيات منها: «الأمثولة» (١٩٥٠م) و«ضحايا الواجب» (١٩٥٣م) و«الفتاة برسم الزواج» (١٩٥٣م) و«**أميده أو كيف تخلص منه**» (١٩٥٤م) و«**جاك أو الخضوع**» (١٩٥٥م) و«**اللوح**» (١٩٥٥م) و«**بديهة الما**» (١٩٥٦م) و«**المستأجر الجديد**» (١٩٥٧م) و«**الملك يموت**» (١٩٦٢م) و«**نزهة على الهواء**» (١٩٦٣م) و«**ألعاب المذبحة**» و«**العطش والجوع**» و«**الفجوة**» (١٩٦٦م). ولعل أفضل ما كتب على الإطلاق في مجالات أخرى مذكرات بعنوان «**الماضي الحاضر والحاضر الماضي**» **وسلسلة من المقالات نشرت تحت عنوان «بقايا جريدة»** (١٩٦٧م).

> **استخدم يونسكو في مسرحياته تقنيات عبثية وسريالية ليُعَبّر عن فوضى المجتمع.**

لقد مُسرحت درامات (**يونسكو**) القصيرة على مسارح الرواد بباريس أولاً ثم على المسارح التقليدية، ولاقت نجاحاً كبيراً وجدلاً أكبر لاستخدامه تقنيات المسرح لإبداع مسرحيات مضادة يعرض فيها لحالة الإنسان المتردية في قيعان العبثية. وكان في ذلك يفصل بعمدٍ المسرح عن كل من التاريخ والمدينة، فالتاريخ ـ في رأيه ـ لا وجود له والمدينة فكرة زائفة لا تعني الكثير ما دامت الحياة قد انحصرت في الإنسان والتاريخ فريسة الموت ولغة الحضارة موصّل عبثي ينشر الفوضى بين البشر، مما يؤكد شروح الوضعيين المناطقة ودراسات السيميين. ولقد أدرك (**يونسكو**) بحسه المرهف دباليكتية (هيجل) للتركيبات اللغوية واختلافها من بلد لآخر فجعله هذا يميز نفسه عن زميلي حرفته (اداموف) و(بيكيت)، إذ ثار الأول على عادات التفكير والثاني على مظاهر السلوك، بينما ثار هو على عادات اللغة، فتلك تقف حائلا دون التفكير أو التصرف. **فعندما يفقد الإنسان القدرة على استخدام لغة جيدة حبلى بالمعاني فإنه يعجز عن التفكير مما يشل حركته تماماً فتثبط عزيمته. إلا أن عزيمة** (يونسكو) **لم تثبط أبداً**.

ومن مشيئة القدر أن يتم انتخاب (يونسكو) عضواً في «المجمع اللغوي الفرنسي» خلفاً للناقد (جان يولان) عقب جولة قام بها في العواصم الأوربية (١٩٨٣م) لنشر آرائه الخاصة بعبثية اللغة!

مذاهب واتجاهات في الأدب ②

س

السريالية : Surrealism

حركة أدبية وفنية نشأت في فرنسا عام ١٩٢٤م وكان لها دوي كبير في فترة ما بين الحربين. وكان الشاعر جيوم أبولينير (١٨٨٠ ـ ١٩١٨م) قد ابتكر مصطلح «الواقعية العليا» Sur-realisme عام ١٩١٨م وخلعه على الحركات الحديثة في الأدب والفن مثل التكعيبية والمستقبلية والدادوية التي سعت إلى تأسيس واقع خارج حدود العقل. ثم جاء أندريه بريتون (١٨٩٦ ـ ١٩٦٦م) وأنصاره الذين انشقوا على الحركة الدادوية عام ١٩٢٠م فأسس ما سماه «السريالية» أي «ما فوق الواقع» وجعل المصطلح عنوانا للحركة التي اشتهرت بهذا الاسم. وكان بريتون طبيبًا نفسيًا أسس ما سماه أيضا باسم «معامل البحث السريالي» في باريس وطبق فيها مبادئ فرويد في علم النفس التحليلي، ولا سيما في العقل الباطن واللاوعي، على ألوان التعبير في الفن والأدب. وخرج من تطبيقاته هذه بمنهج سماه «الكتابة الآلية» أو التلقائية، واكتشف بعض الأفكار الإيجابية التي تعالج الطابع السلبي الخالص في الدادوية. وفي عام ١٩٢٤م خرج على الناس بما سماه « البيان السريالي» الأول (تلاه آخر عام ١٩٢٩م) وشرح فيه جوهر السريالية بقوله :

«إنها التلقائية (الآلية) النفسية الخالصة التي نقصد منها أن تعبر باللفظ أو بالكتابة، أو بأي وسائل أخرى، عن عملية التفكير الحقيقية. إنها إملاء الفكر في غياب جميع ألوان الرقابة التي يمارسها العقل، وبمعزل عن كل الهموم الجمالية أو الأخلاقية. إن السريالية تكمن في الاعتقاد في الواقع الممتاز (الأعلى) المتفوق لأشكال معينة من تداعي الأفكار كانت تلقى الإهمال من قبل. كما تكمن في العلم بكل شيء يتعلق بالأحلام وحركة التفكير التي لم يعن أحد بها. وهي تميل على وجه الإطلاق إلى الاستغناء عن جميع الأنظمة النفسية الأخرى والحلول محلها في حل مشكلات الحياة».

ومعنى هذا أن السريالية ليست «شكلا من أشكال الشعر»، وإنما هي «أداة متواضعة من أدوات التسجيل» كما وصفها بريتون نفسه. ومن ثمة فهي تنتج شعرا «خالصا» من خلال المكونات الشعرية والأحلام التي تخلق واقعا أعلى من خلال التلقائية في التعبير. ويهدف السريالي ـ كما يقول الناقد الإنجليزي هربرت ريد ـ إلى «تحطيم الحواجز، البدنية والنفسية، بين الوعي واللاوعي، بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، وخلق واقع متميز فوقي، يجتمع فيه الحقيقي وغير الحقيقي، والتأمل والفعل، ثم يختلط هذا بذاك ويهيمن حاصلهما على الحياة بأسرها».

ظلت الحركة مزدهرة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م وعندئذ بدأت في التراجع والخفوت بسبب ظروف الحرب من جهة، وتورط أصحابها في مناقشات سياسية عنيفة لم تدع لهم فرصة للإبداع. وبالرغم من أنها لم تنتج شيئا ذا قيمة خارج مجال التصوير بالزيت والرسم، وأن أصحابها أسرفوا في أحلامهم في تأسيس «ثقافة عالمية جديدة»، فقد كانت لها آثار موحية في الأدب والفن الحديثين في أوروبا وأمريكا، وربما في كثير من أقطار العالم الأخرى. ومن ذلك أنها استقطبت بعض الشباب في مصر في يناير ١٩٣٩م فكونوا جماعة باسم «الفن والحرية»، وأصدروا مجلة «التطور» طوال خمسة أشهر عام ١٩٤٠م، وكتبوا ورسموا بعض الأعمال، ولكنهم لم يستمروا طويلا.

ش

الشكلية : Formalism

نزعة أدبية ترمي إلى تغليب الشكل والقيم الجمالية على ما في العمل الأدبي من فكرة أو خيال أو شعور. وتعد نظرية «الفن للفن» أبرز أمثلتها.

وأهم رواد هذه النزعة الروسي فيكتور شكلوفسكي الذي أسس عام ١٩١٧م مدرسة أدبية في جامعة دارسي اللغة الأدبية Opoyaz بموسكو، كان من أهم مبادئها أن الفن هو الأسلوب الأدبي، وأن هذا الأسلوب يعتمد أساسًا على جودة الصياغة والصنع، وأن الغرض من كل عمل فني هو إبراز هذه الجودة، وأن الأثر الأدبي يساوي مجموع الوسائل المستعملة في صياغته، وانتهت هذه المدرسة في أواخر عام ١٩٢٧م حين بدأت فكرة الواقعية الاشتراكية في البروز كنظرية رسمية مقترنة بالماركسية التي تبنتها الدولة السوفييتية كأساس فلسفي تقوم عليه.

غ

الغنائية : lyricism

نزعة شعرية تعتمد على التعبير عن الانفعالات بطريقة أخّاذة تستميل النفوس، وأهم عناصرها الفكرة التي تخاطب العقل، والشعور الذي يناجي القلب، وموسيقى الشعر التي تتردد في الأذن، والصورة الشعرية التي تمثل الخيال. ولهذه النزعة وسيلتان للتعبير هما : الوسيلة الاعترافية التي تنقل المشاعر الذاتية إلى القارئ، والوسائل الخطابية المعبرة عن مشاعر عامة كالتفنن بحب الوطن وبالبصر أو التأمل في الموت والطبيعة والقدر.

ك

الكلاسيكيـة : Classicism

جاءت كلمـة «كلاسيكي» في اللغـة اللاتينية واللغـات المتفرعـة عنها من تعـريف لكـاتب رومـاني في القـرن الثاني يـدعى «أولـوس جليـوس» وفي هـذا التعريف ميز جليوس بين الكاتب الكلاسيكي والكاتب البروليتاري، وقال إن الأول نقيض الآخر، وإنه ـ أي الكاتب الكلاسيكي ـ هو الكاتب الأرستوقراطي الـذي يكتب للقلـة السعيـدة، أو بمعنى آخر هـو الكـاتب الـذي يكتب للخاصة. ولكن هذا المعنى المبكر للكلمـة ما لبث أن تغير بعد قرون، وأصبح الكاتب الكـلاسيكي هو الـذي تدرس أعماله أو يستحق الـدراسة بـالجامعات والأكـاديميات. وظل هـذا المعنى سائدًا في لاتينيـة العصور الـوسطى وعصر النهضـة، ثم تسرب إلى اللغـات الأوروبيـة الحديثـة العهـد في ذلك الـوقت. وأصبحت أعمال الإغريق والرومان هي التي تستحق الـدراسة. ومن هنا جاءت فكـرة أن هـذه الأعمال تشكل الكـلاسيكيات، أي الـروائع والآراء ذات القيمـة الباقية. ثم امتد المعنى فشمل ما أنتج من آثـار باللغـات المتفرعـة عن اللاتينية كالإنجليزية والفرنسية.

ومع ذلك ظهر تيـار ينكر كلاسيكيـة الأدب الروماني على أساس أنـه مقلد للأدب اليونـاني القديم. ثم جاء الـرومانتيكيون الألمان فقالـوا إن الأدب اليوناني عبر عن الشخصية القـومية لليونان القديمـة. وبذلك يكون أدبـا رومانتيكيا. وقـالوا أيضـا إن أدب الرومـان وأدب عصر النهضـة لـم يعبرا عن أي طـابع أو شخصية. وبذلك يكون أدب العصر اليونـاني المتأخر في الاسكندرية أول أدب كلاسيكي لأنه قلد الأدب اليوناني القديم.

وهكذا تفاوت مفهوم الكلاسيكيـة حتى استقر في النهاية عند معنى الكمال الأدبي الـذي حققته النصـوص الأدبيـة القديمـة من حيث الأصالـة والجودة، والانسجـام بين النسب، والتـوازن بين الشكل والمضمـون، والتعبير عن الموضـوعيـة، والعقل في الـرؤيـة والتناول، والالتـزام بـالقـواعـد التي وضعهـا القدماء.

وقد ازدهـرت الكلاسيكيـة على هذا النحو في فـرنسا بـوجه خـاص خلال القرنين السـابع عشر والثامـن عشر. وكان من أعمـدتها كورني وراسين وبـوالو ولافـونتين. كما ازدهـرت في إنجلترا، وكـان من أعمـدتها درايـدن وأديسـون وصامويل جونسون، ثم في ألمانيا على أيدي جوتـه وشيللر وغيرهما.

وفي تـاريخ الأدب الأوروبي فترة تعـرف بـاسم «الكـلاسيكيـة الجديـدة» ويحددها المؤرخـون الإنجليز بمئـة عام تبـدأ من عام ١٦٦٠م. وفي تلك الفترة بـرز كثيرون من أدباء الإنجليـز مثل ريتشارد ستيل وهنـري فيلدنج وتشترتـون وجـولـد سميـث. وكـان هـؤلاء وغيرهم كـلاسيكيين بمعنى أنهم احتـذوا الكلاسيكيين القدماء، ولا سيما الرومان. وكان الأدب عند هؤلاء الكلاسيكيين الجدد فنا لا يُجَوَّد إلا بالدراسة والمران الطويل ومعرفة النصوص القديمة الجيدة. وكان هؤلاء أيضا يعتقدون أن العقل هو أفضل خصائص الإنسان، وأن النظام والوضوح أهم خصائص النص الأدبي. ومع ذلك لـم يكن هؤلاء الكلاسيكيون الجدد يعارضون التجديد والابتكار والخيال والأصالـة.

نخلص من هـذا كلـه إلى أن الكـلاسيكية مـذهب أدبي ازدهـر في القـرنين السابع عشر والثامن عشر، وارتبط بـالآثار أو الكلاسيكيات القـديمة، وحافظ على خـواصها البـارزة مثل الموضـوعية في التنـاول والبلاغـة في الأسلـوب، دون إظهـار لـذاتيـة الأديب أو عـواطفـه، ودون التخلي عن مخاطبـة العقل وصفـاء اللغـة.

م

المثاليـة : Idealism

ينظر هذا المذهب إلى الحياة نظرة تفاؤلية لا حدود لها، فهو يرى أن الإنسان خير بطبيعته وأن الشر شيء عارض في حياته، ومردّه دائمًا إلى الضغوط الاجتماعية المؤقتـة، فقيم الحق والخير والجمال هـي القيم الأصيلـة التي تسكـن النفس الإنسـانية، والطمـوح إلى تحقيق المثل الأعلى هـو الفارق بين الإنسـان وغيره من الكائنات الأخرى. والمثاليون لا يرون مظاهر الطبيعة ومناظرها كما هي في الواقع وإنما يرونها آيات رائعة ذات معانٍ قويـة الدلالـة. وانطلاقًا من هذا التفاؤل فإن أعمال المثاليين تأتي نهاياتها مشبعـة بالأمل والرخاء وانتصار الخير على قوى الشر.

ويختلف النقـاد في تقويم رؤى هـذا المذهب، فهنـاك من يرى في تفاؤلـه اللامحدود هـروبًا وسلبيـة وعدم تفاعل جـدي مع قضايـا الحياة، بينما يـرى فيه آخرون دعوة إلى التغيير للأفضل، فهذا الطموح نحو الأمثل هو ما يميز الإنسان من غيره من المخلوقـات.

وتقترب المثالية كثيرًا من الرمزية، خاصة في شعر بودلير وتلاميذه.

المستقبليـة : Futurism

نـزعة أدبيـة وفنيـة ظهرت في إيطـاليا على يـد الشـاعر مـاريتني (١٨٧٦ ـ ١٩٤٤م)، وذلك كثورة على كل الأساليب الفنية السابقة، وكمواكبة لتطورات عصر الآلـة والسرعـة.

وكـان أول ظهور لمبـادئ هذه النـزعة في رواية مارينتي المسماة : مـافاركـا المستقبلي : روايـة أفريقيـا Mafarka le Futuriste roman africain (١٩٠٩م)، وهي روايـة خياليـة، كما صاغ مـارينتي بيانـا نشرته الفيجـارو في ٢٠/ ٢/ ١٩٠٩م كبيان رسمي للمستقبلية.

ومن أهم ما تدعو إليه هذه النزعـة من مبادئ هي : أن الكلمة حرة طليقة إلى أقصى درجـات الحريـة، وأنها يجب ألا تخضـع للنظام المنطقي للجملـة، وإنما يتاح لها الحرية لتكون مزيجًا من الرموز المستقاة من العصر، ويرى مارينتي رائد هذه النزعة أن الحرب صحة للكون وأن العنف يطهر كل شيء.

ورغم ما في هذه النزعـة من بـذور عبث، وجنون إلاّ أنها كانت ذات أثر في المدارس الأدبية والفنية المختلفة كالتكعيبية والتعبيرية والسريالية.

وجاءت نهاية هذه النزعة الأدبيـة الفنية في أوروبا مع نهاية العقد الثالث من هذاالقرن.

و

الواقعية : Realism

للواقعية كمذهب فلسفي معنيان مغـايران، المعنى الأول : هو ذلك الذي يتمثل في فلسفـة أرسطو وغيرها من الفلسفـات التي تأثرت بها، وكلها تقر بأن العالم الخارجي مستقل عن الفكـر، أما المعنى الثاني فنجـده في نظرية أفـلاطون التي ترمي إلى أن العـالم الخارجي ما هو إلا انعكاس للصورة الـذهنية أو للمثل الأعلى، وأن هذه الصورة أكثر واقعية منه .

أما في علم الجمال فإن الواقعيـة تعني كل فن يحاول أن يمثل الأشياء بأقرب صورة لها في الواقع .

وكمـذهـب أدبي ازدهـرت المدرسة الـواقعيـة أول مـا ازدهرت في فـرنسـا في منتصف القـرن التـاسع عشر، إذ بـرز عـدد من الـروائيين الـذين يعتمـدون في إبداعهم الأدبي على قصص من الواقع كتلك الحوادث التي تنشرها الصحف أو تكون مبنية على وثائق تاريخيـة دقيقة تصور واقع أشخاص عاديين دون أن تبرز الأهواء الشخصية للكاتب .

وروّاد هـذه المدرسـة هم شـان فلوري (١٨٢١ ـ ١٨٨٩م)، جـوستـاف فلـوبير (١٨٢١ ـ ١٨٨٠م) والأخـوان ادمونـد جـونكور (١٨٢٢ ـ ١٨٩٦م) وجوليس جونكور (١٨٣٠ ـ ١٨٧٠م) .

الواقعية الاشتراكية : Social Realism

ورد تعريف هذا المذهب رسميًا في أول مؤتمر عقده اتحاد الكتاب السـوفييت سنة ١٩٣٤م حيث تضمنتـه إحدى مـواد الدستـور الذي وضعـه هذا الاتحاد، ونص المادة هو : « أن الـواقعية الاشتراكيـة هي المنهج الأساسي لـلأدب والنقد الأدبي السـوفييتي، وهي تتطلب من الفنان أو الأديب تمثيلـه الواقع في حالـة نموه الثوري تمثيلاً صادقًا، وعلى هذا فإن صدق التمثيل الفني للواقع يجب أن يرتبط بنوعية العمـال ويدعم إيمانهم بروح الاشتراكية » .

أما استخدام هذا المصطلـح لأول مرة فقد كـان عام ١٩٣٢هـ حيث قامت حركـة احتجاج جـديدة، ظهـرت ضد الإنتـاج المسرحي التقليدي الـذي كان يقدمه فنانون غير واقعيين من أمثال ميرهولد .

ويـأتي تميز الـواقعية الاشتراكيـة من الواقعية النقـدية في أنها إذ تتنـاول ما في الـواقع من مآسٍ ومظـاهر بـؤس وفقر تـرزح تحتها طبقـات الشعب العاملـة لا تتنـاولها لتصـويـر مـا فيها من بشـاعـة، وإنما لإيقـاظ وعي الجماهير المطـالبـة بحقوقها، لذا فإن أعمــال الواقعيين الاشتراكيين تنتصر دائمًا للخير وتجعل لـه الغلبة، فبث دواعي الأمل والتفاؤل مرمى من مرامي الواقعية الاشتراكية التي يعد مكسيم جوركي من أبرز روادهـا .

ومن الانتقـادات التي وجهت لهذا المذهب مبـالغتـه في جعل الفن والأدب تابعين للأوضاع المادية، حتى تحولت الواقعية الاشتراكية إلى واقعية مادية .

ويرى النقـاد أن هناك شكاً حول استمـرارية هذا المذهب الأدبي بعد انهيار ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي .

الواقعية البدائية : Nair Realism

تمثل الواقعية البدائية الطور الأول من الـواقعية، وهي تسمى أحيانًا الواقعية البسيطـة أو الواقعيـة السـاذجـة أو الـواقعية الفطـرية . وكـان اهتمامها الـرئيس تصـويـر الإنسـان من خلال أحكـام الآلهة وتصرفـاتها أو من خـلال الأحـداث المحيطة بـالبيئة، دون تعمق في النفس الإنسـانية . وتبرز آثـار هذه الـواقعية في أساطير اليونان القديمة كالالياذة، حيث كانت القوانين والعقوبات الإلهية هي مصدر الحركـة والواقـع، بينما يبدو الإنسان سلبيًـا أو متمثلاً في الأحـداث التي تحيط بــه، وحين عجـز هـذا المذهب عن مـلاحقـة التطـور الـذي طـرأ ببروز الرأسمالية وتحكمها ظهرت الواقعية النقدية ممثلـة للطبقات المتوسطة .

الواقعية النقدية : Critical Realism

حينما برزت الـرأسمالية وتحكمـت كان لابد للطبقـات المتوسطـة أن تجد من يعبر عن قضايـاها وهمومها ويعكس مشكـلاتها وصراعها مع الـواقع، فجاءت الواقعية النقدية ممثلــة لتلك الطبقات ونصيرًا لها متخلية عن تلك السلبية التي ميزت الواقعية البدائية، وكان انتصار الثورة الفرنسية فرصة كبيرة لها لبلوغ قمة الرواج والتأثير .

وروّاد هـذا المذهب يـرون أن الأدب الـواقعي هـو أدب الصـدق والأمـانـة والنزاهـة والموضـوعية، وأنـه أدب تصويـر المشكلات الاجتماعيـة وأدب الطبقة المتوسطة .

ويعد بلزاك أول من أصّل لهذا المذهب بما أنتج من مـؤلفات تعد من عيون الأدب الـواقعي، ومن رواد هـذا المذهب الآخـرين زولا ومـو باسـان وسكـوت وجوجول .

الوجودية : Existentalism

هي في الأساس نزعة فلسفية اهتمامها الرئيس وجود الفرد في الكون وصفاتـه الجوهريـة، ومن الذين قالوا بها : كير كجـارد الدانماركي، باسبرز وهايـدجر الألمانيان، وشيستوف وبرويانف الروسيان .

وقـد أطلق هذا المصطلح على النظريـة الفلسفية التي نـادى بها جان بـول سـارتـر في كتابه « الوجـود والعدم » (١٩٤٣م)، وأساسها أن الوجود المطلق أو حالـة الفراغ ـ كما يسميهـا سارتر ـ يسبق الجوهر أو الماهية أو الـوجود الفعلي، وهي ترى أن وجود الإنسـان في هذه الحياة هو الحقيقـة الوحيـدة ولا يوجد شيء سـابق عليها ولا لاحق بعـدها . والفـرد لـه مطلق الحريـة في أن يشكل حياتـه كيف يشـاء .

ومنذ الحرب العـالمية الثانيـة برزت ما أطلق عليهـا وجودية مسيحيـة بقيادة الفيلسوف الفرنسي جبرييل مارسيل ترى أن الإنسان منذ خروجه إلى حيز الوجود كامل الحرية تـام المسؤولية في تنفيذ إرادة الله .

وقد برع الوجوديون في استخـدام الأدب كوسيلـة لتجسيد أفكارهـم، ولـم يكن للوجودية الأدبيـة آراء في شكل العمل الأدبي وقالبه، وإنما اهتمامهم الرئيس بالمضمون وأن يكون الأدب ملتزمًا بعرض أفكارهم وخدمتها .

ومن أبرز الذين طوعوا الأدب لخدمة أفكـارهم الفلسفية : جان بول سارتر، ألبير كامـو، وسيمون دي بوفوار .



الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي

التوازن الإخباري



عبد الملك
عبد الرحيم

أحرص بحكم تخصصي العملي في المجال الإعلامي، على متابعة الجديد من الدراسات والاتجاهات، في مجال الثقافة الإعلامية العامة، وقد سعدت مؤخرًا، بالتوفر على قراءة أطروحة علمية إعلامية مخطوطة، للأستاذة الدكتورة سوزان يوسف أحمد القليني، عضو هيئة التدريس في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، نالت بها الأستاذة الباحثة درجة الدكتوراه في الإعلام من الكلية المشار إليها، تحت إشراف الأستاذة الدكتورة منى الحديدي . . . وموضوع الرسالة هو : «اتصالات الفضاء ودورها في تحقيق التوازن الإخباري، مع دراسة تحليلية لرسالتي : القمر الصناعي العربي والأقمار الدولية، ونشرتي الأخبار المصرية والسعودية» .

يدور البحث إجمالا حول اتصالات الفضاء، ومدى ما يمكن أن تقدمه، للوصول إلى تحقيق التوازن الإخباري، وخاصة بالنسبة للدول العربية ودول العالم الثالث، في ظل هيمنة الدول الغربية على مصادر المعلومات والتكنولوجيا.

لقد استهدفت الدراسة التحليلية، لمضمون رسالتي شبكة القمر الصناعي العربي، والأقمار الدولية، اللتين يستقبلهما كل من التلفزيون المصري والسعودي، ولنشرتي الأخبار المصرية والسعودية، خلال المدة من ١/ ٦/ ١٩٨٧م، حتى ٣٠/ ٦/ ١٩٨٧م، التعرف على الدور الذي تقوم به الأقمار الصناعية، في تحقيق التوازن الإخباري في نشرات الأخبار العربية. وقد أسفرت الدراسة عن مجموعة من النتائج، أهمها :

أولا : استفادت المملكة العربية السعودية، بوصفها نموذجا للدولة التي استخدمت رسائل القمر الصناعي العربي، استفادة كبيرة، حيث حقق القمر العربي الهدف المنشود منه، والذي اتفق مع أهداف إنشائه، وهو إثراء النشرات العربية بمزيد من أخبار الدول العربية، لإيجاد نوع من التوازن بينها وبين الأخبار التي ترد على الأقمار الصناعية الدولية، عبر الشبكات الفضائية الأجنبية، كما أدى ذلك إلى زيادة الاهتمام بالمشكلات العربية في النشرة السعودية، وإلى مزيد من التوازن بين أخبار الدول المختلفة في النشرة السعودية، وفي أخبار الدول والمنظمات في النشرة السعودية.

ثانيا : أن الأقمار الصناعية، وما تنقله من رسائل إخبارية، عبر الشبكات الفضائية : (اليوروفزيون والعربفزيون) لا يمكن أن تحقق التوازن الإخباري في حد ذاتها؛ لأن المصدر ـ بحكم انتمائه ـ لا بد أن يكون منحازا.

ثالثا : يقع العبء الأكبر في تحقيق التوازن الإخباري، على عاتق المسؤولين عن التلفزيونات العربية، وحينما تتعدد مصادر الأخبار، يكون لدى المسؤولين عن النشرات فرصة أوسع للاختيار بين الأخبار المختلفة، وتحقيق التوازن المطلوب.

رابعا : تختلف طريقة تغطية الخبر العربي الواحد، عندما يختلف مصدر نقله، فيغطى الخبر بطريقة مختلفة في شبكة : (اليوروفزيون) عنه في شبكة : (عربسات) مما يعكس أهمية اعتماد الدول العربية على مصدر عربي، في نقل الأخبار الخاصة بالمنطقة العربية.

وقد قدمت الدكتورة سوزان القليني، مجموعة من الاقتراحات؛ للإسهام في تطوير الخدمة الإخبارية، في التلفزيونات العربية، منها :

١ ـ ضرورة ترشيد استخدام تكنولوجيا الأقمار الصناعية، حيث لا يتم استخدامها من جانب الدول العربية بوصفها مستهلكة فقط للأخبار العالمية، عبر رسائلها الإخبارية، ولكن لابد من استخدامها في اتجاهين للتبادل الإخباري.

٢ ـ الاهتمام بالخبر العربي، تغطية وصياغة وتصويرًا، كي يجد طريقه إلى شاشات التلفزيونات العالمية.

٣ ـ ضرورة تنمية وتقوية وسائل وقنوات التبادل الإخباري بين الدول العربية.

٤ ـ ضرورة الإفادة من جميع إمكانات وطاقات القمر الصناعي العربي، ومن ذلك استغلال القناة الجماعية غزيرة الإشعاع، في بث برامج عربية إلى مختلف دول المنطقة.

٥ ـ ضرورة أن تعيد التلفزيونات العربية، النظر في القيم الإخبارية، التي تحكم عملية اختيار الأخبار المصدرة إلى الخارج، بحيث تتناسب مع القيم الإخبارية للدول المصدرة إليها.

٦ ـ ضرورة التعاون بين الدول العربية، عن طريق المندوبين الإخباريين.

٧ ـ ضرورة وضع معايير للاختيار والانتقاء الواعي للأخبار التي ترد على شبكة (اليوروفزيون).

٨ ـ ضرورة إحداث توازن في المواد الإخبارية، التي تتضمنها نشرات الأخبار العربية، وذلك بدقة اختيار نوعيات الأخبار التي ترد على رسائل القمر الصناعي، حتى لا تكون نشرات الأخبار صورة مكررة لنشرة الـ (يوروفزيون) التي لابد أن تكون منحازة بحكم انتمائها.

٩ ـ يجب أن يكون هناك تعاون قائم على التفاهم، بين إدارات الأخبار في التلفزيونات العربية.

١٠ ـ ضرورة عقد اجتماعات وندوات، من وقت لآخر، بين المسؤولين عن إدارات الأخبار بالتلفزيونات العربية، لتقريب المفاهيم في اختيار الأخبار، ولتقوية شعورهم بأهمية تبادل الأخبار العربية فيما بينهم.

دعـــوة تـرشـيـح

جائزة الملك فيصل العالمية للطب والعلوم

يسر الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية أن تدعو الجامعات ومراكز البحوث المختصة في جميع أنحاء العالم لترشيح من تراه مستحقاً :

لجائزة الملك فيصل العالمية للطب ؛ وموضوعها :

المناعة الجزيئية

و

لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم ؛ وموضوعها :

الـكـيـمـيـاء

المقرر منحهما عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، وذلك وفق مايلي :

١. أن يكون المرشح قد أسهم بجهد علمي بارز فيه فائدة ملحوظة للبشرية وإثراء للفكر الإنساني في موضوع الجائزة .
٢. أن يتميز إنتاج المرشح بالجدة والأصالة .
٣. أن يكون الترشيح من مؤسسة علمية معترف بها .
٤. أن يشتمل الترشيح على :
   أ. بيان مطبوع بالآلة يتضمن الأعمال المرشحة لنيل الجائزة .
   ب. بيان مطبوع بالآلة عن الحياة العلمية والعملية للمرشح متضمناً جميع أعماله المنشورة .
   ج. سبع نسخ من كل عمل مرشح .
   د. ثلاث صور شمسية ملونة حديثة للمرشح مقاس ١٠ × ١٥ سم .
   هـ. العنوان البريدي للمرشح ويشمل :
      (١) عنوان العمل ورقم الهاتف والتلكس والفاكس .
      (٢) عنوان المنزل ورقم الهاتف .
٥. تخضع جميع الترشيحات لقرار لجنة الإختيار المكونة من متخصصين أجلاء .
٦. يجوز أن يشترك في الجائزة فائزان أو أكثر .
٧. لايقبل إنتاج المرشح إذا كان :
   أ. قد منح جائزة من أية مؤسسة عالمية .
   ب. رسالة جامعية .
   ج. غير منشور .
٨. لايقبل الترشيح إذا كان :
   أ. فردياً أو من أحزاب سياسية .
   ب. غير مستوف لجميع الشروط المعلنة .
   ج. وصوله بعد الموعد المحدد .
٩. تتكون الجائزة من :
   أ. شهادة تحمل إسم الفائز وملخصاً للأعمال التي أهلته لنيل الجائزة .
   ب. ميدالية ذهبية .
   ج. مبلغ (٣٥٠ ٠٠٠) خمسين وثلاث مئة ألف ريال سعودي .
١٠. تعلن أسماء الفائزين في شهر شعبان ١٤١٥هـ (يناير ١٩٩٥ م)، وتمنح الجائزة في إحتفال رسمي يحدد زمانه ومكانه في وقت لاحق .
١١. آخر موعد لقبول الترشيحات مكتملة ٢٥ ربيع الأول ١٤١٥هـ (١ سبتمبر ١٩٩٤ م) .
١٢. لاتعاد أوراق الترشيح والأعمال المرشحة إلى مرسليها ، فاز المرشحون أو لم يفوزوا .
١٣. ترسل جميع الترشيحات وكل مايتصل بها من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها بالبريد الجوي المسجل إلى :

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية .
ص.ب (٢٢٤٧٦) - الرياض (١١٤٩٥)
المملكة العربية السعودية .
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥
تلكس : 404667 PRIZE SJ
فاكس : ٤٦٥٨٦٨٥
برقياً : جائزة .

ردود خاصة

● **الأخ فايـز غيثان الـرويلي - سكاكـا - الجوف :**

بإمكـانك الاتصال بـالجامعة التي ذكرتها في رسـالتك للحصول على المعلومات التي تستفسر عنها حيث إنها ليست متـوافرة لـدينا . وأهلاً بـك .

● **الأخت هنـد إبـراهيم السلطان - الخبر :**

شكـرًا على الـرسم الجميل الـذي بعثت به إلينـا . نأمل منك دوام الكتـابـة إلى مجلتك ، مع تمنياتنا بالتوفيق في دراستك .

● **الأخ فضاء فائز السعدي - بيشـة :**

شكرًا على رسالتـك ويسعدنا مـراسلتك لنـا دائمًا . وإليك الإجابات عن أسئلتك :

سميت مجلة « الفيصل » بهذا الاسم نسبـة إلى الملـك فيصل - رحمه الله - ، وصدر العدد الأول منها في رجب ١٣٩٧هـ ، وحيث إنها تصدر شهريًّـا فقد أوشكت أن تكمل عامها السابع عشر . أما اهتمام المجلـة بالثقافـة الإسلامية فهـو جزء من اهتماماتها الثقافيـة العامة .

● **الأخ أحمد جتين - كراتشي - باكستان :**

الأعـداد التي طلبتهـا من المجلـة في طـريقهـا إليك . أمـا طلبك الخاص بإصـدارات مركـز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض فقد أحيل إلى المركز بحكم الاختصاص ، ونأمل أن يجد الطلب الاهتمام اللائق .

● **الأخت دنيـا عقبـوبي - مستغانم - الجزائر :**

نعتـذر إليك من عـدم تلبيـة طلبك لكـونـه لا ينـدرج ضمن اهتمامات المجلـة واختصاصهـا ، ولكن تقديـرًا لظروفك فقـد أحلنا رسـالتك إلى صحيفـة أخرى لها اهتمام بـالشـؤون ذات العـلاقـة بأمـرك . ونـرجـو أن تتمكن من مساعدتك . وفقك الله .

● **الأخ البشير بن أحمد سنيفرة - الوادي - الجزائر :**

مـرحبًا بك وبما تـرغب في إرسـالـه إلينـا من إسهـامـات . وبـالنسبـة لـلاشتراك فستصلك معلومـات بـالبريد حـول ذلك ، وشكرا .

● **الأخ كمال بن مخلـوف - الجلفة - الجزائر :**

انقطــاع « الفيصل » عـن أسواق الجزائر الشقيقـة لن يستمر طـويـلاً إن شـاء الله ، والمسـاعي مبـذولة لإعـادة تـوزيعها هنـاك . فاستبشر خيرًا !

● **الأخ شوقي حسن - سليانـة - تونس :**

شكرًا على مشاعرك الكريمة . واقتراحك بشأن التوزيع في بعض الولايات التـونسية ندرسه حـاليا ، ونأمل أن نصل إلى كل ولايـة وإلى كل قارئ إن شاء الله .

● **الأخ أنـور نـاظـر - حلـب - سورية :**

نـرجو أن تكـون قـد علمت بعـودة « الفيصـل » إلى الأسـواق السـوريـة منـذ شهـر شـوال ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . وهنـاك أعـداد سـابقـة مـن المجلـة في طريقها إليك .

● **الأخ مختـار شريف أحمد التجـانـي - ميـدغـري - بـرنـو - نيجيريا :**

ترددنا - يـا أخ مختـار - في الرد على رسـالتـك ، فهي لم تتضمن سـوى الاسـم والعنـوان ، وربما حدث ذلك سهوا ! ونحن بانتظار رسالة أخرى منك .

● **الأخ شريف محمد أبو العلا - بني سويف - مصر :**

الكتاب المطلوب غير مـوجود لدينا ، ويمكن طلبه من المكتبات التجارية ووكـالات توزيع الكتب في مصر . مع الشكر لمراسلتنا .

● **الإخوة : عبـد الناصر أبـو هـارون - دمشـق - سورية ، يلوح رشيـد ابـن محمـد - أغـاديـر - المغرب ، فرزو محمـد وعبد الرحمن محمدي - الجلفـة - الجزائر :**

نـرحب بكم أصـدقـاء للمجلـة ، كما نرحب بتعـاونكم معهـا بأي إسهامـات ترغبـون في إرسالها إلينا ، وأهلا بكم .

● **الإخوة : فهد عبـد العزيز التويجري وصلاح الـدين الجيزي - الرياض ، سعيـد ثابت المسكتي - أبها ، فهد النافع الراشد - الزلفي ، عمر عبد العزيز الجنيد - صنعاء - اليمن ، ثـامـر صـابـر معـوض - المنصورة - مصر ، إبراهيـم محمـود - دمشـق - سوريـة ، أبـو عبـد الـرحمن يوسف بـن نوح وعـاطف محمـد الحاج - الخرطـوم ، فيصل فضل السيد - شنـدي - السودان ، يلوح رشيد بن محمد - أغـادير - المغـرب ، علي شمسي علمي - الأغوار الشمالية - الأردن .**

الأعـداد التي طلبتمـوهـا من المجلة في طريقها إليكم .

● **الإخوة : محمـد أحمد محمد أحمد - القاهرة - مصر ، حامد عمر محمـد - بـورتسـودان - السـودان ، زياد محمد خميس إدريس - عمان - الأردن ، محمـد فـوزي بوقـديـدة - تـونس ، محمد أكـرم سعد الـدين ومحمد ياسين عز الدين - دمشق ، مصطفى حجـو وأسـامـة عـادل صبـاغ - حلـب ، أيمـن عيسـى الحمصي - أزرع - سورية .**

استفساراتكم حول المجلدات سيتم الـرد عليها بـريديـا من قبل قسم التـوزيع ، ومـرحبـا بجميع الأصدقاء .



أدبُ التراثِ والحَقِيقَـةُ الضَّائعَـةُ!

تناول الدكتور حسين علي محمد في مقالته «**المسرح الشعري عند أنس داود**» والمنشورة في العـدد «١٩٨» من مجلـة «الفيصل»، شهر ذي الحجـة ١٤١٣هـ صورة الشاعر بطلاً في مسرحيـات أنس داود. ومما استوقفني في تلك المقالـة ما أورده الكاتـب عند عرضـه لمسرحية «الأميرة التي عشقـت الشاعر» حيـث ذكر الكاتب عرضًا ملخصًا لفكرة المسرحية وهي مستـوحاة من قصة ذكرها صاحب «**الأغاني**»، تقـول القصـة بـاختصـار إن أم البنين زوج الوليـد بن عبـد الملك عشقت الشـاعر وضـاح، فكـانـت تـرسل إليه فيـدخل ويقيم عندهـا، فإذا خافت وارتـه في صندوق عندها وأقفلت عليـه. وذات مرة علم الوليد بـالأمر. فاستـوهب زوجته الصندوق الـذي شكّ أنها خبّأت الشاعـر فيه، فأبت فألح عليها فوهبته لـه، فأمر الوليد بحمله وانتهى إلى مجلسه، فوضعه فيه، ثم حفر بئرًا في المجلس عميقـة، فنحى البساط، ثم دعا بالصنـدوق فقال: «إنه بلغنا شيء، إن كان حقًا فقـد كفناك ودفنّا ذكراك وقطعنا أثرك إلى آخـر الدهر، وإن كان باطـلاً فإنّا دفنا الخشب وما أهون ذلك». ثم قذف بـه في البئر وهِيل عليه التـرابُ، وسـويّت الأرض، ورُدّ البساط إلى حالـه وجلس الوليـد عليـه، ثم مـا رُئي بعـد ذلك اليوم لوضاح هـذا أثرٌ في الدنيا إلى اليـوم، وما رأت أم البنين لذلك أثرًا في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما».

وعلّق كاتب المقال على القصـة بقولـه: والقصة كما رواها **أبو الفرج** تقترب من الحكايات الشعبية، وتعدّ مصدرًا ثـرًا للكتاب، وإن لـم يتناولها أحدٌ غير **أنس داود! ربما** أوحى عنوان المسرحية الشعرية «**الأميرة التي عشقت الشاعر**» بجوٍّ غرامي كذاك الذي نجده في قصـص ألف ليلة وليلـة، أو ما نسمعه ونقرأ عنه في الأدب الغربي، ولا يخطر في بال أحدنا عندما يسمعه أن المقصود بالأميرة العاشقـة امرأة عربية مسلمة بل وزوج الخليفـة الأمـوي السـادس الوليـد بن عبد الملـك.

ولأن القصـة تـاريخيـة فـلا مجال لإثبـات صحتهـا أو نفيهـا إلاّ الأسلـوب التاريخي، ولن يفيد شيء في ذلك مـن قبيل التحليل الشخصي أو الاستقراء مما يعرف بالمنهج الذاتي لمعرفـة التاريخ.

ومن أجل ذلك لابدّ من إلقاء الضوء على كتاب «**الأغاني**» الذي أورد القصة وعلى صـاحبه أبي الفـرج الأصفهـاني الذي روى عشرات بل مئـات القصص المشابهة في كتابه هذا وفي غيره من كتبه.

يرجع اعتماد الكثير من الكتّاب على «الأغاني» كمرجع أدبي تاريخي لشهرته الواسعة وصِيْته الذائع، إذ لـم يحظ كتاب من كتب التراث بتلك الشهرة سوى كتاب آخر هو كتاب «**ألف ليلة وليلـة**»، ويعدّ الكتابان من أول مـا ترجم مما يسمى بكتب التراث إلى اللغـات الأجنبيـة بدعوى أنهما يعكسان صورة المجتمع العربي ويؤرخان لـه.

وقد حفل كتاب «**الأغاني**» بالطريف والغـريب من الأحداث والأخبار دون تقيّد بمنهج البحث العلمي في الرواية التاريخيـة، والذي يضع ضوابط وقواعد صارمـة في سبيل تحصين الروايـة الصحيحة من أن يتسلل إليها وهم أو دس أو وضع. وفي هـذا يقول المحدّث والمؤرخ **الإمـام محمد بن أحمد شمس الـدين**



المسرح الشعري عند أنس داود

د. حسين علي محمد

يعد الشاعر المصري أنس داود (١٩٣٥م - ١٩٩٣م) الذي رحل عن دنيانا قبل شهر، أحد العلامات المهمة في المسرح الشعري المعاصر في مصر، فقد أصـدر عشر مسرحيات شعرية هي: «ابنت السلطان»، و «محاكمـة المتنبي»، و «الملكة والمجنون»، و «بهلول المخبول» و «الثورة»، و «الأميرة التي عشقت الشاعر»، و «الزمار»، و «الشاعر»، و «الصياد والبحر» وله مسرحيتان شعريتان لما تنشرا ...

ولأنه من العسير علينا أن نحيط بتجربة المسرح الشعري عند أنس داود في مقال، فسوف نتناول هنا صورة الشاعر بطلاً في مسرح أنس ...

مصادر المسرحيات

الذهبي في كتابه الجليل «**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**»: إن **الأصفهاني** في كتابه «**الأغاني**» كـان يأتي بـالأعاجيب بحدثنـا وأخبرنـا. ويقول المحدث والمؤرخ **الخطيب البغدادي**: حدثني أبو عبد الله محمد بن طباطبا العلوي قال سمعت أبا محمد بن الحسين النوبختي يقول: كان أبـو الفرج أكذب الناس - كان يشتري شيئا من الصحف ثم تكون رواياته كلها منها. ثم يقول أبو عبد الله: وكان أبو الحسن البتي يقول: لـم يكن أحد أوثق من أبي الفرج الأصفهاني، وللعلم فإن أبا الحسن البتي هذا نجـد ترجمته في «الأعـلام» أنه كان مـاجنًا خليعًا. **وجاء في معجم الأدبـاء ليـاقـوت الحمـوي أن من كتب أبي الفـرج الأصفهـاني**: أخبار القِيان، كتاب المماليك الشعراء، كتاب أدباء الغرباء، كتاب أخبار الطفيليين، كتـاب الخمارين والخمارات، كتـاب الغلمـــان والمغنين، كتـاب منـاجيب الخصيـان! وقد ذكر «إرشاد الأريب في معرفة الأديب» ما أورده ياقوت في معجم

الأدباء وأضاف في الصفحات ١٦٠ ـ ١٦٢ غرامياته ومجونه . وجاء في «**لسان الميزان**» : أن أبا الفرج شيعي ، وهذا نادر في أموي ، يأتي بالأعاجيب بحدثنا وأخبرنا ، ثم أورد قول **الذهبي في** « **ميزال الاعتدال في نقد الرجال** » .

أعتقد أن هذا يكفي لينزع من الرجل مصداقيته التاريخية للأحداث ، ويجعل كتابه مجرد كتاب للتسلية لمن لا عمل له ، لا كتاب مرجع في التاريخ والأدب . وإن نظرة إلى نوعية كتب هذا الرجل تكشف عن أخلاقياته الهابطة ، تلك الأخلاقيات التي سمحت له بتشويه صورة الخلفاء الأمويين والعباسيين على حدّ سواء .

أما بنو أمية فقد كان ديدن صاحب «الأغاني» شنآنهم والحط منهم وانتقاصهم وتصويره لهم بالظلم والجور، كما صوّر حياة الخلفاء العباسيين بأنها حياة لهو وخمر وقصف ومجون ، وما أكثر رواياته الساقطة عن الخليفة العالم العابد المجاهد هارون الرشيد وزوجه الفاضلة زبيدة ، والتي يتداولها الناس على أنها تاريخ ، وما دروا أنها افتراء محض ودسّ رخيص .

وأنا هنا أتدارك لأقول إنه ليس بوسعي ولا بوسع غيري أن ينكر وجود أخطاء وهفوات وسلبيات في كل المجتمعات الإسلامية على مستوى الأفراد وعلى مستوى القادة والحكام ؛ لأن الجميع بشر، وإن من شأن البشر أن يخطئوا ويصيبوا ولكن هذا شيء وذلك الدس الرخيص والمتعمد شيء آخر .

مما سبق نتبين أن تلك الحادثة التي هي مدار الحديث ، مرفوضة قطعًا من وجهة النظر التاريخية العلمية ، وأنها لا تعدو كونها مما سودته نفس أبي الفرج قبل أن تسوّده يده لغاية في نفسه متفقة مع أهوائه ومآربه ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ كتبت هذه الحادثة كما كتب كثير من تاريخ بني أمية أيام الخلافة العباسية (توفي أبو الفرج سنة ٣٥٦هـ) مما سبب في بعض الأحيان ظلمًا لخلفاء بني أميّة .

٢ ــ عرفنا ـ مما تقدم ــ بأن أبا الفرج كان ذا اتجاه شيعي ولو أن نسبه أموي ، ومما لا يخفى ذلك الخلاف التاريخي المعروف بين الجانبين (سياسيًا) .

٣ ـ أخلاقيات أبي الفرج الهابطة ساعدته على إيراد هذه الحادثة وغيرها كثير ـ دون وازع من دين ، أو رادع من خلق ، أو بقية من مروءة ، لينهاه ذلك أو شيء منه عن شتم الناس والخوض في أعراضهم وأخلاقهم .

وفي الحقيقة يتعارض كثير من روايات كتاب «الأغاني» بشأن الخلفاء والأمراء مع ما هو مدوّن بكتب التاريخ الموثوقة كالبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ، والكامل في التاريخ لابن الأثير.

وبعد فلعل هذا الذي ذكرناه يفسّر لنا رواج الكتاب وشهرته ، بل وأسبقية ترجمته إلى لغات أجنبية قبل غيره من الكتب العربية !

ولعل هذا يفسر لنا أيضًا اعتماد كثير من الأدباء على قصصه وحكاياته لجعلها محورًا لأعمال أدبية شعرية وقصصية ومسرحية ، بل وتحويل كثير من طرائفه وغرائبه إلى تمثيليات تلفزيونية تعرض على ملايين الناس باعتبارها أدبًا تاريخيًا ! إن الهدف النهائي من هذا وذاك هو طرح أرضية تاريخية وفكرية واسعة لإثارة الشبهات حول تاريخنا وتراثنا ورجالاتنا ، لتمييع المثل والقيم التي يحتويها ذاك التاريخ وتحتويه .

إن الأدب التاريخي أو ما يسمّى بتمثل التراث في الأعمال الأدبية يجب أن يكون إضاءة للجوانب الإيجابية منه وبعثها بلغة العصر الحاضر حتى تكون طاقة التراث قوة دافعة للأمام ، لا جاذبة للخلف ، وحتى نفوّت الفرصة على كل متربص دخيل أوموتور عميل ، أو حاقدٍ أعمى .

عوض هلال عوض

دمشق ـ سورية

حول تقويم الفكر العربي : نريد المزيد !



كثيرًا ما تبرز مجلتكم الغراء في الساحة الثقافية بموضوعات غنية ومهمة جدًا تسهم في تقويم الفكر العربي المسلم وتوجيهه ليميز، ويدرك ما يجب عليه تجاه دينه وأمته . وكعادة مجلتكم فقد أتحفتنا في **عددها ١٩٤ لشهر شعبان ١٤١٣هـ بموضوع** « **الصحوة الإسلامية بين مخاوف الغرب وطموحات الشرق**» بقلم **الأستاذ صبحي محمد جبر**.

ونظرًا لأهمية هذا الموضوع ، حيث يمثل الصراع بين الحق والباطل ويوضح نظرة الغرب إلى الصحوة الإسلامية وإحاكة المؤامرات ضدها ، فإننا نأمل منكم الاسترسال والانتقال بنا إلى جانب آخر ومهم ، وهو ردة الفعل لدى المسلمين ، خصوصًا الذين انسلخوا عن جلدة الأمة الإسلامية ، وانجرفوا في التيار الغربي ليفند حقيقة موقفهم الدائم والقائل ، بأن الغرب بريء مما ينسب إليه من مؤامرات تدار ضد الأمة الإسلامية ؛ لأني أرى أن هذه الفئة من المفكرين هم الذين يشكلون الأداة الخطيرة لتنفيذ هذه المؤامرات والمكائد التي تستهدف دين أمتنا والعمود الفقري لهويتها وثرواتها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد الله عبد الرحمن العمر

الرياض



الإسلام لم يحرّم طلاق الحامل

تناولت الكاتبة د. تماضر حسون في العدد رقم ١٩٩ من مجلة «الفيصل» الصادر في محرم ١٤١٤هـ الحقوق التي كفلها الإسلام للطفل، باعتبارها من مظاهر رعاية الإسلام للطفولة.

وقادتها حماستها إلى الوقوع ـ بحسن نية ـ في خطأ يمس مسألة شرعية حين قالت ما نصه:

«كما حمى الإسلام المرأة الحامل، وحرّم طلاقها إكرامًا للجنين الذي تحمله».

والذي ذهبت إليه د. تماضر من تحريم الإسلام لطلاق المرأة الحامل غير صحيح. ويبدو أن الأمر اختلط على الدكتورة في فهم قصة طلاق ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لامرأته وهي حائض، وأمر الرسول ﷺ له بمراجعتها، فظنت أن ما يسري على الحائض يشمل الحامل أيضا والفرق بين الحالتين كبير.


شريفة.

والتشريع الإسلامي لم ينتظر ولادة الطفل كي يقدم الحماية ... يتخذ فيها الرجل والمرأة قرارهما بالارتباط في رابطة الزوجية. فقد وضع قيودًا ... الإسلام في أثناء فترة حملها، وحمى الجنين إلى حين ولادته، واستمر في حمايته و... الرشد.

فلقد وضع التشريع الإسلامي قيودًا على عقد الزواج في معافاة المقبلين على الزواج وصحتهم، و... عقد الزواج بوجوب شهادة شاهدين؛ وذلك لحفظ نسب الطفل وصحته. كذلك الأمر فيما يتعلق بالعدة، حيث يلزم الشرع الإسلامي المرأة التي تفترق عن زوجها لأي سبب من الأسباب بالتربص مدة معينة؛ ليحصل الاطمئنان الكامل فيما إذا كانت حاملاً أم لا. كما حمى الإسلام المرأة الحامل، وحرّم طلاقها إكرامًا للجنين الذي تحمله.

هذا، وقد اهتم الإسلام بحياة الطفل وحرم قتل الأولاد والأجنّة خشية الفقر، وحمى البنات من الوأد خشية العار، وقد نهى عن ذلك صراحة، فقال تعالى في محكم كتابه ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ﴾ الإسراء ٣١ ، وعن وأد البنات قال تعالى ﴿ وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت ﴾ التكوير ٨ ، ٩.

وحفظ الإسلام للطفل أيضًا حقه في الميراث والوصية، وحقه المادي هذا يثبت له حتى قبل ولادته ومنذ ساعة تكوينه جنينًا.

وأول ما يتمتع به الطفل من حقوق منذ ولادته حقه في النفقة على والديه، وحقه في حُسن ... ومن ... هذا الحب اختيار الأسماء الجميلة للأبناء والابتعاد عن الأسماء ...

آفاق اجتماعية
تماضر حسون

ذلك أن طلاق الحائض يندرج ضمن ما يطلق عليه الفقهاء مسمى «الطلاق البدعي» أي الطلاق المخالف للمشروع الذي شرعه الله عز وجل، وبيّنه رسوله ﷺ، وقد أجمع العلماء على أنه حرام ويؤثم مرتكبه، وذهب الجمهور إلى القول بوقوعه رغم تحريمه. وحكمة تحريمه كما يقول **الشيخ السيد سابق** «إن المرأة إذا طلقت وهي حائض لم تكن في هذا الوقت مستقبلة العدة فتطول عليها العدة لأن بقية الحيض لا يحسب منها وفيه إضرار بها».

ولهذا كان رد الرسول ﷺ حين سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حكم طلاق ابنه لزوجته: «مُره ليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلّق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله سبحانه أن تطلق لها النساء» متفق عليه.

وفي رواية أخرى أخرجها النسائي ومسلم وابن ماجه وأبو داود قال ﷺ: «مُره فليراجعها، ثم يطلقها إذا طهرت، أو وهي حامل».

ويتضح من الرواية الأخيرة جواز طلاق الحامل ومشروعيته، بل إن القرآن الكريم أشار إلى أن عدة الحامل وضع حملها، قال تعالى **﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا﴾** الطلاق: ٤.

وإباحة الإسلام للطلاق هي رحمة من الخالق عز وجل لعباده، وحماية للأجيال الناشئة، إذ عمد المشرع ـ عز وجل ـ إلى تقنينه. وتحديده بثلاث طلقات، حفاظًا على قدسية الحياة الزوجية، حيث كان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ويراجعها كيفما شاء، ويورد الشيخ السيد سابق في «فقه السنة» مما روت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما نصه: **كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا راجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني، ولا آويك أبدًا، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة وأخبرتها، فسكتت حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي عليه الصلاة والسلام حتى نزل القرآن ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾** البقرة: ٢٢٩.

وعندما نقول إن الإسلام قصد بتقنين الطلاق حماية الأسرة بعامة والأطفال بخاصة فإننا لا نكون مبالغين، ذلك أن المولى عز وجل ما كان ليشرع شيئا إلا وخلفه حكمة. وعندما يقول رسولنا الكريم ﷺ: « **أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق** ». فإنما عني عليه السلام أن يوضح لنا أن الخالق عز وجل ما كان ليحلل الطلاق إلا وقصده خير عباده، فكثيرا ما يكون علاج المريض بتر الجزء المصاب قبل أن يمتد المرض إلى سائر الجسم، وكذلك من الأفضل للبيت الذي لا تبنى دعائم حياة مؤسسيه على المودة والرحمة اللتين هما أساس الحياة الزوجية، أن يشهد حلاً آخر إذا استحالت العشرة بين الزوجين حفاظًا على أطفالهما من الضياع والتمزق في بيت فقد دعائمه الأساسية.

خلاصة القول إن شريعة الله الخالدة قد أوجدت للأسرة المسلمة علاجا لكل مشكلاتها وحرصت على حماية الناشئة من كل ما من شأنه أن يؤثر فيهم، حتى إن الأحناف والحنابلة ذهبوا إلى حظر الطلاق إلا لحاجة، مستدلين بقول المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام: «**لعن الله كل ذواق مطلاق**».

أسامة الألفي
الرياض



استدراكات حديثية

مما لا شك فيه أنـه يجب التأكد من صحة نسبة الأحاديث النبـوية الشريفة إلى النبي ﷺ، وذلك من مقتضيـات الشريعــة والمنهـاج العلمي . وكل دارس لعلـوم الحديث روايةً ودرايـةً يدرك ذلك بجـلاء . ولكن بـالرغم من ذلك فقـد وقفت في أثناء مطالعتي لمجلة «الفيصل» الغراء عدد ذي القعدة ١٤١٣هـ رقـم ١٩٧ على ما يستوجب الاستدراك والتنبيه وذلك فيما يلي :

أولاً : في مقـال «مناهج البحث العلمي وجهـود المسلمــين فيها» ورد مـا نصه : «وأوضح مثال لـذلك ما أجاب به معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ حين وجهه الرسـول ـ ﷺ ـ إلى اليمن قاضيًا ثم سألـه بما تقضي إن ظهر لك قضاء ، قال : بما في كتاب الله ، قال : فإن لـم تجد ، قال : أقضي بما في سنة رسول الله ـ ﷺ ـ ، قال : فإن لـم تجد . قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فربت رسول الله ـ ﷺ ـ على كتفه فقال : الحمد لله الذي وفق رسولَ رسول الله إلى ما يرضي الله ورسوله» انتهى بنصه .

والكاتب لـم يخرج هذا الحديث أي لـم يقم بعزوه إلى مخرجه أو مخرجيه من كتب السنـة ، وهذا لا ينبغي ولا يجوز إغفـالـه . وعن هـذا الحديث الذي لـم يخرجـه الكـاتب نقـول : هـذا الحديث مما اشتهـر جـدًا على ألسنـة وفي كتب الأصـوليين حتـى إنك لتجـده في جل كتـب الأصـول ، وعلى الــرغم من ذلك فـالحديث غير صحيح وهذا بيـانه : أورده العـلامة الشيخ محمـد ناصر الـدين الألبـاني في «سلسلـة الأحاديث الضعيفـة والموضـوعـة وأثرهـا السيء في الأمـة» حديث رقـم ٨٨١ بالمجلد الثاني وتكلم كلامًا علميًا رائعًا وأطال النفس في بيان حال الحديث فأفاد وأجاد وكان مما قاله حفظه الله :

منكر أي أن الحديث منكـر ، وأضاف ، وقال العقيلي : «قـال البخاري لا يصح ، ولا يُعـرف إلا مـرسـلاً» ويضيف ، قلت : يعني أن الصـواب أنـه عن أصحاب معاذ بن جبل ليس فيه «عن معاذ» ، وقال الذهبي «قلت : تفرد به أبو عون محمد بن عبيد الله الثقفي عن الحارث بن عمرو الثقفي أخو المغيرة بن شعبة وما روى عن الحارث غير أبي عـون فهو مجهول ، وقال الترمـذي : ليس إسناده عندي بمتصل» .

قلت ـ والقول للعلامة الألباني ـ ولذلك جزم الحافظ في التقريب بأن الحارث هذا مجهول . وللتفصيل راجع الحديث رقــم ٨٨١ بالمجلد الثاني من ص ٢٧٣ إلى ص ٢٨٦ .

ثانيًا : في مقال : «مكانة العلم في القرآن والسنة» ورد ما نصه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال : «تعلموا العلم فإن تعلمـه لله خشية وطلبه عبـاده . . . » . ثم ورد في الهامش تخريج للحديث جـاء فيه : «رواه أبو عبد الله في كتـاب العلم مرفوعًـا إلى النبي ﷺ ورواه موقوفًـا عن معاذ بن جبل رضي الله عنـه . انظر ج ١ من كتـاب الترغيب والترهيب للحافظ المنـذري ص ٩٤ ، ٩٥ المكتبة العصريـة ، لبنـان سنة ١٤٠٨هـ .

والحق أن الكاتب قام بتخريج الحديث وبيّن أنه إما مرفوع إلى النبي ﷺ أو موقـوف على معاذ بن جبل رضي الله عنـه ، ولكن التحقيق العلمي لـه رأي آخر نورده فيما يلي :

الحديث لم يثبت رفعه إلى النبي ﷺ ، وذلك ثابت في تخريج الحديث كما جاء في المقـال ، وكـذلك لـم يثبت وقفه على معـاذ بن جبل ـ رضي الله عنـه ـ لأن في سنده «أبـا عصمة» كـذاب متهم بالـوضع ، قال البخـاري : «قال ابـن المبارك لـوكيع : عنـدنـا شيخ يقال لــه : أبـو عصمـة كـان يضع كما يضع المعلى بن هـلال» ، وقال عنه أبو حـاتم ومسلم والدارقطني والدولابي والساجي : متروك الحديث ، زاد الساجي : عنـده أحاديث بواطيل ، وذكر الحاكم أنـه أقر بوضع حديث في فضائل القرآن من أولـه إلى آخـره ، وفي سنده الآخر «كنانة بن جبلة» كذبه ابن معين فقال كذاب خبيث وقال الجوزجاني السعدي ضعيف جدًا وقال تلميذه عثمان بن سعيد الدارمي : «هو قريب مما قاله يحيى ؛ خبيث الحديث» . وللتفصيل راجع الأثـر رقـم ١٣ ص ٥٩ : ٦٤ في كتاب «تكميل النفع بما لـم يثبت به وقف ولا رفع» للشيخ محمد عمرو عبد اللطيف .

ثالثًـا : في المقال السـابق ورد ما نصـه : «والعلم الذي يطلبـه الإسلام من المسلمين هو الـوحي كتابًا وسنة وعقيـدة وشريعة وفي هذا يقول الـرسول ﷺ : العلم ثلاثة : آيـة محكمة . وسنة قائمـة . وفريضة عادلـة» . ولـم يقم الكاتب بتخريجه في الهامش ، وهذا مخالف للمنهج العلمي ، وهـذا القول ليس بحديث وهذا بيـانه : أخـرجه ابن عبد البر ــ رحمه الله ـ في كتابـه «الفـذ» «جـامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» ، وقـال : قال أبو عمر : في إسناد هذا الحديث رجلان لا يُحتج بهما وهما سليمان وبقية .

وختاما غفر الله لي ولإخواني وللمسلمين كـافة . «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» .

محمد نجيب لطفي

العدوة ـ الفيوم ـ مصر

استراحة العدد

أسكن للفؤاد

قال سفيان الثوري : دخلت على جعفر الصادق فقلت لـه : يا ابن عم رسول الله ﷺ، مالي أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس ؟ فقال : نعم يا ابن سعيد، في العزلة دعة، وفي الدعة راحة، وما قدر لك يأتيك. يا سفيان فسد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد.

أغرب تأديب

أغرب تأديب نفذه في حق نفسه زعيم إحدى القبائل القفقاسية، ففي أثناء صراعه مع روسيا أصدر الزعيم ويدعى شاميل (١٧٩٧ ـ ١٨٧١م) أمرًا بجلد والدته مائة جلدة لأنها نصحته بالاستسلام.

إلا أنه تذكّر قبل تنفيذ أمره أن حرمة الوالدين تقتضي تحمّل الأبناء العقاب عنهما، فأصرَّ أن يُجلد هو عوضًا عن أمه !!

السحابة الدوارة !

فوق جبل جيريناج في أندونيسيا يمكن رؤية سحابة مسطحة تدور وتحوم فوق قمة بركان منطفئ.

سبب دوران السحابة يعود إلى الهواء الحار المنبعث من فوهة البركان مما يجعل السحابة تدور بسرعة عجيبة.

أشهر وأثمن تاج

يعد تاج ملكة بريطانيا أشهر وأثمن تاج في العالم حيث يضم إحدى عشرة زمردة، و٣٧٣ لؤلؤة، و٣٠٩ قراريط من الألماس و٣٧٨٣ قطعة جواهر أخرى.

ويأتيك بالأمثال

أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَة حَوْمَلَ

قيل إن امرأة من العرب تُدعى «حومل» كانت تجيع كلبة لها وهي تحرسها، فكانت تربطها بالليل للحراسة وتطردها بالنهار، وتقول : التمسي لنفسك لا مُلْتَمَسَ لك، فلما طال ذلك على الكلبة أكلت ذَنَبَها من الجوع، فضرب بها المثل.

واستخدم الشاعر الكُمَيِّت هذا المثل في هجوه لبني أمية مذكّرًا إياهم أن رعايتهم للأمة كرعاية حومل لكلبتها، قال :

كما رضيت جوعًا وسوء رعاية … لكلبتها في سالف الدهر حَوْمَلُ

نباحًا إذا ما الليل أظلم دونها … وغنما وتجويعًا ضلالٌ مُضلَّلُ

أعجب العجب !

سئل حكيم عن أعجب ما واجهه فقال : رجل رأيت في يده القرآن الكريم ويطلب علمًا سواه، وأعجب منه قلب عرف الله ثم عصاه.

يحسن الدعاء

قيل لأعرابي : أتحسن أن تدعو ربك ؟ قال : نعم، ثم دعا قائلا : اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك.

أيهما أفضل ؟ !

سأل رجل الإمام الشافعي رضي الله عنه فقال : يا أبا عبد الله : أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى ؟ فقال الشافعي : لا يمكّن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا ﷺ، فلما صبروا مكّنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

لن يعود !

روى حكيم أن العلم والمال والشرف اجتمعوا مرة، وحين أرادوا أن يفترقوا قال المال : إنني ذاهب يا أخوي فإذا أردتما أن تجداني فابحثا عني في ذلك القصر العظيم.

وقال العلم : أما أنا فابحثا عني في تلك الجامعة الكبرى.

وظل الشرف ساكنًا، فسأله صاحباه : لماذا لا تجيب ؟! فقال أما أنا إذا ذهبت فلن أعود !



الشارع الرئيسي بحي المرقب خارج سور مدينة الرياض ٦٨ ـ ١٣٦٩ هـ/ ٤٩ ـ ١٩٥٠م.

أخيـــر زمـــانـــه !

روي أن غـلامًا لقي أبـا العلاء المعـري فقـال : من أنت يا شيخ ؟ قـال : فلان، قال : أأنت القائل في شعرك :

وإني وإن كنت الأخير زمـــانـــه ۝ لآت بما لم تستطعْـــــــه الأوائلُ

قـال أبـو العلاء : بلى، قـال الغـلام : يـا عماه إن الأوائل قد رتبـوا ثمانيـة وعشرين حرفًا للهجاء، فهل لك أن تزيد عليهاحرفًا ؟ فدهش أبو العلاء وقال لمن حولـه : إن هذا الغلام لا يعيش لشدة حذقـه وتوقد فؤاده.

في عالم الكتب والمكتبات

يعـــد متجـر الكتـب المسمى «دبليو أندجي فويل المحدود» الذي تأسس عـــام ١٩٠٤م في لنـدن أكبر محل لبيع الكتب على مستوى العالم، إذ يبلغ طـول أرففــه إذا مــا رصت مجتمعـة جنبًا إلى جنب نحـو ثمانيـة وأربعين كيلو مترًا.

أما أكبر مكتبة عـامة فهي مكتبة الكـونجرس الأمـريكي التي أنشئت عـام ١٨٠٠م، ويبلغ طـول أرففهـا أكثـر من ٩٢٥ كيلـو مترًا، وتحتـوي على ما يقارب مائة مليون مادة، منها ستـــة عشر مليـــون كتـــاب في المجموعـات المصنفة، والبـاقي مواد غير مصنفـة.

وأكبر شركـة نشر في العـالم هي شركة التـايم للنشر وهي أحـد أقسام تـايم وارنر في نيـويـورك، ويعمل بها ٩٦٠٠ مـــوظف، وبـــاعت عـــام ١٩٩١م مـا قيمتـه ثـلاثـة مليـارات دولار.

أقـــدم متحـــف

يعـــد متحف اشمليـــون في أكسفورد الذي بني بين عامي ١٦٧٩ ـ ١٦٨٢م أقـدم متاحف بريطـانيا، وقـد سمي على اسم جـامع التحف والأثريات إليـاس اشمول (١٦١٧ ـ ١٦٩٢م) وفتح أبوابـه للجمهور عام ١٦٨٣م.

تـــرتيب العـــداوة

البغـض، القلى، الشنـــآن، الشنف، المقت، البغضـة، الفرك، (وهـــو بغض المرأة زوجهـــا وبغض الرجل امرأتـه).

لاتينيـة زمـان

قـــد لا يعلـم كثيرون أن أقـــدم كتابة لاتينية عثر عليها هي تلك التي وجدت على مشبك يعود تاريخه إلى ما قبل نحو ٢٦ قرنًا.

وكانت اللاتينية تكتب ـ آنذاك ـ مثل العـربية من اليمين إلى اليسـار.

طلـــب العلـــم

رُوي أن إبـراهيـم بن المهـدي دخل على الخليفــة المأمـون وعنــده جماعـة يتذاكرون في مسائل من العلم، فقال : يا هـذا هل لك معرفة بما يقول هؤلاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر. قال المأمون لِـمَ لَـمْ تتعلم اليوم ؟ قال أو يحسن بمثلي طلـب العلم ؟ فقال المأمون : نعم، والله لأن تموت طالبًا للعلم خير من أن تعيش قـانعًا بالجهـل، قـال : وإلى متى يحسن طلب العلم ؟ رد المأمون : ما دامت بك الحياة.

تَرَفٌ.. تَرْفيه



السلم طويل . . ريـاضة، شطرنج، سبـاحة، طاولة، كرة قدم، غوص.

هذه تشكل أطياف الأفق الأول.

الأفق الثاني : رقص، موسيقى، غناء، تمثيل.

الأفق الثالث : رسم، تصوير، نحت.

الأفق الرابع : شعر، مسرحيات، قصص، نقد.

الأفق الخامس : علوم، هندسة، بيئة.

الأفق السادس : طب، عمارة، فلك.

هذه هي الآفاق الثقافية للعامة والخاصة، للـدهماء ولخواص الخواص. وهي تنتظم في سلم طويل يبدأ بدرجات السيقان وينتهي بالبديع من روائع الأذهان.

والفرق بين المتخلف والمتحضر، بين البليد والعبقري، هو انهماك المتخلفين في الآفاق الـدنيا من سلم الثقافة، فيعكفـون على الترفيه والترف ساعات طـويلة من اليوم، ويقضـون ساعـات طويلة أخـرى في لذيذ الـرقاد، ولا يقـدمون لأنفسهم عملا ولا جهدًا، ولا خبرة.

ومع أننا قد أخذنا أطياف الفنـون في سلم الثقافة، فإن هذه الأطياف لم تكن مجانًا أو رخيصة الثمن. فإذا استأجرت مطـربة لزواج ابني أو ابنتي فإن المبلغ الذي أدفعه لها يكفي عائلــة صومـالية نصف عـام على الأقل، ويكفي لشراء عالم ذرة روسي مدة عام كامل.

وقـد تكونت لـدينا خبرة عظيمـة في الأطياف الـدنيا من الثقـافة. ففي بـلاد المسلمين يوجد الرقص المختلط، وتوجد المهارة في اللعب، وفي تضييع الأوقات، وإهدار الساعات والسنوات.

ونتيجة الترف والترفيـه هدر كثير. وإهدار الطاقـات لـم يدع متسعًا لـلآفاق العليا من الثقافـة. فالشاشات تلتهم المدخر من الوقت.

وحتى عنـدما اتجهنا إلى العلـوم العسكريـة كان ذلك في حـروب تختلف عن حـروب موسى بن نصير وطـارق بن زياد وقتيبـة بن مسلم ومحمد الفـاتح. فنحن عندنا هدر في الآفاق الدنيا، و دمار في الآفاق العليا من الثقافة.

ولقد كنت أحفظ بعض أغاني أم كلثـوم. واستمعت إليها وهي تلقي قصيدة «هذه ليلتي» لجورج جرداق بطريقـة آسرة، لكني على حلاوة ما استمعت إليه من غنـاء وأشعـار بكيت دمـا على العائلات المشتتة والأرامل والأيتـام في أفغـانستـان والبوسنـة والهرسك والصومال وكشمير. قال أبو العلاء المعري :

إن حزنًا في ساعة الموت
أضعاف سرور في ساعة الميلاد

فالاتجاه الثقـافي كان مقلوبًـا، وروائع نجيب محفوظ مثـلا حيث حصلنا على شهادة عالمية في الثقافـة من خلالـه لم تمنع من قمع اليهود لمسلمي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٧م، ولمسلمي جنوب لبنان وغيرهم.

إن رجلاً مثل الجنرال «جياب» يعدل بألـوف الراقصات والمطربات والشعراء والفنانين والنحاتين والمثالين والممثلين.

إن الثقافـة بشقيها الفني والعلمي قد انتكست فأصبح قليلهـا كثيرًا وكثيرها قليلا، وأصبحنـا نتغذى على صحون ملح وقليل من الأرز. بـدلاً من صحون أرز وقليل من الملح.

وفي ذلك خير، فقد صحونا على انقلاب السلم الثقافي، وآلام الفشل الكلوي من كثرة الأملاح.

لقد صحونا على أجواء «الترفترفيه». وأرجو أن تكون صحوة راشدة توازن بين حاجتنا للثقافي الفني ومقاديره وبين ظمئنا للثقافي العلمي وأعماقه وآفاقه.

لقـد دفعنا ثمنـا غاليًـا، بل ثمنًا لا يقـدر بثمن، ولكننا بهذا الثمن البـاهظ خطونا الخطوة الأولى. لم تبق سوى ٩٩٩ خطوة بين السلم الثقافي الطويل العالي.

تفاءلـوا!

محمد علي الجفري

كتب وردت إلى المجلة

ديوان محمود الوراق
شاعر الحكمة والموعظة



جمع ودراسة وتحقيق د. وليد قصّاب، يتناول الكتاب حياة وشعر الشاعر العباسي محمود الوراق بعد أن قام الباحث بتجميع أشعاره من مصادر مخطوطة ومطبوعة كثيرة محققًا إياها ومقدمًا دراسة لنصوصها.

يبدأ الكتاب بمقدمة للباحث يذكر فيها كيف بدأ في مهمته والدوافع التي حدت به لإنجاز هذا العمل، ويبدأ القسم الأول من الكتاب بتناول سيرة الوراق وتقديم دراسة لشعره تشمل أغراضه المتنوعة والأدوات الفنية التي استخدمها، ولا يغفل أن يورد آراء القدماء في شعر الوراق. ويتضمن القسم الثاني شعر الوراق مرتبًا حسب القافية ترتيبًا ألف بائيًا، حيث اهتم الباحث بإيراد نوع البحر الذي تنتمي إليه كل قصيدة مع تخريجات.

أما القسم الثالث فتضمن الشعر المنسوب إلى الوراق وغيره، وقام الباحث بتقسيمه إلى ثلاثة أنواع: أولها شعر ينسب إلى الوراق وإلى غيره ويرجح أنه له، والثاني ما ينسب إلى الوراق وإلى غيره من غير ترجيح، والثالث ما ينسب إلى الوراق وإلى غيره ويرجح أنه ليس له، ثم يقدم فهرسين أولها لشعر الوراق، والثاني لما نُسب إليه وإلى غيره، ويختتم بفهرس للمصادر بنوعيها: المخطوط والمطبوع.

يقع الكتاب في ٣٠٩ صفحات من القطع الوسط، وقامت بإخراجه مؤسسة الفنون في عجمان ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

النظرية والإبداع
في سيناريو و إخراج
الفيلم السينمائي



تأليف الدكتور مدكور ثابت، يحاول المؤلف في كتابه طرح إشكالية سبق النظرية على الإبداع، ساعيًا عبر أطروحات علمية أكاديمية إلى إثبات ما يطرح من آراء. ولتحقيق ذلك عمد إلى تفكيك إشكالية سبق النظرية على الإبداع إلى العديد من الإشكاليات ليكشف عن شموليتها لجميع قضايا الفن.

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

عالم النواة
وبداية عصرها في مصر



تأليف د. فتحي البديوي، يمزج المؤلف في كتابه لمسات إنسانية ولمحات وطنية وانعكاسات اجتماعية في سيرته الذاتية مع تجاربه وأبحاثه عن نواة الذرة، وما يدور في عالمها من تحركات وتفاعلات، وما يكمن بها من طاقات تيسر تحريرها في صور إشعاعية أو انشطارية أو اندماجية أمكن استخدامها في تطبيقات سلمية تخدم المجتمع الإنساني أو حربية تهدد مستقبل البشرية بالدمار. كذلك يلقي المؤلف بعض الأضواء على تاريخ دخول مصر مجال النشاط النووي وبداياتها فيه، واستخداماتها السلمية له.

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

التهلكة



تأليف عبد الله بن سالم الحميد، كتاب صغير الحجم لكنه عظيم الفائدة، إذ يصور نماذج من معاناة الغفلة والضياع مشاركة من المؤلف في الجهود المبذولة لمكافحة وسائل التهلكة بأنواعها المختلفة.

ولأن الكتاب يُقرأ من عنوانه فإننا نجد بين دفتيه نماذج لمآسي شباب أخذتهم سبل الغواية إلى التهلكة عبر انحدارات عميقة في درك الشقاء، وانحرفت بهم عن الطريق السوي المستقيم، فتنازعتهم شهوات زائفة قادتهم إلى زوايع الضياع والخواء.

ويقدم لنا المؤلف ما يشبه لوحات ترسم لنا نماذج واقعية مارست الهروب في أوبئة المتعة الحرام والمخدر، فأطاحت بها نزواتها إلى دروب الحزن والضياع، فكان مصيرها الانهيار؛ لأنها تركت تربتها النقية لترتمي بين أحضان التهلكة.

صدر الكتاب عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع في الرياض، ١٤١٣هـ، ويقع في ٥١ صفحة من القطع الصغير.

شبابنا وقضايا دينهم

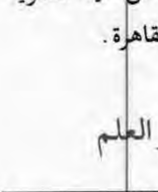


تأليف الشيخ د. عبد المنعم النمر، ويحاول فضيلته من خلال الكتاب التنبيه على الأخطار المستهدف بها شبابنا المسلم، من خلال ما يقدم من نماذج لموضوعات عديدة لقضايا مفتعلة يثيرها الغربيون ويحرجون بها ديننا، ويتابعهم في ذلك مَنْ هم على شاكلتهم من الماديين والملحدين الذين يرفضون الأديان.

ويؤكد الكتاب على خطورة عدم توعية الشباب بالتغريب الفكري وأهدافه، وضرورة تعريفهم بحقائق دينهم وقضاياه كي يكونوا مؤهلين لمعترك الحياة، فاهمين لما يراد بهم وبدينهم من نشاطات مغرضة، ودعايات كاذبة.

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

عصر العلم



تأليف د. سمير حنا صادق. يحاول المؤلف أن يقول لنا إن في طلب العلم علاجا للكثير من القضايا والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية. إذ إننا ـ كما يرى المؤلف ـ نحيا زمنًا

يستحق أن يطلق عليه عصر العلم، وعلينا أن نتخذ العلوم مطية لبلوغ الآمال المنشودة وتحقيقها.

ويقدم المؤلف ـ من وجهة نظره ـ عرضًا للمشكلات والعقبات التي تواجه العلم والثقافة العلمية في مصر، وتحول دون وصولها إلى ما تطمح إليه.

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

من هدى القرآن



تأليف حسين حسن سلامة، يقدم لنا المؤلف رؤية للعديد من القضايا في هدى من القرآن الكريم، متناولاً ما يهم عامة المسلمين وخاصتهم من أمور الدين الحنيف.

ويوضح في البداية عظمة القرآن الكريم باعتباره كلام الله وكيف احتوى على ما فيه الخير للبشرية، فهو دستور للحياة. ويلقي ضوءًا على مفهوم الولاية وكيف أنها تتحقق بالإيمان والتقوى، كما يوضح فضيلة الإخلاص وفروض الطاعة ويذم النفاق وأهله، ويسهب في وصفه محذرًا من وساوس الشيطان.

ويتناول المؤلف موضحًا كيف رفع الإسلام من قيمة المرأة وأعطاها حقها، وبوأها المكانة التي تليق بقدرها، ويعرض لصفات الذين يَحْظَوْنَ يوم القيامة بأن يكلمهم الله، ولا يفوته أن يتعرض للصراع بين الحق والباطل، وكيف عالج الإسلام التفرقة العنصرية، ويورد قصصًا من القرآن الكريم ودروسًا من السيرة النبوية المطهرة.

صدر الكتاب في القاهرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

التداخل الحضاري والاستقلال الفكري

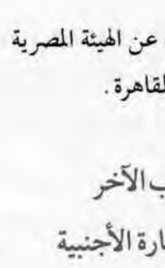


تأليف مجدي يوسف، يناقش المؤلف في هذا الكتاب عدة قضايا منها: التداخل الحضاري بين العالم العربي وأوروبا في العصر الحديث، وفي سبيله لمناقشة ذلك يطرح عدة تساؤلات: لماذا نحن في حاجة إلى جامعة بحثية؛ وهل نحن في حاجة إلى سياسة ثقافية أدبية؟ ولماذا نحن بحاجة إلى مسرح للحياة؟

وكل هذه التساؤلات سعى المؤلف إلى تقديم إجاباتها من خلال منظوره ورؤيته الخاصة ملمحًا إلى حاجتنا الماسة إلى تأسيس مدرسة عربية أصيلة في الأدب المقارن، ولا يفوته أن يتناول تقنيات الأدب ونظرية المعرفة.

صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة.

الجانب الآخر من الحضارة الأجنبية



تأليف نشوان بن عبد المحسن النشوان، يتناول الكتاب في ثمانية أبواب نماذج من الظواهر السلبية التي تعج بها الحضارات الأجنبية بهدف تبصير الشباب بالوجه السلبي لهذه الحضارات حتى لا ينساق وراء وجهها البراق منشغلاً بالشكل عن المضمون فيتوه في دروبها ومسالكها الوعرة.

فمن الوجوه القبيحة التي حرص المؤلف على الإشارة إليها في كتابه ظاهرة تصاعد الجريمة والعنف في المجتمعات الأجنبية، وانتشار تعاطي المخدرات بين شباب تلك المجتمعات، منبهًا إلى أن الإحصاءات تشير إلى انتشار المخدرات في الوطن العربي.

يقع الكتاب في ٩١ صفحة من القطع الوسط، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

من وحي المساءات



تأليف أحمد السعد، الكتاب عبارة عن لوحات أدبية وجدانية نثرية، كتبها المؤلف ـ وهو شاعر ـ بلغة شاعرية اختلط فيها استطرادات النثر وفيضه مع همس الشعر وعذوبته.

والكتاب أشبه بلوحات خواطر إنسانية قد يحياها كلٌّ منا، إلا أن أكثرنا لا يحاول تسجيلها ويتركها تعبر كما جاءت إلى اللاشيء، أما الكاتب فكان حريصا على أن يسجلها ليقرأها الآخرون ويعيشون معه لحظات التحليق بين أفق الخيال وأرض الواقع.

يقع الكتاب في ٨٤ صفحة من القطع الوسط وصدر عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع في الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

على مسؤوليتي



تأليف أحمد بادويلان، الكتاب مجموعة من المقالات متعددة الأغراض تمثل جانبًا من إنتاج المؤلف في الصحف والمجلات. حيث يطرح الكتاب مجموعة مختلفة من القضايا محل البحث والدراسة مثل مشكلة الفراغ بين النظرية والتطبيق في بحوث علماء التربية، والفرق بين ما هو كائن وما يجب أن يكون. ويتجول الكاتب في قاع العديد من المجتمعات مقدمًا نماذج من الألاعيب التي يلجأ إليها المتسولون، ثم يرحل إلى عالم الطفولة المملوء بالطرائف والغرائب، ويناقش ظاهرة خدم المنازل مبرزًا مخاطرها وداعيًا رجال العلم والإعلام إلى مناقشتها، ويتطرق إلى سني المراهقة، وأثر الخلافات الزوجية على الأبناء، وغير ذلك من الموضوعات التي تؤكد أن الكاتب ضمير مجتمعه.

صدر الكتاب في ٩١ صفحة من القطع الكبير عن دار طويق للخدمات الإعلامية والنشر والتوزيع في الرياض.

■ ■ ■

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

> مسابقة «مجلة الفيصل»
> ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
> المملكة العربية السعودية
> (مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

● أجوبة مسابقة العدد (٢٠٠) ●

ج ١ : وردت أحاديث كثيرة في نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء في آخر الزمان؛ منها :

١ ـ ما رواه البخاري عن أبي هريرة : قال، قال رسول ﷺ : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيرًا له من الدنيا وما فيها».

٢ ـ وما رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن، قال رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق ـ أو تحشر ـ الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا».

□ □ □

ج ٢ : لا تهضم المعدة نفسها؛ لأن جدارها الداخلي مغطّى بغشاء مخاطي يحميها من تأثير العصارات الهاضمة. وإذا حدث أن ضعف هذا الغشاء بسبب الإجهاد؛ فإن العصارات الهاضمة تصل إلى جدار المعدة، وتؤثر فيه، وتسبب القرحة. كما أن بطانة المعدة تتجدد دومًا؛ وبسرعة مذهلة؛ فالخلايا المكونة للبطانة تتجدد في أسرع وقت؛ بحيث لا يتسع الوقت للأحماض الهاضمة إذابة البطانة؛ التي تتجدد بمعدل نصف مليون خلية في الدقيقة الواحدة، ويتم تجدد خلايا البطانة كلها في غضون ثلاثة أيام فقط.

□ □ □

ج ٣ : لا ينتقل الصوت في الفراغ؛ حيث إن الصوت عبارة عن موجات الحركة تذبذبية تنبعث من جسم يتحرك جيئة وذهابًا؛ بحيث يسبب بالتتابع تضاغطًا وتخلخلاً للجزيئات؛ أي أنه لابد من وسيط ـ كالهواء ـ مثلاً ـ لينتقل الصوت. والأوساط الكثيفة أحسن موصل للصوت؛ أي أن السوائل والأجسام الصلبة أفضل توصيلاً للصوت من الهواء.

□ □ □

ج ٤ : عقد صلح البرانس عام ١٦٥٩م، بين فرنسا وأسبانيا، وبذلك انتهت الحرب التي ظلت قائمة بينهما بعد صلح وستفاليا (١٦٤٨م). وكان من نتائج هذا الصلح أن أصبح البرانس الحد الفاصل بينهما، ونزلت أسبانيا عن روسللون وأجزاء من الفلاندر لفرنسا، واتفق على أن يتزوج لويس الرابع عشر من ماري تيريز ابنه فيليب الرابع ملك أسبانيا.

□ □ □

ج ٥ : رغم دوران الأرض حول الشمس بسرعة كبيرة (حوالي ٦٧ ألف ميل في الساعة)، ودورانها حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة؛ فإننا لا نشعر بهذه الحركة وهذا الدوران؛ لأننا نسير مع السطح وهو يتحرك، وكذلك الهواء المحيط بنا، والجاذبية تمسك كل شيء على الأرض وتبقيه إلى أسفل؛ بما في ذلك المياه في البحار والمحيطات.

غير أن دوران الأرض معروف لنا من جرّاء أشياء كثيرة نلاحظها ونشعر بها، وهذا الدوران هو ما يسبب الليل والنهار؛ فلو أن الأرض لا تتحرك، لبقي الجانب المواجه للشمس نهارًا دائمًا، ولظل الجانب غير المواجه للشمس ظلامًا دائمًا. لذلك فإن كل نقطة من الأرض تتعرض إلى الجانب المضيء، ثم إلى الجانب المظلم كل ٢٤ ساعة.

وثمة حركة مهمة للأرض لا نشعر بها، لكنها تُحدث في حياتنا اختلافًا مهمًا، وهي الرحلة التي تقوم بها الأرض حول الشمس. وهذه الحركة هي التي تُحدث التبدل في الفصول، وتجعلنا نمارس حياتنا في كل فصلٍ بشكل يختلف عن الفصل الذي يليه، وتستغرق هذه الرحلة نحوًا من $\frac{١}{٤}$ ٣٦٥ يومًا، ونسميها سنة، وهي الطريقة التي نحدد بها التاريخ والأعمار، والأحداث، وما أشبه ذلك.



● نتائج مسابقة العدد (٢٠٠) ●

أ ـ فازت بـالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريـال سعودي، فاطمة غلام غازي خـان، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، خديجة عبد الله عبد الحميد، العين ـ الإمارات العربية المتحدة.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، خالد علي عبد الرب اليوسفي، صنعاء ـ الجمهورية اليمنية.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ بشير بن حليمة، المسيلـة ـ الجزائر.

٢ ـ وسام عثمان محمود العمراني، عمّان ـ الأردن.

٣ ـ رجب عبد المنعم فتح الله، الإسكندرية ـ مصر.

٤ ـ محمد أحمد قاسم الجراح، دمشـق ـ سوريـة.

٥ ـ محمدي نور الدين سعيد، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ ماجد محمد آدم، المحلة الكبرى ـ مصر.

٢ ـ صلاح الدين مدثر محمد عبد الله، الخرطوم ـ السودان.

٣ ـ رشيد جدي، المسيلـة ـ الجزائر.

٤ ـ رُلى كمال أسعد، إربـد ـ الأردن.

٥ ـ عبد الله بن سالم الجهني، الوجـه ـ المملكة العربية السعودية.

٦ ـ زهرة بهرم الحسين، الحسكـة ـ سوريـة.

٧ ـ فادي عبد اللطيف شمسان، صنعاء ـ الجمهورية اليمنيـة.

٨ ـ عزيزة عيد سليمان الذبياني، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٩ ـ منتصر حسن يسن فراج، قنـا ـ مصـر.

١٠ ـ عبد الحميد محمد خليل، حلب ـ سوريـة.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ رضوان عبد الرسول أحمد، المنامـة ـ البحرين.

٢ ـ عبد الغني عبد الهادي، عمّـان ـ الأردن.

٣ ـ أُبيّ أحمد محمد حادي، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

٤ ـ حمد وحسن الإبراهيم، حلب ـ سوريـة.

٥ ـ نعيمة السيد جلبي عثمان، الدقهلية ـ مصـر.

● أسئلة مسابقة العدد (٢٠٣) ●

السؤال الأول:

قال الله تعـالى في كتابـه العزيـز: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، الزخرف ٣١. ما اسم القـريتين، والرجلين؟

□ □ □

السؤال الثاني:

قـال رسول الله ﷺ: «لعن الله الـواشمات والمستـوشمات، والنـامصـات والمتنمصـات، والمتفلجات للحُسن المغيِّرات خلق الله». اذكر ـ بـاختصـار ـ معـاني الألفـاظ الـواردة في الحديث.

□ □ □

السؤال الثالث:

عندمـا بدأت الدعـوة الإسلاميـة، اندفع المسلمون داخل الجزيرة وخـارجها ينشرون دين الله عـز وجل، وكانـوا يعمـرون الأرض في كل مكـان يـذهبـون إليـه. ما أول مـدينـة بنـاهـا المسلمون خارج الجزيرة العربية؟

□ □ □

السؤال الرابع:

خطبة شهيرة في التاريخين الأدبي والسياسي معًا؛ عرفت بالخطبة «البتراء». من صاحبها، وما المناسبة التي قيلت فيها؟

□ □ □

السؤال الخامس:

تقول العـرب في أمثالها: «حـال الجريض دون القـريض». مـا أصـل المثل، ومـا معنى الجريض؟

الحركة الثقافية في شهر

السعودية

الأدباء والمفكرون يشاركون في إعداد النشاط الثقافي لمهرجان الجنادرية



الأمير بدر بن عبدالعزيز

في خطوة نحو توسيع نطاق المشورة الثقافية وإتاحة الفرصة لاستفادة المهرجان الوطني للتراث والثقافة من القدرات الفكرية في الساحة السعودية شاركت مجموعة من رجال الفكر والثقافة وأساتذة الجامعات من مختلف مناطق المملكة في اجتماع دعت إليه اللجنة العامة للمهرجان الوطني للتراث والثقافة، بغية الاستئناس بآرائهم في دراسة المهرجان وتطويره ووضع تصور شامل لفعالياته الثقافية في سنته التاسعة.

وقد أقام صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ورئيس اللجنة العليا للمهرجان حفلا تكريميًا للمشاركين في الاجتماع حضره صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير والدكتور عبد الرحمن السبيت وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية ورئيس اللجنة العامة للمهرجان.

وقد أسفر الاجتماع الذي عقد يومي ١٤ ـ ١٥ ربيع الآخر الماضي عن اتخاذ عدة توصيات تبلور بوضوح أهداف المهرجان وتسهم في الارتقاء ببرامجه وفعالياته من خلال ما تم طرحه في الاجتماع من نقاشات موسعة حول موضوعات الندوات المتخصصة والعامة، من أجل أن تعبر عن مضمون المهرجان وتسهم في دفع المسيرة الثقافية قدمًا بما يخدم الثقافة والمثقفين.

وشملت مشاركة الأدباء والمفكرين في هذا المجال الإسهام في التخطيط لبرامج المهرجان وفعالياته. ومن المتوقع أن يصبح ذلك تقليدًا ثابتًا كل عام.

اختتام ملتقى أبها الثقافي



الأمير خالد الفيصل

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير في السادس من شهر ربيع الآخر الماضي ١٤١٤هـ الحفل الختامي **لملتقى أبها الثقافي الرابع**.

شهد الحفل تسليم بعض الجهات الحكومية والأفراد المثاليين والمبرزين شهادات تقديرية، وتوزيع الجوائز على الفائزين بجائزة أبها الثقافية التي جاءت نتائجها كالتالي:

- البحث العلمي: د. **إسماعيل البشري**.
- الشعر الفصيح: حجبت الجائزة الأولى وتقاسم الثانية كل من: **مطلق شايع عسيري ومحمود سعيد الحلبيي**، ونال الثالثة مناصفة كل من: **حسين أحمد النجمي وعبد الله الزمزمي**.
- القصة: الأول **سلطان موسى المنقري**، الثاني **محمد عبد الله الشمري**، وتقاسم المركز الثالث كل من **محمد منصور مدخلي وعبد الله سليمان السحيمي**.
- الرواية: فاز بها مناصفة كل من **هادي أبو عامرية وفيصل سلطان الجودي**

وحجب كامل الجوائز في مجالات: الشعر النبطي، والفن التشكيلي والفن المسرحي.

وكان الملتقى قد تضمن معرضًا للكتاب وآخر تشكيليًا للفنان **عبد العزيز العواجي**، وأمسية شعرية قدم لها أحمد عسيري وشارك فيها الشعراء: **إبراهيم حسن طالع، د. عياد الثبيتي، محمد العمري، يحيى السماوي**، وثلاث محاضرات ألقاها على التوالي كل من: **د. معجب الزهراني، د. محمد الأحمد الرشيد، الأستاذ تركي خالد السديري**.

ندوة عن معالجة الصور والوثائق في المكتبات

تقام يومي ٢٢ ـ ٢٣ جمادى الأولى الجاري (٦ ـ ٧ نوفمبر ١٩٩٣م) في الدمام ندوة علمية بعنوان «**المعالجة الآلية للصور والوثائق في تنظيم المكتبات**».

وفاة عبد العزيز الرفاعي

نعت الأوساط الرسمية والشعبية والثقافية والإسلامية في المملكة العربية السعودية إلى العالم الإسلامي الأديب السعودي الكبير **عبد العزيز الرفاعي**، عضو مجلس الشورى، الذي وافاه الأجل عن عمر يناهز ٧٦ عامًا.



عبد العزيز الرفاعي

وُلد الفقيد في أملج عام ١٣٤٢هـ، ونشأ في مكة المكرمة وتعلم في مدارسها وعلى أيدي بعض علماء المسجد الحرام، ونال شهادة المعهد العلمي السعودي عام ١٣٦١هـ، وعمل بعد تخرجه مدرسًا ثم تقلب في وظائف إدارية كان آخرها منصب **مستشار في الديوان الملكي**.

وهو يعد من رموز الأدب السعودي الذين أثروا الساحة بإبداعاتهم ومؤلفاتهم وجهودهم، كما كان **أول مدير عام لمؤسسة اليمامة الصحفية** في مستهل عهد المؤسسات الصحفية عام ١٣٨٤هـ، وقام بعد تقاعده **بتأسيس دار للنشر** تحمل اسمه أصدر من خلالها مجموعة متنوعة من السلاسل المتخصصة، كما شارك في إنشاء وإصدار مجلة «**عالم الكتب**». وكان له حضور بارز في العديد من الندوات والمؤتمرات والأمسيات الثقافية السعودية والعربية، إضافة إلى تلك الندوات التي كانت تضمها **خميسيته الشهيرة** التي اعتاد عقدها في منزله في الرياض وكانت مقصدًا للمبدعين ومحبي الثقافة، وقرر أحد تلاميذه بعد وفاته استمرارها باسم الرفاعي، وكانت أول خميسية تعقد بعد وفاته تلك التي أقامها **أحمد باجنيد** لتأبين الرفاعي.

وإضافة إلى عضويته لمجلس الشورى السعودي كان الفقيد **عضوًا في المجلس الأعلى للإعلام**، وعضوًا مراسلاً في **مجمع اللغة العربية في القاهرة**، وعضوًا في **المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي**، ولجنة الإشراف على **مجلة «التضامن الإسلامي»** التي تصدرها الرابطة.

وهو حاصل على **أوسمة وميداليات عديدة سعودية وعربية**، منها: وسام الاستحقاق الثقافي التونسي، وثيقة التقدير الذهبية من رابطة الأدب الحديث في مصر، براءة تكريم الأدباء السعوديين مع ميدالية الاستحقاق السعودية، وسام تكريم من قمة مجلس التعاون الخليجي ١٤٠١هـ بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء المجلس.

وإلى جانب إسهامات الرفاعي الصحافية فقد أثرى المكتبة العربية بمؤلفات كثيرة منها في مجال التأليف المشترك: «**المطالعة السعودية**» بالاشتراك مع الأديب **عمر عبد الجبار**، وتحقيق كتاب «**إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام**» بالاشتراك مع الأديب الراحل **أحمد محمد جمال**، كما وضع المؤلفات التالية:

«**بالمفتشري أحسن**» مسرحية، «**توثيق الارتباط بالتراث العربي**». «**أرطأة بن سهية: حياته وشعره**»، «**جبل طارق والعرب**». «**خمسة أيام في ماليزيا**»، «**من عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب والموظفين**»، «**كعب بن مالك**»، «**أم عمارة الصحابية الباسلة**». «**ضرار بن الأزور: الشاعر الصحابي الفارسي**»، «**الحج في الأدب العربي**»، «**خولة بنت الأزور**»، «**زيد الخير**»، «**الرسول ﷺ كأنك تراه**»، «**رحلتي مع المكتبات**». «**عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المازني**»، «**رحلتي مع التأليف**»، «**ظلال ولا أغصان**»، و«**خارجة بن فليح المللي**».

تنظم الندوة الغرفة التجارية الصناعية في المنطقة الشرقية بالتعاون مع جمعية الحاسبات السعودية، وتشتمل على عدة موضوعات منها: إعادة التصميم وسير العمل، وتعريب نظم معالجة الصور وضبط البيانات وشبكات الحاسب، والتكامل بين نظام معالجة الصور ونظم قواعد البيانات ونظام معالجة الحاسبات الشخصية.

ومن المقرر أن تعقد على هامش الندوة عدة دورات تدريبية على استخدامات نظم معالجة الصور، إضافة إلى معرض يضم أحدث الأجهزة في هذا المجال.

اكتشاف ١٠٥ مواقع أثرية

أعلن د. **حامد أبو درك** المدير العام للآثار والمتاحف أن التقنيات التي أجريت في منطقتي الرياض وتيماء أسفرت عن اكتشاف **مائة وخمسة مواقع أثرية تضم آثارًا يعود تاريخ بعضها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام**.

وأوضح أن فرق البحث الميداني عثرت على العديد من مواقع الطرق والقصور الإسلامية والآبار والسدود على محيط مدينة الرياض بطول سبعين كيلو مترًا.

مصحف عثمان
هدية لمكتبة الحرم المكي

قدم الشيخ **محمد صادق محمد يوسف** رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازقستان **مصحف الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - هدية لمكتبة الحرم المكي الشريف**.

يرجع تاريخ المصحف إلى عام ١٨هـ، ويعتقد أنه مكتوب بخط الصحابي **زيد بن ثابت** - رضي الله عنه -، ويتكون من ٦٩٠ لوحة مكتوبة بخط كوفي بقياس ٤٠ × ٣٨ سنتيمترًا، ويبدأ من الآية السادسة من سورة البقرة وينتهي عند الآية العاشرة من سورة الزخرف.

قافلة ثقافية

نظمت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في نهاية شهر ربيع الأول الماضي أول قافلة ثقافية سعودية تحت شعار «**الثقافة للجميع**».

هدفت القافلة إلى التعريف بنشاطات الجمعية في المجالات الثقافية والفنية، ودعم التواصل بينها وبين المتلقين من أبناء الشعب السعودي.

الحركة الثقافية

وقام الفريق المكون للقافلة بتوزيع المستنسخات التشكيلية وكتب الأطفال والمجلات التي تصدرها المجلة مجانًا على المواطنين.

جائزة علي وعثمان حافظ

تحدد يوم الاثنين الثامن عشر من شهر شعبان المقبل الموافق ٣١ يناير ١٩٩٤م موعدًا نهائيًا لاستقبال الترشيحات **لجائزة علي وعثمان حافظ الصحفية**.

تشمل الجائزة المجالات التالية: **المقالة، العمود الصحفي، التحقيقات الصحفية، الكاريكاتير، الصورة الصحفية**. ويحصل الفائز في كل مجال من المجالات الخمسة على خمسة آلاف دولار وميدالية فضية.

إضافة إلى تلك الجوائز تقوم هيئة أمناء الجائزة باختيار **كاتب العام ١٩٩٣م** وتخصص له جائزة نقدية قيمتها عشرة آلاف دولار وميدالية من الذهب.

معرض فوتوغرافي

برعاية أمين مدينة جدة **د. خالد عبد الغني**، افتتح في المركز السعودي للفنون التشكيلية في جدة **المعرض الشخصي الأول** للمصور الفوتوغرافي **عيسى صالح عنقاوي**.

ضم المعرض لوحات فوتوغرافية التقطتها عدسة المصور لمناظر متنوعة منها المساجد والطيور وأطفال الانتفاضة.

كتب جديدة

● **تباريح التباريح**، تأليف **أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**، صدر عن دار الصحوة في الرياض.

● **استخدام المكتبات**، تأليف **جيفري فورو**، ترجمة **محمد خلف الميموني**، صدر ضمن منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية في الرياض.

● **قلبي على وطني**، ديوان للشاعر العراقي **يحيى السماوي**، صدر على نفقة الأديب **عبد المقصود خوجة** في جدة.



يحيى السماوي

● **مهام المعلم في دول الخليج العربي**، تأليف **د. نور الدين عبد الجواد، د. مصطفى مقولي**، صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج.

● **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف **موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي** (ت ٦٢٠ هـ)، حققه وعلق عليه **د. عبد الكريم بن علي النملة**، وصدر عن مكتبة الرشد في الرياض في ثلاثة مجلدات.

● **الإعلام الإسلامي: ببليوجرافيا بالكتب والرسائل والبحوث الجامعية**، إعداد **محمد خير يوسف**، صدر عن دار طويق للنشر والتوزيع والخدمات الإعلامية في الرياض.

الكويت ▼ معرض دولي للكتاب

يفتتح في الحادي عشر من جمادى الآخرة المقبل ١٤١٤هـ (٢٤ نوفمبر ١٩٩٣م) **المعرض الدولي الثامن عشر للكتاب** الذي يشرف عليه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

ينتظر أن يضم المعرض نحو **٢٠٠ جناح** تمثل قرابة **٤٥٠ مشتركًا** من دور النشر الكويتية والعربية فضلاً عن الجهات الحكومية والمنظمات الدولية.

ويتوقع أن تضم هذه الأجنحة نحو **٣٠ ألف عنوان** عربي وأجنبي، ٣٠٪ منها حديث.

وتقام على هامش المعرض ندوات ومحاضرات ثقافية تناقش موضوعات مختلفة، كما يصدر فهرس خاص للكتب المعروضة يتضمن مختلف بيانات النشر، ومصنف موضوعيًا.

ملحق أدبي ومجلة نسائية

أصدرت **دار الوطن للصحافة** والطباعة والنشر - مؤخرًا - ملحقًا أدبيًا شهريًا، ومجلة نسائية شهرية.

يحمل الملحق اسم «**إضاءات**» ويرأس تحريره **جاسم المطوع** رئيس تحرير صحيفة «**الوطن**» وتدير التحرير رئيسة القسم الثقافي في الصحيفة الشاعرة **سعدية مفرح**.

أما **المجلة** فتحمل اسم «**سمرة**» وتهتم بالمرأة والطفل والأسرة في دول الخليج بخاصة والوطن العربي بعامة، وترأس تحريرها **فاطمة حسين** التي كانت أول صحافية كويتية تشغل منصب مدير تحرير في صحيفة يومية، وهو المنصب الذي كانت تشغله في جريدة «**الوطن**» قبل تعيينها.

كتب جديدة

● **الهندسة الوراثية والأخلاق**، تأليف **ناهد البقصيم**، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

● **تاريخ بلغراد الإسلامية**، تأليف **د. محمد موفاكو**، صدر ضمن سلسلة «المكتبة البلقانية» عن دار العروبة للنشر والتوزيع في الكويت.

سلطنة عمان ▼ كشف أثري

اكتشف في منطقة قرية الذريح في محافظة الطفيلة **قصر كبير** يعود تاريخه إلى الفترة النبطية وبالتحديد إلى ما قبل نحو **٤٥٠٠ قبل الميلاد**.

يمثل القصر أنموذجًا للمعمار في تلك الحقبة، ويحتوي على حجرات وصالات تتصل بعضها ببعض بواسطة ممرات مبلطة ببلاط حجري، كما أن به حمام بخار يعد الأول من نوعه في المنطقة.

ويذكر أن منطقة الكشف تبعد عن عمان بنحو ١٥٠ كيلو مترًا.

أسبوع ثقافي

نظمت **جمعية المرأة العمانية** في عبري أسبوعًا ثقافيًا كان محوره الرئيسي دور الشباب في بناء المجتمع.

تضمن الأسبوع معرضًا للمشغولات اليدوية والأعمال الفنية، وأمسية شعرية.

برنامج للتوعية والثقافة البيئية

بدأت لجنة التوازن الاقتصادي التي يترأسها صاحب السمو **الأمير فهد بن عبد الله آل سعود** مساعد وزير الدفاع والطيران لشؤون الطيران المدني بالتعاون مع مصلحة الأرصاد وحماية البيئة في تنظيم برنامج مكثف للتوعية البيئية .



الأمير فهد بن عبد الله

ومن المقرر أن يكون قد بدأ البرنامج بمدينة الرياض يوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر الماضي الذي يوافق اليوم العربي للبيئة المحدد بالرابع عشر من أكتوبر، حيث يستمر البرنامج في **الرياض** حتى ٨ جمادى الأولى الجاري (٢٣/ ١٠/ ١٩٩٣م) لينتقل بعدها إلى **جدة** من ٢٢/ ٥/ ١٤١٤هـ، إلى ٢/ ٦/ ١٤١٤هـ، ثم **الدمام** من ١٥ ـ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ .

يهدف البرنامج إلى تنمية ثقافة أفراد المجتمع البيئية وزيادة معارفهم عن البيئة الطبيعية وتبصيرهم بكيفية التعامل والمحافظة عليها، بما يحقق غرس الشعور وتنمية الإحساس بالوعي البيئي .

ولتحقيق هذه الغايات أعدت الجهة المنظمة **برنامجًا شاملاً** يتضمن إقامة **ندوات متخصصة** في مجال البيئة يشارك فيها العديد من المتخصصين، وتنظيم **مسابقة بيئية** تنمي الوعي البيئي لدى المشاركين إضافة إلى **مسابقة للتصوير الفوتوغرافي في مجال البيئة** لتوجيه الاهتمام إلى هذا المجال الحيوي **ورحلة بيئية** للمشي غير تنافسية .

ويعد **المعرض البيئي** من أهم فقرات البرنامج، حيث يضم المعرض أجنحة وأقسامًا تعرض بالوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية نماذج ومجسمات وعينات المفهوم البيئي، ولتحقيق هذا الهدف يقام المعرض في خيام وبيوت من الشعر، وتنتشر الأشجار والأزهار في أرجائه ليحس زائره بالجو المحيط به .

كما سيتم خلال المعرض توزيع الكتيبات والنشرات والملصقات التي توضح أهمية الحفاظ على البيئة وترتقي بالوعي البيئي لدى المواطن والمقيم .

كتب جديدة

● **النبهاني بين الاتباع والابتداع**، تأليف د. **نزار العاني**، صدر عن مطبعة عمان .

● **نافذتان لذلك البحر**، مجموعة قصصية للقاص **يحيى بن سلام المنذري**، صدرت عن دار المطابع العالمية .

الإمارات: معرض للدوريات النادرة

ينظم **مركز جمعة الماجد** في دبي في الثالث من شهر جمادى الأولى الجاري ١٤١٤ هـ **معرضًا للدوريات النادرة**.

يجيء تنظيم المعرض بمناسبة بدء المركز في تقديم خدماته ـ رسميًا ـ للعلماء والباحثين .

ويذكر أن المركز يهدف إلى جمع حصيلة الفكر الإنساني المدون (مطبوعًا أو مخطوطًا) كتبًا أو دوريات، ووثائق أو غيرها من الأوعية الثقافية عبر مكتبة تضم المطبوعات الحديثة والنادرة والمخطوطات الأصلية وفهارس المخطوطات في المكتبات العالمية، وإضافة إلى مصورات المخطوطات والوثائق التاريخية والكتب الأجنبية المتعلقة بمنطقة الخليج العربي وكتب الأطفال والرسائل الجامعية .

مصر: الاحتفال بمئوية علي مبارك



علي مبارك

تنظم وزارتا الثقافة والتعليم بالتعاون مع محافظة الدقهلية برنامجًا ثقافيًا ضخمًا في غرة جمادى الآخرة المقبل ١٤١٤هـ (١٤ نوفمبر ١٩٩٣م) احتفالاً بمرور مائة عام على وفاة رائد التعليم في مصر **علي باشا مبارك** .

يتضمن الاحتفال ندوة ثقافية تستمر ثلاثة أيام وتتناول مختلف الجوانب الثقافية والفكرية والتربوية واللغوية والأدبية في فكر علي مبارك وشخصيته، إضافة إلى ندوة بعنوان «**١٢٠ عامًا على تعليم المرأة**» .

كما يتم خلال الاحتفال افتتاح **قصر ثقافة** ومكتبة تحمل اسم علي باشا مبارك في قريته «برنبال» في محافظة الدقهلية، وعرض مسرحي من خلال كتابه «**علم الدين**» وفيلم تسجيلي عنه، إضافة إلى إصدار كتاب وثائقي عنه وطابع بريد تذكاري يحمل صورته وتنظيم مسابقة عن شخصيته بين طلاب المدارس .

وفاة د. زكي نجيب محمود



د. زكي نجيب محمود

توفي مؤخرًا المفكر والفيلسوف د. **زكي نجيب محمود** عن ٨٨ عامًا، بعد عطاء استمر ما يزيد عن ستين عامًا .

ولد د. **زكي نجيب محمود** في إحدى قرى محافظة دمياط عام ١٩٠٥م، وتخرج في مدرسة المعلمين عام ١٩٣٠م، وبدأ نشاطه الفكري بسلسلة من المقالات عن الفلاسفة المحدثين نشرها في مجلة «**الرسالة**»، ثم أصدر كتابه الأول «**نفسي**» عام ١٩٣٣م، ومنحته وزارة المعارف **جائزة التفوق الأدبي** عام ١٩٣٩م، وحصل عام ١٩٤٧م على **درجة الدكتوراه** من جامعة لندن في الفلسفة بأطروحة عن «**الجبر الذاتي**»، ومارس التدريس بجامعات مصر والولايات المتحدة الأمريكية، كما

الحركة الثقافية

عمل مستشارًا ثقافيًا لمصر هناك .

وهو حاصل على العديد من الجوائز منها : جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة عام ١٩٦٠م والتقديرية في الآداب عام ١٩٧٥م وجائزة جامعة الدول العربية في الثقافة عام ١٩٨٤م وجائزة سلطان العويس الثقافية عام ١٩٩١م، ومارس كتابة مقال أسبوعي في جريدة الأهرام منذ عام ١٩٧٣ و إلى قبيل وفاته بأشهر.

وكانت له **معارك فكرية وأدبية** لعل أشهرها معاركه مع الناقد الراحل د. **محمد مندور**، والناقد الراحل **أنور المعداوي** والناقد محمود أمين العالم .

وإضافة إلى هذه المعارك التي أثرت الساحة الثقافية قام بوضع نحو **ثلاثين كتابًا** أولها «**نفسي**» وآخرها «**حصاد السنين**»، ومنها : «**الجبر الذاتي**»، «**تجديد الفكر العربي**»، «**مع الشعراء**»، «**أفكار ومواقف**»، «**ثقافتنا في مواجهة العصر**»، «**حياة الفكر في العالم الجديد**»، «**قصة عقل**»، ومؤلفات أخرى .

ومن المقرر أن يقيم المجلس الأعلى للثقافة في مصر حفل تأبين للفقيد في دار الأوبرا في مطلع شهر جمادى الأولى الجاري .

الفائزون بجوائز سوزان مبارك لأدب الأطفال

أعلنت ــ مؤخرًا ــ أسماء الفائزين بجوائز **مسابقة سوزان مبارك لأدب الأطفال** لعام ١٩٩٣م .

تقدم للمشاركة في المسابقة بفروعها الأربعة **١٢٩ عملاً** أدبيًا، اختارت لجنة التقويم من بينها **١٢ عملاً** تم منحها الجوائز، وهي :

في مجال **تبسيط العلوم** فاز بالمراكز الثلاثة الأولى على التوالي كل من : **عمرو مرسي محمود مرسي** عن كتابه «**مترو الأنفاق بين الهندسة والحضارة**»، **وسعيد محمد حسن الملط** عن كتابه «**نهر النيل مهد حضارة**»، **وهالة الشاروني** عن كتابها «**الصحاري المصرية : ثروة وحياة**».

وفاز بجوائز **التاريخ المصري** على التوالي كل من : **عصام محمد سليمان، وفريد معوض، وأحمد محمد سليم** .

وحصل على جائزة **العادات والتقاليد حسن صبري عبد اللطيف**، تلاه **مجدي الفقي** ثم **آمال إبراهيم سعيد** .

وفي مجال الشخصية المصرية جاء **جورج عزيز** في المركز الأول تلاه **سامح عبد القادر** ثم **أحمد زرد** .

ومن المقرر أن يتم تسليم الفائزين جوائزهم في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر المقبل خلال افتتاح **معرض القاهرة الدولي لكتاب الطفل** .

اكتشاف ٥١٤ مقبرة ومدينة سكنية

اكتشفت بعثة آثارية مصرية في منطقة تل حسن داود بمحافظة الإسماعيلية **٥١٤ مقبرة ومدينة سكنية تعود إلى عصر ما قبل الأسر** .

تحتوي المقابر على هياكل عظمية كاملة دفنت بطرق مختلفة بعضها على هيئة القرفصاء، والآخر على جانبه الأيسر، إضافة إلى حلي وأوان فخارية ومرمرية وبلط نحاسية وبعض أدوات الصيد .

كما عثر في المنطقة السكنية التي تبعد عن تلك القبور بنحو مائة متر على مدافن لأشخاص وحيوانات، منها مدفن لبقرة تمثل رمز الإله **حتحور**، وعند صدرها دفن رجل، وهو تصوير فرعوني مصري قديم أخذه ملوك الفراعنة بعد ذلك وربطوا بينه وبين دياناتهم .

وقد أمر رئيس هيئة الآثار د. **عبد الحليم نور الدين** بتشكيل لجنة متخصصة لوضع تصور للاستفادة من المنطقة، وكلّف قطاع المتاحف بالهيئة بوضع تصور لإقامة متحف .

كشف يغير بدايات التاريخ المصري القديم

عثر في منطقة أبيدوس في صعيد مصر على مقبرة لأحد ملوك عصر ما قبل الأسر وُجد بها **نماذج لكتابات هيروغليفية تعد أقدم كتابة اكتشفت لهذه** اللغة، حيث يرجع تاريخ المقبرة إلى ٣١٥٠ عامًا قبل الميلاد .

يؤكد هذا الكشف إلى انقلاب علمي يغير بداية التاريخ المصري القديم، حيث كان الاعتقاد السائد أن أقدم كتابة هيروغليفية هي تلك المنقوشة على لوحة الملك **مينا نارمر** مؤسس الأسرة الأولى، فيما تسبق الكتابات المكتشفة لوحة مينا بنحو قرنين .

ويذكر أن المقبرة المكتشفة تتكون من اثنتي عشرة غرفة، ووجد بداخلها العديد من الأواني الفخارية وصولجان من العاج وصناديق خشبية وبعض الأدوات المنزلية .

موسوعة عربية شاملة

تصدر قريبا في عشرين مجلدًا عن إحدى دور النشر الخاصة **أحدث موسوعة عربية شاملة** .

شارك في إعداد الموسوعة أكثر من ثلاثمائة متخصص وترأس تحريرها د. **إبراهيم حلمي عبد الرحمن**، في فروع مختلفة بإشراف مجلس مستشارين ترأسه المفكر الراحل د. **زكي نجيب محمود**، وبدأ العمل في إعدادها قبل نحو عامين ونصف .

مؤتمر للصحافة العربية

تستضيف القاهرة خلال الفترة من ٣ ــ ٦ رجب المقبل ١٤١٤هـ (١٦ ـ ١٩ ديسمبر ١٩٩٣م) **أول مؤتمر ومهرجان للصحافة العربية** .

تنظم المهرجان والمؤتمر إحدى الشركات السياحية المصرية ويهدف ــ كما قال د. **كمال أبو الخير** رئيس المؤتمر ـ إلى إتاحة الفرصة للتقارب بين الصحف والمجلات العربية وتبصير المواطن العربي بإمكاناتها، وتبادل الآراء بين أهل المهنة بما يسهم في إيجاد فرص للتجديد والإبداع .

ويقام على هامش المؤتمر عدة فعاليات منها معرض للصحف والمجلات العربية، وندوات يشارك فيها نخبة من كبار الصحفيين، ومسابقة كبرى لفنون الصحافة المختلفة حيث سيتم توزيع ١٥ كأسًا ذهبية و٢٥ درعًا للصحافة العربية فضلاً عن ٢١ درعًا بأسماء البلدان المشاركة .

سلاسل موسوعات ثقافية وكتب عالمية

اعتمد د. **ممدوح البلتاجي** رئيس الهيئة العامة

للاستعلامات خطة لإصدار موسوعات ثقافية جديدة وكتب عالمية.

وتتضمن الخطة إصدار: **«موسوعة الفنون الشعبية»** و **«موسوعة الخالدين»** فضلاً عن سلاسل جديدة للأطفال منها **«موسوعة وصف مصر المعاصرة»** و **«سلسلة مصر حروف وحكايات»** إضافة إلى مئات الكتب المترجمة في شتى مناحي المعرفة.

كما تضمنت الخطة الإعداد لبرنامج مكثف عن إنجازات الاثنتي عشرة سنة الماضية يضم عدة محاضرات تغطي مختلف مجالات المشروع القومي وآفاقه.

مهرجان للشعر العربي

يبدأ في السابع من شهر جمادى الأولى الجاري ١٤١٤هـ (٢٢ أكتوبر ١٩٩٣م) **المهرجان الأول للشعر العربي**.



د. عبد الله الغذامي

يشارك في المهرجان **٤٠ شاعرًا وناقدًا عربيًا** إلى جانب شعراء مصر ونقادها، ويأتي في مقدمة المشاركين: د. **عبد الله الغذامي** (السعودية)، **محمد الفيتوري** (السودان)، **نزار قباني** و**ممدوح عدوان** (سورية)، د. **عبد العزيز المقالح** (اليمن)، **محمود درويش** (فلسطين)، **محمد برادة** (المغرب)، **محمد علي شمس الدين** (لبنان) وآخرون.



محمد الفيتوري



محمود درويش

تنظم المهرجان الهيئة العامة لقصور الثقافة ولجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة، وتقام فعالياته على مدى خمسة أيام في مدن القاهرة والإسماعيلية وبورسعيد.

الإسرائيلي الغامض

تتحدث الأوساط الثقافية المصرية عن إسرائيلي غامض يتردد بكثرة على مركز الفنون والتراث الشعبي ويقوم بتصوير ونقل محتوياته.

ربط البعض بين هذا الإسرائيلي وما تردد عن وجود عصابات منظمة تعمل على تهريب أنفس المخطوطات وطبعات الكتب القديمة إلى الخارج لتباع بآلاف الدولارات.

مشروع جديد للتفرغ



د. جابر عصفور

قام الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة د. **جابر عصفور** بإرسال نسخة من المشروع الذي تم إعداده حول تفرغ الأدباء والمفكرين إلى عدد من المفكرين والمثقفين وأهل الأدب لاستطلاع آرائهم.

المشروع الجديد يقضي بإطلاق حدود مدة التفرغ وزيادة مكافأتها مع إمكانية سفر المتفرغ إلى الخارج على نفقة الدولة.

سلسلة جديدة مبسطة للتراث العالمي

بدأت الهيئة المصرية العامة للكتاب في إصدار سلسلة جديدة تقدم للشباب أمهات الكتب العالمية التي أثرت في مسار الفكر الإنساني في شكل مبسط يسهل استيعابه.

من الكتب المقرر أن تتضمنها السلسلة **«البخلاء» للجاحظ**، و **«فن الشعر»** لأرسطو.

كتب للأطفال هدية من اليونيسيف

قدمت منظمة اليونيسيف ربع مليون كتاب للأطفال هدية إلى مصر إسهامًا منها في مشروع القراءة للجميع.

تم توزيع الكتب على المكتبات في المدارس الأساسية في مختلف المحافظات.

مجلة ثقافية إسبانية

أصدر المركز الثقافي الإسباني في القاهرة ـ مؤخرًا ـ أول **مجلة ثقافية إسبانية شاملة** باللغة الإسبانية تحمل اسم **«البدوي»**.

يشرف على المجلة **أنستاسيوثا مورانو** أستاذ اللغة الإسبانية في المركز، ويشارك في تحريرها مجموعة من طلبته.

تطوير المتحف البحري

شكلت ـ مؤخرًا ـ لجنة برئاسة د. **عبد الحليم نور الدين** رئيس هيئة الآثار من أجل **تطوير المتحف البحري** في الإسكندرية.

وقد قررت الهيئة إضافة قاعة جديدة إلى قاعات المتحف لتضم الوثائق والخرائط النادرة الخاصة بالحملة الفرنسية التي عثر عليها ـ مؤخرًا ـ في سفن الأسطول الفرنسي الغارق بأبي قير.

كتب جديدة

● **الألم**، تأليف **بول شوشار**، ترجمة **هالة مراد** بالتعاون مع قسم الترجمة بالبعثة الفرنسية للأبحاث، صدر عن دار المستقبل العربي في القاهرة.

● **رؤية فرنسية للأدب العربي**، تأليف **أندريه ميكيل، وريجيس بلاشير، وبيير جورجان**، ترجمة د. **أحمد درويش**، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

● **الرواية الحديثة في مصر: دراسة في التشكيل والأيديولوجيا**، تأليف د. **محمد بدوي**، صدر ضمن سلسلة «دراسات أدبية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **مقعد ثابت في الريح**، ديوان للشاعر **شعبان يوسف**، صدر عن دار سينا للنشر.

● **قوة الدولة: دراسات جيوستراتيجية**، تأليف د. **عمر الفاروق**.

● **موسوعة الطب النفسي**، تأليف د. **عبد المنعم الحفني**.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة مدبولي في القاهرة.

● **البيان في روائع القرآن: دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني**، تأليف د. **تمام حسان عمر**، صدر عن دار عالم الكتب في القاهرة.

● **لوحات بالكلمات وحكايات شاعر مجنون**، تأليف د. **إبراهيم فهمي**، صدر عن دار سعاد الصباح في القاهرة.

الحركة الثقافية

● **دليل وثائق وأوراق الجينيزا،** (مجموعة وثائق محفوظة خاصة بالجماعات اليهودية في مصر وبلدان أخرى) إعداد **مجموعة من الباحثين**، صدر عن مركز الدراسات الشرقية في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

● **النظام السياسي في إسرائيل**، تأليف **اللواء د. فوزي محمد طايل**، صدر عن دار الوفاء للطباعة والنشر في المنصورة.

● **أحوال المسلمين في بيت المقدس الصليبية**، تأليف **محمد فتحي الشاعر**، صدر عن مكتبة النهضة المصرية.

لبنان ▼ جائزة للقصة التاريخية

تأسست - مؤخرًا - جائزة جديدة هي «**جائزة د. سيمون الحايك للقصة التاريخية**».

وقرر مؤسسها د. سيمون الحايك منحها سنويًا في ٢٢ نوفمبر من كل عام، حيث يصادف هذا التاريخ ذكرى اليوم الوطني اللبناني.

وتبلغ قيمة الجائزة التي انتهى الترشيح لها في ٣٠ سبتمبر الماضي أربعة آلاف دولار أمريكي، ويدور موضوعها حول التاريخ العربي بجميع نواحيه: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

كتب جديدة

● **المعرفة والمؤسسة**، تأليف **مصطفى حسن**، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

● **الوحدة الوطنية ومشكلات الأقليات في أفريقيا**، تأليف د. **عبد السلام إبراهيم بغدادي**، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت.

● **الاستشراق في الفكر العربي**، تأليف د. **محسن الموسومي**، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● **الفكر الفلسفي عند العرب**، تأليف د. **جعفر آل ياسين**، صدر عن دار المناهل للطباعة والنشر.

● **ربيع والورق دبلان**، ديوان للشاعر **فرانسوا معوض**، صدر عن منشورات دار عواد في بيروت.

الأردن ▼ وفاة الشاعر عبد الرحيم عمر

توفي - مؤخرًا - الشاعر والصحافي الأردني **عبد الرحيم عمر** **عن عمر** يناهز ٦٤ عامًا إثر جراحة في القلب أجراها في لندن.


عبد الرحيم عمر

ويعد الفقيد **من مؤسسي رابطة الكتاب الأردنيين** عام ١٩٧٤م وترأسها في عامها الأول وأعوام أخرى لاحقة.

وقد بدأ رحلته الأدبية والإعلامية بالعمل في القسم الثقافي بالإذاعة الأردنية، واشتهر كصحافي بعموده السياسي في **صحيفة «الرأي»** تحت عنوان «**أقول كلمة**»، كما أصدر مجموعة من المؤلفات الأدبية والشعرية منها: «**أغنيات الصمت**»، و«**أغاني الرحيل**».

سورية ▼ طفل إنسان النياندرتال

اكتشف في منطقة مغاور عفرين بشمالي سورية

محاضرات وندوات

● «**الجامعات السعودية ومتطلبات الحاضر**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. **محمد عبده يماني**.

● «**دع الإنجيل يتحدث**» عنوان محاضرة ألقاها باللغة الإنجليزية في مستشفى الدمام المركزي الداعية الشيخ **أحمد الأحمد**.

● «**وجاءت سكرة الموت بالحق**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد صلاح الدين في الثقبة الشيخ د. **أحمد بن نافع الحوركي**.

● «**الأدب وقضايا المرأة العامة وعلاقتها بالتطرف والإدمان**» عنوان ندوة أقيمت في نادي سبورتنج بمدينة الإسكندرية، شاركت فيها الكاتبة **منى رجب**، وأدارها العقيد **إيهاب فاروق**.

● «**لكي تنجح مؤسسة الزكاة في التطبيق المعاصر**» عنوان محاضرة ألقاها في مقر البنك الإسلامي للتنمية الشيخ د. **يوسف القرضاوي**.

● «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظل الكتاب والسنة**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع عبد الرحيم مفرج في جيزان الشيخ **أحمد بن يحيى ابن عطيف**.

● «**عقبات تواجه الأدباء**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع البابونية في الخبر الشيخ **ناصر الأحمد**.

● «**هل السعادة ممكنة**» عنوان محاضرة ألقاها في رابطة عبد المنعم رياض بدعوة من اتحاد شبيبة الثورة فرع حلب بسورية **محمد جمال طحان**.

● «**إسماعيل أدهم ناقدًا**» كتاب د. **أحمد إبراهيم الهواري**، كان موضوع ندوة عقدت في الجمعية المصرية للنقد الأدبي، حيث قام د. **الهواري** بعرض ومناقشة كتابه وشارك في التعليق والتعقيب عليه د. **حسن البنا**.

● أعمال الروائي البريطاني الراحل **وليم جولدنج** كانت محور ندوة نظمتها جامعة بون مونيه في مدينة سان إيتان الفرنسية اشترك فيها أكثر من عشرين ناقدًا ومتخصصًا من فرنسا وبريطانيا.

هيكل عظمي لطفل إنسان النياندرتال عمره خمس سنوات . ودُفن قبل أكثر من مائة ألف عام .

تكمن أهمية الكشف في كونه الأول والأقدم من نوعه في سورية .

ومن أندر الاكتشافات في العالم من حيث سلالته واكتمال أجزائه ووجوده في طبقة أثرية غنية .

ويذكر أن إنسان النياندرتال عاش في العصر الحجري القديم ، ويدور بين العلماء ـ حاليًا ـ نقاش علمي حول أصله ومصيره .

كتب جديدة

● **الحوار العربي ـ الأوروبي** ، تأليف د . **عبد المنعم زنابيلي** ، صدر عن وزارة الثقافة .

● **آثار الغازازي الأندلسي** ، تأليف **عبد الحميد عبد الله الهرامة** ، صدر في دمشق .

تونس ◄ ملتقى علمي

يفتتح في جامعة تونس للآداب والعلوم والفنون والعلوم الإنسانية في العاشر من شهر جمادى الآخرة المقبل ١٤١٤هـ **ملتقى علمي دولي بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على تأسيس مجلة الجامعة العلمية المحكمة «حوليات الجامعة التونسية»** .

يبحث الملتقى على مدى ثلاثة أيام العديد من الموضوعات التي تتركز على محاور ثلاثة : اللغة وعلومها ، الأدب والنقد ، والحضارة والعلوم الإنسانية ، ودور حوليات الجامعة في تنشيط أبحاثها .

ينتظر أن يشارك في الملتقى باحثون وعلماء من مختلف أنحاء العالم .

من الكتب الجديدة

● **طفل الرمال** ، رواية الأديب الجزائري **الطاهر بن جلون** ، ترجمها إلى اللغة العربية **محمد الشركي** ، وصدرت عن دار توبقال .

فلسطين ◄ وفاة الشاعر عقل


عبد اللطيف عقل

فقدت الحركة الثقافية والفكرية الفلسطينية أحد أعلامها بوفاة الشاعر د . **عبد اللطيف عقل** الذي توفي ـ مؤخرًا ـ في نابلس عن عمر يناهز ٥٠ عامًا .

والفقيد حاصل على بكالوريوس الفلسفة وعلم الاجتماع من جامعة دمشق ، والدكتوراه في علم النفس الاجتماعي من الولايات المتحدة الأمريكية ، وعمل في التدريس بالأراضي المحتلة ، كما شغل منصب نائب رئيس جامعة النجاح في نابلس ، وله عدة أعمال شعرية ومسرحية منها « **محاكمة فنش بن شعفاط** » ، و « **البلاد طلبت أهلها** » .

الجزائر ◄ وفاة القاص عمار الحسن

نعت الأوساط الأدبية والنقدية القاص والباحث **الدكتور عمار بالحسن** الذي توفي إثر مرض خبيث عن عمر يناهز أربعين عامًا .

ويعد عمار الحسن من أبرز كتّاب القصة الجدد في الثمانينيات الميلادية ، ومن مجموعاته القصصية «**حرائق البحر**» و « **الأصوات** » .

كتب جديدة

● **مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها في ميدان العلوم القانونية والإدارية** ، تأليف د . **عمار عوابدي** .

● العربية بين الطبع والتطبيع : دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية ، تأليف د . **عبد الجليل مرتاض** .

● « **الأثر الفعلي للأندية الأدبية في الساحة الأدبية** » عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د . **حسن الهويمل** .


د . حسن الهويمل


د . يوسف القرضاوي


معيض البخيتان


د . محمد الخطراوي

● « **عشر نقاط مهمة ليست في صالح الأمة** » عنوان محاضرة ألقاها في جامع رشيد الليلي في حائل الشيخ **سليمان بن عامر العامر** .

● « **نماذج من قضاة الإسلام** » عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأمير أحمد بالرصيفة في مكة المكرمة الشيخ **مسفر بن ثواب الجعيد** .

● نظم نادي الطائف الأدبي **أمسية شعرية** شارك فيها أربعة شعراء هم : د . **محمد العيد الخطراوي ، معيض البخيتان ، محمد الحفظي ، وحسن السبع** .

● « **الصورة العربية في الأوساط الإعلامية الغربية** » عنوان ندوة نظمتها في مدريد جامعة الدول العربية بالتعاون مع مؤسسات صحافية إسبانية وأوروبية وشارك فيها عدد من كبار الصحافيين الأكاديميين .

● « **ممارسة مهنة الصيدلة في المملكة العربية السعودية** » موضوع محاضرة ألقاها في فندق الدمام أوبري د . **محمد رضا بوحليقة** .

● « **تكنولوجيا الاتصالات السلكية واللاسلكية** » عنوان ندوة نظمتها جمعية رجال الأعمال بمدينة الإسكندرية ، وحضرها المهندس **محمود الصوري** رئيس هيئة التليفونات .

● مذكرات في القانون الدولي الخاص، تأليف **د. علي سليمان**.

صدرت الكتب الثلاثة عن ديوان المطبوعات الجامعية في مدينة الجزائر.

● أكاذيب سمكة، مجموعة شعرية للشاعرة **أحلام مستغانمي**.

● العلاقات الدولية، تأليف **عبد العزيز جراد**.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية في الجزائر.

المغرب ▼ ندوة عن القدس وتراثها

تعقد في الرباط برعاية **الملك الحسن الثاني الندوة العالمية حول القدس وتراثها الفكري** خلال الفترة من ٤ ـ ٦ جمادى الأولى الجاري ١٤١٤هـ (١٩ ـ ٢١ أكتوبر ١٩٩٣م).

تنظم الندوة المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) **وتتناول خمسة محاور**: القدس عبر العصور التاريخية، تراث المدينة المقدسة، مساعي اليهود لطمس الهوية الإسلامية وتهويد مدينة القدس، القدس والمنظمات الدولية، ومستقبل القدس والمدن العربية الأخرى في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

وقد وجهت الدعوة لحضور الندوة والمشاركة فيها إلى العديد من الشخصيات العربية والإسلامية والدولية والمنظمات والهيئات المهتمة بالقدس.

مسابقة شعرية


أحمد عبد السلام البقالي

شارك ٤٩٢ شاعرًا وشاعرة من مختلف البلدان العربية في المسابقة الشعرية التي نظمت بمناسبة تدشين مسجد الحسن الثاني، والتي خصص العاهل المغربي لها مبلغ مليون درهم من ماله الخاص.

واختارت لجنة التقويم ١٧ شاعرًا وشاعرة لنيل جوائزها، وجاء في المركز الأول إلى الخامس على التوالي كل من: **علال الخياري، محمد الحلوي، أحمد عبد السلام البقالي، أمينة المريني، وزكي محمد الجابر**.

وفاة مؤلف الشخصانية الإسلامية


محمد عزيز الحبابي

فقد الفكر الإسلامي والعربي أحد أبرز رموزه بوفاة المفكر والفيلسوف والقاص والشاعر المغربي **محمد عزيز الحبابي** عن عمر يناهز ٧٠ عامًا بعد قرابة نصف قرن من العطاء المتميز.

ولد الحبابي عام ١٩٢٣م في مدينة فاس، وحصل على درجة دكتوراه الدولة من السوربون في الفلسفة، ومارس التدريس بالجامعات وتقلب في مناصبها المختلفة، كما كان الرئيس المؤسس لاتحاد كتَّاب المغرب العربي (١٩٥٩ ـ ١٩٦٨م) وتولى إدار مجلة **«تكامل المعرفة»** و **«دراسات فلسفية وأدبية»** إضافة إلى كونه المدير المؤسس لدار الفكر في الرباط ومجلة **«آفاق»** كما **ترأس الجمعية الفلسفية المغربية**، وكان عضوًا في جمعية رجال الآداب في باريس، وأستاذًا شرفيًا في المعهد العالي للعلوم الإنسانية في أوربينو، وعضوًا في الفيدرالية الدولية للفلسفة، وأمينًا عامًا مساعدًا لجامعة الدول العربية.

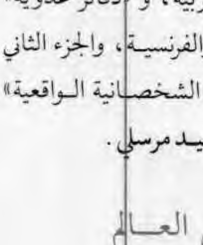
وتحصل على **العديد من الجوائز العربية والعالمية والأوسمة** منها: الجائزة الدولية: مرحا ١٩٥٥م، وجائزة المغرب الأولى في الآداب ١٩٥٩م، وجائزة المغرب الأولى في الفلسفة ١٩٦٦م، ووسام العرش من درجة ضابط، ووسام النخل الأكاديمي من باريس، والميدالية الذهبية من بولون بإيطاليا ١٩٦٩م، وجائزة البحر المتوسط، وميداليات وجوائز أخرى، كما رشح عام ١٩٨٨م لجائزة نوبل للآداب.

وللراحل العديد من المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، منها باللغة العربية: «مفكرو الإسلام»، «**بؤس وضياء**»، «من الكائن إلى الشخص: دراسات في الشخصانية الواقعية»، «الشخصانية الإسلامية»، «من الحريات إلى التحرر»، «جيل الظمأ»، «العض على الحديد»، «من المنغلق إلى المنفتح»، «قاموس عربي فرنسي: مصطلحات فلسفية»، «قاموس عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي: المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية» «ابن خلدون معاصرًا».

وباللغة الفرنسية: «أغاني الأمل»، «من الكائن إلى الشخص: دراسة في الشخصانية الواقعية»، «أحرية أم تحرر»، «من المنغلق إلى المنفتح»، «العض على الحرية»، «الشخصانية الإسلامية»، «مختارات من الشعر العربي والبربري»، «صوتي يبحث عن طريقه»، «ابن خلدون»، «الضائعون»، «الأمل الشارد»، «آلام بإيقاع»، «أزمة القيم»، «موت وردة»، «ثمل بالبراءة»، «عادل»، و «الأمل رغم الموت».

وهناك **مؤلفات أخرى كانت في طريق النشر ولم يمهله أجله ليراها مطبوعة منها**: «أكسير الحياة» الترجمة الفرنسية عن العربية، وأربع مجموعات شعرية بالفرنسية، و «مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر» بالعربية، و «دفاتر غدوية» جزءان باللغتين العربية والفرنسية، والجزء الثاني والثالث من «دراسات في الشخصانية الواقعية» نقلها عن الفرنسية **عبد الحميد مرسلي**.

بحث مستقبل العالم الإسلامي الثقافي


د. عبد العزيز التويجري

نظمت جامعة القرويين في فاس، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة خلال الفترة من ١٩ إلى ٢١ ربيع الآخر الماضي ندوة دولية بعنوان **«مستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه المعاصر»**.

شاركت في الندوة مجموعة من كبار المفكرين والمثقفين من الدول الأعضاء في المنظمة من بينهم د. **عبد العزيز التويجري** المدير العام للمنظمة والدكتور **عبد الوهاب التازي** رئيس جامعة القرويين.

وناقشت الندوة جانب التحديات الحضارية المعاصرة، ورؤية المراكز الثقافية والمؤسسات في البلدان الإسلامية لمستقبل العالم الإسلامي الثقافي من خلال واقعه، والطروحات المقترحة للتغلب على ما قد يواجه مسيرته الثقافية من عقبات.

كتب جديدة

● **الإسلام كبديل**، تأليف د. **مراد ويلفرد هوفمان**، صدر في طبعة عربية عن مؤسسة بافاريا للنشر والخدمات والإعلام.

● **ابن خلدون ونشأة الاقتصاد السياسي**، تأليف **أحمد صديق**، صدر عن دار الباب في الرباط.

السنغال: معرض دولي للكتاب

تستضيف داكار خلال الفترة من ١٧ ـ ٢٢ جمادى الآخرة المقبل ١٤١٤هـ (٣٠ نوفمبر ـ ٥ ديسمبر ١٩٩٣م) **المعرض الدولي الرابع للكتاب وأدوات التعليم**.

ينظم المعرض المركز الدولي للتجارة الخارجية بالسنغال بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإسيسكو)، وتشارك فيه دور نشر ومؤسسات ومنظمات عالمية وهيئات دولية وجامعات من مختلف أنحاء العالم.

تركيا: توصيات مهمة لمؤتمر رابطة الأدب الإسلامي

قرر المؤتمر الثالث لرابطة الأدب الإسلامي العالمية خلال اجتماعه في اسطنبول في نهاية شهر ربيع الأول الماضي تكليف مكاتب الرابطة بإصدار **موسوعة تراجم شاملة للأدباء الإسلاميين**، مع التوسع في نشر الأعمال الأدبية والنقدية الإسلامية الناضجة.

كما قرر المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم إصدار **دليل علمي عن الرسائل الجامعية التي نوقشت عن الأدب الإسلامي ونشر المتميز منها وإصدار الجزء الثاني من دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث**.

وتقرر إجراء **ثلاث مسابقات عالمية**: الأولى لترجمة الأعمال الأدبية من لغات الشعوب الإسلامية غير العربية إلى اللغة العربية، والثانية ترجمة الأعمال الأدبية العربية إلى لغات تلك الشعوب، أما المسابقة الثالثة ففي مجال أدب الأطفال.

ويذكر أن المؤتمر شارك فيه نحو **خمسين مفكرًا وأديبًا** من مختلف بلدان العالم.

البوسنة والهرسك: دعوة لإحياء المكتبة الوطنية في سراييفو

دعت **جمعية إحياء المكتبة الوطنية في سراييفو** الراغبين في المشاركة في إعادة تأسيس المكتبة الوطنية الجامعية بالعاصمة البوسنية إلى إرسال ما يودون الإسهام به من مساعدات إلى الجمعية على عنوانها التالي:

ARBNS
Suada Jozzo - Waldmann
5 boulevard Pola
94340 JOINVILLE - LE PONT
FRANCE

ويذكر أن المكتبة التي كانت تضم مجموعة كبيرة من أمهات الكتب قد تعرضت بفعل القصف الصربي في أغسطس ١٩٩٢م للدمار، وأتلفت النيران أكثر من ثمانية ملايين كتاب من كتبها.

اليوبيل الذهبي لصحيفة تحت الحصار

احتفلت صحيفة «**أوسلو بودنج**» بمرور خمسين عامًا على بدء صدورها.

وتعد «**أوسلو بودنج**» الصحيفة اليومية الوحيدة التي استمرت تصدر في سراييفو رغم الحصار الصربي وقصفه المتوحش، ولم تتوقف يومًا واحدًا.

إسبانيا: أسبوع ثقافي مصري

افتتح في منتصف شهر ربيع الآخر الماضي ١٤١٤هـ في **قصر الجعفرية بمدينة سرقسطة** بجنوب إسبانيا **أسبوع ثقافي مصري**.

ضم الأسبوع معرضًا للآثار المصرية القديمة وآخر للفن الشعبي والخزف المصري، إلى جانب عروض فنية شعبية وندوات ومحاضرات

فرنسا: اقتراح باختيار سراييفو عاصمة ثقافية لأوروبا


أوكتافيوباث

أعلن نحو مائة وستين مبدعًا ومثقفًا عالميًا من بينهم **أوكتافيوباث وجورج أمادو، وميشال دوجي**، وآخرون، في بيان وقعوه خلال ملتقى الآداب الذي عقد في باريس ـ مؤخرًا ـ عن عزمهم إنشاء برلمان دولي لكتّاب العالم.

ومن المقرر الإعلان عن تأسيس البرلمان خلال ملتقى الآداب الأوروبية المقرر عقده في ستراسبورج في شهر نوفمبر المقبل ١٩٩٣م تحت شعار «**صرخة العالم**».

وطرح الأدباء **فكرة عقد اجتماع في سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك** في مطلع العام الميلادي المقبل **لتنصيبها عاصمة ثقافية لأوروبا** تضامنًا معها في مأساتها.

موقف غريب للمؤدب

اتخذ الكاتب التونسي **عبد الوهاب المؤدب** المقيم في فرنسا موقفًا غريبًا أثار الدهشة خلال مؤتمر الكتّاب العالمي الذي عقد في مدينة ايرلننج في ألمانيا خلال شهري يونية ويوليو الماضيين، حين رفض التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر الذي يدين المذابح التي تجرى في البوسنة والهرسك ضد المسلمين.

«المؤدب» برر رفضه التوقيع بأن المؤتمر أدبي محض ولا علاقة له بالسياسة!

معرض لصور مصر القرن التاسع عشر

استضاف معهد العالم العربي في باريس معرضًا

الحركة الثقافية

بعنوان «صور من مصر في القرن التاسع عشر».

ضم المعرض مجموعة من الصور التاريخية لمصر التقطها مصورون فرنسيون وبريطانيون بين عامي ١٨٥٠ـ١٩٠٠م.

معرض لآثار هوجو



فيكتور هوجو

أقيم ـ مؤخرًا ـ في باريس معرض لأهم أعمال الأديب الفرنسي الراحل **فيكتور هوجو**.

ضم المعرض إلى جانب أشهر أعماله الأدبية مجموعة من أهم اللوحات التي رسمها له كبار الفنانين، ومنها «البورتريهات» واللوحات الفوتوغرافية التي تظهر مقر إقامته.

وفاة لوبو

توفي ـ مؤخرًا ـ في باريس **النحات الأسباني المولد «بالتازار لوبو»** عن عمر يناهز ٨٣ عامًا.

ولوبو المولود ١٩١٠م فنان تجريدي من تلاميذ **هنري لورنز**، وكان صديقًا للفنان الراحل **بابلو بيكاسو**، واستقر في باريس منذ عام ١٩٣٩م وبدأ نجمه في الصعود مع مطلع الأربعينيات الميلادية وعُرضت أعماله في العديد من المتاحف والمعارض العالمية.

وفاة كاتب كوبي

توفي ـ مؤخرًا ـ في باريس الكاتب الكوبي الأصل **سيفيرو سارودي** أحد أشهر من كتبوا باللغة الأسبانية، عن عمر يناهز ٥٥ عامًا.

وُلد سارودي عام ١٩٣٧م في كوبا، وهجر بلاده عام ١٩٦٠م ليقيم في فرنسا حيث نشر أعماله البحثية والروائية.

أحدث الكتب

● **الصحافة العربية**، تأليف **إلياس حنا إلياس**، صدر عن منشورات دار ميزون نوف ولاروس في باريس.

● **الليلة الأخرى**، مجموعة شعرية للشاعرة التونسية **أمينة سعيد**، صدرت باللغة الفرنسية عن دار لو دي بلو في باريس.

● **ميلاد يوغسلافيا وموتها**، تأليف **بول جارد**، صدر عن دار فاريا.

● **جيل بلا هوية**، رواية تأليف **دوجلاس كوبلاند**، صدرت طبعتها الفرنسية.

● **الوحدة . . هي تلك . .** رواية الكاتب الأسباني **خوان خوزيه ميللوس**.

صدرت الروايتان عن دار نشر ـ روبير لافون.

● **لعبة النسيان**، رواية **لمحمد برادة**، صدرت عن منشورات اكتاسود.

● **كوستو**، (سيرة لعالم البحار **جاك إيفا كوستو**) أعدها **برنار فيوليه**.

● **رحلة سيرجي إيفانوفيتش** رواية للأديبة **مارينا فلادي**.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر فايار.

● **عام الكتاب**، تأليف **إلكسندر لزاريف وجون موريس دومونتريمي**، صدر عن المكتبة الوطنية في باريس.

● **بحث عن الرواية**، تأليف **ميشيل بوتور**، صدر في باريس.

● **إنها تقول**، رواية **لناتالي أدنيه**، صدرت عن دار نشر سوي.

● الرجل العجوز والسيد سميث، رواية **لبيتر أوستينوف**، صدرت عن دار نشر بلفوند.

● **لا أحد ينتظرني**، مذكرات الأديب الراحل **جاك أوديبرتي**، صدرت عن دار نشر جاليمار.

قبرص ▼ مجلة «الحركة الشعرية»

صدر ـ مؤخرًا ـ العدد الأول من مجلة **«الحركة الشعرية»** التي تعنى بالشعر الحديث.

يرأس تحرير المجلة **قيصر عفيف**، ويتولى سكرتارية التحرير **محمود شريح**، وتضمن العدد الأول إضافة إلى القصائد الشعرية مقالات ودراسات وملفات أدبية ونقدية.

بريطانيا ▼ نشرة الأنباء بالشعر!

في خطوة جديدة وفريدة من نوعها عرض التلفاز البريطاني نهاية شهر ربيع الآخر الماضي برنامجًا تلفازيًا إخباريًا عنوانه «**الأنباء شعرًا**».

وقامت مجموعة من الشعراء بتقديم رؤيتهم بالشعر لإبراز أحداث اليوم في محاولة لإثبات تفوق الشعر على النثر في التأثير على المستمع.

أحدث الكتب

● **الإمام الشافعي : داعية ثورة ومؤسس علم، وإمام مذهب**، تأليف **إبراهيم بن علي الوزير**، صدر عن مركز التراث والبحوث اليمني في لندن.

● **الإمبراطور الثائر**، تأليف **توم باور**.

● **المؤامرة الصامتة : العالم الداخلي لجهاز المخابرات في التسعينيات**، تأليف **ستيفن دوريل**.

صدر الكتابان عن دار نشر هاينمان.

● **الرقاد فوق سلك : محاورات مع فلسطينيين في إسرائيل**، إعداد **ديفيد جروسمان**، صدر عن دار نشر جوناثان كيب.



عبدالله العروي

● **ابن خلدون وميكافيللي**، تأليف **عبدالله العروي**.

● **مذاهب الأنثروبولوجيا وعبقرية ابن خلدون**، تأليف **فؤاد إسحاق الخوري**.



خالد القشطيني

● **السخرية السياسية العربية**، تأليف **خالد القشطيني**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن دار الساقي في لندن.

● **بشتى الطرق اللازمة**، تأليف **سبايك لي وآخرين**، صدر عن دار فينتاج في لندن.

● **حالة العالم ١٩٩٣م**، تأليف **ليستر براون**

وآخرين، صدر عن مطبوعات ايرشكان في لندن .

● **صحة جيدة فوق كوكب ملوث**، تأليف **نيجل دودلي**، صدر عن منشورات ذورسون في لندن .

● **ثرثرة فوق النيل**، رواية **نجيب محفوظ**، ترجمها إلى الإنجليزية فرنسيس ليارديت، وصدرت عن دار نشر وابلداي .

● **أفريقيا في فلسفة الثقافة**، تأليف **كوامي أنتوني أبيا**، صدر عن دار نشر ميثويين في لندن .

● **ستيفن هوكنج : حياة في العلم**، تأليف مايكل هوايت، وجول جريبين، صدر عن دار بنجوين .

● **أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ؟ من فيصل التفرقة إلى فصل المقال**، تأليف **محمد أركون**، ترجمة وتعليق هاشم صالح، صدر عن مكتبة الساقي في لندن .



محمد أركون

● **نهاية القرن الأمريكي : اليوميات السرية للحرب الباردة**، تأليف **جيفري روبنسون**، صدر عن دار هاتشينسون في لندن .

● **بيع السياسة**، تأليف **لورنس ريس**، صدر عن مطبوعات محطة بي بي سي التلفازية .

● **ورثة فولتير**، تأليف **جون رالستون سول**، صدر عن دار سنكلير ستيمنسون في لندن .

● **في البحث عن الزمن المفقود**، رواية **مارسيل بروست**، صدرت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية عن دار شاتو اندويندس للنشر.



مارسيل بروست

● **ج . ف . ك . شباب طائش**، الجزء الأول، شاهد من حياة الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي، تأليف **نيجل هاملتون**، صدر عن دار سنشري في لندن .

● **مسرح الخبز والدمى**، تأليف **ستيفان بريشت**، صدر عن دار نشر ميثيم دراما في لندن .

● **حياة وأعمال جون ماينارد كينز في الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٣٧م**، المجلد الثاني، تأليف **روبرت سكيلدسكي**.

● **صنع أوربا الشرقية**، تأليف **فيليب لونجوورث**.

● صدر الكتابان السابقان عن دار ماكميلان في لندن .

● **بلدان الخليج العربي ومسألة التحديث**، تأليف **إيف شميل**، ترجمه إلى اللغة العربية **حسن قبيسي**، صدر عن مكتبة الساقي في لندن .

● **الوحدة الأوروبية : التجارة والصناعة**، تأليف **آلان ونترز وأنتوني فينابلز**، صدر عن دار كمبردج يونيفرسيتي برس .

● **أصوات**، رواية **سليمان فياض**، صدرت ترجمتها الإنجليزية عن دار ماريون بويارز في لندن ونيويورك .

هولندا

معرض كويتي للفنون الإسلامية

احتضن متحف جرمنت في لاهاي - مؤخرًا - **معرضًا كويتيًا لكنوز الفن الإسلامي** .

تضمن المعرض ١١٠ تحف أثرية من المتحف الكويتي للفنون الإسلامية تشتمل على حلي ومنمنمات وقطع زجاجية وخزفية ومخطوطات قرآنية نادرة وسجاد وأقمشة وقطع حربية وأدوات تزيين القصور، وأشياء أخرى .

ويذكر أن هذه المعروضات سبق أن عرضت في الولايات المتحدة وكندا وفرنسا، وينتظر أن تعرض - لاحقًا - في ألمانيا واليابان .

سويسرا

مجلة عالمية للطفل

تستعد منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة « اليونيسيف » لإصدار أحدث مجلة عالمية

رسائل جامعية

● « **العزلة : مفهومها وأثرها** » عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **خالد العبري** .

● « **الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث** » موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة دمشق، تقدم بها **محمد علي الزركان** .

● « **الاتجاه الوجداني في الشعر السعودي المعاصر** » موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها **سميرة محمود إبراهيم** .

● « **الآراء الاقتصادية للمقريزي : دراسة مقارنة** » عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى تقدم بها **أحمد صالح جمعان الغامدي** .

● « **التغذية العلاجية** » موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الزراعة بجامعة الإسكندرية تقدمت بها **إيمان محمد صالح** .

● « **أثر الحسبة والدعوة في تكوين الجيش الإسلامي عقيدةً وسلوكًا** » موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها **عوض بن رويشد السحيمي** .

● « **علم اللغة التطبيقي** » موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها **علي مكي المحوري** .

● « **أدب عبد الرحمن الشرقاوي** » موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة، تقدمت بها **ثريا العسيلي** .

الحركة الثقافية

متخصصة للعناية بثقافة الطفل ومختلف شؤونه في جميع أنحاء العالم .

اختير للمجلة اسم « النداء الأول »، ومن المقرر أن يصدر المكتب الإقليمي للمنظمة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا طبعة عربية منها .

جائزة اليونسكو

منحت منظمة اليونسكو جائزتها الأدبية **وزارة الثقافة الأردنية ومؤسسة سلبنيتا الثقافية القومية الهندية** تقديرًا لجهودها في مجال مكافحة الأمية .

ويذكر أن الجائزة تمنح سنويًا للجهات والهيئات المهتمة بالنشاطات الأدبية والثقافية في العالم .

إيطاليا — أدونيس وكاتب إسرائيلي يتقاسمان جائزة

تقاسم الشاعر السوري **أدونيس** والكاتب الإسرائيلي **ناتان زاك** جائزة فرونيا الأدبية الإيطالية .

وصدر ـ بهذه المناسبة ـ كتاب مشترك يضم مختارات من أعمال **أدونيس وزاك** .

وقد حاول الإيطاليون التأكيد على الأبعاد الأدبية لقرار منح الجائزة للفائزين ونفي أية ظلال سياسية له .

ألمانيا — اتحاد للدراسات الإسلامية

ينتظر أن تشهد العاصمة الألمانية برلين ولادة « **اتحاد للدراسات الإسلامية** » ترأسه المستشرقة **أنيورث** الأستاذة بجامعة برلين .

وكانت مجموعة من الباحثين العرب والأوربيين قد التقوا ـ مؤخرًا ـ في برلين حيث قرروا تأسيس الاتحاد على أن يكون متعدد الجنسيات ، لتناط به مهمات تشجيع الدراسات الإسلامية ، وتنمية التبادل العلمي بين العالم الإسلامي وأوربا ، وإصدار الدوريات وتنظيم المؤتمرات ونشر المترجمات .

ويذكر أن الاجتماع شارك فيه باحثون من **المملكة العربية السعودية ومصر والأردن وهولندا والنمسا إضافة إلى ألمانيا** .

جائزة بوخنر لرومكورف

فاز الشاعر والكاتب **بيتر رومكورف** بجائزة «**جورج بوخنر**» الأدبية .

ورومكورف كاتب متعدد الإبداعات ، فضلاً عن تخصصه في علم اللغويات فهو أيضا روائي وشاعر، كما عمل أستاذًا في عدة جامعات ألمانية .

معرض لفن سكان أستراليا الأصليين

استضافت **مدينة دوسلدورف** معرضًا بعنوان «**أراتجار : فن سكان أستراليا الأصليين**» .

ضم المعرض **مائة وسبعا وأربعين قطعة فنية** من أعمال سكان أستراليا الأصليين ، فضلاً عن مجموعة من الأشرطة السينمائية والفيديو والصور المعاصرة لحياة ذلك الشعب الذي تعود جذوره إلى أربعين ألف سنة خلت .

وفاة هانز شال

نعت الأوساط الثقافية الألمانية الأديب والناقد المسرحي والروائي **هانز شال** الذي وافته المنية في عزلته الاختيارية في مدينة توبنجن عن عمر يناهز ٩٠ عامًا .

ويعد **شال واحدًا من رواد المسرح البرليني** ، وقد اشتهر في العشرينيات الميلادية بمقالاته الأدبية والنقدية ، ومع حلول الثلاثينيات صار من رواد الفكر والفن في ألمانيا .

وحين استولى النازيون على الحكم عام ١٩٣٣م اضطر شال للفرار إلى براغ ، ومنها إلى سويسرا ، ثم باريس ، حيث مارس الكتابة والنقد المسرحي ، لكن ما لبث أن اضطر للفرار مرة أخرى إلى الولايات المتحدة ، حين احتلت القوات النازية فرنسا ، واستقر في الولايات المتحدة قرابة نصف قرن ، عمل أثناءه مراسلاً لعدة صحف ألمانية ومارس النقد المسرحي والترجمة ، وكتب قصصًا وقصائد وروايات ومسرحيات .

ومن المفارقات أن كرمته بلاده قبل وفاته ببضعة أشهر فقط بمنحه **جائزة «ليسنج»** الأدبية . ومن أبرز مؤلفاته كتابه «**مذكرات مثالي**»، وروايته « **القلائل والكثيرون** » .

اليونان — لقاء شعراء البحر المتوسط

تشهد اليونان في مطلع شهر ديسمبر ١٩٩٣م المقبل ملتقى شعراء البحر الأبيض المتوسط .



رفعت سلام

يشارك في الملتقى شعراء من مختلف البلدان المطلة على البحر المتوسط ، ومن أبرز الأسماء العربية التي وجهت إليها الدعوة : **رفعت سلام وأحمد الشهاوي** (مصر)، **أدونيس** (سورية)، **ومحمود درويش** (فلسطين) .

روسيا — جائزة تولستوي

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجائزة **ليوتولستوي** الأدبية لعام ١٩٩٣م ، التي رشح لها اثنا عشر أديبًا .

فاز بالجائزة الكاتبان الروسيان **ليونيد ليدنوف ، ويوري بونداريف** لدورهما في تطوير الأدب الروسي .

تبلغ قيمة الجائزة مليون ونصف المليون روبل .

المجر — مؤتمر للتراث الفني العربي

يشارك **٢٠٤ باحثين عرب وأجانب** في شهر ديسمبر المقبل ١٩٩٣م في مؤتمر تستضيفه

العـاصمة المجـريـة بودابست حـول **التراث الفني العربي**.

يناقش المؤتمر **تسعة محاور**، وتقام على هـامشه عـدة ندوات تتنـاول تأثير الفنون العـربيـة وتأثرهـا بالحركـة الفنية الأوروبيـة.

فنلنـدا ◄ معـــرض فـرعـــوني

استضافت مدينة تامبريه ثانية أكبر مدن فنلندا خلال شهـر ربيع الآخر الماضي ١٤١٤هـ معـرضًا للآثار والتحف المصرية.

أقيم المعـرض برعـاية حـرم الرئيس الفنلنـدي وافتتحتـه وزيـرة الثقافـة د. **تيتي إيسوهوكانـا أسوغا** بحضور أكثر من ألف مدعـو.

وضم المعرض **٤٥٠ قطعة أثريـة فرعونية** يرجع تاريخهـا إلى مـا قبـل ٤٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ عـــام قبـل الميـلاد، إضافـــة إلى قطع نسيج تعـود إلى القـرن العاشر الميلادي.

كولومبيا ◄ معرض دولي للكتـاب

اختتم مؤخرًا في بوجاتا المعرض الدولي للكتاب في دورته الرابعة.

شارك في المعـرض أكثر من **ثلاثمائة دار للنشر** تنتمي إلى مائة دولة عرضت كتبًا بلغات مختلفة من بينها **كتب إسـلاميـة قـدمها مكتب هيئـة الإغـاثـة الإسلامية العالمية في البرازيل**.

ونال **الجناح الإسـلامي** إعجاب الـزوار الذي اقترب عددهم من مليون زائر، بما ازدان به من **صور الحرمين الشريفين، وأدوات الفن الإسـلامي**، ومـا وزعه من نشرات مجانية.

ويذكـر أن المعرض يقام سنـويًا بـالتناوب بين مجموعة دول أمريكا الجنوبية.

الصين الشعبية ◄ مـــزاد علني لكتب ومخطـوطـات نـادرة

أقيـم ـ مؤخرًا ـ في بكين **أول مزاد علني للكتب والمخطوطـات الصينية القـديمة** ضم نحـو ٢٠٠ **كتاب ومخطوطة**، تغطي المرحلـة الممتدة من عهـد سلالـة سـوي (٥٨١ ــ ٦١٨م) حتى جمهـوريـة الصين (١٩١٣ ـ ١٩٤٩م).

ومنعـت السلطـــــات بيـع بعض الكتب والمخطـوطـات النـادرة لغير الصينيين نظـرًا لعـدم السماح بإخراجها خارج البلاد.

تنبؤات عمـرها ألفـا عام

اكتشفت في كهف يقع غــربي مـدينـة بكين مجموعة من **المخطوطات تضم تنبؤات** بما يتوقع أن يحدث في العالم حتى عام ٢٠٩٩م يعود تاريخها إلى ما قبل ألفي عـام.

وجدت المخطـوطات في حالة جيـدة، إلا أنه لـم يستـدل على شخصية كـاتبها. ومـن التنبؤات التي وردت فيهـا سقوط الإمبراطـورية الـرومانيـة، وقنبلة هيروشيما، والكارثة الفضائية في أمريكا عام ١٩٨٦م، ومرض الأيدز، وأشياء أخرى مستقبلية.

فيتنام ◄ ثلاث صحف جديدة

صدرت ــ مؤخرًا ــ في هانـوي ثلاث صحـف جديـدة، اثنتان منهما أسبوعيتان، والثـالثة نصف شهرية.

والصحف الجديدة هي: « **فاينا نشيال تايمز** » وتصدرها وزارة المالية باللغة الفيتنامية، و « فيتنـام كورير » وتصدرها وكالة أنباء فيتنام الرسمية باللغة الإنجليزية، وهما أسبوعيتـان، أما نصف الشهرية فهي « **العمل والمجتمع** » وتصدرها وزارة العمل.

علق صحـافيـون على صـدور هـذه الصحف الجديدة بـالقول: إن حـرب الصحف وصلت إلى فيتنـام الشيوعيـة، والحافز هـو اتجاه الـدولة نحـو اقتصاد السوق.

الولايات المتحدة ◄ معـــرض لحضــــارة أفـــريقيـــا وفنــــونها

أقيم في مدينة نيويـورك معرض يتناول حضارة أفريقيا وفنونها.

يستمـر المعـرض حتى الخامس والعشرين من شهـر رجب المقبل ١٤١٤هـ (٧ ينايـر ١٩٩٤م) ويضم أعمالاً فنيـة تعكس حضـارة بعض شعـوب أفريقيا وتقاليدها.

متحف لتاريخ البريد

افتتح في العاصمة الأمريكية ـ مؤخرًا ـ **متحف عن تاريخ البريد الأمريكي**.

نظمت المتحف مؤسسة سميثونيـان الثقافية، وضم نماذج مختلفة لـوسائط نقل البريد بـالتقنيات البرية والجوية.

أحـدث الكتـب

● **شركاء غرباء**، دراسة أعدها **توم روز فيتـال** حول تأثير الإعلام على القـرار السياسي الأمريكي، صدرت عن دار نشر هيبريون.

● **ستالين: الانتصار والمأساة**، تأليف **ديمتري فولكو جونوف**، ترجمه إلى اللغة الإنجليزية هارولد شوكمـان، وصدر عن دار نشر جـروف وايد ينفيلد في نيويورك.

● **أجانب**، تأليف **جيمس كـلافيل**، صدر عن دار نشر ديلاكورت في نيويورك.

● **نشر المعرفة في القاهـرة في القرون الوسطى**، تأليف **جوناثان بيردي**، صدر عن منشورات جامعة برنستون.

● **حين يهـــاجم المـرض الـزعيم**، تـأليف **جيرولد. م، بوسـت، وروبرت روبنز**، صدر عن منشورات بيل في نيويورك ولندن.

البرازيل ◄ زواحف مـــــا قبـل ١١٠ مـلايين عـــام

عثر في منطقـة شابـاوا دو أرابيب الجبلية شمال شرق البرازيل على بقـايـا **حيـوان زاحف مجنح من الفصيلـة المعروفة باسم « بتيروصور »**.

وقـدَّر العلماء عمر البقـايـا بنحو مـائة وعشرة ملايين عام مما يلغي ما كان معتقدًا سـابقًا من أن هذه الفصيلـة عاشت قبل ٨٥ ـ ٦٥ مليون عام.

وضمت البقـايـا المكتشفة عظـام جنـاح يبلغ طولـه ٩ ــ ١٠ أمتار مما يدل على ضخـامة حجم الحيوان.

على موعد

هَلْ هِيَ عَادَة ؟

نحن قوم نحب كثرة الألقاب والدرجات والرتب. لا يكتفي الواحد منا ـ مثلا ـ بأنه دكتور حاصل على الدكتوراه في أي فرع من فروع المعرفة، وإنما يريد من الناس أيضا أن يخاطبوه بشيء آخر غير هذه الدرجة العلمية الرفيعة، في حين أن غيرنا من عباد الله الحاصلين على الدكتوراه في أوروبا وأمريكا لا يستخدمون هذه الدرجة في مخاطباتهم، ولا يتنادون بها، بل يحبون أن يخاطبوا بأسمائهم العادية.

وفي هذه الأيام كثر عندنا استخدام حرفي أ. د. في مخاطبة أساتذة الجامعات، أو التوقيع على ما ينشرونه في الصحف والمجلات، فتجد هذا يسبق توقيعه حرف « د » وذلك يسبق توقيعه حرفا « أ. د. »، والأول حاصل على الدكتوراه ولكنه مازال مدرسا أو أستاذًا مساعدًا، والآخر حاصل على الدكتوراه أيضا ولكنه يشغل وظيفة أستاذ، في حين أن جامعات أوروبا وأمريكا مليئة بأساتذة لم يحصلوا على الدكتوراه، وبعضهم لم يحصل على الثانوية العامة!

نجد أيضا في هذه الأيام ولعًا غريبا بالألقاب الفارغة. فهذا يقال له «**الأديب المعروف**»، وذاك يقال له «**الكاتب المشهور**»، ولو كان الأول معروفا بالفعل والآخر مشهورا بالفعل أيضا لما احتاج الاثنان إلى صفة كهذه أو تلك؛ لأنها تحصيل حاصل كما يقولون.

بل نجد كذلك طبيبا يستخدم كلمة «**الدكتور**» وهو غير حاصل على الدكتوراه في طبه، ونجد محافظا يسبق اسمه بكلمة «**الوزير**»؛ لأنه صار في درجة وزير، وهكذا.

وعلى ذكر درجة الدكتوراه هذه أذكر في زيارة للبرازيل أنني رأيت كلمة «**دكتور**» منتشرة على لافتات المكاتب في كل مكان، فظننت أن عندهم ـ مثلنا ـ دكاترة كثيرون. ولما تساءلت عن السر قيل لي إن كلمة «**دكتور**» تعني أن صاحبها محام، أي أن المحامي في البرازيل يقال له «**دكتور**» من باب العُرف، لا من باب العلم أو درجاته.

أذكر أيضا في أول زيارة لي للولايات المتحدة أنه كان معنا أديب من المجر. وكنا في دار أستاذ جامعي قديم يشرف على البرنامج الأدبي الذي دعانا للاشتراك فيه. وكان الأديب المجري كلما خاطب الأستاذ الأمريكي سبق اسمه بكلمة «**دكتور**». وبعد مرتين أو ثلاث تضايق الرجل، وقال لزميلنا المجري: «أنا صحيح دكتور في الأدب، ولكني أحب أن تناديني باسمي مجردًا». ومع ذلك كان الطبع يغلب التطبع كلما تصادف اجتماع الاثنين في مكان واحد، حتى دعانا الأستاذ الأمريكي ذات يوم إلى إحدى محاضراته. وعندما حان وقت مناقشة طلابه لم نسمع من أحدهم سوى اسم الرجل مجردا. فلما انتهت المناقشة سأل الأديب المجري صاحبنا الأمريكي سؤالا مستخدما كلمة «**دكتور**». وعندئذ ضج الفصل بالضحك، واضطر الأستاذ إلى شرح الأمر لطلابه قائلاً لهم: إن هذه هي العادة في مخاطبة أساتذة الجامعة في المجر، فضج الطلاب بالضحك مرة أخرى!

هل هي عادة، أم حب للشكليات، أم نقص في التواضع؟

أعتقد أن الأمر عندنا يجمع بين الثلاثة. والله أعلم.

د. علي شلش